

جسر الوجدان

بين

اليمن والسودان

جسر الوجدان بين اليمن والسودان

للمطابق... الشيخ أبو فريد نزار بن محمد
عبد غامر القرشي

المولود في ثغر عدن سنة ١٣٧٨ للهجرة
صاحب الطريقة السومانية

جميع الحقوق محفوظة لمنشورات
نزار غانم

الطبعة الأولى : صنعاء

١٩٩٤ / ٢٠٠٠

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

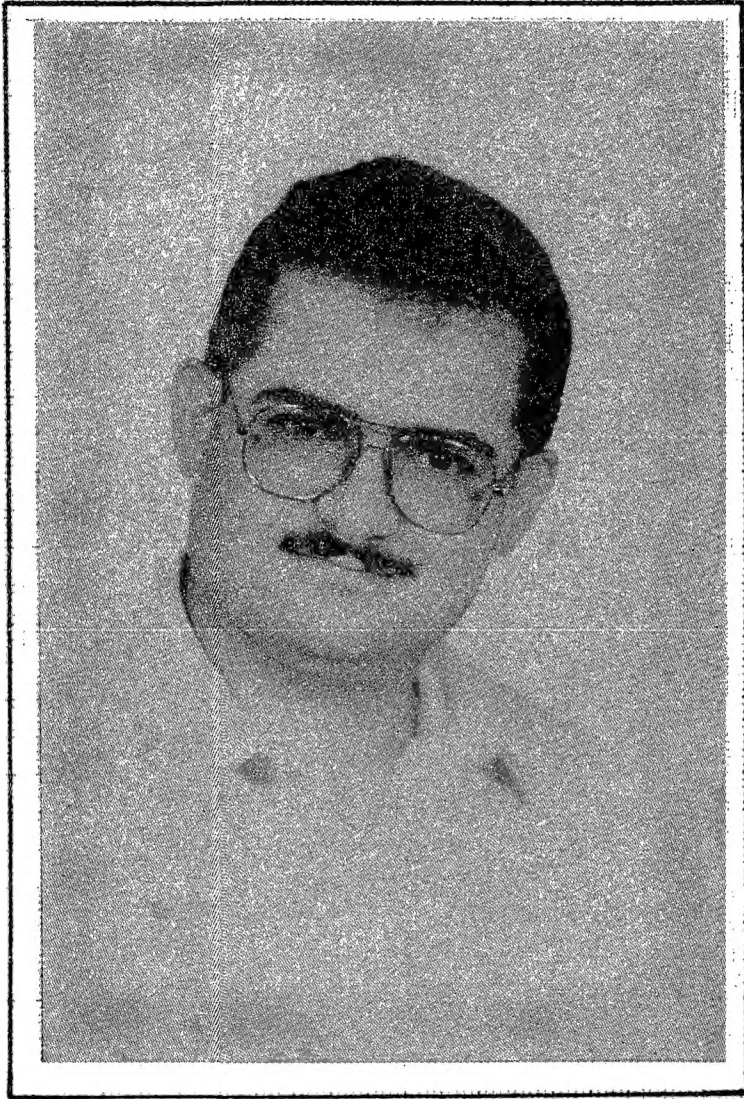
صنعاء: ص . ب ١١٣٩٤

منشورات نزار غانم

(الإهداء)

الح السومانيين في كل زمان ومكان

شيخ الطريقة



المؤلف

كلمة لا بد منها

ولأن الحب لا يخضع الى منطق، فقد كان من المنطقي، في حد ذاته، أن أحب السودان دياراً، وأهلاً، دوناً عن غير بلد زرتها، وعاشت أهلها، ذلك لما يتسم به الأشقاء السودانيون من صدق في القول وحنة في المنطق ومكارم في الاخلاق اتسام العرب الشرفاء.

فمن جهة جاءت فكرة هذا الكتاب على قاعدة إيماني بقوله تعالى: (وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان)، ومن جهة أخرى بسبب خصوصية العلاقة بين الشعبين اليمني والسوداني، والتي أطلقت عليها تسمية «السومانية» تجسداً لمعاني السلوك الفكري والانساني بين الشعبين اليمني - والسوداني.

ولا شك وكأي باحث مهتم، كان لا بد ان تواجهني بعض الصعوبات التي أمكنني بفضل الله تعالى التغلب عليها، وذلك بانتقالاتي المتعددة بين البلدان المختلفة خلال عدد من السنوات أمضيتها في البحث الدؤوب عن الحقيقة الى أن تمكنت من تجميع المادة الاساسية لهذا السفر. حيث لم تعد هذه الصعوبات سوى ذكريات جميلة وإن كانت في بعضها مضية.

ولا أدعي إلتواء هذا المؤلف الى فلسفة معينة سوى اعتمادي على العرض والتحليل الافقي لمادة البحث حيث تم تقسيمه الى باين رئيسيين فني حين استعرضت في الباب الاول جذور العلاقة بين الشعبين الشقيقين، وكيفية تطورها

مستهلاً بمدخل تاريخي (الفصل الأول) ومستعرضاً الهجرات المعاصرة المختلفة (الفصل الثاني)، وما نتج عنها من توطيد لأواصر التربية، والتعليم، والكفاح السياسي، والفنون (الفصل الثالث والرابع والخامس)؛ لأختم الباب الأول بملحق مصور يجسد من خلال اللوحة التشكيلية تلك العلاقة خير تجسيد؛ خصصت الباب الثاني، من هذا السفر، لنماذج من الأدب السوماني تختلف من حيث الفلسفة، باختلاف الفلسفات التي يتمتع بها كل أديب ومبدع.

وهكذا لا يسعني هنا إلا أن أتوجه بالشكر لكل من كان عوناً لي في مشوار هذا البحث والذي أتمنى أن يكون بداية على طريق التجسيد اللامحدود لسومانية الشعبين اليمني - السوداني.

والله ولي التوفيق

المؤلف

صنعاء أبريل ١٩٩٤ م.

الباب الأول

- الفصل الأول : مدخل تاريخي
- الفصل الثاني : الهجرات المعاصرة
- الفصل الثالث : أواخر التربية والتعليم
- الفصل الرابع : مدني قاعدة النضال اليمني
- الفصل الخامس : أواخر الفنون
- ملحق مصور

﴿ الفصل الأول ﴾

مدخل تاريخي

علاقات ما قبل الإسلام

يرجع تدافع العرب عبر البحر الأحمر، أو بحر القلزم، كما عرف في الماضي^(١)، إلى ما قبل الموسوية؛ حيث كانت السواحل المواجهة لليمن بشرق إفريقيا تعيش بيئة عربية، ما بين القرنين العاشر والسابع قبل الميلاد. ومنذ القرن الثاني قبل الميلاد نشط الطريق البحري للتجارة، بين اليمن وحضرموت وشرق إفريقيا، عبر القوارب الخشبية الصغيرة. وتحدث بعض الكتابات الإغريقية عن أثر الجفاف في الحالة الاقتصادية والاجتماعية التي سادت المنطقة، مثلما حدث في حضرموت. وقد كان الطريق البحري الجنوبي تحت سيادة العرب، حتى القرن الأول للميلاد، وكان العرب يعملون كموردين لمخاضيل هذه المناطق. وقد تكتفت الهجرات اليمنية إلى شرق إفريقيا، ما بين القرن السادس والقرن الثالث عشر بعد الميلاد. وتدفقت السامية من اليمن، أكثر منها من الحجاز، نتيجة لوفرة السكان، وصغر حجم الفاصل البحري، وبراعة اليمنيين في الملاحة وسهولتها، في النصف

(١) يقول أبو محمد عبد الله الطيب بن أبي مخزومة في كتابه (تاريخ ثغر عدن)، المطبوع

بليدن، بهولندا، عام ١٩٣٦م: البحر الأحمر كان براً واحداً، حتى عدن، ووراء جبل سقطرى، إلى أن جاء ذو القرنين، في طوافاته الدنيا، فحفر فيه خليجاً من البحر، فجرى البحر فيه إلى أن وقف على جبل باب المنذب، فبقيت عدن في البحر، وهو مستدير حولها.

الجنوبي من البحر الأحمر، اضافة إلى تطلع اليمنيين للبحر، ووجود موانئ طبيعية في الشط الإثريقي المقابل. وهكذا بدأت هذه الهجرات، التي أعقبتها الصلات التجارية، كما ساعدت على ذلك عوامل شح المطر في اليمن، والذي أعقبته عواصف رملية عنيفة، تهب من الداخل، فهاجر بعض اليمنيين، أولاً إلى جنوب منطقة قبائل البجة بشرق السودان، وتزاوجوا بهم هناك، وأدخلوا معهم لغة الجعز السامية، التي تطورت عنها لغة التقرى. وساعد كذلك على هذه الهجرات انكماش الطرق البحرية التجارية، من العربية الجنوبية، مما أدى بدوره إلى تحول اليمنيين إلى العمل بالرعي، وهجرتهم من بلادهم، بحثاً عن المراعي الصالحة، كما يذكر المؤرخ اليوناني سترابو (ت ٢٤ ميلادية). ويذكر مؤرخون آخرون خراب سد مأرب، واحتلال الحبشة لليمن. ويشير المؤرخ هارولد ما كميكل (٢) إلى أن الهجرة تصاعدت، ما بين ١٥٠٠ و ٣٠٠ قبل الميلاد، في عهد دولتي معين وسبأ، حتى وصلت وادي النيل، فتحكم المعنيون والسبأيون بتجارة البحر الأحمر. وفي القرنين السابقين للميلاد، عبر الحميريون وبعض الحضارة البحر الأحمر، واستقروا في الحبشة، وتوغل بعضهم، حتى بلاد النوبة، وصاهر قبائل البجة. يذكر هاميلتون بحجى اليمنيين للسودان، قبل الميلاد، ويعزوه إلى نقص الغذاء في بلادهم، وقلة الكلاء، وانعدام الرياح الموسمية، والتي تعتمد عليها أمطار المنطقة، وهبوب رياح رملية من الداخل، أدت إلى الجفاف.

جاء المعنيون والسبأيون، وعلموا الوطنيين استعمال المعادن، وأنظمة متقدمة في الري، والزراعة، وأنماطاً جديدة للنظام الجماعي، وفي الكتابة، كما أدخلوا نباتات جديدة، وأحضروا معهم حيوانات مستأنسة، وتوغلوا حتى وادي النيل، منذ ما قبل الميلاد. وهاجرت قبائل مملكة عزان، بجنوب شبه جزيرة العرب، إلى

(٢) أشهر كتبه (تاريخ العرب في السودان)، بالإنجليزية.

شرق إفريقيا، وكانت موزع في حمير، يومئذ، هي اليد الحاكمة، وكان تجار موزع يعيشون سفنهم، وعليها عرباً يعرفون الأهالي، ويتكلمون لغتهم، ويستزاجون معهم^(٣). ونشطت تجارة اليمن، زمن البطالسة والرومان، وتم لهم عبور النيل الأزرق، ونهر عطبرة، في القرنين السابقين للميلاد، وعقب انهيار سد مأرب، وكانت تجارة اليمن تنقل للبحر الأبيض المتوسط.

هكذا كان اليمنيون يستفيدون من نظام الرياح، بمشي سنة قبل الإغريق والرومان، وكانوا همزة الوصل بين إفريقيا، والشرق الأقصى، والعالم المتحضر آنذاك. ولا ننسى معرفتهم بالفلك، وتحديد الاتجاهات بالشمس، والقمر، والكواكب، وارتباط حياتهم بالملاحة، وموقع بلادهم الجغرافي.

ويرى بعض الباحثين^(٤) أن الغزاة الذين وفدوا على أعالي بلاد النوبة. وحاربوا أهلها، وعبدوا فيها هورس، كانوا، في حقيقة الأمر، عرباً من جنوب الجزيرة العربية، دخلوا إفريقيا، عن طريق مصوِّع. وأن عبادة الشمس، التي ازدهرت في بلاد اليمن، وجاء ذكرها في القرآن الكريم، ظلت آثارها باقية في تلميس والكلابشة، في بلاد النوبة، حيث نشرها الحميريون، الذين عبدوا الشمس، قبل المسيحية، واستعمروا شمال الحبشة، وتواصلوا مع بلاد النوبة في الأجزاء الشمالية... وحتى الآن، يعبد الإله تل، وهو الشمس في منطقة الأنقسنا بالسودان. ويذكر الحضرمي ابن خلدون (ت ١٤٠٥م)^(٥)، في سياق حديثه عن ملوك التبابعة

(٣) محمد عبد النقيز، انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ومناهضة الغرب له.

(٤) بشري محمد صالح، ماذا عن العلاقات بين اليمن والسودان، صحيفة الثورة

(صنعاء)، ١٤ أبريل ١٩٩٤م.

بشري محمد صالح، إضاءة على العلاقة بين اليمن والسودان، مجلة (أنا السودان)

(صنعاء)، عدد يناير ١٩٩٤م.

(٥) ابن خلدون، العبر، القسم الأول، المجلد الثاني، بيروت، دار الكتاب اللبناني،

١٩٥٦م.

من حمير وألويتهم باليمن ومصير أمورهم، فيقول: قال ابن حزم، هو إفريقش بن قيس بن صفى أخ للحرث الراس، وهو الذي ذهب بقبائل العرب إلى إفريقية، وبه سميت. وساق البربر إليها من أرض كنعان، مر بها عندما غلبهم يوشع، وقتلهم، فاحتمل ألفا منهم، وساقهم إلى إفريقيا، فاقر لهم بها، وقتل ملكها، جرجير، ويقال إنه الذي سمي البرابرة بهذا الاسم، لأنه لما افتتح المغرب وسمع رطانتهم، قال: ما أكثر بربرتهم. فسموا بالبرابرة. والبربرة في لغة العرب هي اختلاط أصوات غير مفهومة، ومنها بربرة الأسد. ولما رجع من غزو المغرب، ترك هنالك، من قبائل حمير، صنهاجة، وكتامة، فهم، إلى الآن، بها، وليسوا من البربر.

ويقال مرة أخرى إن إفريقش هرب من الآشوريين، أو الأنثوبيين، فهتف به: «البر - البر»، أي إلى صحراء إفريقية، فاضطروا لعبور النيل، إلى قرطاج. أما المؤرخ الألماني، نولدكه، (ت ١٩٣٠م)، فيرى أن البربر قدموا إلى شمال إفريقية من موطنهم بجزيرة العرب^(٦).

وقد صور الشاعر اليمني نشوان بن سعيد الحميري (ت ١١٧٧م) شيئاً من هذه القصة، شعراً^(٧):

وأنحوه إفريقش وارث ملكه حتف العدو وجابر المتاح
ملك بنى في الغرب إفريقية نسبت إليه بأوضح الإيضاح
وأحل فيها قومه فملكوا ما حولها من بلدة ونواح

وورد في الشعر:

بربرت كنعان لما سقتها من بلاد الملك للعيش العجب

(٦) محمد مرشد ناجي، الغناء اليمني القديم ومشاهيره، مطبعة الطليعة، الكويت،

١٩٨٣م.

(٧) نشوان بن سعيد الحميري، ملوك حمير وأقباال اليمن، تحقيق اسماعيل أحمد الجرافي

وعلي اسماعيل المويد، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨م.

ورأت كوش لعمري دارها ترتقي عيساً لنا لا يشرب

وكوش هو الاسم القديم لبلاد السودان اليوم.

ينسب المسعودي (ت ٩٥٧م) والمقرئزي (ت ١٤٤١م) ملوك المقررة بشمال السودان إلى أحفاد أبرهة ذي المنار (ت ١٣٤ قبل الميلاد)، غازي السودان حتى المغرب، وأحفاد ابنه إفريقش، غازي شمال إفريقيا (ت ٣٤ قبل الميلاد). ويقال بأنه وصل في غزوه إلى جزائر المحيط الأطلسي. يؤكد ذلك ياقوت (ت ١٢٢٩م)، وابن خرداذبه (ت ٨٩٣م)، إذ يثيران إلى نسبة النوبة وملوكهم من حمير ولقب ملكهم (كايل) المصحفة من (من قيل)، وهو لقب ملوك اليمن وأقباها. ويشير دي فيار إلى أن حمير عبرت إلى النوبة، قبل الإسلام، فتركت هناك أسماء أجدادها: كوه - دراو - سبأ. ويعرف جد ملوك المقررة بمقري، كما يعرف جد ملوك المريس بسلها وهم، أيضاً، من النوبة، وينتمون إلى حمير. وربما ساعدت الاكتشافات الأخيرة (٨) للآثار السامية الجنوبية، في شرق مصر والسودان، في كل من قصر البنات، وبير منيح، ووادي الحمامات، ووادي عباد، في رفد معلوماتنا في هذا المقام.

ويشير الأديب السوداني، الشيخ عبد الله عبد الرحمن الأمين الضريير (٩) إلى نسبة مجموعة نوبة أخرى، هي المحس، للقحطانيين، ويقول بنسبتهم إلى الأنصار، من الخزرج، وبالتحديد إلى أبي كعب الخزرجي الصحابي، وفي ذلك يقول الشاعر، محمد عثمان الجابري الخزرجي:

(٨) انظر: لعبد المتعم عبدالحليم دراسته (الجزيرة العربية ومناطقها وسكانها في النقوش

القديم بمصر)، ضمن ندوة الجزيرة العربية في ٤ مجلدات، عن جامعة الرياض، من اخراج د.

عبد الرحمن الطيب الأنصاري. كذلك الجزء الأول (مصادر تاريخ الجزيرة العربية).

(٩) انظر الجزء الأول من كتابه (العربية في السودان).

نحن الأب سعد والجلدنا قحطان

ونحن البلفخر شاعرنا دائماً طان

وتعرف منطقة كوش السودانية بمحدودها الممتدة من جنوب الشلال الأول على النيل حتى سوبا أو بحيرة الأرواح جنوباً. يرى الدكتور محمد عبد المجيد عابدين أن سوبا، والمعروفة، أيضاً، بمملكة علوه، ربما كانت كلمة آرامية الأصل. وربما كانت سوبا محرفة عن سبأ المجموعة اليمنية التي انتقلت قديماً من جنوب غرب الجزيرة العربية إلى حوض وادي النيل الأوسط ف (سيو) تنطق شبا أو سبأ، التي صارت سوبا، حيث أن (بس) تساوي (شين) أو (سين) في اليونانية القديمة، علماً بأن هناك تشابهاً بين حضارة سوبا وحضارة سبأ في التالي:

١ - الديانة، وهو ما يعرف عند الباحثين السودانيين بالموازي الآسيوي.

٢ - ولاية الملكات على العرش.

٣ - نظم وطقوس العبادة، وبناء المعابد.

٤ - التشابه في الحكايات الشعبية والأمثال في المنطقتين، مثل: في السودان

عجوبه، وخراب سوبا، وفي اليمن تفرقت أيدي سبأ، وخراب مأرب! ويورد هارولد ماكمايكل، ودي برسفال، رواية عربية تذكر أن أحد ملوك حمير، وهو ابو مالك بن شمس يرعش الحميري، (ولد سنة ٣١ ميلادية)، جهز حملة إلى منطقة البجة، في شرق السودان، خلال القرن الميلادي الأول، وراح يبحث عن المعادن، والزمرد، إلا أن جماعته هلكت عطشاً هناك.

ويرى الدكتور مصطفى محمد مسعد (١٠) برأي ماكمايكل، عن أن عبادة الشمس في تلميس والكلابشة استمرت حتى القرن السادس للميلاد، وكذلك كان الحال في اليمن ومستعمراتها في الحبشة. ويشير إلى أن العمامة ذات القرنين كانت

(١٠) انظر له (الإسلام والنوبة في العصور الوسطى)، القاهرة ١٩٦٠م.

إشارة السلطة في مملكة نوباديا، وأن غازي السودان، أبرهة ذي المنار، اشتهر بالصعب ذي القرنين. وأخيراً يشير إلى الأثر السبأي الحيشي الموجود بالطابق العلوي من كنيسة دنقلا بأرض النوبة.

ويتحدث المسعودي عن البجة، فيقول إنهم من البربر، وعاصمتهم، سنة ٨٣١ للميلاد، هي مدينة (هجر)، هذا الاسم الشائع لمدينة اليمن عبر التاريخ. ومنطقة البجة المعروفة، أيضاً، بمملكة البلميين، أو نقيس، شهدت استقرار عدة قبائل يمنية فيها، كالحدارية، وهي تصحيف للحضارمة، في رأي ماكمايكل، عند العتباي، وعند تلال سنكات، وفيها تحولوا من الوثنية إلى المسيحية. ويشير المسعودي، وابن حوقل (ت ٩٩٠م)، والطبري (ت ٩٩٢م)، والمقريزي، واليعقوبي (ت ٩٠٥م) إلى أن الحدارية اعتنقوا الإسلام، فيما بعد، وبنوا المساجد، في هجر، وسنكات، وصنجة. أما كامرون، فيقول إن البجة سمو الحضارمة بالحدارية، حينما أتوا، قبل الإسلام، عبر القلزم، واستقروا في منطقة شمال سواكن، حيث تزوجوا بالبجة، لا سيما الزنافج. غير أن نفوذ الحدارية تقلص، رغم اعتناقهم الإسلام، ونشرهم له، نتيجة لهزيمتهم على يد البشاريين، وبسبب انتقال سوق التجارة، والحج من عيذاب إلى القصير شمالاً، وسواكن جنوباً. وعموماً فإن منطقة رأس الحدارية، جنوب عيذاب، هو كل ما بقي من ذكراهم، اليوم، منذ مجيئهم، سنة ٧٥ للهجرة!

واستقرت قبيلة بلي اليمنية في بلاد البجة، حيث اشتغلت في مناجم الذهب، والزمرد، والنحاس، والحديد، والرصاص، وحجر المغناطيس. ونسبة إليها عرف البجة لغة البلويب، إلى جانب لغتهم الأصلية المعروفة بالتبداويت. وتتضارب المصادر في تحديد دخول بلي لشرق السودان؛ فلسان اليمن الهمداني (ت ٩٤٥م) يقول بأن بلي عاشت في سيناء، قبل الإسلام، وجاءت بوفرة من الأعداد لمصر، في عهد الفاروق عمر بن الخطاب. وكراون يقول بأن البلي، أو البلو، أيضاً،

حميريون، هاجروا إلى السودان، خلال القرن السادس الميلادي. وهناك من يقول بدخول بلي للسودان، في أواخر القرن الثامن للهجرة، عبر القلزم، وينسبها إلى عمرو بن الحاف، من قضاة الحميرية. كما أن هناك من يقول بهجرتهم زمن الشاسو، وئود، مع جرهم، حيث تزاجروا بالبحّة. وقد عملت بلي كضمان، يملكون الجمل عند زيارة ابن جبير (ت ١٢١٧م)، لبلاد البجة، بينما عملت دغيم حلهم، في رحلة ابن بطوطة، وفي رحلة الأدريسي (ت ١١٦٥م).

والبلو هم الطبقة الارستقراطية الحاكمة من قبائل البني عامر، وهم الذين كونوا دولة (نجران)، أو مملكة البلو، في القرن الرابع عشر الميلادي، في شرق السودان، حتى انتهت دولتهم، في القرن السابع عشر الميلادي، وتحولت إلى اسم النابتاب، نتيجة لهجوم الفونج من ناحية الغرب، وهجوم الأتراك العثمانيين من ناحية الشرق. ويقول لونغرنج بأن البلو تحولوا من الوثنية إلى المسيحية، ثم إلى الإسلام، خلال إقامتهم بشرق السودان. كما يشير سلجمان إلى أن سواكن كانت تابعة لمملكة نجران، بناء على ما كتبه سائح برتغالي، سنة ١٦٠٠ للميلاد، في كتابه (موجز في وصف نهر النيل) - انظر، أيضاً، رأي موترنجر (ت ١٨٧٥م) وربما كانت الحدارب وبهراء أسماء مرادفة لبلي. أما المسعودي فيصرح بأن موطن بلي الأصلي هو مدينة الشحر بحضرموت، وأنهم وصلوا إلى شرق السودان، قبل الإسلام.

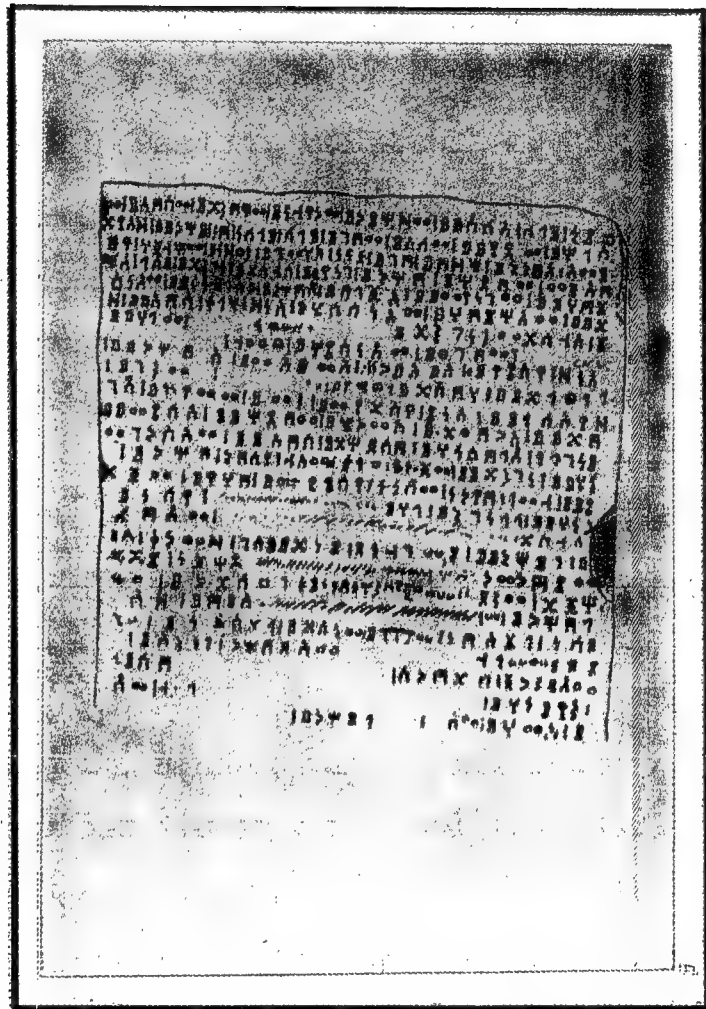
ولقد احتفظت كثير من الأماكن في شرق السودان بتسمياتها العربية القديمة، مثل نجران. وتدل الآثار المخطوطة نحتاً في الحبشة، وما جاورها من أرض السودان عسى وجود عيني في المنطقة، يرجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد. ولذلك نجد كونتي كارلو روسيني (ت ١٩٤٩م) يحاول الربط بين بلدة هجر وعتباي نجران. ونجد آخرين يحاولون الربط بين مأرب اليمنية ونهر (مرب) الذي سمي جزؤه الأسفل بحوض القاش، أو نهر الدجن. كما يحاولون الربط بين خور (اونسبا)،

وهو أحد روافد نهر بركة و(عين سبأ)، علماً بأن السيادة على حوض القاش كانت للدجن، الذين عرفوا، أيضاً، بالأونساب، نسبة لأونسبا. بينما كان البلو يسيطرون على حوض الدجن، أي القاش وبركه، في العصور السابقة الوسطى. وكان الحوض يشكل الحدود الغربية لمملكة نجران بشرق السودان.

وفي القرن السادس الميلادي جاءت بطون من حمير إلى أرض المعدن ببلاذ البجة، واستقروا في عتباي، وامتدوا إلى سنكات، واركويت، وصاهروا البجة. ويتوقف إنتاج المعدن، في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، تدهورت أحوال بلبي، وجهينة، ودغيم، وبني كاهل، ورفاعة، فساروا إلى داخل السودان. ولقد وجدت آثار قبور عربية في سنكات وفي هجر، العاصمة لمملكة البلو، الممتدة من أسوان إلى خور بركة أو أرض المعدن، سنة ٦٥٢م، كما يرى اليعقوبي. ويتحدث لسان اليمن الهمداني^(١١)، عن معادن الذهب في بلاد الأعاجم، فيقول: من معادن أرض الحبشة والثوبة العلاقي، نسبة إلى بني العلاق بن سليم بن منصور، وهو جيد التبر، وأشدّه حمرة، وفقط. وأرمنت وأسوان من بلد البجة، ومن شطآن التبر عيذاب وسواكن.

ويقال بأن بني سليم كانوا بالعلاقي، حتى نضوب معدنها، سنة ١١٢١م. وتدل بعض الأعمدة بمنطقة البجة، شمال شرقي عدوه، على آلهة سبأية، مثل سين، ومثل عثر. وهي ترجع إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد. كما أن النقوش الحميرية بشرق السودان تشمل نقش (اف. قرى)، المسجل بلندن، عام ١٩٠٩م، من منطقة عتباي حلايب. ومن النقوش، التي يجدر التوقف عندها، نقش الملك عيزانا، المكتوب بثلاث لغات، هي السبأية، والحبشية، والإغريقية. وقد كتب النقش عند

(١١) أبو محمد الحسن الهمداني، كتاب الجوهريتين العتيقتين المانتعتين من الصفراء والبيضاء الذهب والفضة، منشورات دار الكتاب، دمشق، ١٩٨٢م. تحقيق: محمد محمد الشعبي.



- نقش الملك عيزانا بن العميدا -

(بالخط المسند ٣٢٥م)

غزو الملك الحبشي عيزانا لدولة مروى النوبية، حوالي سنة ٣٢٥ للميلاد، وجاء فيه: (بقوة إله السماء، المنتصر في السماء وفوق الأرض وعلى الجميع، أنا عيزانا بن الأمايدا، من قبيلة هالن ملك أكسوم، وحمير، وريدان، وسبأ، وسالهن (مأرب)، وسيهامو (تهامة)، والبحجة، وكاسيو، وملك الملوك، الذي لن يهزمه العدو...). وقد أشار للنقش الدكتور زاهر رياض، والعالم اليمني الدكتور عبد الله الشيبه، في كتاب له معد للطبع. إن هذا النقش يشير إلى أن السودان واليمن معاً خضعا لحكم حبشي، في فترة من الزمان. ونذكر أن النفوذ الروماني في بلاد جنوب شلال النيل الأول أصيب بهزة عظيمة، لمجرد خيبة الجيش الروماني في اليمن!

ويشير كيتس في موسوعته عن الأديان إلى جماعة الزبالعة، أو أبو جريد، نسبة لأبي جريد آدم بن عبد الله، والساكنة بين النيل الأزرق، والرهدة، والدندر، بالقرب من مدينة سنار السودانية، وقبلتهم حلة، أو قرية بترقا، شرق النيل الأزرق، بين كركوج، والروصيرس، ويقول عنهم بأنهم جماعة حميرية، جاءت، منذ زمن بعيد، إلى السودان، وحافظت على عاداتها المعنية والسبائية، ولم تتأثر بالثقافات المتتابة، من يونانية، ومسيحية، وإسلامية، وفونجية، وإن كانت تتظاهر بالإسلام. [انظر هليلسون، أيضاً].

ويشير الباحث السوداني، بابر علي عبد الكريم (١٢)، إلى وجود الآثار اليمنية القديمة، في منطقة حلايب بشرق السودان، ومنطقة البحراوية بشمال السودان.

ويذكر الباحث اليمني الدكتور عبده علي عثمان (١٣) الأصل اليمني.. في لغة

(١٢) العدد ٤٢ من مجلة (دراسات يمنية)، الصادرة في صنعاء، عن مركز الدراسات

والبحوث اليمني، بتاريخ أكتوبر- ديسمبر ١٩٩٠م.

(١٣) انظر ترجمته لمقال للمستشرقين دي أرنولد وآي فاسير بعنوان (الأخلام في

اليمن أصولهم وعاداتهم) - مجلة (دراسات يمنية) العدد الأول، بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٧٨م.

الجعر، وهي لغة الأحباش المسيحيين المقدسة، وكذلك في سمات لهجة سكان سامهارا أو الساحل الإرتري، المحاذي للبحر الأحمر. ويذكر المقريري والتويري بأن المسلمين الخاساء الذين يعيشون بالقرب من سواكن، في خور بركة، وحول طوكر، يتكلمون التقرى، المشتقة من لغة الجعر، كما أسلفنا. ويتحدث بالتقرى سكان المناطق الجنوبية للبي عامر، أي وادي بركة، ورافده أو نسباً، وكذلك الحال في المناطق الشرقية من البي عامر. لغة الجعر هي، أيضاً، لغة قبائل الإجعازيان السبائية، والتي وضع بليبي منازلها بالقرب من عدن^(١٤). وقد هاجروا منها إلى الحبشة، وأقاموا هناك مملكة، وهم أقدم هجرة يمنية للحبشة، حيث استقروا في شمالها الشرقي، وكانوا أقوىاء في التجارة، وعلى رأس السلطة الحاكمة. بل تذكر الروايات الشعبية أن من اليمنيين من ظل قادراً على الترجمة من العربية إلى الجعزية وبالعكس، وفي نقش الاحتفال بانتهاء ترميم سد مأرب، يشير فيه أبرهة الحبشي إلى أنه قام بهذا العمل ممثلاً للمتكلمين بالجعزية.

(١٤) د. حواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الملايين، بيروت،

علاقات ما بعد الإسلام

أسهم اليمينيون، اسهاماً كبيراً وفعالاً، في الحملات العسكرية التي قام بها المسلمون على أرض النوبة بشمال السودان، ضمن حملات نافع بن عبد القيس الفهري، وعبد الله ابن أبي السرح، منذ سنة ٢١ للهجرة، وخلال ولاية عمرو بن العاص لمصر، والأخرى سنة ٣١ للهجرة، خلال ولاية عثمان بن عفان. يذكر ابن عبد الحكم (ت ٨٧١م)، في كتابه (فتوح مصر والمغرب)، أن قبيلة لخم اليمينية كانت الأكثر أهمية في هذه الحملات. ويروي البلاذري (ت ٨٩٢م)، في (فتوح البلدان)، أن أيا قبيل حي بن هاني المعافري، عبر ستة من الرواة، ذكر أن شيخاً حميراً قد شهد حرب النوبة مرتين خلال ولاية ابن العاص (١٥). وكانت العرب في رواية لابن هليعة قد سمت النوبة برماة الحدق؛ لإجاداتهم الرمي بالنبال، وهكذا أصيب من أصيب من القادة اليمينيين في تلك الحملات، مثل العمري، وأبو شمر بن أبرهة، وحيويل بن ناشره، ومعاوية بن خديج النجبي.

ويقال بأن اليمينيين أخذوا مهارة الرمي بالنبال عن النوبة. وكان عقبة بن نافع هو الذي أرسل معاوية بن خديج النجبي إلى المعركة، في دنقلا ببلاد النوبة. وقد مهدت هذه الحملات لاتفاقية سلام بين المسلمين والنوبة، عرفت باتفاقية (البقط)، والتي أخذت تسرب الوجود العربي الإسلامي إلى أرض النوبة، بأكثر من شكل، كان من ضمنها التزاوج بين المجموعتين، وانتقال الملك إلى أيدي المسلمين، بعد فترة من الزمان؛ إذ يذكر ابن خلدون عادة الأعاجم في تمليك الأخت وابن الأخت.

وشارك القائد اليميني عبد الله بن الجهم في غزو البجة، بشرق السودان، ونشر الإسلام بينهم، وعبره تسربت جهم مأرب وخولان إلى أصقاع السودان،

(١٥) د. يوسف فضل حسن، العرب والسودان من القرن السابع حتى مطلع القرن

السادس عشر الميلادي، بالإنجليزية، دار النشر بجامعة الخرطوم، ١٩٧٣م.

وخسر المتمردون المعارك أمام آلاف من الجنود اليمنيين في سنة ٨٣١م، من زمن كنون عبد العزيز وحتى علي بابا.

وبحلول منتصف القرن الهجري الثامن، اعتنق غالبية النوبة الإسلام؛ الأمر الذي أعطى دعماً روحياً وسنداً سياسياً للهجرة العربية اللاحقة إلى السودان، وإن كنا لا نغفل دور الهجرات الفردية، بحثاً عن المراعي، ومعادن الذهب، والزمرد، الخ، أو هرباً من العدالة، ومن طغيان الولاة، وأهم من كل هذه هجرة المتصوفة، للترويج لطرقهم الصوفية في البلاد الجديدة، والتي حقاً لعبت الصوفية فيها الدور الكبير في اعتناق الناس هناك للإسلام^(١٦). ويقول الدكتور عبده بدوي^(١٧) إن دخول العرب للسودان مر بمرحلة إعدادية، ثم مرحلة ناشطة، فمرحلة تمثل وامتزاج. وقد رجّح بعض الباحثين أن تكون معاهدة البقط جاءت تصحيحاً للقط، وهم النوبة المسيحيين، يومئذ، سنة ٦٥١ للميلاد.

يكاد يجمع المؤرخون على أن قبائل جهينة في السودان هي الموازي القحطاني، بينما قبائل الجعليين هي الموازي العدناني، في التركيبة القبلية السودانية، لكن المتتبع لهاتين الشجرتين يجد خلطاً كبيراً في الأسماء العدنانية والقحطانية في كليهما. والنسب العام لجهينة بالسودان هو لعبد الله الجهني القضاعي الصحابي. وقد صبت أنهار جهينة البشرية في السودان من ثلاث جهات.

(١٦) نشير هنا إلى نظرية العلامة السوداني عبد الله الطيب، التي تفترض أن الهجرة الإسلامية الأولى شملت السودان، إلى جانب الحبشة، وهكذا يكون اليمني أبو موسى الأشعري، ورفاقه أبو برد، وأبو رهم، وبعض خمسون رجلاً من قومه قد ركبوا السفينة من اليمن، مهاجرين، حينما سمعوا بخروج رسول الله (ص)، فاجتمعوا بجعفر بن أبي طالب، ومن معه من الصحابة. ويعتقد العلامة عبد الله الطيب، أن قراءة نافع للقرآن الكريم قد دخلت إلى السودان؛ عن طريق اليمن.

(١٧) د. عبده بدوي، الشعر في السودان.

عبر القلزم، كما ذكر ابن خلدون، في آخر القرن الثامن الهجري، وذلك من موطنهم، ما بين ينبع، ويثرب، حتى عقبة ايله، فانتشرت أفواجهم وأفواج فرعهم بني عرك، بين النوبة، والحبشة، واستقروا بشرق السودان، حيث اشتغلوا بالمعدن، ومناجمه هناك. ويرى ما كمايكل أنهم أتوا في القرن الرابع عشر للميلاد، ولكنه يتعثر في توضيح طريق دخولهم، وتشير وثائقه إلى الطريق الليبي، غربي الدلتا المصرية، وهو طريق الأربعين، معتمداً على رواية ابن خلدون، حول تدفق جهينة لبلاد النوبة، ثم نزوحهم عنها، جنوباً، تتبعاً للأمطار، وإن كان يقول، في الوقت ذاته، بمجيئهم عبر القلزم، إلى شرق السودان، ثم إلى غربه. ويذكر المقرئزي مجيء جهينة، قبل ذلك، للسودان، عبر مصر، كجزء من الحملات العسكرية الإسلامية، عام ٦٤٦ للميلاد.

إلا أن التاريخ يحدثنا عن المصاهرات العديدة التي تمت على أرض السودان، بين آل جهينة والجعليين، وهكذا نفسر في سياق الحوادث التاريخية أن القرن الثامن الهجري شهد قتالاً يمينياً — يمينياً حينما اصطدم الأحدب محمد بن واصل العركي بالماليك، وحلف بني هلال، الذي كان يضم قبيلة المعقل اليمنية. ومن مجموعات جهينة بالسودان مجموعة المهيرية بكردفان، نسبة لبلاد المهرة باليمن، ومجموعة الغريسية من الحمر، الذين ذكر ماكمايكل، والمؤرخ السوداني، البروفسور يوسف فضل حسن، هجرتهم إلى التاكا، بشرق السودان، أولاً، ثم كردفان بغربه، وذلك في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي. أما المؤرخ اليمني الراحل، محمد عبد القادر

بامطرف (١٨)، فيضم آل حمد، وهم فخذ من قبيلة الرزيقات بدارفور، والأنقریات من العابداب، بالخلفاية، والتعايشه، في دارفور، والحلاويين، بالجزيرة، والنيل الأزرق والأبيض، ورفاعة، على النيل الأزرق، والضبانیه، بالبطانة، إلى المجموعة

(١٨) محمد عبد القادر بامطرف، الجامع لشمّل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن

وقبائلهم، في أربعة أجزاء، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٤م.

الجهنية اليمنية بالسودان. كما يشير بامطرف إلى قحطانية طيء من قبائل الجزيرة و جذام ببلاد البربر، وبهراء من بلي، في كسلا، والجوابرة، من جابر بن عبد الله بن رثاب الأنصاري بدنقلا. ويشير الدكتور يوسف فضل حسن^(١٩) إلى مجموعة جهنية أخرى، هي الحمران، والذين دخلوا السودان، عبر شرقه، من بلاد الحبشة، على أثر خلافهم مع الحجاج بن يوسف الثقفي. ويسميهـم الكاتب الاسكتلندي جيمس بروس (ت ١٧٩٤م) بالعقاقير، نسبة لأحمد العقور اليمني. وهناك من ينسبهم إلى بني عذره، شمال تهامة اليمن. وللحمران قصة شعبية معروفة، هي قاجوج والمحلقي.

يقول القلقشندي (ت ١٤١٨م) بأن نسابة الهوارة، أو الهواوير، يقولون إنهم يمنيون قضاعيون، هاجروا إلى شمال كردفان، في القرون الخمسة الأخيرة من بلاد المغرب، ومنهم طائفة التجار «الجلابه»، في شمال دارفور. ومن بطون كهلان بن سبأ بن يشجب، أخ حضرموت، والتي بغرب السودان جذام، كما أن من بطونهم مذحج، ومنهم سعد العشيرة، التي أقامت بمريس، في القرن الثالث للهجرة. وقد عاش عرب قحطان، الذين كانوا بأسوان، شمال باجراش، واشتروا أراضي نوبية، خلال حكم بني أمية، وبني العباس. أما الكواهلة، الذين يعودون بنسبهم إلى كاهل بن أسد بن خزيمه، وملكهم حجر، والد الشاعر امريء القيس الكندي اليمني، فيذكر ماكمايكل بأنهم دخلوا السودان، عبر القلزم، فشرق السودان، ليستقروا بغربه، حيث وجدوا هناك طقساً يوفر لهم لذة الترحال، ووضعاً أفضل للعرب من وضعهم في مصر، إبان الحكم الطولوني. امتهن الكواهلة التجارة، والتعدين، وإليهم ينسب الحسانية والحسينات ويذكر ابن بطوطة لقاءه بالكواهلة وعرب كنانة، ودغيم، وجهينة، في بلاد البجة، سنة ١٣٣٠م، حينما

(١٩) د. يوسف فضل حسن، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان

الشرقي (١٤٥٠م - ١٨٢١م)، دار النشر بجامعة الخرطوم، ١٩٨٩م.

سافري من سواكن، ورأس دوائر، على الشط السوداني، إلى مدينة حلي، وسلطانها عامر بن ذويب، على الشط اليمني. وقد وصف ابن بطوطة هذه الرحلة بقوله: وهذا البحر لا يسافر فيه بالليل، لكثرة أحجاره، وإنما يسافرون فيه من طلوع الشمس إلى غروبها.. وقد استغرقت الرحلة ستة أيام (٢٠).

ومن يتنسب للكواهلة، أيضاً، البشاريون، وأصهارهم، العبايدة. ويشير د. عبد المجيد عابدين إلى أن كهلان تعيش بشمال السودان، ومن بطونها هناك خم، وجدام، وغسان. وقال آخرون بأن أولاد كاهل هم بطن من قصي.

أما الأرتيقة ففرع من آل أبي قشير، يسكنون بأسفل حضرموت، وهم من ذرية محمد بن الحنفية ابن الإمام علي بن أبي طالب، هاجرت ذريته من حضرموت، على سفينة مشحونة بالبضائع، واشتغلوا بالتجارة، بين ضفتي القلزم، وعبر سواكن، ثم صاهروا البلوب، كما كان لهم دور في مناصرة أمير المهديّة بشرق السودان، عثمان دقنه. ويشير المؤرخ السوداني، محمد صالح ضرار (٢١) إلى أن لهم فروعاً تجارية بحرية في الحديدة باليمن، وأن أحد زعمائهم، وهو باصفار العلوي الحضرمي، أتى لسواكن في القرن الرابع عشر الميلادي، وتزوج امرأة من البجة. ويشير السائح اللوزاني جون لويس بوركهات (ت ١٨١٧م)، بعد رحلته في بلاد النوبة والسودان، إلى أن الأرتيقة، من حضرموت، وقد حضروا لسواكن للعمل بالتجارة، واندجوا مع البجة، تحت نظارة الهدندوة، والبي عامر، وجاوروا قبيلة كلب القضاعية في أرض المعدن (٢٢).

(٢٠) د. عبد العزيز سالم، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة،

الإسكندرية، ١٩٩٣م.

(٢١) محمد صالح ضرار، تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الدار السودانية للكتب،

١٩٨١م.

(٢٢) جون لويس بوركهات، رحلات في بلاد النوبة، لندن، ١٨١٩م.

انتقال الفقهاء والمتصوفة بين المنطقتين

ينبغي التوقف عند عَلمٍ كبير من اليمنيين، الذين نشروا الإسلام، وعلومه في السودان، وهو الشيخ غلام الله بن عائد اليمني، والذي تقول إحدى المصادر عنه أنه قدم من منطقة الحليلة باليمن، مع والده إلى جزيرة نولوه، من جزر اليمن بالبحر الأحمر، وسكن جزيرة ساكيه بالقلزم، في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، ثم حضر مع والده إلى سواكن، حيث توفي والده، فتوجه هو بمحاذاة شريط النيل إلى دنقلا، وبربر، في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، واستقر في دنقلا العجوز، حيث تديرها. وأسس فيها أول خلوة للقرآن - أيضاً كتاب أو معلامة - يعلّم الناس الفقه، واللغة العربية، والسيرة، وتحفيظ القرآن، وعلوم القرآن، والعلوم الإسلامية الأخرى. وقد قرر غلام الله السكن بدنقلا، لأنها كانت في حيرة شديدة، وضلال، لعدم وجود علماء القرآن، فعمر المساجد هناك، وعلم العلوم مباشرة لأولاده، وتلامذته، وأولاد المسلمين عامة. تزوج غلام الله بامرأة دنقلوية، وكان له سبعة أبناء، وعن هؤلاء تفرع السادة الركابية، وسط بلاد المحس. والركابية أصحاب هذا النسب الشريف، الذي جاءهم من غلام الله، هم الذين نشروا الإسلام، فيما بعد، في جبال النوبة، وفي كردفان.. وامتزجوا، بعد ذلك، بقبائل جهينة [انظر، أيضاً، ماكمايكل والنور عنقره]. ومن أبنائه تفرع أيضاً، للركابية الاخوان، ابراهيم البولاد بن جابر بن غلام الله، واسماعيل، وعبد الرحمن، وعبد الرحيم، وأختهم فاطمة. بينما تفرع الصغيروناب عن أحفاد ابن فاطمة، وهو محمد صغيرون بن سرحان. ومن أبناء غلام الله تفرع الرباطاب، نسبة لرباط، مثلما الركابية، نسبة لركاب، وابنه دهمش، وابنه بدير، جد السادة البديرية، والذين ينتسب إليهم عدد من قادة السودان، عبر العصور، من محمد أحمد المهدي، وعبد الرحمن سوار الذهب، وحسن عبد الله الترابي، والزبير محمد صالح الخ... ولذلك فإننا نجد في المساجد الأثرية بدنقلا العجوز، وناوي،

وفي مبانٍ أثرية أخرى بشمال السودان الطابع المعماري اليمني واضحاً، بما في ذلك بوابة مدينة سواكن، والتي لا تختلف عن بوابات المدن اليمنية (٢٣).

ومن الحضارة الذين نشروا الإسلام في السودان، الشيخ نور الدين اليمني، وهو شاعر، وشيخ علم المنطق لعبد اللطيف بن الخطيب بن عمار (٢٤). وسكن الشيخ اليمني جاز النبي، والشيخ اليمني حمد ولد زروق، حي الصبائي في الخرطوم بحري. كما دفع الشيخ تاج الدين البهاري البغدادي تلميذه، محمد الهميم، للسكن بسوق أهل اليمن، والحجاز، لمدة سبعة أعوام، يعتزل فيها الناس، حتى ينال الدنيا والدين، واسم تلك المنطقة النادرة سلوكه ودلوكة (٢٥). والشيخ محمد الهميم بن عبد الصادق الركابي هو، في الحقيقة، أحد المريدين الذين سلكهم البهاري هذا في الطريقة الصوفية لعبد القادر الجيلاني (ت ١١٦٦ م). وقد كان العالم علي عمر الشاذلي اليمني أول من أدخل شرب القهوة أو البن من اليمن إلى السودان، وتجد أن السودانيون يسمونها جنبه تصحيفاً ليمنه، كما يرى العلامة عبد الله الطيب، مثلاً، وكما أشار العلامة عون الشريف قاسم، في قاموسه للعامية السودانية (٢٦).

ويذكر الدكتور يوسف فضل حسن أن طوكر وسواكن، بشرق السودان، اتخذتا المذهب الشافعي، نتيجة لعلاقتيهما التجارية بأرض اليمن، والحجاز، ومصوِّع، بارتريا، فالجامع الشافعي بسواكن مشايخه عمريون حسنا، يمنيون، من ذرية عجيل اليمني، وقد ناصروا المهديّة.

(٢٣) محمد النور بن ضيف الله، الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء

والشعراء في السودان، تحقيق د. يوسف فضل حسن، دار النشر بجامعة الخرطوم، ١٩٧٤ م.

(٢٤) المصدر نفسه.

(٢٥) سلوكه: أداة زراعية مطرية، أو حرف كناية عن خصوبة الأرض، وسهولة

الزراعة، ووفرة العطاء. دلوكة: طيلة للرقص، كناية عن ترف القوم.

(٢٦) د. عباس فاضل السعدي، البن في اليمن: دراسة جغرافية، مركز الدراسات

والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٩٢ م، نقلاً عن العالم بيتر بوكس هول.

وبالمقابل فبإقي شمال السودان يتبع المذهب المالكي. وعبر نفس هذا التأثير، دخلت الطريقة الأخيضرية الشاذلية إلى سواكن، وشرق السودان. وفي سواكن قبة الشيخ محي الدين الشاذلي، والمعروف بشاذلي المخاء الميناء اليمني الشهير بتصدير القهوة، وهو من ذرية الحسن علي بن عمر الأموي، اليمني القرشي، والذي ذكره الشيخ إبراهيم عبد الدافع، في استغاثته المعروفة باسم (كاشفة الكروب). ويتنسب الحسنا ب أو آل حسن في السودان إلى الشيخ إبراهيم ابن اسماعيل بن الشيخ العابد أحمد بن عجيل اليمني صاحب الكرامات، التي رواها عنه ابن بطوطة، عند زيارته لليمن وقبره في تهامة. وقد هاجر حفيده إبراهيم إلى سواكن، حوالي عام ١٢٠٨ للميلاد، واشتغل بالتجارة، وقد صاهر الحسنا ب حضارمة الأرتيقه، وأسهموا مع المهدي في محاربة الإنجليز، عبر شخصية البطل الخضر بن علي الحسنا ب.

وتذكر بعض المصادر أن أهل سواكن كانوا يحضرون، بانتظام، إلى اليمن، للدراسة في زيد، وبيت الفقيه، والمخاء، وكلها من أرض تهامة اليمن، فطائفة المجاذيب السودانيين، وهم من المجموعة الجعلية، والذين نشروا علوم الدين في السودان، درس بعضهم في معاهد العلم الديني في زيد، حيث عرف لهم رواق باسم «رواق السنارية»، نسبة لمدينة سنار، بوسط السودان (٢٧). ويشير الباحث السوداني، بابكر علي عبد الكريم، إلى لقاءات العلماء في اليمن والسودان، حينما يقصدون الأزهر الشريف بمصر، والحرمين الشريفين بالحجاز.

وللدكتور يوسف فضل حسن رأي (٢٨) يقول فيه بأن المجموعة الجهنية بالسودان تعرف، أيضاً، بمجموعة القواسمة. ويعطي على ذلك مثلاً، أن أحد العركيين، من بني عرك، وهو محمد العركي، ينتمي إلى جهينة، ولا شك أن مثل هذا الرأي بحاجة إلى مناقشة أطول، ولكنني وقفت عليه، لدى تنقيي عن علماء الدين اليمنيين بالسودان.

(٢٧) الطيب محمد الطيب، صحيفة الأيام (الخرطوم)؛ بتاريخ ٣١ ديسمبر ١٩٧٥ م.

(٢٨) مصدر سبق ذكره للمؤلف.

ويقول البروفسور عون الشريف قاسم (٢٩): في كتابه (الإسلام والعربية في السودان)، بأن أهل اليمن يقبلون لام التعريف ميماً، كما ورد في الحديث الشريف: «ليس من امير امصيام في امسفر». وان تأثير ذلك على السودانيين واضح في قولهم امبارح يقصدون البارحة. ونتيجة لرواج مدائح الشيخ الشاعر اليمني، عبد الرحيم البرعي، من براع، في السودان، يظن الناس أن البرعي هذا سوداني. وهو، بالتأكيد، غير عبد الرحيم البرعي، صاحب الزربية في غرب السودان.

(٢٩) د. عون الشريف قاسم، الإسلام والعربية في السودان دراسات في الحضارة واللغة، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٩م. قدمت كمحاضرة بعنوان (العامة في السودان) في جامعة الخرطوم، في أغسطس ١٩٦٤م.

الصلات التجارية

من المثير، في احدى الروايات عن البطل اليميني سيف بن ذي يزن، ما أوردته الكاتبة اليمنية، الأستاذة ثريا منقوش، من أن الحرب الضروس التي خاضها سيف كانت، جزئياً، حرصاً شديداً منه على نهر النيل، واستمرار تدفقه من الحبشة للسودان ومصر^(٣٠). ولكن الأكثر إثارة هو أن جماعتي الكانم والبرنو، في غرب السودان وفي تشاد، يدعون النسبة إلى سيف. ويقول بذلك ابن فضل الله العمري، والمقريري، وابن بطوطة، والمسعودي، وريتشموند بالمر، أما باقي المصادر الغربية، فتنسب سيف إلى قبيلة كايد، المعروفة بقبيلة الزغاوة. ومن كتابات الدكتور عبد المجيد عابدين^(٣١) يتضح لنا أن الكانمية، نسبة للكانم، صحفت إلى الكارمية، وهم تجار، راجت تجارتهم في مصر، والهند، والمغرب، وأفريقيا الوسطى، وعيذاب، وسواكن، والحبشة، واليمن، حيث تجارة بحرية ضخمة، تقوم على تسويق التوابل، والفلفل، والأقمشة، والعاج، والعمود، والذهب، والسمك، واللبن، وأيضاً تجارة الرقيق، منذ عصور ما قبل الإسلام، واستمراراً إلى زمن الكارمية، ففي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، يذكر ابن سعيد أن تجار الكارمية فضلوا ميناء سواكن على موانئ اليمن والحجاز؛ وذلك لأنها آمنة، وسهلة المرسى، وإن كانوا يواصلون التزود بالماء والزاد في طريقهم في اليمن من شرق آسيا إلى موانئ القلزم. والمهم في الأمر أن هؤلاء الكارمية اهتموا بتشجيع علماء الدين الإسلامي، وسربوا النفوذ الديني الإسلامي إلى دارفور، والنوبة، والسودان الأوسط، ونجحت تجارتهم في نقل البهارات من ميناء عدن اليميني إلى ميناء عيذاب السوداني، خلال حكم

(٣٠) ثريا منقوش، سيف بن ذي يزن: الحقيقة والأسطورة والأمل.

(٣١) د. عبد المجيد عابدين، الإسلام وأثره في نشاط الكانم في إفريقية (١١٠٠ -

صلاح الدين الأيوبي، لكنهم تعرضوا لمضايقات عظيمة من ملك الحبشة، حيثئذ، وهو سيف ارعد بن عمداصيون (ت ١٣٧٢م) (٣٢).

ويشير الباحث اليميني، عبد الله محمد الحبشي، إلى وثيقة هامة، ما دمنّا في مقام الحديث عن الكاتم وأهلها، فيقول: (٣٣) التكرور من بلاد السودان، وقد كتب خاكمها رسالة إلى المتوكل اسماعيل، صاحب اليمن، ووصف الجرמוزي الرسالة بأنها متكلفة، في لغتها العربية، ضعيفة، ويشبه خطها الكوفي.. تقول:

«من الأمير الزاهد، مبتغي رضوان الله، في كل وقت، وحين الحاج علي بن الملك الحاج عمر كان الله ولياً إلى محبنا، على البعد والقرب، السلطان صاحب اليمن، عليه السلام ورحمة الله وبركاته، فها تعرف أن جدنا واحد، هو الملك سيف بن ذي يزن، وتبع الحميري، فلذلك، أرسلت إليك.

وقد رد عليه الإمام المتوكل اسماعيل برسالة، وكان ذلك في القرن الحادي عشر للهجرة. وأخيراً نشير إلى أن مدونات تمبكتو (١٦٥٧ - ١٦٦٩م) نقلت عن العلماء قولهم بأن إدريس وثلاثة من جند الخليفة الخامس، عمر بن عبد العزيز، هاجروا من بلاد اليمن إلى بلاد البرنو، فأقام إدريس هذا فيها مملكة الكاتم.

وقد تمتعت سلطنة القونج السودانية، والتي عرفت، أيضاً، باسم السلطنة الزرقاء، والتي أقامت عاصمتها في مدينة سنار، في القرن السادس عشر الميلادي، بعلاقات تجارية وطيدة مع اليمن، حيث كانت تستورد السيوف والدروع منها.. إلا أن هذا لم يمنع كاتب الشونة (٣٤) من أن يذكر لنا أن حسين، شقيق الملك بادى بن طبل، قتل مجموعة من الحضارمة، على رأسهم ناصر ولد محمد، سنة

(٣٢) ابراهيم علي طرخان - الدول الإسلامية القديمة في السودان الأوسط.

(٣٣) عبد الله محمد الحبشي، الأدب اليميني عصر خروج الأتراك الأول من اليمن،

الدار اليمنية، جدة، ١٩٨٦م.

(٣٤) أحمد بن الحاج أبو علي، مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية

والإدارة المصرية، تحقيق: بصيلي عبد الجليل الشاطر، القاهرة.

١٧٩٧ للميلاد، فقبل يومها «ذبحه حضرمية»، وذهبت مثلاً! ولعل اهتمام الفونج بالعلماء والمتصوفة، هو الذي نقل إلى السودان تلك المجموعة الكبيرة من مدائح عبد الرحيم البرعي، التي أسلفنا ذكرها. والطريف أن يحيى يدين باليهودية، واسمه داود روبيني، حضر من اليمن إلى السودان، عام ١٥٢٣م، وقابل سلطان الفونج المشهور، عمارة دنقس، وادعى أمامه الإسلام، بل والنسب الشريف. وكان روبيني هذا موفداً من أخيه الملك يوسف، زعيم قبائل جاد، ورويين اليهودية باليمن إلى البابا في أوروبا، ولكنه مات سجيناً بئساً في اسبانيا، عام ١٥٣٥م. ولقد رافق في بلاد السودان شقيق أبو كامل إلى أبي عقرب سلطان الجعليين.

وإذا أشرنا إلى الأواصر التجارية بين موانئ اليمن والسودان، وقفنا على الوفير من أشتات المعلومات. فهذا ناصر خسرو، صاحب (سفرنامه) (ت ١٠٨٨م)، يقول إن عيذاب فرضة أهل اليمن، واليها كان الفلفل يأتي من الهند عبر اليمن. وابن جبير يشير إلى وشائج التجارة بالجلاب بين اليمن وعيذاب، ويقول بأن المرفهين من المسافرين في صحراء عيذاب يستعملون أشباه المحامل اليمانية على إبلهم. وقد كان أهل عيذاب يستعملون دسر من عيدان النخيل في صناعتهم للجلاب، وأجوده، وأرخصه ما كان من اللحية، وميدي، وقبة عباس بالشط اليمني المقابل. وقد كانت هناك تجارة بين جزيرة ابن عباس، أو بهدور وعدن، وغيرها من موانئ اليمن، كما كانت العقيق، والتي تقع أربعين ميلاً جنوب شرق طوكر، تستقبل البضائع والرقيق من اليمن، وكان الأتراك، فيما بعد، من الولاة المسلمين يتعاطفون مع ثورة المهدي على الانجليز بالسودان، فكانوا يهربون الأسلحة لعثمان دقته، إلى طوكر والعقيق، قادمة من الحديدية. ويلاحظ وجود موانئ يمنية، باسم العقيق وقبة عباس. ويذكر ياقوت أن عيذاب بليدة على طريق المركب من عدن للصعيد. ويشير أبو الفداء (ت ١٣٣١م)، في جغرافيته، إلى تجارة اليمن المزدهرة بعيذاب، وكان البلح يصدر من سواكن لليمن، وشملت حركة

التبادل التجاري الذهب، واللبان، والصمغ، والعاج، والعمود. ويشير اليعقوبي إلى ضرائب الفاطميين على بضائع اليمن بعيداً، وإلى التجار اليمنيين، الذين يشترون الذهب منها. وقد كانت مواد بناء السفن تجلب من اليمن، والهند، وبضائع الصين، والهند تنزل بعدن، ثم تنقلها السواقي إلى عيذاب، فمصر العليا؛ ذلك أن سفن المحيط لم تكن صالحة للقلزم. ويذكر لسان اليمن الهمداني بنادي، وسواكن من بين الموانئ السودانية، ويقول عن سواكن إنها بالحيشة الوسطى، ويكثر بها العرب، لقربها من الذهب. وتذكر المصادر أن تجارة الخيول كانت رائجة بين اليمن والسودان؛ فقد كان الخيل يشتري بثمان ٢٥ ريالاً، في شندي، ويتناعه شريف اليمن بثمان ١٥٠ ريالاً، بالحديدة، وإن كان بعض الخيل ينفق خلال الرحلة، التي لا تخلو من المتاعب. كذلك تذهب سفن سودانية بالرقيق القادم من رحلة، من شندي إلى موانئ المخا واللحية والحديدة باليمن، قادمة مثلاً من سواكن، وعادة ما يكون قبطان السفينة يمنياً. بينما يقيم السواكينيون في بلاد اليمن، كوكلاء لمواطنيهم هناك.

ويقول محمد صالح ضرار إن الريان الينبي، الحميد بن منصور^(٣٥)، والذي كان يقود السفن بين سواكن وغيرها من الموانئ، ظل قادراً، بعد أن كف بصره، على تمييز عجينة طين بحري ممزوج من المخاء وماء جزيرة سقطرى ببحر عدن! وقد ازدهرت عيذاب، منذ أوائل القرن الرابع الهجري، ويرجع ذلك لتشجيع الزيود في اليمن للتجار الهندود، والصينيين، على القدوم لعدن، ومنها كانت الجلاب، أو القوارب، تنقل بضائعهم إلى عيذاب، فالسفر من عدن لسواكن، ومن سواكن إلى عدن له موسمان من السنة النيروزية، كما يقول الباحث اليمني حسن صالح شهاب، في دراسة منشورة له بعنوان (طرق الملاحة التقليدية في البحر

(٣٥) ضرار، مصدر سبق ذكره.

الأحمر). ويذكر ابن بطوطة أنه التقى بعرب جهينة في سفره من سواكن لليمن، كما رافق جماعة يمنية من جدة، فاضطر للنزول في رأس دوائر شمال سواكن، نتيجة لسوء حال البحر، وقد كان الصنبوق، أو السمبوك، يومئذ، ملكاً لرشيد الدين الألفي اليمني. ويذكر يوسف فضل حسن اثنين ممن كانوا يتاجرون بين سواكن واليمن، وهما، تحديداً، عوض بن موسى المكي، سنة ١٤٤٢م، وعبد اللطيف المكي، سنة ١٤٣٣م. وفي عام ١٤٢٢م فضل التاجر الهندي، ابراهيم، أن يحول التجارة من عدن لسواكن، حيث كانت عدن تزح تحت الضرائب الجائرة، وسوء معاملة الرسوليين، فصراع رسولي اليمن وبني عجلان، اشراف مكة، حول قافلة يمنية للحج، جعل تجار الهند يهبطون سواكن، بدلاً من جده. وبوخهارت يقول إن أهل سواكن هم أسلاف الأسر الكبيرة من أهل حضرموت، وأن جُلهم من مدينة الشحر، على ساحل حضرموت، وهم أنفسهم الحدارية.. كما يشير إلى وجود واد باسم عسير بشرق السودان. ويقول إنه فكر بالذهاب إلى المخا، من سواكن، ثم لصنعاء، فرحلة الحج، وأشار إلى أن تجار سواكن الحدارية يتاجرون في شندي، وسنار، وعطيره، والأبيض، وينافسون تجار مصر ويتجرون، أيضاً، بالعقود اليمانية، وإن كانت لا تصنع في اليمن كما أن الحدارية يبيعون الصمغ العربي للتجار الانجليز والأمريكان في اليمن. وفي شندي تبتاع قافلة سواكنية جياداً دنقلاوية، لتباع بثمن مجزٍ بالحديدة واللحمة والمخا وفرسان الشريفة حمود الأمير اليمني، يمتطون جياداً أكثرها دنقلاوية، كما يذكر أن نول الخيل بالسنبوك عشرة ريالات اسبانية. ويتجر أهالي سواكن بالتبغ، عبر القوافل من سنار لليمن. ويقول بوركهارت إن كلمة الأرتيقة بشارية تعني الأشراف، كما يذكر مشاهدته لمرتزقة يمينيين كجند لدى الآغا التركي بسواكن. ولاحظ أن الدخن يزرع بدارفور، وسنار، وساحل القلزم، من جدة لليمن، ويقال إن أولاك الأرتيقي أدخل زراعته، بعد الذرة، في طوكر، من سنبوك يمني. كما كان السواكنيون يصدرون قَرَب الماء لليمن. ويشترون الجلود لحمل الزاد أثناء السفر، من أهل سنار، ويبيعونها لأهل

اليمن. وكذلك يصدرون الدوم، والذرة، والحصص، والقرب للحديدة. ويشير
بوركهارت إلى البضائع اليمنية، التي تذهب من سواكن لسنار ودارفور، حيث
تعود القوافل من هناك بالذهب، والرقيق، وريش النعام، والعاج، والخيول. ويقال
إن أهل بربر ينافسون السواكنيين بالهمة، والأمانة، وتورد الخيول، وكذلك الريش،
والعاج، والذهب، والرقيق؛ وتقام الأسواق في المخاء والحديدة، واللحية. كما
كان أهل سواكن يحمون تجار اليمن لديهم، طالما هم في أراضيهم. وقد تضاءلت
أهمية طريق عيذاب إلى قوص، بعد عام ١٣٥٨م. ومما يذكر أن رحلة ابن بطوطة،
من سواكن لميناء حلي باليمن، حيث التقى بعرب كنانة وعراك، دامت ستة أيام في
القلزم. ويشير عمارة اليمني^(٣٦) إلى أن ابن نجيب الدولة أرسلته الملكة أروى اليمنية
إلى الأمر بأحكام الله في مصر، عام ١١١٥م، على متن جلبة من الجلاب
السواكنية. والسفن التجارية من اليمن لعيذاب، نهبت من قبل جماعة صاحب
مكة، قاسم بن أبي هاشم، سنة ١١١٨م، فهدده الوزير الفاطمي، الأفضل
شاهنشاه، فاضطر لإعادة الأموال^(٣٧). كما هدد تجارة اليمن بعيذاب هجوم
شمامون النوبي عليها، عام ١٢٧٢م. وفي سنة ١١٨٢م كان الصليبيون قد استولوا
على عيذاب، بقيادة صاحب مدينة الكرك رانودا [انظر: أبو شععة]. وكانت
عيذاب ميناء بضائع اليمن القادمة بمراكبها إلى قوص في الطريق إلى القاهرة. وقد
استولى الصليبيون، بالفعل، على مركبين محملين بالتجار من اليمن. وأراد صلاح
الدين الأيوبي، بتوجيهه الملك العادل وشمس الدين توران شاه إلى جماعة الكنوز
بشمال السودان، السيطرة على تجارة عيذاب، واليمن، والشرق الأوسط. وقد
احتل توران شاه عدن، عام ١١٧٣م. وفي بلاط الكنوز الفاطميين عاش أحمد بن
(٣٦) نجم الدين عمارة الحكمي اليمني، تاريخ اليمن، تحقيق: د. حسن سليمان محمود،

القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٥٧م.

(٣٧) لعمارة اليمني مخطوطة ضمن مقامات الوهراني، مكتبة آيا، صوفيا، يتحدث فيها

عن مآثر بني الكنز.

علي الرشيد الأسواني القرشي، أحد دعاة الفاطميين، والذي أرسله الخليفة الحافظ داعية لليمن. ويذكر محمد بن عيسى اليمني، المشهور بمعرفته بعلم الهندسة، أن الأسواني هذا صاحب كتاب (أمنية الأملعي وبغية المدعي)، قد كان استاذة (٣٨).

وقد أعاد السلطان المملوكي، الناصر محمد بن قلاوون، سواكن إلى سلطة الحداربة، انتقاماً من استيلاء بني هلبة، والأرتيقه، في شخص الشريف علم الدين، على هدايا ملك اليمن إليه، والتي حملها تجار، منهم بدر الدين حسن ابن أبي النجا، والطواشي جمال الدين فيروزة، في ثلاث سفن، كما يذكر النويري، وكان ذلك في عام ١٣١٧م. وقد أسهم الجند السودانيون، ضمن الجيش المملوكي الذي اكسح اليمن، واحتل أسطولهم سواكن، عام ١٥٠٥م، قبل احتلاله لليمن [انظر ابن ياس في (بدائع الزهور في وقائع الدهور)].

وفي دراسته (الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى القرن الثامن عشر الميلادي) (٣٩)، يتحدث يوسف فضل حسن عن أن القاضي الفاضل كان يرى أن الفرنجة يهدفون إلى قطع طريق الحج، وضرب العالم الإسلامي، وغزو الحرمين الشريفين، والسيطرة على تجارة اليمن أكارم عدن، وكانت السلع الشرقية تستبدل بالحرير، والنحاس، والقصدير، والكيماويات الواردة من مصر، وشمال أفريقية، وأوروبا، أو بالذهب المستخرج من المعادن الواقعة شرق بلاد النوبة. ويذكر عمارة اليمني أن ابن زياد في اليمن كان من ضرائبه على صاحب مدينة دهلك، سنة ٩٧٦م، مئاة من العبيد والوصائف النوبيات. وكان هذا ما بين ٨٢١م و١٠١٢م، وظل هذا هو الحال، حتى في عصور متقدمة، فقد كان الشريف حمود في عسير يشتري الرقيق السوداني، في القرن السابع عشر الميلادي.

(٣٨) انظر للدكتور عطية القوصي، تاريخ دولة بني الكثر الإسلامية، دارالمعارف،

مصر، ١٩٨١م.

(٣٩) د. يوسف فضل حسن، الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى

القرن الثامن عشر الميلادي، مجلة (الدائرة) السعودية، العدد ٣ للسنة الثامنة ١٩٨٣م.

ويذكر المؤرخ اليميني، الشاطري (٤٠)، وصول عبد نوبي إلى دفعة الحكم في اليمن وهو الحسين بن سلامة وسلامه هي أمه مولى الزيايين، والذي تمتع بالحكم، من سنة ٩٨٢م حتى وفاته سنة ١٠١١م، وقد كان حازماً عفيفاً، حارب أهل الجبال، حتى دانوا، ومنهم ابن طريف، والحرامي، فتوسعت مملكته، وهي مملكة بني زياد، واحتلت مدينة الكدراء، على وادي سهام، ومدينة المعفر على وادي زوال، وكان عادلاً بين الرعايا، كثير الصدقات والصلوات في الله تعالى، مقتدياً بسيرة الخليفة الخامس، عمر بن عبد العزيز، وأنشأ الجوامع الكبار، والمنارات الطوال، من حضرموت إلى مكة، وطول المسافة التي بنى فيها ستين يوماً، وحفر الآبار المروية، والقلب العادية في المقافر المنقطعة، وبنى الأميال والفراسخ والبرد على الطريق، فأوله شبام وتريم بحضرموت، اتصلت عمارة الجوامع منها إلى عدن وأبين ولحج، والمسافة عشرون مرحلة، في كل مرحلة جامع ومثذنة وبئر، فاما عدن ففيها جامع من عمارة عمر بن عبد العزيز، وقد جدده ابن سلامة. ثم تفرق الطرق من عدن لمكة، فطريق يصعد في الجبال، وطريق يسلك تهامة، فأما الطريق الجبلي ففيه جامع الجوه، وهو كبير، أدركه عمارة اليميني عامراً، ورأى فيها جامع الجند، وهو شبيه بجامع أحمد بن طولون، وكان مسجداً لطيفاً أول من بناه الصحابي معاذ بن جبل، الذي بعثه رسول الله (ص) للجند [انظر ياقوت: ...]. ومن أهم جوامع ابن سلامة، المسجد الكبير، بزييد، وقد كان ابن سلامة أول من أدار سوراً حول زييد، وبنى جوامع مع تريم وشبام، وكان له أخ اسمه سعيد، ولأه على عدن، وباسمه

(٤٠) محمد أحمد عمر الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، مكتبة الإرشاد، جدة،

سميت حافة حسين بعدن(٤١).

ولقد وجدت لدى الباحث اليمني، الأستاذ محمد عبد الرحيم حازم، عدداً من المخطوطات، التي تعود إلى العصر الرسولي، مما يتعلق بصلات التجارة بين اليمن والسودان. ففي مخطوطة بعنوان (الديوانية)، التي ترجع إلى أيام ثاني ملوك بني رسول باليمن، الملك المظفر ورد، أن تجار اليمن، في عيذاب، وسواكن، يتعاملون بالدرهم الكاملية المصرية، وأن جامكية، أو نفقة السفر من زبيد إلى سواكن تبلغ راتب شهرين وعشرين ديناراً ذهبياً كمكافأة كما أن أجرة السنبوك التجاري إلى سواكن، تبلغ سبعين ديناراً، أما أجرة المركب الكبير، الذي يستخدمه الرسل إلى عيذاب، فتبلغ خمسمئة دينار، وأجرة سفر الفرد من تعز لسواكن تبلغ إثني عشر ديناراً. وفي مخطوطة (الغني في البيطرة) للملك الأشرف الرسولي(٤٢)، ابن الملك المظفر، يرد ذكر أن خيار الجمال العريضة هي الجمل الربيعي، نسبة لموضع من أعمال السودان، كما ذكر أن خير الهجن البحرية المطلوبة، هي السواكنية، وهي المثلى لركوب الملوك. وفي مخطوطة (ملخص الفطن والألباب مصباح الهدى للكتاب)، والمكتوبة في عهد الملك الناصر الرسولي، هناك إشارة للتبادل التجاري بين موانئ اليمن، وعيذاب، وسواكن، وهذه المخطوطة الأخيرة تعود في تاريخها إلى أواخر الدولة الرسولية في اليمن، وتوجد مخطوطة منها في مكتبة الامبروزيانا الإيطالية.

(٤١) وجيه الدين الحبشي الوصافي (ت ١٣٨٠م)، تاريخ وصاب الاعتبار في التواريخ والآثار، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م.

معلومة من المؤرخ السوداني المقيم بعدن، الدكتور عبد الشافي صديق.
(٤٢) الملك الأشرف عمر بن يوسف الغساني (ت ١٢٩٦م)، الغني في البيطرة، جامعة بغداد، ١٩٨٩م. تحقيق: د. رمزية محمد الأطرقجي.

مسار العلاقات حتى العصر الحديث

يقول شاعر العربية الأول، أبو الطيب أحمد بن حسين المتنبي، مادحاً كافور الإخشيدي، سنة ٩٦٨م:

يصرف الأمر من مصر إلى عدن إلى الحجاز فارض الزنج فالنوب (٤٣).
وهذا واقع صحيح للآصرة السياسية بين اليمن والسودان، فقد خضعت المنطقتان، في بعض مراحلهما التاريخية الإسلامية، لنفوذ سياسي واحد.
في سنة ١٣٥٠م، يذكر الخزرجي في (العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية) (٤٤) وصول رسول السلطان بابتداءات شريفة من سواكن، فضربت له الطبلخانة، لثلاثة أيام متوالية، وفي نفس ذلك العام، توفي الفقيه الحنفي أبو الحسن علي بن نوح الأبوي، حفيد أبي بن كعب الأنصاري الصحابي، في مدينة زبيد، وأصل بلاده من السودان.

وفي سنة ١٣٨٩م يشير المؤلف المجهول لكتاب (تاريخ الدولة الرسولية في اليمن) (٤٥) إلى هدية نفيسة، من صاحب سواكن، فيها أفيال، وبخور، وتحف إلى اليمن.

وفي سنة ١٣٩٩م يخبر الفقيه علي بن محمد الناشري عن بعض المسافرين في البحر أن زلزالاً قد وقع في السودان.

وفي سنة ١٥١٦م يتصل أمير سواكن بالباشا التركي في زبيد، لمساعدته على مقاومة البرتغاليين، وحلفائهم من مسيحيي الحبشة.

وفي سنة ١٥٣٠م، يستولي أسطول سنان باشا التركي على سواكن، وزبيد،

(٤٣) ديوان المتنبي، أبو البقاء العكبري، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م.

(٤٤) علي بن الحسن الخزرجي، العقود، جزءان، مطبعة الهلال، مصر، ١٩١١م.

(٤٥) تاريخ الدولة الرسولية في اليمن، لمؤلف مجهول، عاش في القرن التاسع الهجري،

تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ١٩٨٤م.

والمخاء، والحديدة، بعد هزيمته لأسطول البرتغال البحري.
وتجمع المصادر على أن الحضارمة ويمنيين آخرين هم أهم من عمر سواكن،
خلال القرن الخامس والسادس عشر الميلادي، وحولها إلى ميناء تجاري مزدهر
[انظر: دولة البحار].

وقد وضع المؤرخ عرب فقيه كتابه في الإمام أحمد محمد جراني، أحد ملوك
أمارات الطراز الإسلامي في القرن الإفريقي. وقد غزا جراني الحبشة، من الجنوب
إلى الشمال، حتى اتصل بجيش السلطان في مزجة، أو مسيجا، في سنة ١٥٣٤م،
وهي مقاطعة تسكنها قبائل التقرى بين الحبشة وسنار في السودان، وتقع شمال
تكازة، وغربي سيراى، وفي جيشها خمسة عشر ألف نوبي مسلم. وقد آزر الباشا
التركي في زبيد بالأسلحة والمدافع الإمام جراني.

وفي سنة ١٦٢٧م خرج الباشا عابدين في ألف نفر من سواكن إلى المخاء،
فاستقر بها، وبنى دايها، وقصده عامل حيدر من زبيد، فلم يظفر به، كما يذكر
يحيى بن الحسين في كتابه (غاية الأمانى) (٤٦).

وفي سنة ١٦٤٦م، قام موفد من إمام اليمن، هو حسن بن أحمد الحيمي،
صاحب كتاب (سيرة الحبشة) (٤٧)، برحلة إلى الحبشة، وذكر مراسلات واتصالات
بين عدة أطراف، منها إمام اليمن والباشا التركي، محمد، صاحب سواكن، وموفده
الأمير العربي، الفاضل عبد الوهاب، إضافة إلى الحيمي نفسه. وقد التقى الحيمي في
رحلته في مدينة قوندار الحبشية بعدد من سكان مدينة سنار بالسودان.

وفي سنة ١٦٦٦م يقال إن الفرقة العسكرية اليمنية كانت تشمل ألفاً من

(٤٦) يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت ١٦٨٩م)، غاية الأمانى في
أخبار البطر اليamani، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.

(٤٧) حسن بن أحمد الحيمي (ت ١٦٦٠م)، سيرة الحبشة، تحقيق: مراد كامل، دار
العالم العربي، القاهرة، ١٩٧٢م.

الفرسان على الخيول، من السودانيين، والمولدين، والروم، كما يشير عبد الله بن علي الوزير، في كتابه (تاريخ اليمن) (٤٨).

وفي عام ١٦٧٢م، وصل محمد عامر من الحبشة إلى ساحل المخاء، طريداً من سواكن؛ بعد وصول عمر باشا إليها، وكان قد أساء إلى جانب مصطفى باشا نائبها الأول، فأخرجه، ورام التغلب عليه، ولما انتهى أمره إلى الساحل، خار فكره، والتبس أمره، فخرج من البندر، ولم يعلم إلى أين استقر.

وفي سنة ١٦٧٣م وصل إلى بندر المخاء، هارباً، محمد بن عامر، الذي خالف عساكر السلطنة بسواحل الحبشة، كما مضى في قدر خمسة عشر نفراً، من أتباعه، فتتبعه إلى البحر غرابان، فلما بلغا باب المخاء، تقهقرا، وكان قد خرج عليه إلى سواكن زيادة عسكر، أخذوا جميع خزنته، وآلة معسكره، وهو الذي طرد مصطفى باشا عن الحبشة.

وفي سنة ١٦٧٥م وصل مكتوب من صاحب سواكن، يخبر باستقرار الشريف سعد بحضرة السلطان محمد خان، وأن السلطان رماه بقتل حسن باشا، فتنصل عن ذلك، واثقاً بالدخول في المذهب الحنفي، استدراجاً لخاطر السلطان محمد، فاحمطغت عليه قلوب الخواص، ومهدوا له الفوز، فقبله السلطان.

وفي سنة ١٦٩٥م أرسل إمام اليمن، نعمة الله اللاهوري، بكمية من الفضة إلى مدينة سنار، فشري بها للإمام نحو ألف من السودان، ووافى بهم كجوالق الفحم مرآة الأبدان، كما يذكر المؤرخ اليمني أبو طالب (٤٩).

(٤٨) عبد الله بن علي الوزير، تاريخ اليمن خلال القرن السابع عشر الميلادي المسمى طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٥م.

(٤٩) أبو طالب، تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مطابع الفضل بصنعاء، ١٩٩٠م، الجزء الأول.

ويتحدث النهزوالي، في (البرق اليماني) (٥٠)، عن سفر ازدمر باشا، بعد استقالته، من اليمن إلى سواكن، ثم براً إلى مصر.

وفي مصدر تاريخي يعني آخر، تقرأ: مرجان كتب سنة.... على لسان السلطان - وكان قد توفي - عامر بن عبد الوهاب، يسترضي السلطان سليم، وأرسل الكتاب بانشاء محمد بن عمر بحرق، بصحبة الشيخ الشاذلي، والشيخ الفايشي، بواسطة شريف الحجاز، بركات بن محمد وقد مات الفايشي بالدم، ووصل الشاذلي، بثواب الهدية، إلى سواكن، وركب البحر لليمن، فخرج عليه جماعة من دهلك، فأخذوا الهدية، ويقال إن ذلك كان بتهوين من الترك، الذين بزييد (٥١).

وقد سیرت شركة روبانينو الإيطالية رحلات بحرية بين سواكن والحديدة، كما أنشأت شركة تلغراف «الإيسترن» خط سلك بحري، من سواكن لعدن، عام ١٨٧٤م. ويذكر الشاعر الفرنسي آرثر رامبو (١٨٥٤ - ١٨٩١م) رحلاته بين عدن، والحديدة، وسواكن. كما يشير نعوم شقير (٥٢) في دراسته لجغرافية وتاريخ السودان إلى أنجح التجار في سواكن، فيذكر الحضارمة في المقدمة.

ونجد أن أسطول محمد علي باشا يمر على سواكن، في ستة بواخر، في طريقه إلى عدن، قادماً من السويس. كما نلاحظ أن مقتل ابنه، اسماعيل باشا، في شندي بالسودان، قد شجع الأهالي في عسير على التمرد على مثليه هناك. وقد صارت سواكن قاعدة حربية، واستراحة لجرحي الحرب من الأتراك، خلال حربهم وحتى

(٥٠) قطب الدين محمد بن أحمد النهزوالي المكي (ت ١٥٨٢م)، البرق اليماني في

الفتح العثماني، دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٨م.

(٥١) عثرت على هذا المرجع ممزق الغلاف في مكتبة كلية الآداب بجامعة صنعاء، ولم

أتحقق من مؤلفه.

(٥٢) نعوم شقير، تاريخ وجغرافية السودان، الطبعة اللبنانية.

عام ١٩١١ م.

وأغيث الناس في اليمن، في سنة ١٩٠٣، بخروج الدقيق، والطعام من السودان، أثناء حرب الإمام يحيى للأتراك في اليمن، وتكرر ذلك، في سنة ١٩١٣ م.

ويشير الدكتور فاروق عثمان أباطة^(٥٣) إلى اقتراح البريطاني، والتون، خلال الحرب العالمية الأولى، أن يدار المثلث الواقع بين هذه الحدود في جنوب غرب جزيرة العرب، مدنياً، بنفس الطريقة التي يدار بها السودان، مقترحاً إحضار جند سودانيين لهذه المهمة.

ويذكر جون بولدري^(٥٤) العديد من الوثائق، في نفس الفترة، والتي تحوي مراسلات سياسية بريطانية مع الأدارسة، في عسير، سواء في بورتسودان، أو في عدن. وهذه الوثائق موجودة في دار الوثائق المركزية بالخرطوم.

ولعل اليمنيون قد أسهموا في دعم ثورة المهدي في السودان على الإنجليز، بأكثر من شكل وقد أسلفنا ذكر ذلك، ونذكر الآن أن السكرتير الخاص بالأمير عثمان دقنه، قائد حروب المهديّة بشرق السودان، كان يمنياً، وهو الشيخ سعيد عبد الله باعشر، الذي تميّزت كتاباته وخطبه بكونها آية في البلاغة والحماسة، وذلك من مقتضيات منصبه، وكانت داره في جزيرة سواكن.

وبالمقابل، فقد كان المؤرخ اليمني الشاعر الفنان، الأمير أحمد فضل القمنندان، من الساعطين على المهدي، وخليفته عبد الله التعايشي، نتيجة

(٥٣) انظر له كتاب (سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى) - ضمن

سلسلة كتب مجلة دراسات الجزيرة والخليج العربي بالكويت.

(٥٤) جون بولدري، العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن، إبان الحكم التركي

(١٩١٤ - ١٩١٩ م)، المطبعة الفنية بالقاهرة، تقديم وترجمة: د. سيد مصطفى سالم.

لترخيصهما لجندهم من المجاهدين البقارة في بيع الرجال، وسي النساء(٥٥).
ولعل أحدث هجرة يمنية إلى السودان، في رأي المؤرخ الدكتور محمد عوض
محمد، هي هجرة قبيلة الرشايدة، أو الزبيدية، كما يعرفون، أيضاً. وهم يتكلمون
العربية، ولا رطانة لهم، إلا أن الساكنين منهم بين طوكر وبورتسودان، بمنطقة نهر
القاش من الشرق، وحتى نهر عطبرة، يتكلمون لغة التقري، أيضاً.. وهم،
كالكواهلة، من حيث أنهم ليسوا جهنيين، أو جعليين. ويرى ماكمايكل أن
هجرتهم القديمة هي التي تشكلت منها مجموعة البقارة في غرب السودان، والتي
تنتمي للمجموعة الجهنية القحطانية. أما يوسف فضل حسن، فقد أفاض في
الحديث عن جذور الرشايدة، دون أن يصل إلى استنتاج واضح، سوى أنهم ربما
كانوا من أصول جذامية، أو خمية، أو قضاعية، وذلك في دراسته المسماة (هجرة
الرشايدة إلى السودان ١٨٤٦ - ١٩١٠م)(٥٦).

الإدرسية في عسير وعودة إلى انتقال الطرق الصوفية

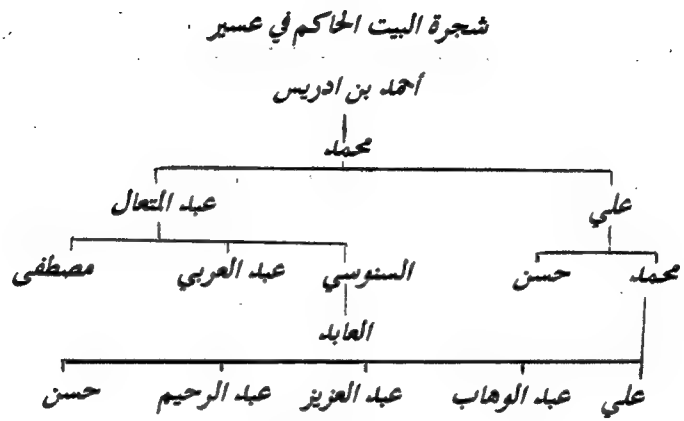
ولد السيد أحمد بن ادريس، في فاس بالمغرب، سنة ١٧٥٨م، وجاء إلى
اليمن، سنة ١٨٢٨م. وحل في تهامة، واتصل بعلمائها، ونال منهم القبول
والترحيب، ورافقه في الزيارة أخوته: محمد القطب، وعبد العال، ومصطفى،
وقضوا معه زمناً، انتهى في عام ١٨٣٠م، واتصل، خلال وجوده في تهامة،
بالقاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني، في صنعاء، (ت ١٨٣٤م)، كما وافاه
من رفاقه إلى اليمن المضري إبراهيم الخزامي، ومحمد البرنوي، وإبراهيم الرشيد،

(٥٥) أحمد فضل بن علي محسن العبدلي الملقب بالقمندان (ت ١٩٤٣م)، هدية الزمن

في أخبار ملوك لحج وعدن، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠م.

(٥٦) د. يوسف فضل حسن، دراسات في تاريخ السودان، الجزء الأول، دار النشر

بجامعة الخرطوم، ١٩٧٥م.



- الشجرة العائلية للأدارة

كما زار تلميذه السنوسي اليمن.. ونخص بالذكر الشيخ محمد الهميم عبد الصادق الركابي، الذي بعثه إلى النادرة باليمن، لسبع سنوات، شيخه تاج الدين البهاري البغدادي، وسلكه في الطريقة الجيلانية. وتلمذ على يديه، في مدينة زبيد، الشيخ عبد الرحمن بن سليمان الأهدل (ت ١٨٣٥م)، صاحب كتاب (النفس اليماني) (٥٧). وقد أرخ فيه لأستاذه، وكتب أحمد بن ادريس الشعر في تلميذه، الأهدل، إذ يقول في رسالة له من خارج زبيد:

فيا زبيد حبكم وودادكم عظيم وإني في الوصال على العهد
لقد مال مني القلب شوقاً إليكم وفيه أمور زائدات عن الحد (٥٨)

(٥٧) عبد الرحمن سليمان الأهدل (ت ١٨٣٤م)، النفس اليماني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م.

(٥٨) آرافاهي، القديس بن ادريس، انجليزي، لندن، ١٩٩٠م.



الشریف محمد بن علی الإدريسي

(١٨٧٦م - ١٩٢٣م)

[١ - ٤]

كما مدح شعراء اليمن الإدريسي الأكبر، مثل شعراء زبيد، ووصاب، وتغز، وبيت الفقيه، ومنهم الشاعر عبد الكريم بن حسين العتمي، والشاعر عبد الرحمن العتمي (ت ١٨٣١م)، والشاعر عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، والشاعر محسن بن عبد الكريم، الذي يقول فيه:

شرفت (صبياً) بكم فعدت مورداً للعلم والنزل
ليت شعري ما الذي فعلت فعلت قدراً على زحل

وقد جمع محمد بن محمد الديلمي، قاضي زبيد، مدائح الإدريس وأحواله الشريفة، في كرايس وقد استقر أحمد بن إدريس في صبيا، بعسير، سنة ١٨٢٤م، وأسس فيها الطريقة الصوفية الإدريسية، التي وصل تأثيرها إلى قبائل البني عامر، وإلى قبائل البجة، في شرق السودان. وتعلمذ في صبيا على يديه، حسن بن أحمد العاكش (ت ١٨٧٣م)، ومحمد المخبوب الصغير (ت ١٨٣٢م)، حفيد المخبوب الكبير، مؤسس حركة المجاذيب في السودان، وإبراهيم الرشيد (ت ١٨٧٤م)، صاحب الطريقة الرشيدية في السودان، والتي أشار الرحالة الأديب أمين الريحاني إلى وجودها في عدن، في العقود الأولى من قرننا الميلادي العشرين^(٥٩). ويقول الدكتور عبد الله عبد الرزاق إبراهيم^(٦٠) إنه - أي الرشيد - لقب بالدويحي، وتوفي في مكة، ومحمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي (و ١٧٨٧م)، والمولود بالجزائر، صاحب الطريقة السنوسية، والتي وصل تأثيرها إلى دارفور، في غرب السودان. وكان محمد شريف أميراً سنوسياً على منطقة وادي، بغرب السودان، سنة ١٨٣٨م. والسنوسية، التي أسسها محمد بن علي السنوسي، المتوفي سنة ١٨٥٩م، في عام ١٨٣٧م، اصطدمت بحركة المهدي في السودان. وكان من

(٥٩) أمين الريحاني، ملوك العرب: رحلة في البلاد العربية، بيروت دار الريحاني،

أتباعها في السودان محمد مهدي السني بن محمد بن عبد الله السناري وكذلك محمد المجذوبي السواكني السوداني. وفي عام ١٩٣٢م هرب السنوسيون من احتلال إيطاليا للكفرة في ليبيا، إلى مدينة دنقلا، بشمال السودان.

كما كان من تلامذته السيد محمد عثمان الميرغني (ت ١٨٥٣م) والذي أرسله معلمه إلى السودان فنشر الدعوة بكردفان والثوبة وسنار، في سنة ١٨١٧م، ونالت طريقته التي عرفت بالميرغنية، وبالحتمية، نجاحاً في سواكن والبحا، والبي عامر، ودنقلا، والحلايقة، والحباب، وعلى امتداد وجود البي عامر من مدينة طوكر.

كما أرسل محمد عثمان الميرغني نجله، محمد سر الختم، لينشر الطريقة في اليمن حتى حضرموت، فتزوج هناك من يمنة، وهو والد محمد سر الختم الميرغني، المدفون في مصر. أما محمد عثمان الميرغني الكبير نفسه، فقد تزوج بامرأة من دنقلا، بشمال السودان، وأنجب منها ابنه الحسن، ثم عاد إلى صنبيا، ملازماً لأحمد بن ادريس، حتى وفاته، في سنة ١٨٣٧م. ومن زار صنبيا، لاحقاً، المأمون الميرغني، شقيق زعيم الحتمية بالسودان، بل شارك في توقيع اتفاقية بين آل ادريس وآل سعود، عام ١٩٢٦م. وقد التقى الميرغني الأكبر، في مكة، بالعالم اليمني، داوود بن عبد الرحمن بن حجر القديمي الحسيني اليمني الزبيدي، قاضي الأتراك على زبيد، والحديدة، وحجة، فأخذ الطريقة عن الميرغني، وأدخلها لليمن، وسلك ابنه، الحافظ محمد بن داوود (ت ١٨٩٥م) في الطريقة، كما ذكر المؤرخ اليمني، محمد بن زبارة، في كتابه (نزهة النظر) (٦١). وأكد الباحث الراحل، عبد الله محمد

(٦١) محمد بن محمد بن يحيى زبارة (ت ١٩٦٠م)، نزهة النظر في رجال القرن الرابع

عشر، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م.

الرديني^(٦٢). وقد مدح الشاعر علي بن عبد الله الإيراني ابن حجر بقوله:
والسيد العلامة الخير الذي قد كان في بحر المعارف يشرع
أعني به داوود من نحل القديمي بحر علم فاضل متورع
فزيد تبكيه وتبكي مثله كم من إمام بالفضائل مولع
كما ذكره حسن بن أحمد العاكش، وتلمذ على يديه محمد وحسين وعلي
بن عبد الله جابر الإيراني، ومن أجاز له محمد ناصر الحازمي الضمدي الحسيني:
سلام على داوود منـح التـقـى
وقطب بنى الدنيا سنوسي شمس رويت عنه كل علم له أهوى

وفي هذا الشعر إشارة إلى محمد بن علي السنوسي الخطابي، وهو شيخ
المجيز.

ويذكر السيد أمين الريحاني، أنه حينما كان بالحديدة، وحدثت وفاة شيخ
الطريقة المرغنية، والتي لها فروع في عدن، وفي بلاد عسير، شاهدها هناك، في
مسجد الشجرة، الواقع خارج الحديدة، حلقة ذكر شاركت فيها جميع الطرق
الصوفية، بحوالي ٤٠٠ شخص، ودامت الحلقة خمس ساعات. والواقع أن عبد
الرحمن الأهدل كان له الفضل في تدريس الميرغني الأكبر الطريقة الصوفية
النقشبندية الهندية، حينما كان الأهدل مفتياً لزيد.

وقد كان لأحمد بن إدريس مراسلات مع عدد من شخصيات أخرى
معاصرة، منها عدد من اليمنيين، فكانت له مراسلات مع مكّي بن عبد العزيز،
وعربي هواري، ومحمد بن جعفر، في المخا، وعلي ابن مجتل، في عدوه^(٦٣). وعن
الختمية تفرعت الإسماعيلية، لإسماعيل الكردفاني (١٨٦٣م).

(٦٢) ديوان زهر البستان في مخترع الغريب من الألمان للشيخ جابر أحمد رزق (ت)

١٩٠٥م)، تحقيق: عبد الله محمد الرديني، شركة التنوير، بيروت، ١٩٨٩م.

(٦٣) اينار نوماسن وبرند رادتك [إنجليزي] رسائل ابن إدريس، لندن، ١٩٩٣م.

والواقع أن الإدريسية الأحمدية، وغيرها، من تفرعاتها، أصبحت تراثاً مشتركاً لليمن، والسودان، وسواهما، مثلما هو الحال مع الطرق السنوسية، والختمية، والرشيديّة، والصالحية، والدندراوية (٦٤).

وبعد وفاة ابن إدريس، في عام ١٨٣٧م، تولى الطريقة ابنه محمد، الذي تزوج بجارية سودانية، أنجب له ابنه علياً، وهذا الأخير هو والد محمد الثاني، المولود في سنة ١٨٧٦م، في صبياء، وهو المؤسس الحقيقي لدولة آل إدريس. وقد أقام محمد الثاني في أرجو، في دنقلا، بشمال السودان، لسنوات، يطلب العلم، وتزوج هناك بمريم ابنة الشيخ هارون الطويل، شيخ الطريقة الأحمدية الإدريسية، فأنجب له ابنه علي، الذي ولد في السودان.

وقد عاد محمد الثاني إلى صبياء، بعد أن نهل العلم، في أكثر من بلد مسلم، سنة ١٩٠٢م.

كما صاهر محمد الثاني السنوسيين المنتشرين في السودان. وقد كان شاعراً، وقيل شافعي المذهب. وقد أنشأ إمارته في عسير، رسمياً، سنة ١٩٠٧م. وتعلم على يد الإدريسي محمد بن حيدر النعمي، والحسن بن أحمد عاكش الضمدي، وعمل ككاتب لدولته شاعر يمني، هو عبد الرحمن أحمد العتمي، في العشرينات، الذي فر، فيما بعد، إلى مدينة عدن، وكتب هناك قصيدة، بعنوان (حبيبي إن هذا يوم عيدي)، التي لحنها المطرب اليمني الراحل، الشيخ علي أبو بكر باشراحيل (ت ١٩٥١م)، كما يذكر الدكتور غانم الأب (٦٥).

وقد امتدح الإدريسي محمد الثاني عدد من شعراء اليمن، منهم: محمد

(٦٤) انظر، أيضاً، في المكتبة الغريبة بالجامع الكبير بصنعاء، مخطوطة برقم ١٤٨

مجاميع، عنوانها (الروض البسام في سيرة ابن الإمام).

(٦٥) د. محمد عبده غانم، شعر الغناء الصنعاني، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧م، طبعة

ابراهيم الحشيري، ومحمد الأمين الشنقيطي، وعلي بن محمد السنوسي، واسماعيل
الوشلي، وعبد العزيز محمد الضامدي، وعبد الرحمن المعلمي.

وكانت هناك عدة بيوتات هامة للأدراسة في السودان، مثل منزل السيد عبد
المتعال ابن محمد الإدريسي، في أرجو، بشمال السودان. وشهدت إمارة الأدراسة
نهضة سياسية وعامة، على يد محمد الثاني، الذي عايش ظروفًا سياسياً متقلبة، في
ذلك الوقت، من مطلع القرن العشرين.

ويذكر أمين الريحاني أنه التقى، في جيش محمد الثاني، بجند سودانيين، وأن
عددًا من التجار السودانيين، في الحديدة حضروا للسلام عليه، حينما عرفوا
بوجوده في المدينة. كما يذكر أن أكثر سكان مدينة اللحية التهامية الساحلية هم
من السودانيين. ويشير إلى مشاهدته للجواري السودانيات في مدينة ميدي، بتهامة
اليمن.

وبعد وفاة محمد الثاني، سنة ١٩٢٣م، تولى ابنه، علي، السلطة، على أمارة
الأدراسة؛ وهو علي بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن ادريس، والمولود في
السودان، سنة ١٩٠٥م، في مدينة دنقلا، التي قضى فيها ثماني سنوات، عند جده
لأمه. وفي سنة ١٩١٢م، وصل إلى صبيا، مع أمه، ومع مصطفى الإدريسي، فتعلم
في صبيا، على يد شيوخه: محمد صالح عبد الحق، والأمين محمد الشنقيطي، وعلي
بن محمد السنوسي. وبعد وفاة والده، عاش ظروفًا سياسية وعسكرية بالغة التعقيد،
وكانت شخصيته ضعيفة، فضعف حال الأدراسة، ككل. وقد اعتمد على أخواله
في تسيير أمور الحرب والسلام، فكان خاله عبد المطلب بن محمد بن هارون نائباً
له، وقائداً لجيوشه. وهو رجل خالٍ من العلم والمعرفة، ولم يسبق له المران في
الإدارة والحرب، رغم أنه كان يقوم، عملياً، بالتوقيع عن الإمام. وقد قتل في
منطقة جبل، واستولى جيش الإمام يحيى حميد الدين المتوكلي على أسلحته. كذلك
قرب الإمام علي الإدريسي خاله الآخر، محمد بن هارون. ولذلك انتزع عمه

الحسن الإمامة منه، ففر هو مع السنوسي إلى جزر فرسان، وكمران، بالبحر الأحمر، ثم من هناك إلى عدن، حيث حظي برعاية المستعمر الانجليزي. وقبل أن تنتهي امارة الأدارسة، سنة ١٩٣٣م، أرسل عمه، الحسن السيد محمد الميرغني، أحد أقرباء الأدارسة إلى الملك سعود، طالباً حمايته.

قراءة مقترحة:

روبرت ب. سارجنت (ت ١٩٩٣م) - العناصر العربية الجنوبية والأثيوبية والإفريقية في سكان جنوب الجزيرة العربية [بالإنجليزية]، ضمن مناقشات اللقاء العالمي الثالث للدراسات الأثيوبية. جامعة هيلاسيلاسي الأولى - اديس أبابا، ١٩٦٦م.

﴿ الفصل الثاني ﴾

الهجرات المعاصرة

الهجرة اليمنية للسودان:

يمكن أن نؤرخ للهجرة اليمنية المعاصرة إلى السودان، منذ عام ١٨٨٤م. ففي ذلك العام تعاقد المقاول اليوناني الخواجة أنجلو كاباتو مع عدد من العمال اليمنيين، ليعملوا حمالين في سواكن، لتفريغ السفن المحملة بمواد البناء الخاصة بخطة السكة الحديدية، ما بين مدينة سواكن ومدينة بربر^(١). يشير تقرير للمالية والادارة، في عام ١٩٠٧م، إلى أنه نظراً للحاجة لتشييد ميناء ومدينة بورتسودان، والتي كانت تعرف بالشيخ يرغووث، والحاجة لبناء السكة الحديدية، فقد تطلب ذلك استقدام عمال من اليمن، بلغ عددهم ١٢٨ عاملاً. أما في عام ١٩٠٨م، فقد تعاقدت سلطات مدينة بورتسودان مع الشيخ علي يحيى الهمداني، متعهد العمال

(١) محمد محمود حميده، دراسة عن الجالية اليمنية بالسودان، أطروحة ماجستير بجامعة

الخرطوم، في عام ١٩٧٩م. موجودة في مكتبة السودان بالمكتبة الرئيسية بجامعة الخرطوم. ومن

مصادره

١ - اليمنيون، الفجر (الخرطوم) العدد ٢٤، بتاريخ أغسطس ١٩٣٥م، صفحة

١١٧.

٢ - أبناء اليمن السعيد، السودان (الخرطوم)، العدد ٢٠، بتاريخ سبتمبر - نوفمبر

١٩٦١م.

محمد محمود حميده: باحث سوداني.

اليمنيين، وبصورة سنوية، لتوفير الحمالين، فبلغ عددهم، عام ١٩٠٩م، في الجمارك وأحواض التفريغ، مئتين من العمال. ثم تعاقدت سكك حديد بورتسودان، وشركة القاش الزراعية، سنوياً، مع الهمداني، لتوفير حمالين يمنيين، لترحيل القطن، وبذره بمحطات القاش، وأروما. وقد حصل الهمداني على عطاء لبناء سكك حديد بورتسودان - كسلا - سنار، عام ١٩١٠م. وازدادت الهجرة الجماعية، في سنتي ١٩١٧ و ١٩١٨م، نتيجة للحاجة إلى الأيدي العاملة في بناء خزان سنار، أو مكوار، الواقع على النيل الأزرق، وإلى هذا تشير مصادر أخرى، مع الاختلاف في تحديد السنوات^(٢). ولقد كانت الشركة المنفذة لمشروع الخزان شركة بريطانية، وكان العمل يشمل قطع الأشجار والأعمال الميدانية داخل جسم السد، ومثل العمال اليمنيون نسبة ٥٥% من مجموع العمال، إلا أن خلافاً ما لبث أن نشب بين العمال اليمنيين والعمال من الجنسيات الأخرى، وتطور الأمر إلى قتل أحد اليمنيين لكبير المصريين المراقبين، المفوض من قبل المستعمر الإنكليزي، فأصدر الإنكليز تعليماتهم للشيخ الهمداني، وشقيقه حسن الهمداني، بترحيل اليمنيين إلى اليمن. لكن أكثر هؤلاء لم يمثل للأمر، وتسلسل بمساعدة الأهالي إلى أصقاع السودان المختلفة، واشتغل بالمهن الحرة، والحرف البسيطة. غير أن الطلب للعمال اليمنيين عاد وازداد، عند مد تخطيط السكة الحديد، إلى غرب السودان، ومع بداية انتاج مشروع الجزيرة الزراعي من الأقطان، وإن كانت هذه العمالة بدأت تستبدل بالعمال الهوسا، من نيجيريا، والفلاتة، منذ عام ١٩٣٢م. وقد أخذت، عموماً، أعداد اليمنيين بالتوافد على السودان، منذ محنة الحرب اليمنية - العثمانية، وصراع الأئمة، وآل سعود، والادارسة، مما أدى إلى خلق أوضاع سياسية واقتصادية متردية، خلال سني حكم الإمام يحيى حميد الدين (ت ١٩٤٨م)، ومن بعده ابنه

(٢) صالح أحمد محمد الفقيه، الهجرة اليمنية للسودان - سلسلة حلقات، الوطن

الإمام أحمد (ت ١٩٦٢م). وجعل بلاد اليمن منطقة طاردة لسكانها.

بعض اليمنيين الذين استقروا في السودان، لسبب أو لآخر، سرعان ما شجعوا أهلهم في اليمن على اللحاق بهم في المهجر السوداني؛ فازدادت أعداد اليمنيين بأصقاع السودان المختلفة. ومن ناحية ثانية كانت السودان محطة، توقف فيها عدد من اليمنيين الذين غادروا اليمن إلى ميناء الإسكندرية، والذي كان ملتقى أوروبا، والشرق الإفريقي، والغرب الآسيوي عبر البحر الأبيض المتوسط. وظلت الإسكندرية تتلقى أفواجا من اليمنيين الراغبين في العمل بالملاحة في البحر، أو في موانئ البحر الأبيض المتوسط، ولكن بعض هؤلاء العابرين السودان توقف في السودان، واستقر به نظراً للتعب، والمرض، والعجز عن مواصلة الرحلة إلى الإسكندرية، شمالاً. فقد كانت الرحلة الشاقة تبدأ في عدن، باستخراج وثائق أكثرها مزور، تشهد بأن حاملها من رعايا الإنكليز في جنوب اليمن، إلى السودان، حيث تبدأ الرحلة إلى الإسكندرية، مشياً على الأقدام، أو على ظهور الرواحل، في مسافة مخوفة بالتعب والمعاناة. وهكذا وجد من يفضل الاستقرار في السودان، خاصة وقد لاحظ ما فيها من تشابه في العادات والتقاليد، ويسراً في المعيشة، وبساطة في الحياة.

وفي عام ١٩٤٠م، رأى الإنكليز في السودان أن يستعاض بالأخشاب عن الفحم الحجري، الذي يحرك القاطرات بالبخار، وذلك لأن الحرب مع النازيين قد قطعت خطوط البواخر التي كانت تحمل للعالم أجمع الفحم الحجري، المستخرج من مناجم بريطانيا، وإلى كل المستعمرات البريطانية. وقد أشار علماء الحرب العالمية الثانية إلى أن الوقود الخشبي قد يؤدي نفس النتيجة لتحريك القاطرات، واقترحوا منطقة أخشاب وغابات كثيفة، هي العزازه، في منطقة القصارف، وبعد دراسة الأمر عهدوا إلى الهمداني باستيراد العمالة اليمنية، من ميناء الحديد إلى ميناء بورتسودان، يُنقلون بعد ذلك بالسكة الحديدية إلى العزازه، مما مهد، فيما بعد،

لتسرب مزيد من اليمنيين إلى داخل السودان^(٣). كذلك تشير بعض الوثائق إلى اسهام العمالة اليمنية في تشييد سد جبل الأولياء، على النيل الأبيض.

وكما وفد اليمنيون إلى السودان، عبر البحر الأحمر وبلغ سواكن، فإن مجاميعاً منهم وفدت، أولاً، إلى مصوع وعصب من الموانئ الأرترية، ثم دخلت السودان، عبر طريق كسلا. وقد نشط هذا الطريق، ما بين عام ١٩٢٠م وعام ١٩٣٢م. كما تحدثنا ملفات اقامة اليمنيين بقسم الأجانب بوزارة الداخلية السودانية، أن مما أدى إلى تصاعد هجرة اليمنيين: شح الأمطار، عند من كان يعمل بالزراعة، ورعي الأغنام، اضافة للظروف السياسية. وتدفقت الموجة الثانية من المهاجرين، عبر هذا الطريق، ما بين عام ١٩٤٠م و١٩٤٩م، وساعد على ذلك الاجراءات التي اتخذتها السلطات الإيطالية في أثيوبيا، وفي ارتريا، عقب نشوب الحرب العالمية الثانية، بتسخير المواطنين هناك لبناء الطرق والتجنيد الإجباري، لدعم المجهود الحربي الإيطالي. وفر عدد من اليمنيين من بلاد الحبشة إلى السودان، فاستغل بعضهم الإنكليز كجواسيس، والبعض الآخر ممن ساند المجهود الحربي الإيطالي، وجد طريقه إلى سجون الإنكليز في السودان^(٤).

وقد تكرر الخطر والنهب والقبو الذي حاق باليمنيين، في السبعينات، ابان حرب التحرير الارترية. ويقول أحد المصادر أن ثمانية آلاف أسرة يمنية لجأت إلى السودان، في الفترة ما بين عام ١٩٧٦م و١٩٧٩م. ومن الملاحظ أن معظم المهاجرين اليمنيين في السودان من مناطق ردا،

(٣) معلومات حصلت عليها، شخصياً، من المشرف على ذلك المشروع، الشاعر منير

صالح عبد القادر.

(٤) حوارات في مجلة الوطن بصنعاء، مع: صالح مثنى الدعير؛ أحمد حسن عبد الله؛

محمد أحمد الرداي؛ سيف الفاضل العماري.. أجراها عبد الرحيم زياده.

ويريم، وعنس، وذمار، والبقية الباقية من اليمنيين، اليوم، في بورتسودان، وطوكر، وأروما، يعود، جزئياً، إلى أبناء الحماليين اليمنيين هناك. كذلك هناك أعداد من جنوب اليمن، ومن أب، وتعز، والحديدة، وخبان، وقليل جداً من شمال الشمال. وفي الفترة بعد عام ١٩٤٩م، نجد أن الهجرة تكاد تنحصر في أبناء العاملين بالسودان، فقد كان الأبناء يولدون في اليمن، وعندما يبلغون السادسة من العمر، يلحقون بأبائهم في السودان، لمساعدة الآباء في العمل، أو لتلقي العلم. وقد تركز اليمنيون المهاجرون في بورتسودان، والقضارف، وطوكر، وعطبره، والدويم، ومدني وكسلا، والنيل الأزرق، والبحر الأحمر، والخرطوم، والدامر، وكردفان، ودافور، وتوزعوا على المدن الكبيرة، والصغيرة، والقرى، والأرياف، وعملوا في حوانيت البقالة، والخردوات، وبيع الخبز، وتوزيعه، وتسويقه، وكملك للمطاعم، وباعة للحلوى، إضافة إلى العمل في الترحيل والعتالة، وبعض هؤلاء الحماليين كان يعمل من السادسة صباحاً حتى الرابعة ظهراً، نظير عشرة من القروش. كذلك عمل البعض الآخر في الخدمات، كعمال في المحلات التجارية، ونادلين في المقاهي والمطاعم، وأعمال حرة أخرى، مثل في بعض المأكولات الطازجة.

لكن مركزهم المالي ظل أقل من الوسط؛ فالديون كانت تحاصرهم، سواء في اليمن، قبل سفرهم، أو في السودان، عند بداية استقرارهم، وكانوا يرسلون المال، بانتظام، إلى عوائلهم باليمن، عبر البريد، والبنوك، والمسافرين، وحتى التجار منهم لم تكن لهم الخبرة التجارية، فلم يتمكنوا من تنمية أموالهم، بانتظام، ورغم ذلك كانوا يضربون عن العمل، تضامناً مع إخوانهم من العمال السودانيين، وكانوا كذلك يتبرعون بسخاء للأعمال الخيرية، فاشتغلوا بالتجارة الصغيرة، وفي الزراعة بطوكر، والقضارف، وكسلا. وفي كسلا عمل بعضهم في تجارة القطن، وكذلك في الأرياف عملوا في الزراعة الخاصة، كما في دلتا طوكر، والقاش، وكشركاء، وأجراء إضافة لمهنة بيع الماء والسقاء. وظل عدد منهم عاطلاً عن

العمل، إما بسبب المرض أو الخمول!

وبعد هزيمة العرب في حرب فلسطين، عام ١٩٤٨م، حضر إلى السودان أكثر من مئتين من المتطوعين اليمنيين، دون العودة لليمن، أمثال: ناصر محمد سعيد، وحسين الربوعي، وعلي حسين أحمد، ومصلح محمد الجرادي، وأحمد علي حشره، والد الأديب اليمني، علي حشره.

ويدعي أحد المصادر أن الفول المصري إنما أدخله اليمنيون على المائدة السودانية؛ فقد كان في السابق طعام الفقراء^(٥). وقد اكتسب عدد غير قليل من اليمنيين بالسودان مهارات عملية، فعمل بعضهم في قيادة السيارات وكميكنية، وحدادين، وعمال بناء، وصائدي أسماك، لكنهم لم يكونوا قطاعاً منتجاً، ولم يدخلوا مهارات علمية، أو عملية أو فنية. لكن عدداً من هؤلاء أسهم بخبراته هذه في تطوير بلاد اليمن لدى عودته. وها هي جريدة (الصدّاقة) القاهرية، لصاحبها عبد الغني الرفاعي، والواسعة الانتشار في السودان، تشير إلى استعانة الحكومة اليمنية بالعائدين من السودان، وخبراتهم في مقاومة الجراد. وتتضارب المعلومات حول عدد اليمنيين بالسودان:

(١) في تعداد السكان الأول، عام ١٩٥٦م، بلغ عددهم ٥٤٥٣ يمني، و٧٢٠ حضرمي، و٤١ عدني.

(٢) الباحث محمد محمود حميده قدره بخمسة عشر ألف.

(٣) الأستاذ صالح الفقيه، الذي ترأس الجالية اليمنية بالسودان، قدره بأربعة آلاف ونصف، موزعين على ألف ومئتين أسرة، من مجموع أربعة وعشرين ألف، عام ١٩٦٢م. وقدر الدارسون المتبقون بالسودان بـ ٨٦٠ من مجموع ٣٢٠٠ من الدارسين والخريجين، عاد بقيتهم إلى اليمن.

(٥) حميده، مصدر سبق ذكره.

(٤) الدكتور محمد العوض جلال الدين قدرهم بعشرين ألف من أفراد الأسر^(١).

(٥) الأستاذ سيف الفاضل العماري قال بأن المتبقي منهم في وسط السودان هو ٣٥٠٠، من مجموع سبعين ألفاً كانوا في عموم السودان.

(٦) السفارة اليمنية المتوكلية قدرتهم، عام ١٩٦١م، بـ ٢٢٦٨، منهم أربعون امرأة.

(٧) ملفات الأجانب بقسم الإقامة بوزارة الداخلية السودانية قدرتهم، في يونيو ١٩٧٧م، بـ ٩٤٢ فرداً.

(٨) في نوفمبر ١٩٧٨م قدر سفير صنعاء لدى الخرطوم أعداد العائدين منهم إلى اليمن، والحاصلين على جوازات سفر، وتأشيرات العودة، ما بين عام ١٩٦٨م و١٩٧٧م، بسبعة عشر ألف.

(٩) وثائق المرحوم يحيى حسين الشرفي تقول بـ ٤٨٠٠، في عام ١٩٥٥م، ثم عشرون ألف، فيما بعد.

(١٠) يحيى صالح العرامي، رئيس الجالية، عام ١٩٦٢م، يقول إن عددهم، يومئذ، ٣٧ ألف.

ومن المهم للغاية في ادراك سر هذا التضارب في الأرقام:

(١) عدد كبير من اليمنيين بالسودان غير مصرح له بالإقامة.

(٢) عدد كبير منهم تزوج من سودانيات وأنجب أطفالاً حصلوا على

الجنسية السودانية.

(٣) اليمنيون القادمون، قبل عام ١٩٤٢م، كانوا يقيمون بدون شروط،

وبدون جواز سفر رسمي. أما من جاء بعد ذلك، فمطلوب منه أن يجدد التسجيل

بجواز سفره، سنوياً، لدى مكتب الجوازات والرخص. وأما من جاء، بعد العام

(٦) د. محمد العوض جلال الدين، هجرة السودانيين إلى الخارج، مطبعة جامعة

الخرطوم، ١٩٧٩م.

١٩٥٠م، بدون جواز سفر، فإنه يحاكم، ويبعد عن السودان. علماً بأن معدل الهجرة تصاعد، بعد فشل ثورة ١٩٤٨م الخالدة في اليمن. كذلك تتضارب المعلومات حول نشأة أول هيئة رسمية للجالية اليمنية بالسودان، ويبدو أن:

- (١) الجالية اليمنية بأمر درمان نشأت عام ١٩٥٣م.
- (٢) الجالية اليمنية في مدني نشأت في الربع الأول من عام ١٩٥٤م^(٧).
- (٣) الجالية اليمنية في الخرطوم نشأت في عام ١٩٥٥م.
- (٤) الجالية اليمنية في بورتسودان تأسست عام ١٩٥١م، وقد توسعت عام ١٩٥٤م.

وتم افتتاح أول مكتب اتصال لليمن المتوكلية، في الخرطوم، عام ١٩٥٦م، وأعقبه فتح أول قنصلية، عام ١٩٥٧م، بعد عام واحد من استقلال السودان. وعلى الرغم من التركيبة القبلية المعقدة في السودان الشمالي، والتي تجعل من الصعب التزاوج بين عشائر الناس المختلفة، فإن الجالية اليمنية قد كسرت هذه القاعدة. وربما كان السبب، بل قل الأسباب التي أتاحت تزاوج اليمنيين بالسودانيين، هو الصفات العربية الإسلامية المشتركة. لقد كان سلوك معظم المهاجرين اليمنيين بالسودان بسيطاً، شديد الإمتزاج بالمجتمع الجديد. مجاملاً له في مشاعره الوطنية والاجتماعية. ولقد عمل اليمنيون في الحوانيت، والحرف الصغيرة، ولم يشكلوا طبقة اقتصادية منعزلة عن عموم الشعب. كان معظمهم من العزّاب، الذين رأوا في الزواج من السودانيين مدخلاً للإستقرار بالسودان، وربما صدق الباحث محمد محمود حميده في قوله بأنهم لم يجعلوا النسب القبلي أو المكانة الاجتماعية شرطاً لهم في الزواج بالسودانيين. ويرى حميده أن معظم هذه الزيجات كانت مع قبائل البني عامر، والرشايدة (الزيدية)، ومع الأسر الفقيرة. وهو مخطئ

(٧) وثائق الشيخ يحيى حسين الشرفي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.

في ظنه، فما من مدينة أو قرية في السودان إلا وتزأوج اليمينيون بأهلها. والمثل السوداني الساخر يقول: « اقلب حجر تلقى تحتها يمانى »^(٨).

وهكذا تشكل هجين عرقي، وهجين ثقافي، وهجين عرقي ثقافي، في أكثر الأحيان، أطلقنا عليه العنصر السوماني (اليميني - السوداني)!!

إن الإقرار بأن أكثر اليمنيين في السودان عاد واتخذ تجارة الحوانيت الصغيرة صنعة، يجب أن لا ينسينا، ويجعلنا نغفل عن أدوار أخرى غاية في الاختلاف لعبوها كيمينيون، وكيمينيون سودانيون (سومانيون). فقد سقط اليميني الذي انخرط في قوة دفاع السودان قتيلاً هناك، في العلمين، وطرابلس، يقاتل إلى جانب البريطانيين، خلال الحرب العالمية الثانية، وعاد بعضهم من الحرب إلى مهجرهم في السودان. ونفي السيد أحمد عمر باخريه من السودان إلى عدن، لكونه يميني شارك في توزيع منشور للحركة الوطنية السودانية، ثم عاد وأسس المكتبة الحضرية في جده. وهو والد الشاعر والطبيب السوداني علي أحمد باخريه، صاحب ديوان (فيض من الله)، وعدد كبير من المؤلفات في الطب الوقائي. وترأس اليميني يميني علي يميني فرع «حزب الأشقاء»، الموالي لمصر، في مدينة كسلا، وعوقب بالسجن لعاميين، لنشاطه السياسي هذا. وانخرط الشاعر اليميني، الشريف قاسم بن أحمد الجبيني المحوي - وبالسودان معروف بقاسم الجبيلي - في الحركة الدينية الميرغنية (الختمية)، وكتب الشعر في السيد علي الميرغني زعيمها:

قاسم الجبيلي نظم

فيكمو يا هل الكرم

يا علي كم وكم

كم فقير صار غني

شي لله يا المرغني

(٨) ابراهيم بن علي الوزير، بين يدي المأساة: حديث إلى النازحين اليمنيين،

منشورات العصر الحديث، ١٩٩١م.

وكان قاسم الجيلي رئيساً للجالية اليمنية في مدينة الخرطوم بحري. وهو والد الأديب السوداني العلامة البروفسور، عون الشريف قاسم، الذي وضع الكثير من الكتب، وتبوأ منصب الوزارة في الحكومة السودانية. وأسرة الغوري اليمنية، المهاجرة بالسودان، كانت هي الأخرى من أكثر المتحمسين للطائفة الميرغنية (الختمية)، ذات الثقل السياسي الكبير.

كذلك كانت الجالية اليمنية في مدني بوسط السودان جزءاً من الهيئة الشعبية للتضامن مع مصر، التي كونت بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧م، وأسهمت بالمواد والأموال.

غير أن انتصار ثورة ٢٦ سبتمبر اليمنية، في عام ١٩٦٢م، شكل أولوية لدى كثير من شباب اليمن في السودان، وهكذا عاد وانخرط منهم في صفوف الحرس الوطني حوالي مئتين، والتحق بعض الذين نالوا قسماً من التعليم كصف ضباط في الجيش الجمهوري اليمني.

وتواكب الإزدهار الاقتصادي في شمال اليمن مع التدهور الاقتصادي في السودان، بدءاً من السبعينات والثمانينات، فكان هذا حافزاً لعودة ألوف اليمنيين السودانيين إلى شمال اليمن، بحيث احتتم - مؤقتاً - فصل غاية في الأهمية في التحركات السكانية بين اليمن والسودان، بحيث قدر أحد المصادر بأن لم يبق من اليمنيين بالسودان سوى ٤٨٦ شخصاً، حصلوا على الجنسية السودانية، ولهم بالسودان أواصر أسرية، فهم قلة من الأثرياء الناجحين، أو الفقراء جداً، ممن لا يقدرّون على تكاليف رحلة العودة!

ولعل من المؤشرات ذات الدلالة في مسيرة التزاوج اليمني السوداني بالسودان، ما ذكره الأستاذ صالح الفقيه، رئيس الجالية اليمنية بالسودان، من ارتفاع نسبة هذا التزاوج، من ١٠٪ إلى ٣٠٪، في الثلاثينات، وهي نسبة قلما تحققت لجالية عربية أخرى في السودان! فبدأت، منذ ذلك الحين، في البروز ملامح الشخصية السومانية. ومن المؤشرات الهامة، أيضاً، ما وقفت عليه من بحث طبي

جرىء وشيِّق، أجراه طبيبان في جامعة الخرطوم^(٩)، يذكر أن أكثر من نصف فتيات الجالية اليمنية بالسودان أُجريت لهن عملية الخفاض الفرغوني، أسوة بالسودانيات، وهو خفاض يختلف جداً عن ذاك الذي أشار إليه المستشرق البروفسور، روبرت ب. سارجنت، في حضرموت ونواحيها^(١٠).

ولا بد، لمن يريد الوقوف على أحوال اليمانية بالسودان في قرننا العشرين، من مطالعة متأملة لرواية القاص اليمني محمد حنير، بعنوان (قرية البتول)^(١١).

هجرة السودانيين إلى شمال اليمن:

كان الرياضي الراحل، ابراهيم رشدي، ابن مدينة ود مدني، أول سوداني بارز، يستقر في شمال اليمن فقد تزوج بها، وولد له فيها. جاء ابراهيم رشدي إلى مدينة حجة، في الخمسينات، كما يخبرني الأستاذ صالح محسن شرف الدين، ليعمل مدرساً للرياضة البدنية، ومواد أخرى، وقام بمساعدة الزعيم اليمني، الأستاذ أحمد محمد نعمان، في مسؤولياته في المدرسة المتوسطة بحجة. ثم انتقل رشدي إلى الحديدة، ثم إلى تعز، حيث صار مديراً للمدرسة الأحمدية هناك. ولحق به شقيقه فؤاد، للعمل في مجال المالية بتعز. وتذكر العديد من وثائق حركة الأحرار اليمنيين اسم ابراهيم رشدي كصديق حميم للحركة، كما رأيت في رسالة للزعيم اليمني الراحل، القاضي محمد محمود الزبيري^(١٢). وقد أدى اكتشاف آلة رونيو في منزله، في تعز، من قبل عساكر الإمام، أحمد بن يحيى حميد الدين، إلى طرده من بلاد اليمن، بتهمة التواطؤ مع المعارضة. وبالفعل، غادر رشدي اليمن، ولم يعد إليها،

(٩) هما الطبيبان اليمنيان: علي باسح، وأحمد مصلح السنياني، وبخثهما، بالإنكليزية،

موجود، منذ عام ١٩٧٨م، بقسم طب المجتمع بكلية الطب بجامعة الخرطوم.

(١٠) د. روبرت ب. سارجنت (ت ١٩٩٣م). بريطاني مستشرق.

(١١) محمد حنير، قرية البتول، كتاب الغد السادس، القاهرة، ١٩٧٩م.

(١٢) وثائق الشيخ يحيى حسين الشرفي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.

الحالة	العدد	ملاحظات
عدد المعلمين وأسرهم	٨٠٠٠	
العاملين بالقطاع الصحي وأسرهم	٢٠٠٠	
العاملين بالقطاع الكتابي وأسرهم	١٥٠٠+٣٥٠٠ عمال	
العاملون بالمنظمات الدولية والخبراء	٢٠٠	
الدارسون بجامعة صنعاء وعدن	٢٥٠	
عائلات السودانيين اليمنيين	٥٠٠	
بدون اقامات وتصاريح عمل	٢٠٠٠	
ترحيل جثمان موتى خلال عام ١٩٩٣م	٠٠١٥	
موقوفون بحادث عدواني واتهام قتل	٠٠٠٤	
حالات اتهام بتزوير	٠٠١٥	
قضايا سلوكية	٠٠١٧	
موقوفون بقضايا اختلاسات مالية	٠٠٠٢	
حالات تم علاجها عبر صندوق التكافل الاجتماعي بالجمالية عن عام ٩٩٣/٩٢م	٧٥ حالة	بشكل مليون ريال
فرص عمل ساعدت فيها البعثات التعليميات (بوزارة التربية، والمعاهد)	١٠٠٠ فرصة	لعام ٩٩٣/٩٢م

- احصائية حديثة لأعداد السودانيين باليمن

إلا بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م، حيث استقر بها، وصار رئيساً للنادي الأهلي الرياضي في صنعاء، إن لم تخني الذاكرة، حتى يوم وفاته. وفي الخمسينات أيضاً، استقر المدرس السوداني عبد الرحيم الباهي وزوجته، وعملاً طويلاً في سلك التدريس.

وعلى الصعيد الرسمي يذكر التربوي اليمني، الأستاذ عبد ربه جراده، أن أول اتفاقية بين اليمن والسودان للتعاون والمساعدات الفنية والتدريبية، في مجالات الزراعة والعلوم والمواصلات، الخ، تمت في عام ١٩٦٩م. وفي عام ١٩٧٠م، بعد الإستقرار السياسي النسبي في شمال اليمن، وفدت شخصيات وخبرات متخصصة من السودان، للعمل مع المنظمات الإقليمية والدولية باليمن.

وفتحت أول سفارة للسودان في صنعاء، عام ١٩٧٥م، وهو العام الذي شهد توقيع اتفاقية للتعاون في مجالات عديدة: إعارة المعلمين - إعارة القضاة - الشؤون الإدارية، والإقتصادية، والثقافية، والفنية. وتشكلت، في عام ١٩٧٦م، لجنة التنسيق الوزارية المشتركة، فشمل التعاون، عندئذ، المجالات الزراعية والتجارية، والتعاونيات، والقضائية، والتربوية، والتعليمية، والإعلامية، والثقافية، والشئون الإجتماعية، وحقوق العمل، والصحة، والخدمة المدنية، والإصلاح الإداري، والداخلية، والشرطة، والطيران المدني، والبلديات، والإسكان، والهندسة، والأشغال العامة، والتخطيط الإسكاني، والدبلوماسية، ومعاملات البنوك التجارية، والنقل الجوي، والإرشاد الزراعي، والري، والإقتصاد، والقانون، والتمريض، ومهن الطب، والمحاسبة، والتمريض، والكتابة.

فصار في اليمن أعداد من العاملين بمجالات الزراعة، والإحصاء السكاني، والصحة، الخ.. وأرباب المهن الفنية؛ كالطب، والهندسة، والصيدلة، والمحاماة، والحسابات، والإدارة، وأصحاب المهن الحرفية في القطاع العام، والخاص، والمختلط.

وفي عام ١٩٧٩م، أنشئ معهد للمعلمين بصنعاء، هو «معهد الشوكاني»، على غرار معهد بخت الرضا بالسودان، وزود بالكفاءات السودانية. وتشير دراسة (١٣) حول الهجرة السودانية لليمن، إلى وجود ثمانية سوداني في شمال اليمن، في يونيو ١٩٧٨م. ويقفز العدد، بسرعة فائقة، إلى ستة آلاف، في مايو ١٩٧٩م، لكن الدراسة تقول بأن أكثر المهاجرين، حينئذ، كان من العمال غير المهرة، ولم يمثل المدرسون سوى نسبة تقل عن الواحد بالمئة. ويقول مصدر آخر (١٤) إن خمسة آلاف معلم سوداني قد انخرط في المدارس الابتدائية والإعدادية، بحلول عام ١٩٨٥م. بينما يشير وزير العمل والتأمينات الاجتماعية السوداني إلى أن باليمن أكثر من عشرين ألف سوداني، منهم ٥٧٪ من العمالة الفنية. وقد قامت، مؤخراً، مدرسة في صنعاء نموذجية، من حيث الاستعانة بالطاقم السوداني المحض، من حيث الإدارة والتدريس، معاً.

وفي دراسة حديثة، قدّر الباحث السوداني، بابر علي عبد الكريم، وهو باحث نال أطروحة (١٥) الماجستير حول الوحدة اليمنية من معهد الدراسات الإفريقية الآسيوية بجامعة الخرطوم، أن باليمن، اليوم، أكثر من خمسين ألف سوداني. وتعتقد أحد المصادر أن عشرة آلاف من هذا العدد يعمل في التدريس، إما كمعار من السودان، أو كمتعاقد من داخل اليمن.

(١٣) علي عبد الله علي، الهجرة السودانية إلى الجمهورية العربية اليمنية - بحث أجري بالإنكليزية، في يوليو ١٩٧٩م، وما بعدها، ونشرته مجلة (دراسات يمنية)، الصادرة عن مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء، في عددها رقم ١٨، سنة ١٩٨٤م.

علي عبد الله علي: باحث سوداني، له دراسات أخرى كثيرة عن الاقتصاد اليمني.

(١٤) مجلة التعليم والتدريب في الشرق الأوسط، العدد ٤، السنة السابعة، عام

١٩٨٥م.

(١٥) مداخلة للباحث بابر علي عبد الكريم، حول العلاقات اليمنية - السودانية، في

سمنار سياسة السودان الخارجية بين الحاضر والمستقبل، معهد الدراسات الأفرو آسيوية بجامعة الخرطوم، عام ١٩٩٠م.

وقد وقفت مؤخراً على دراسة^(١٦) حول الهجرة السودانية لليمن، أشارت إلى أن أكثر السودانيين باليمن، في عام ١٩٧٩م، كان من المدرسين، والمرضين، وأصحاب الحرف؛ كالنجارة، والحدادة، والسمكرة، والكهرباء، والميكانيك، وأعمال البناء والتشييد، لكنها لم تشر إلى قيام بعض المغتربين السودانيين، أمثال نديم ومنجاري، بتأسيس نادٍ سوداني بصنعاء في مطلع السبعينات.

ولا شك أن كفاءة المدرس السوداني، ودرجته العالية من التأهيل، قد شجع على حضور عدد متزايد من المدرسين السودانيين إلى اليمن. والملاحظ أن كثيراً من هؤلاء أحضر معه زوجته وأولاده، الذين سرعان ما انخرطوا للدراسة في مراحل التعليم المختلفة، بما فيها جامعة صنعاء، مما استوجب قيام اتحاد للطلاب السودانيين في جامعة صنعاء، مثلاً، وإن كان هناك أكثر من اتحاد للطلبة السودانيين باليمن، حسب الميول السياسية هناك، والتي عكست نفسها في أوساط الطلاب هنا. وهناك، أيضاً، تجمع للطلبة والطالبات السودانيين باليمن، ذو طابع إبداعي، هو «أسرة ربوع السودان»، التي كثيراً ما تحيي ذكرى المناسبات الوطنية السودانية، بنجاح، وهناك، أيضاً، جمعية الإخاء اليمني، السوداني، في كل من صنعاء والخرطوم.

في عام ١٩٧٨م، كانت أول دار للسودانيين باليمن، هي دار الجالية، الذي كان يقع بالقرب من المبنى القديم لجامعة صنعاء، وكان تحت رعاية السفير، أحمد جابر، ورئاسة القاضي عامر عبد الله، المنتدب بوزارة العدل. لكن باليمن، اليوم، هيئة للسودانيين العاملين بالجمهورية اليمنية، ذات فعاليات ثلاث، بالدرجة الأولى. وقد عقدت، مؤخراً، مؤتمرها التداولي الأول، الذي انتهى إلى:

(١) ربط السودانيين بوطنهم الأم، في كل ظروفه وتطوراته.

(١٦) د. محمد العوض جلال الدين، هجرة السودانيين إلى الخارج، مطبعة جامعة

الخرطوم، ١٩٧٩م.

(٢) الإهتمام بشئون السودانيين — سواء أكانت ابتلاء بالخير أو الشر — وأمورهم الثقافية، والإجتماعية، والسياسية، والرياضية؛ حتى يكون وجودهم صالحاً، ومعافى في اليمن. وقد شد من أزر هذه الفعالية العطاء السخي والمستمر لأسرة رجل الأعمال اليمني السوداني، محمد عبد ربه، لصندوق التكافل، الذي أنشأه السودانيون.

(٣) التواصل مع الأشقاء اليمنيين، رسميين وشعبيين، وخلق علاقات دافعة معهم، ومع كل الجاليات العربية والإسلامية الموجودة باليمن، والتفاعل في القضايا المشتركة^(١٧).

وبما أن أكثرية السودانيين، اليوم، باليمن من الشريحة المثقفة، وفي مقدمتهم المدرسين، فقد اتسمت الهجرة السودانية لليمن بطابعين:

(١) التاج الفكري والإبداعي للسودانيين باليمن، وهو نتاج ملحوظ، مقارنة بالجاليات العربية في اليمن، حتى تلك التي يقال بأنها تزيد عدداً عن الجالية السودانية. وقد أشرنا، في موضع آخر من هذا السفر، إلى أسماء كثيرة، واستعرضنا عدداً من النماذج السودانية المكتوبة عن اليمن. وفي نفس هذا المقام نذكر أبحاثاً، بالإنجليزية، للدكتور الطيب زين العابدين، والذي أصبح فيما بعد، مديراً للمركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم، وهي:

- ١ - أطروحة دكتوراه في جامعة كمبريدج/ سنة ١٩٧٥م، عن: الأصول الإسلامية للدولة الحديثة في شمال اليمن.
- ٢ - حركة الأحرار اليمنيين.
- ٣ - حول دستور الجمهورية العربية اليمنية.

(١٧) من حوار مع عثمان الإمام، ومحجوب محمد أحمد، عن هيئة العاملين السودانيين بالجمهورية اليمنية، مع رئيس تحرير صحيفة الزمان (عدن)، فريد صحي، انظر: صحيفة الزمان، (عدن) في ٢١ مايو ١٩٩٢م.

ففي الشعر، برز محي الدين الفاتح، وزين العابدين محمد صديق، وآدم زين
العابدين آدم، ومحمد نجيب محمد علي، وأحمد المجذوب - شقيق شاعر السودان
محمد المهدي المجذوب - كما طبع عزمي أحمد خليل ديوانه (حان الزفاف)، في
صنعاء.

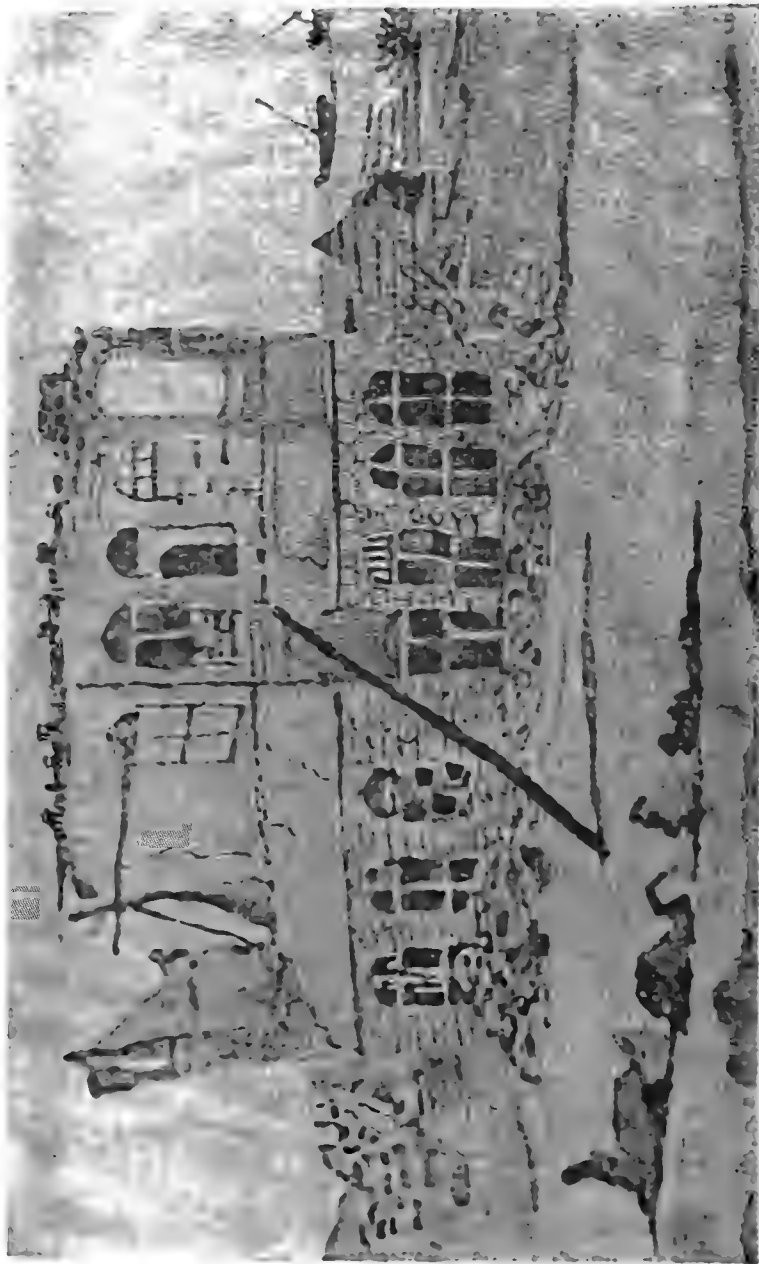
وفي القصة، برز فيصل مصطفى، وأحمد الفضل أحمد، وعبد القادر محمد
ابراهيم، الملقب بالجيلاني الناطق، وسر الختم محمد محجوب، والزين عبد الرحيم
أحمد.

وفي الصحافة، برز محمد المكي أحمد، وعبد الكريم عبد الله محمد، وعبد
العظيم صالح، وعادل كبار، وعبد الرحيم خليفة، وأزهري عبد الفتاح، وعثمان
تراث، ومحمد عبده محي الدين

أما الطابع الثاني لهذه الهجرة فكونها ما تزال هجرة مؤقتة، تتحكم فيها مدة
عقود الإعارة، وظروف العمل، بينما كانت الهجرة اليمنية إلى السودان انصهاراً،
يشهد عليه آلاف من المولدين، أو قل السومانيين، وستظل في تقديري أكثر
خلوداً.

وقد استطاع الحضور السياسي للسودان في اليمن، خاصة عبر شخصية
سودانية دبلوماسية نشطة، مثل: د. علي يوسف، والدريدي محمد أحمد، أن
يستقطب عدداً من المفكرين السياسيين اليمنيين، وأصبح في صنعاء، الآن، فرع
للمؤتمر الشعبي العربي الإسلامي، ومقره الخرطوم.

- العمارة التقليدية في سواحل البحر الأحمر -



(سواكن، للفنان عثمان شريف)

﴿ الفصل الثالث ﴾

صلات التربية والتعليم بين جنوب اليمن والسودان

المدرسون السودانيون في جنوب اليمن:

مع وجود المستعمر البريطاني في كل من السودان وجنوب اليمن، حدثت حركة نشطة لتبادل المدرسين والطلبة بين المنطقتين. ولعل هذا هو السبب في أن كثيراً من الإنجليز، الذين عملوا في السودان، عملوا كذلك في جنوب اليمن. ينطبق هذا على الساسة، كوليم لوس، وهيكمبوتم، الذي أتى بأحد أصدقائه الشباب معه من السودان إلى عدن، للعمل كمفتش اقليمي. وينطبق، ايضاً، على المربين، والمدرسين، مثل جون هارتلي، وغردون، المدرس في كلية عدن، في الخمسينات. وقد بدأت الصلة بين النظام التربوي هنا وهناك، بأن حضر السيد جرفس، عميد معهد بخت الرضا بالدويم - البريطاني - عام ١٩٣٩م، إلى حضرموت، لدراسة الحالة التعليمية فيها، ونار الحرب العالمية الثانية قد بدأت تشتعل، فاقترح الرجل نظاماً تعليمياً جديداً منقولاً عن تجربة معهد بخت الرضا بالسودان^(١). وتمثل اقتراحه في بناء مدرسة وسطى، عرفت، فيما بعد، بمدرسة غيل باوزير. واقترح أن يكون مديراً لها سوداني، هو الشيخ القدال سعيد القدال. فلنستمع إلى جرفس، وهو يخاطب السياسي البريطاني، هارولد انجرامس، الذي كان يحسك بمقاليد الأمور السياسية في حضرموت:

(١) أنظر:

- علوي عبد الله طاهر، النوادي الأدبية والثقافية في عدن قبل الإستقلال الوطني، العدد

«لقد حصلت على ما أعتقد أنه الرجل المناسب لكم. وفي الحقيقة أن الرجل في مخيلتي، منذ السنة الماضية، اسمه الشيخ القدال سعيد القدال، عمره ٣٨ عاماً. وهو مدير مدرسة ابتدائية، تعتمد على الهبات. ذو شخصية قوية، ذكي، ومدير ناجح، يمتلك قدرة غير عادية..». وبالفعل، حضر القدال مع جرفس، إلى بلاد اليمن، عام ١٩٣٩م، من أرض الهدندوة بشرق السودان؛ حيث كان ناظر مدرسة أولية في سنكات، على خط السكة الحديدية، وبالقرب من بورتسودان. عين القدال، والذي كان، أيضاً، شاعراً، ورواية، ومهتماً بالمرح المدرسي، مساعداً للمستشار الثقافي في السلطنة القعيطية، وناظراً للمعارف، فأدخل كورسات تدريب المعلمين، ونهض بالمستوى التعليمي في حضرموت الساحل، أي نهضة. ولكن المنهج الذي أدخله كان المنهج السوداني بعينه، وهذا لا يتفق، كما يرى صلاح البكري^(٢)، مع حاجات المجتمع الحضرمي. ومنذ ذلك الحين صار نظام التربية والتعليم في حضرموت شديد الاقتداء بالمنهج السوداني، كما يرى الدكتور محمد جعفر زين^(٣).

-
- ٣٦ بتاريخ أكتوبر ١٩٨٣م من مجلة دراسات الجزيرة والخليج العربي.
- علوي عبد الله طاهر، التعليم في اليمن الديمقراطية قبل الاستقلال، العدد ٣٨، بتاريخ أبريل ١٩٨٤م من مجلة دراسات الجزيرة والخليج العربي.
- علوي عبد الله طاهر، واقع التعليم في اليمن قبل ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م، العدد ١، سنة خامسة، بتاريخ صيف ١٩٨٧م، من مجلة الاكليل (صنعاء).
- سلطان ناجي، الحالتان التعليمية والثقافية في عدن، العدد ٢١، السنة الثانية، صيف ١٩٨٢م، مجلة الاكليل (صنعاء).
- سلطان ناجي، دور الجمعيات الإصلاحية والنوادي الثقافية في مجابهة السياسة التعليمية بعدن خلال تبعيتها للهند.

(٢) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، القاهرة، ١٩٤٩م.

صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، القاهرة، ١٩٣٦م.

(٣) محمد جعفر زين، في سمنار بيروت، بتاريخ فبراير ١٩٨٠م.

وبعد تولي القدال ادارة المعارف، كتب إليه المؤرخ اليميني الراحل، سعيد عوض باوزير، رسالة، فرد عليه القدال برسالة، بتاريخ ٢٠ سبتمبر ١٩٤١م، قال فيها: إن مجموعة كالحضارم، ضربت بسهم صائب في الأعمال الحرة، ونالت قسطاً وافراً من النجاح في الخارج، زيادة على ما لها من تقاليد قديمة في داخل وطنها، حرية بأن تستفيد، إلى أقصى حد ممكن، من أي تعليم، يحاول الربط بين ما هو موجود في التقاليد وبين أحسن التعاليم العصرية.. إنني متفائل، تفاؤلاً حسناً، بحدوث نهضة ثقافية في البلاد...

وفي عام ١٩٤٤م، أنعم السلطان القعيطي على القدال بلقب باشا، ثم عينه، بعد ذلك بسنوات، سكرتيراً للدولة، حتى رحل عن حضرموت، عائداً إلى السودان، عام ١٩٥٨م، بعد أن استقر لمدة ١٩ عاماً في المكلا، وولد له فيها أولاد من زوجته، التي حضرت معه من السودان. كذلك عمل في المجال الإنساني، وصار سكرتيراً للجمعية الخيرية بالمكلا.

ولحقت بالقدال إلى حضرموت كوكبة من المدرسين السودانيين، أمثال:

(١) المرحوم حسين خوجلي، مدير مدرسة غيل باوزير الوسطى.
(٢) عوض عثمان مكّي، وهو صهر القدال، وخريج معهد بخت الرضا. وإلى عود الفضل، مع القدال نفسه، في ادخال المسرح المدرسي، واصدار صحيفة (الحائط) الطلابية(٤).

(٣) المرحوم محبوب زياده حمور، صاحب كتاب (دخول الإسلام في السودان). وقد تزوج بيمنية، وولد له في حضرموت، ثم قفلت أسرته راجعة إلى أم درمان.

(٤) سيد أحمد صادق، مدرساً في غيل باوزير. وقد أسهم، إلى جانب

محبوب زياده، في النشاط المسرحي المدرسي.

(٤) سعيد عولقي، سجون عاماً من المسرح في اليمن، دار الجاحظ، دمشق،

١٩٨٣م.

(٥) سعيد أيوب القدال، مدرساً في غيل باوزير.

(٦) المرحوم الدكتور سيد أحمد نقد الله، الذي عمل ما بين ١٩٥١ و١٩٥٣م، ثم أمرته (٥) السلطات بمغادرة البلاد، نظراً لما ادعته من النشاط السياسي لهذا المدرس بين التلاميذ.

(٧) المرحوم الأديب جمال محمد أحمد، والذي كتب عن اليمن، وصار وزيراً للخارجية بالسودان.

وحضر آخرون، سواء إلى السلطنة القعيطية في المكلا، أو السلطنة الكثيرية في سيئون، أمثال أمين عبد الماجد، الذي عمل ناظراً للمعارف في سيئون، وكذلك الأستاذ عمر حسن البناء، والشاعر الراحل عبد القادر ابراهيم تلودي.

كل هذا والقدال يرمى النهضة الثقافية في حضرموت، ويكتب فيها من الشعر أعذبه. لكن المستشار البريطاني، المعتمد، الكولونيل هيو باوستد، ومعه السلطان صالح بن غالب القعيطي، وابنه عوض، أرادوا أن يجعلوا من القدال سكرتيراً للدولة، ووزيراً للسلطنة، في الوقت ذاته، خلفاً للشيخ سيف بن علي أبو علي، مما خلق تمرداً شعبياً، اعتراضاً على تعيين غير حضرمي في ذلك المنصب، على الرغم من أن الشيخ سيف لم يكن حضرمياً، أيضاً! كان الكثير من ممثلي الحزب الوطني يطمحون إلى أن يسد هذا المركز الأديب اليمني الراحل المؤرخ، محمد عبد القادر بامطرف، رغم وجود بعض التأييد في الحزب للقدال، مثل موقف عوض محمد بكير. ووقعت حادثة القصر (٦)، في ديسمبر من عام ١٩٥٠م، وسالت دماء ١٨ قتيلاً، وعدد من الجرحى من جماهير المكلا الغاضبة، التي هاجمت القصر

(٥) د. سيد أحمد نقد الله، الأيام (الخرطوم)، بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٨٤م. مقال

(حديث الثلاثاء).

(٦) أحمد عوض باوزير، شهداء القصر، دار الهمداني، عدن ١٩٨٣م. إشارة لرسالة ف. ل. جرفس إلى الشيخ سيف الدين أبو علي، بتاريخ مايو ١٩٥٠م. وثيقة محفوظة بمكتب الثقافة بحضرموت.

السلطاني. وقد لعب الشيخ اليافعي أحمد ناصر البطاطي، والقائد العسكري صالح بن سميع، دوراً كبيراً في مجريات الحادثة.

وعلى الرغم من ذلك، قمعت الحركة، وعين القidal خلفاً للشيخ سيف، وحصل على وسام أم.بي. آي، وظل في هذا المنصب حتى رحيله عن حضرموت، سنة ١٩٥٨م (٧).

ويذكر الأستاذ عبد الله أحمد الثور (٨)، أنه كان بالشحر مدرسة ابتدائية، يرأسها سوداني، وأما المدرسة الوسطى بالمكلا فقد كان يديرها القidal، بمساعدة ثلاثة من السودانيين.

أما في عدن، فيحدثنا صلاح عبد القادر البكري اليافعي (ت ١٩٩٣م) أن هارولد أنجرامز قد نفذ اقتراحاً للكابتن دار نفولد، والسير برنادريللي، في أبريل من عام ١٩٣٦م، بإنشاء كلية أبناء السلاطين والرؤساء، والقبائل، والتي عرفت بمدرسة جبل حديد في عدن، واختار لها مدرساً سودانياً هو المرحوم عبد القادر أوكير، من شرق السودان، والذي اختير لأنه يمتلك الإدراك لفهم الهدف من وراء المدرسة، على الصعيد السياسي، أيضاً. وقد خلف أوكير في هذا المنصب المدرس

(٧) أنظر:

- النهضة (عدن) بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩٥٠م.
- هيو باوستد - نسيم الصباح.
- آر. جي. جافتين، عدن تحت الحكم البريطاني.
- هارولد أنجرامس، العربية والجزائر.
- دورين أنجرامس، وقت في حضرموت.
- سلطان ناجي، التاريخ العسكري لليمن، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥م.
- محمد عبد القادر بافقيه (دكتور)، شيء من تلك الأيام، الحلقة ٢٣، الأيام (عدن)، ١٩٩٢/١٢/٩م.

(٨) عبد الله أحمد الثور، الجنوب اليمني، القاهرة، ١٩٨٦م.

السوداني حسن فريجون، والذي تزوج يمنية، وولد له، ثم عاد للسودان، حيث توفي هناك^(٩).

كذلك كان في عدن المدرس السوداني أحمد محمد نور، الذي نشرت له مجلة (الأفكار)^(١٠) العدنية، لأصحابها آل لقمان، عدداً من المقالات. وقد ذكره رائد الصحافة العدنية، المرحوم محمد علي لقمان المحامي، في مذكراته عن رحلته لأرض العواذل، عام ١٩٤٥م، بصحبة هذا المدرس^(١١). ومن الذين عملوا بالتدريس في عدن من السودانيين الأستاذ والرياضي، مبارك فضل الله، الذي جعل من بيته في منطقة الخساف بعدن تجمعاً للمدرسين السودانيين وعامة السودانيين، كالرياضي اليمني السوداني، علي البيضاني (السوداني)، وهو شقيق القاص اليمني المعروف، حسين السيد. كذلك أسهم مبارك فضل الله في الحركة الوطنية، لتحرير جنوب اليمن من المستعمر الإنكليزي. وتردد على عدن، يومئذ، الطيار السوداني، السركنه، وكتب في صحيفة (الرأي العام) السودانية، عنها سلسلة مقالات بعنوان (عدن لؤلؤة البحر الأحمر). ولأنسى المدرس القدير مصطفى محمد فضل

في لحج يذكر لنا الأستاذ عبد الرحمن جرجره^(١٢) وجود المعلمين السودانيين، ولكن أعدادهم كانت قليلة، لأن السلطان علي عبد الكريم، فضّل المجيء بمدرسين مصريين، بدلاً عن نصيحة إدارة المعارف في عدن، باستقدام مدرسين سودانيين.

وإذا كانت أواخر التربية والتعليم بدأت مع الوجود البريطاني، في كل من جنوب اليمن والسودان، فإن هذه العلاقات استمرت، على ما يبدو، بعد استقلال

(٩) محمد أدروب أوهاج، من تاريخ البجاء، الكتاب الأول، دار النشر بجامعة الخرطوم،

١٩٨٦م.

(١٠) الأفكار (عدن) عدد يناير ١٩٤٦م. مقال لأحمد محمد نور.

(١١) عبد الله محمد الحبشي، الرحالة اليمنيون رحلاتهم شرقاً وغرباً، مكتبة الإرشاد،

صنعاء، ١٩٨٩م.

(١٢) عبد الرحمن جرجره، أرضنا الطيبة هذا الجنوب.

السودان، عام ١٩٥٦م، واستقلال جنوب اليمن، عام ١٩٦٧م.

فالسودان وقف، بقوة، إلى جانب استقلال جنوب اليمن في هيئة الأمم المتحدة، لا سيما أنه كان من أوائل الدول العربية المستقلة، وساند هذا الحق، حكومة وشعباً، في المحافل الدولية. وبعد تحقيق الإستقلال، أرسل السودان خبراء في التدريس، والإدارة، والقضاء، كالقاضي أبو رنات، والكوادر الفنية في مشاريع الزراعة، كمشروع وادي أبين، وخلافه.

وهكذا جاء إلى عدن الأديب الراحل محمد عثمان ياسين، صاحب (باليه الشاعر) (١٣)، والشاعر والقاص والصحفي، سراج أحمد، ونشرت له في عدن مجموعته القصصية (الأرض البعيدة عن ضوء النهار) (١٤)، ومدرس الجغرافيا بجامعة عدن، أحمد ابراهيم أرباب، ومدرس آخر بنفس الجامعة، هو الدكتور تاج السر أبو الريش، الذي قدم أطروحة عن اليمن، في إحدى الجامعات المصرية، والمؤرخ أسامة عبد الرحمن النور، الذي قام بترجمة كتاب (تاريخ اليمن القديم) (١٥)، إلى العربية. والدكتور القاص عمرو محمد عباس، الذي أكمل قصته (الجنخانة) في عدن، ونشرها هناك (١٦). وكتب خوجلي عبد الكريم أبو بكر كتابه (العبور إلى الشاطيء الآخر) (١٧)، عن عدن، خلال الحرب الأهلية التي نشبت فيها، في ١٣ يناير عام ١٩٨٦م.

(١٣) انظر كتابات محمد عثمان ياسين والصحفي السوداني الراحل المعروف بابن البان في الصحف الخرطومية (الأضواء)، و(الرأي العام).

(١٤) سراج أحمد، الأرض البعيدة عن ضوء النهار - مؤسسة صوت العمال بعدن.

(١٥) أسامة عبد الرحمن النور - ترجمة من الروسية إلى العربية لكتاب تاريخ اليمن

القديم جنوب الجزيرة العربية في أقدم العصور، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٤م.

(١٦) د. عمرو محمد عباس، الجنخانة، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٥م.

(١٧) خوجلي عبد الرحمن أبو بكر، العبور إلى الشاطيء الآخر، مطابع القبس

التجارية، يناير ١٩٨٨م.

ولا يمكن أن نغفل عاملاً آخر، حجب إلى السودانيين، ذوي النيل
الإشترابية العلمية الإقامة في عدن، حيث رحبت بهم هناك الحكومة اليمنية
الجنوبية، ومكنتهم من ممارسة نشاط سياسي معاد لنظام الرئيس جعفر محمد نميري،
الذي سقط، في عام ١٩٨٥ م.

طلبة جنوب اليمن في السودان:

يذكر المؤرخ الدكتور محمد عبد القادر بافقيه^(١٨) أن أول من درس بمدارس
السودان من وجهاء القرن العشرين في اليمن كان السيد علوي محمد الصافي، الذي
درس في سواكن، في العقود الأولى من هذا القرن، وتفوق في دراسته، ثم استقر في
بلاد الحبشة، وكان له هناك أدوار وطنية بين أفراد الجالية اليمنية.

يذكر الأستاذ عبد الرحمن جرجره^(١٩) أن عدداً من طلاب سلطنة لحج ذهبوا
إلى السودان، لتلقي الدراسة. ويتحدث صلاح البكري، بشيء من التفصيل، عن
الطلبة الحضارة القميطيين، الذين يكونون أوائل الدفعة في مدرسة غيل باوزير،
وعن تسفيرهم إلى كلية المعلمين، بمدرسة بخت الرضا في الدويم بالسودان. فهم
يخطون بالثقافة المدرسية، وبالخبرة الفنية بطرق التدريس وشئون الإدارة، وكل ما
تطلبه الحياة المدرسية من الأنظمة، والقوانين، وأوجه النشاط المدرسي، يختلف
فروعه، وألوانه، ثم يعودون لتولي التدريس، وشغل الوظائف، إدارية، وتفتيشية
بالمدارس الابتدائية بمحضر موت. كذلك عدد آخر من هؤلاء الخريجين من غيل
باوزير، يذهبون للدراسة الثانوية بمدرسة حنتوب بالسودان، والتي تقع على الضفة
المقابلة لمدينة ود مدني، وعلى النيل الأزرق. وذلك حتى يعودوا لتزويد هيئة
التدريس في المرحلة المتوسطة بالكفاءة العلمية، والخبرة الفنية. وهناك، أيضاً، بعض

(١٨) المنتدى (دبي)، العدد ١٥، والحكمة (عدن) بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٧٣ م.

(١٩) عبد الرحمن جرجره، أرضنا الطيبة هذا الجنوب.

من هؤلاء الذين يلتحقون، فيما بعد، بجامعة الخرطوم، على نفقة الجمعية الخيرية بالكلال. وهناك تقرير لسكرتير الدولة، سيف بن علي البوعلي، عن التعليم في حضرموت، خلال العشرة أعوام، من ١٩٤٠م وحتى ١٩٥٠م، ورد فيه أن ١٦ دارساً حضرمياً قد ابتعث للدراسة بالسودان.

والواقع أن الدكتور محمد عبد القادر بافقيه قد أرّخ لسيل الطلبة من جنوب اليمن، الذين ذهبوا للدراسة بالسودان، بصورة شيقة، في مذكراته في صحيفة (الأيام). وتحدث كيف أن مدرسة غيل باوزير قامت على أكتاف طلبتها، وأجيالهم المتعاقبة، منذ عام ١٩٤٠م وحتى عام ١٩٥٠م، كل الحركات السياسية في حضرموت، ومن ضمنها حركة النادي الثقافي، وجمعية اتحاد التلاميذ الأدبية، التي أغلقها القidal، بدون سبب واضح. بل إن النزعة الوطنية قد رافقت هؤلاء الطلبة، حينما سافروا إلى السودان، فخرجوا يهتفون إلى جانب الجماهير السودانية في عام ١٩٤٦م: (يسقط الإستعمار)!

وفي كتابه (سندباد على الورق) (٢٠)، يتحدث الدكتور بافقيه عن اشكالية تطوير الدراسة الثانوية، المزمعة في ذلك الوقت، للمنهج السوداني المسيطر في المراحل قبل الثانوية، واعداد الطلبة الحضارم للجلوس لإمتحان الشهادة الثانوية السودانية، حتى يمكن قبولهم، فيما بعد، في الجامعات المعترف بها.

وقد يستغرب القارئ إذا ما ذكرنا أن أمريكياً، اسمه أريك بثمان، في كتابه (اليمن على الحافة) (٢١)، كتبه عن زيارة لليمن، رافقه فيها الأستاذ عبد الله المساجدي، في شمال البلاد، يقول: (فليذهب اليمنيون للدراسة في المعهد الفني

(٢٠) بافقيه نفسه تحت اسم مستعار، سندباد على الورق صاروخ إلى القرن العشرين

- مؤسسة الصبان، عدن، ١٩٦٥م.

(٢١) أريك بثمان، اليمن على الحافة [بالإنكليزية] واشنطن، ١٩٦٠م. انظر كذلك

مقال شيق للدكاترة زكي مبارك بعنوان (اليمن والسودان)، المستقبل (عدن)، أبريل ١٩٥٠م.

التكنولوجي بالخرطوم، فلا عائق لغوي هناك أمامهم، كما أن تكاليف الدراسة أقل..). وهكذا تجيء توصية هذا الأمريكي مطابقة لتوصية البريطاني جرفس. هل هذا، أيضاً، من خصوصيات العلاقة اليمنية - السودانية؟!

ويواصل بافقيه حديثه، فيقول، بأن أهم من خدم حركة التعليم في حضرموت هم بحريجو بخت الرضا، الذين جاءوا من المكلا، وتعلموا، فأصبح كل واحد منهم عالماً مستقلاً، من الموهبة والمزاج، أمثال: مديحج - القحوم - حوره - أحمد سعيد - اليماني - حديبي - بن سلم، وآخرين.

ثم يشير بالبنان إلى آخرين من الحضارمة، درسوا في السودان، كالمرورح الراحل محمد عبد القادر بامطرف، وعبد الرحمن بكير، اللذين حضرا، عام ١٩٥١م، إلى الخرطوم، والشاعر المطبوع فيصل بن شمالان، والمهندس الزراعي فضل عنبول، وأول وزير صحة في جنوب اليمن، الطبيب أحمد سعيد صدقه.

أما بالنسبة لعدن، فقد كانت أول صلة في هذا الإطار إطار دراسة طلبية جنوب اليمن في السودان - عام ١٩٣٧م، ففي ذلك العام استلم الزعيم السياسي والديني السوداني السيد عبد الرحمن المهدي، رسالتين من عدن، واحدة من الأستاذ محمد علي لقمان المحامي، رائد الصحافة العدنية، ورئيس فرع نادي الإصلاح العربي الإسلامي، والثانية من الأديب العدني الراحل، أحمد محمد سعيد الأصنج، رئيس فرع آخر لنفس النادي في عدن. وهذه فحوى رسالة الأصنج:

حضرة صاحب الفضيلة العلامة الجليل السيد عبد الرحمن المهدي السوداني

حرسه الله

تحية واحتراماً. وبعد، فإنني أرفع إلى فضيلتكم أن عدناً كما تعلمون الثغر الطبيعي لليمن كلها، من أقصى العربية السعيدة غرباً إلى آخر حضرموت شرقاً، والأكثرية الساحقة من سكانها عرب مسلمون. أبناء العرب في هذه الديار في ديجور حالك من الجهل، والتعليم هنا، على وجه العموم، لا يسمن ولا يغني،

حيث يخرج الطالب من المدرسة الثانوية، ولا يحسن العربية، وهي لغته، ولا يجيد إلا الإنجليزية، وهي اللغة الرسمية. وكل ما هنالك من علوم سطحية، لا تقوم بالحاجة، ويكفي أن أقول إنه لا يوجد في عدن كلها طبيب، أو مهندس، أو محامي، أو الأستاذ في التربية والتعليم، من أبناء العرب. ولهذا فقد استحوذ على مرافق البلاد وخيراتهما الأجانب، وأصبح العربي فيها ليس إلا جهولاً، يقاسي الآلام، والجوع، والفاقة.

ولهذا رأينا أن لا سبيل إلى انتشار أبناء المسلمين من هذه الهوة السحيقة إلا بالعلم، فالتجينا إلى ملوك المسلمين، وعظمائهم، من أهل الفضل، فكان أن قبلت حكومة جلالة ملك العراق المعظم عدداً من الطلاب، يتلقون العلم في العراق، على نفقتها، مع المأكل، والمشرب، والمأوى، كون الطلبة من الفقراء. كما أرسلنا البعض إلى الهند، وها نحن اليوم في مخابرة مع حكومة جلالة ملك مصر المعظم بهذا الصدد.

ولما كنتم فضيلتكم من زعماء المسلمين المعدودين، ومن الذين اشتهروا بأعمال البر والإحسان، ترانا نتقدم إلى فضيلتكم بهذا الإلتماس، راجين من مكارم أخلاقكم بأن تفكروا فيما نقاسيه من الويلات، وأن تمدوا لنا المساعدة في انقاذ شباب المسلمين بأن تكرموا بقبول عشرة من الطلبة من أبنائنا، ليتلقوا علومهم العربية والإنكليزية في كلية غردون، الكائنة بالخرطوم، أو في أي مدرسة أو جامعة تختارونها فضيلتكم في السودان، أو في مصر، مع المأكل، والمشرب، والمأوى، وغير ذلك، على نفقة فضيلتكم، حتى تنقذوهم من برائن الجهل، وتضيفون بهذا العمل المبرور مكرمة جديدة إلى سجل أعمالكم الخالدة. وإذا ترون أن عشرة من الطلبة سيكون عبئاً ثقيلاً، فلا بأس أن يكون العدد أنقص من ذلك.

ولنا وطيد الأمل، يا صاحب الفضيلة، بأن تعيروا التماسنا هذا اهتمامكم، لأن المشروع انساني وديني، في آن واحد، وأن تكرموا بالجواب الشافي، لا زلتم.

أهلاً للفضائل. وبالختام تفضلوا يا صاحب الفضيلة بقبول فائق الإحترام (٢٢).

المخلص أحمد محمد سعيد الأصنج
رئيس نادي الإصلاح العربي الإسلامي
٢٨ رجب ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م

وفي ١٠ أبريل من عام ١٩٣٨م، جاء رد وكيل دائرة السر للمهدي بأن الالتحاق بكلية غردون من اختصاص حكومة السودان، وسكرتير المعارف، فبعد أن يقبل التلاميذ في التعليم، فإن الدائرة لتساعد بما يمكنها في مصروفاتهم الشخصية. فكتب العدنيون إلى كلية غردون، مستفسرين عن التكاليف، لكن الرد جاء مخيباً للآمال، فقد قال الرد إن المخابرة حول الأمر لا تقبل إلا من حكومة عدن. وكان هذا بايعاز من الحكومة البريطانية، التي كانت تستعمر المنطقتين، ولا تشجع الجمعيات الخيرية في تعليم الوطنيين. وهكذا تحول نادي الإصلاح إلى مراسلة جامعة بيروت الأمريكية، بحيث يتحمل المهدي نصف الأجرة لأربعة طلاب، بواقع أربعين جنية لكل فرد في السنة، لكن شيئاً من هذا الأمر لم يتم.

وقد استوقفتني الرسالة، فأوردتها كاملة، لأكثر من سبب:

(١) إن الشعور باليمن الواحد، ثم بالبعد العربي والإسلامي، كان موجوداً، بوضوح، في رسالة الأصنج، ومثيلتها رسالة لقمان.. (من أقصى العربية السعيدة غرباً إلى آخر حضرموت شرقاً). والرسالة تعود إلى عام ١٩٣٧م. فالمعروف بأن لقمان كان صاحب نزعة مختلفة هي (عدن للعدنيين)، إلا إذا صح قول المدافعين

(٢٢) الرسالة منقولة عن مقال للأستاذ علوي عبد الله طاهر بعنوان (النوادي الأدبية والثقافية في عدن قبل الاستقلال الوطني) دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٣٦، أكتوبر ١٩٨٣م.

عنه بأنه يقصد العرب اليمنيين في عدن، كما قد يستنتج من تبرم الرسالة من سيطرة الأجانب على الوظائف، وحرمان العربي منها.

(٢) إن بريطانيا هي التي قاربت بين نظام التربية والتعليم في السودان وجنوب اليمن، خاصة حضرموت، فلماذا لم تسمح بمثل هذه الفرصة لأبناء عدن؟.. وعلى أساس الترابط الشخصي بينهم وبين زعيم عربي اسلامي، هو المهدي الأين؟

(٣) إن الرسالة قد تجاوزت، عمداً، على الأقل، اثنين من أبناء عدن، الذين كانوا قد نالوا العلم الجامعي، في ذلك الحين، هما: السيد محمد عبده غانم، وهو أول خريج يماني، وقد درس الآداب، ومحمد علي لقمان المحامي نفسه، والذي حصل على اجازته في المحاماة من الهند، ليكون ثاني الخريجين الجامعيين، في عموم اليمن.. فلماذا كان هذا التجاوز؟

(٤) إن أحد أبناء عدن، في ذلك الوقت، كان قد سبق إلى الدراسة في السودان نفسها، هو الشاعر المرحوم نجيب جعفر أمان، شقيق الشاعر لطفي أمان. وقد غادر نجيب عدن إلى السودان، عام ١٩٣٥م، في بعثة من حكومتها إلى مدرسة بخت الرضا، عام ١٩٣٥م. وقد عاد نجيب أمان إلى عدن، بعد اكمال دراسته هناك، ليصبح أول خريج يماني من معاهد السودان. أيضاً، في وقت لاحق، وتحديداً عام ١٩٤٢م، كثفت بريطانيا من بعثاتها التعليمية من عدن إلى السودان. والطريف، كما عرفت من المؤرخ اليمني الراحل سلطان ناجي، أن الاحتفاء بنجيب أمان، بعد عودته من السودان، كان في نفس نادي الإصلاح.

وفي عام ١٩٤٦م، كانت البعثات الدارسة بالسودان من جنوب اليمن تشمل الحضارمة، والعندين، وأبناء الحميات. وكان عددهم ثلاثون طالباً، فقرروا تشكيل ما أسموه (اتحاد بعثات جنوب الجزيرة العربية في السودان) (٢٣) وشمل فيمن

(٢٣) فتاة الجزيرة (عدن)، العدد ٣٢٤ و٣٢٥، بتاريخ ٩ يونيو ١٩٤٦م.

شمل:

(١) قحطان محمد الشعبي، أول رئيس لجنوب اليمن (توفي).

(٢) المرحوم حسين هادي عوض.

(٣) المرحوم لطفي جعفر أمان.

(٤) المناضل الراحل علي محمد سالم - بخت الرضا.

(٥) محمد عبد الله الجفري.

(٦) عبد الله علي الجفري.

(٧) علي غانم كليب.

(٨) أحمد علي مسعد.

(٩) محمد عبد القادر بافقيه.

(١٠) نعمان - بخت الرضا.

(١١) حسن عبده - بخت الرضا.

(١٢) حسن أبو بكر - بخت الرضا.

والباحث السوداني الشغوف باليمن، بشاكر علي عبد الكريم، يقول، في مصدر سبق ذكره بأن طالين آخرين من مدينة عدن أرسلوا من حكومتها للدراسة في بخت الرضا، هما: عبد الله السنباني، وأحمد محمد علي! هل وصلنا، بالفعل، إلى نهاية حديثنا هذا عن طلبة جنوب اليمن الدارسين في السودان. لا... لكننا قد سلطنا الأضواء على حقبة تاريخية، شهدت نشاطاً بين المنطقتين، عماده الأول مجيء المدرسين السودانيين إلى جنوب اليمن وعماده الثاني تدفق الطلبة من جنوب اليمن إلى السودان. لا سيما وأن هذه العلاقة قد استمرت بعد حصول جنوب اليمن على استقلاله في ١٩٦٧م، وحصول السودان على استقلاله، في ١٩٥٦م. وإذا كانت الإشارة إلى الأدباء من هؤلاء الطلبة قد وردت

في باب آخر من هذا السفر فإن هذا لا ينسينا أن بعض طلاب شمال اليمن قد درسوا في السودان، في نفس تلك الفترة، منهم المناضل المرحوم حسين محمد المقبل، والذي احتضنته أسرة عمر الإمام، ودرس بالمعهد الديني في أم درمان، والمناضل المرحوم محمود عبد الله عيش الحسني^(٢٤)، وصولاً إلى جيل الشاعر محمد عبد الآله العصار، والقاصة الشابة سلوى يحيى الأرياني، والشاعر الشاب محمد علي الظاهري الضيفي، والصحفي الدكتور ناصر المطيري، والباحثة الراحلة سامية جعفر حسي.

(٢٤) كتاب عن الراحل محمود عبد الله عيش، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٧م.

أنظر كذلك:

سعيد عوض طاهر باوزير، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، القاهرة، ١٩٦١م.

ملحق الفصل الثالث

آصرة التعليم بين المنطقتين في أندونيسيا

في عام ١٩١٠م، أتى طلب من جمعية خير الحضرمية في باتافيا، أي جاكرتا اليوم، لإدارة التعليم بمدرستها، بواسطة محمد بن يوسف الخياط، وحسين محمد الحبشي، إلى الشيخ السوداني أحمد محمد السوركتي، وهو من مواليد أدفو بدنقلة، وينتسب إلى الجاوية من جابر بن عبد الله الأنصاري. وبالفعل سار السوركتي (١٨٧٥ - ١٩٤٣م)، والذي كان يعمل وقتها بتدريس علوم الدين بمكة المكرمة، إلى جزيرة جاوا باندونيسيا، وبرفقته معلمون آخرون هناك، ومندوب جمعية خير، السيد عبد الله عبد المعبود الموصلي.

وذاث يوم سأله السيد عمر بن سعيد بن سنكر، في مدينة صولوه، عن زواج العلوية بغير العلوي، فأجاز السوركتي ذلك، فغضب منه العلويون، وعاداه الشيخ محمد بن عبد الرحمن شهاب العلوي، والسيد عبد الله العيدروس، فاضطر السوركتي لتقديم استقالته، في شهر يناير من عام ١٩١٤م. وحينما تأسست جمعية الإصلاح والإرشاد العربية، في بتاوى، سنة ١٩١٥م، أصبح السوركتي قائماً بإدارة التعليم بها، يساعده عدد من المدرسين السودانيين، كالعلامة أحمد العاقب، وعدد من الحضارمة، كعمر منقوش، وسعيد مشعبي، ومحمد عبيد عبود الحضرمي.

ودخل السوركتي في مهارات صحفية مريرة مع خصومه من العلويين، في صحف (صولوه هنديا)، و(الإرشاد)، و(الإقبال)، ثم، في عام ١٩١٩م، أصبح

السوركي عضواً في لجنة الإصلاح، التي أسسها اسماعيل عبد الله العطاس، للم صفوف عرب الملايو، وكان من أعضائها محمد عبد الرحمن شهاب، وغالب سعيد تبيع، ولكن كاتب الجمعية الخيرية العربية بمقاطعة سورا بايا، وهو محمد حسم محمد بارجا، أعلن رفضه لمساعي المصالحة، في عام ١٩١٨، أي حتى قبل قيام لجنة الإصلاح، بحجة وجود سوداني غير حضرمي بين أعضائها، بينما التزم حسين عابدين، وعلي المنصور غالب الكثيري، وغالب بن عوض القعيطي الحيداد، وأرادوا الهدنة.

من ذكريات مدرس سوداني بجنوب اليمن

الدكتور سيد أحمد نقد الله شخصية ثقافية سودانية بارزة، كان آخر منصب عمل فيه، هو عميد كلية الدراسات الإضافية بجامعة الخرطوم. توفي بالخرطوم، عام ١٩٨٤م.

كان سيد أحمد نقد الله أحد المدرسين السودانيين الذين عملوا في حضرموت، في الخمسينات، في وقت كانت الحركة الوطنية السياسية، في تلك البقعة من بلاد العرب، قد بدأت تعمل من أجل التخلص من الاستعمار الإنجليزي. ولقد كان لسيد أحمد نقد الله عدد من الكتابات الوطنية في صحف يمنية جنوبية، مثل (النهضة)، و(المستقبل). وفي المقالة التالية، التي كتبها، بالضبط، قبل أسبوع من وفاته، في صحيفة (الأيام) الخرطومية(*)، يتذكر شيئاً من طعم تلك الأيام، التي انتهت بطرد الإنجليز له من جنوب اليمن، خوفاً من وطنيته:

أفرعهم قيس من تعاليم بخت الرضا فواجهوني بقوة الحديد والنار

جاءني، ذات يوم، صديق سوداني، كان مسئولاً عن الأمن، وطلب مني أن أخرج معه، في نزهة قصيرة، بالحدائق التي تحيط بالقرية، أو المدينة الصغيرة المستقلة كحسنة عارية تحت سفوح الجبال. وخلال مسيرتنا عبر الصديق عن أسفه لأنه كلف بأن ينقل إليّ أمراً بمغادرة البلاد، خلال ثمان وأربعين ساعة، فقلت له: هذا مستحيل، وأمر مرفوض. فدار بيننا نقاش طويل، لا داعي لتصديق القراء بتفاصيله، فقد أوضح الصديق أن هناك حامية بريطانية تستطيع أن تعتقلي، في دقائق، وتقذف بي إلى خارج الحدود. وهنا ركبني الشيطان، فطلبت منه أن ينقل إلى الدوائر العليا التي أرسلته إني لن أخرج إلا بهذه الطريقة، وأن عليه أن يكون شاهداً أميناً أمام الشعب السوداني والبريطاني، إذا سالت دمائي، أو دماء بعض المواطنين الذين وهبوني جبههم وثقتهم. فقد سالت دماؤهم من قبل، واغتال الرصاص نفراً منهم، في مظاهرة صاحبة ضد قرار لهذه الدوائر العليا. وعرف الصديق أنني لا أهدد، وثارت نخوته السودانية، وعلاقات المودة والإخاء، فأخذ يتوسل، بكل ما في عقله من أفكار، وما في قلبه من عواطف، حتى توصل معي إلى حل وسط، يتضمن عدداً من الشروط، على رأسها الخروج من البلاد بعد أسبوعين، بدلاً عن ثمان وأربعين ساعة. لقد كنت أنوي خداعهم، لأهرب إلى البادية، أملاً في أن أثير حرب عصابات؛ فقد كانت البادية ثور، من حين لآخر. وكنت، ومازلت، معجباً بالبطل عثمان دقنه، الذي يمثل أعظم قادة حروب العصابات، في القرن التاسع عشر الميلادي، وكان دم الشباب والعنف يغلي في عروقي، وظل يغلي حتى جمده ثلوج ألمانيا، وبريطانيا، وخيبة الأمل الكبرى في بعض الثورات.

لماذا قرروا إنهاء عقدي، الذي بقي على نهايته نصف عام، ولماذا قرروا

طردي من البلاد خلال يومين؟

قال الصديق المستول عن الأمن إن الدوائر العليا تعرف أنك شيوعي، وأن لديها معلومات تفيد بأنك تنشر الشيوعية وسط التلاميذ وبعض المواطنين، ولهذا نعتريك خطراً على الأمن والاستقرار. قلت له إن الحركة الشيوعية في السودان أو بعض قادتها يعتقدون أنني جاسوس، لأن أتمتع بصداقة أساتذتي الإنجليز، وبصداقة عميقة مع المستر جرفس، عميد بخت الرضا، ولأنني سهرت ذات ليلة مع أستاذي، عبد الرحمن علي طه، وزير المعارف، ولعلاقتي الوثيقة بزعيم الإخوان المسلمين، فأيهما تصدق يا عزيزي؟ سأحدث القراء الأعزاء، ذات يوم، عن تهمة الجاسوسية، التي ظلت تطاردني في الشرق والغرب، بل تجرأت ونشرت أحدي الصحف الغربية الكبرى. فحدثنا، اليوم عن بخت الرضا، فقد كان حماسي لمناهج بخت الرضا الديمقراطية سبباً في إنهاء عقدي، وطردي من البلاد، بل هو السبب في كل الاتهامات التي وجهت لي بدءاً بالانتهازية، ونهاية بالجاسوسية. فقد انهمكت على تعليم طلاب المدرسة الوسطى، بحماس لا يقل عن حماسي لطلابي اليوم، وحاولت أن أنفذ شعار بخت الرضا، الذي يدعو المدرس أن يكون صديقاً للتلاميذ، فإذا بالتلاميذ يولوني ثقتهم، ويتنافسون في إبداء مشاعر الحب والولاء والتقدير، وتبلغ الثقة حداً يجعلهم يكشفون لي الكثير من الأوراق، فأنير زوبعة صغيرة حول بعض الطلاب، حماية لهم فيأتي ناظر المدرسة، وهو سوداني طيب وقور، ليسألني في شيء من الاستنكار: هل أنت مدرس أم أنت مصلح اجتماعي؟! وهو سؤال أتوجه به للمعلمين والمعلمات، في مراحل التعليم العام، فهم يعيشون أو يعايشون الأطفال في المرحلة الابتدائية، والمراهقين في المرحلة الثانوية، وهما أخطر مرحلتين في تكوين الشخصية الإنسانية، التي جعلت أمير الشعراء يتساءل:

أرأيت أشرف أو أجل من الذي يبني وينشأ أنفساً وعقولا

لا!

إنها عملية بناء، وإنشاء، لا تساويها هذه الدريهمات أو عطية المزين التي تدفع للمعلم والمعلمة المخلصة الممتازة، ولو كان العلم بيدي لجعلت كل أساتذة المرحلة الابتدائية من المعلمات، ولأنفقت الملايين في تعليمهن وتدريبهن، فغباء الإنسان الذي تحدث عنه العالم اينشتين لا يبدو لي في أقبح وأوضح صورة، إلا حين أفكر في العلم، والتعليم، والمعلمين الذين يوكل إليهم المجتمع أخطر مهمة، ولا يوليهم من العناية والرعاية ما يوليه لمحترفي الرياضة، تحكمه قوانين المال لا الأعمال. فما هي الشيوعية التي اتهموني بنشرها وسط الطلاب؟ كانت الشيوعية، أيها القارئ العزيز، هي الجمعيات التي شجعت التلاميذ على تشكيلها، وحرية الفكر والتعبير، التي فتحها لهم نوافذها، في الجمعيات، وصحيفة الحائط الجميلة، التي بدأ التلاميذ يعبرون فيها عن مشاعرهم المكبوتة، وتطلعهم إلى الحياة الحرة الكريمة. كانت الشيوعية هي الصحف المصرية، التي أهدىها للطلاب، بعد قراءتها، والتي كانت تحمل أنباء الثورة المصرية، بقيادة عبد الناصر، وما بدأت تنقله من فساد السياسيين والأسرة المالكة، وما تدعوله من وحدة عربية في وجه الإستعمار والإستبداد. كانت الشيوعية هي الرواية التي أخرجتها على مسرح المدرسة، عن ثورة أندونيسيا، وأبدع الطلاب تمثيلها، واهتز لها المواطنون، طرباً، رغم ما اثارته من غضب بعض رجال الدين الذين أنكروا أن يمثل طالب دور امرأة لا ترتدي الحجاب، فالرواية قصة مضحكة، ومثيرة، قد تواتي الفرصة حديث الثلاثاء، فيرويها ذات يوم، فهي رواية من تأليف ابن الجنوب العربي، علي أحمد باكثير، وعن نضال أندونيسيا، التي يرتبط بها أهل الجنوب إرتباطاً وثيقاً، ويعتمدون على ما يمدهم به أهلهم هناك من ثروات. كانت الشيوعية قصيدة أمير الشعراء في استقبال زعيم الهند، المهاتما غاندي، وهو في الطريق إلى مائدة المفاوضات في بريطانيا، والتي يبدؤها بقوله: سلام الله يا غاندي وهذا الشعر من عندي.

فقد كان التلاميذ يطربون من قراءتي لها، ويرددون، معي أو قبلي، آخر كل بيت، وبصورة جماعية، تهتز لها جدران الفصل، وترتجف الأدراج من ضربات الذين يستبد بهم الطرب، كما يستبد ببعض الناس في حلقات الذكر.

لقد سمعت الدوائر العليا بانتشار الشيوعية في دروسي، فاقترح الفصل، ذات يوم، وفد على مستوى عالٍ، ليجدني متلبساً بجريمة الشيوعية. فقد وقف الوفد يستمع، ويشهد انفعالات الطلاب، خاصة عندما وصلنا بالقراءة إلى هذه الأبيات:

من المائدة الخضراء خذ حذرک يا غاندي

ولاحظ ورق السير وما في ورق اللورد

وكن أبرع من يلعب بالشطرنج والنرد

وقل هاتوا افاعيكم أتى الحاوي من الهند

روعة في التصوير والتعبير، لاتعادلها روعة. وقد أضفت طريقة الألقاء، وما صاحبها من حركات تشخيصية، مزيداً من التعبير، والتصوير، فقفز عدد من الطلاب من مقاعدهم، وهم يصرخون: أتى الحاوي من الهند.. أتى الحاوي من الهند. وقد ترامى إلى سمعي، صدقاً أو إشاعة، أن الوفد الذي دخل، دون إذن، إلى الفصل انقسم على نفسه، فوقف أحد أعضائه يدافع عن المعلم، وأصر آخرون على الهجوم، والإتهام، والتأكيد بأن المعلم فاسق، فاجر، وأنه سمع بأذنه قصيدة شيوعية، ملحدة، تلهب عواطف التلاميذ، وتدعوهم إلى الثورة على الاستعمار، الذي جاء يحمل الأمن والطمأنينة والاستقرار. ألم يدمغ هذا المعلم بالكفر والإلحاد، من قبل، حين وقف في ندوة عامة بالمعهد العلمي، وأعلن أن الإسلام يبيح، ولكنه لا يشجع تعدد الزوجات، وبلغت به الجرأة على الإستشهاد بآية من كتاب الله؟ ألم يشهد الجميع هذا المعلم، وهو يرتدي الكسكته، التي لا يرتديها سوى الكفار، في الوقت الذي يرتدي فيه جميع زملائه السودانيين، ما عدا واحد، العقال؟

ماذا تريدون، بعد هذا، من دليل على كفره وإلحاده وشیوعيته؟!

كان هذا المعلم، أيها القارئ العزيز، لا يهتم بما يقول عنه الناس أو الناسناس. وهو لا يكثر، اليوم، بما يوجه إليه من اتهامات، وإساءات، في بعض الأحيان، إيماناً بكلمات شاعرنا إيليا أبو ماضي: لم يقصدوك بدمهم إن لم تكن منهم أجل وأعظما.

لقد تجمع نفر من المعلمين والشباب من أبناء الجنوب العربي، عشية وداعه، وانهمكوا في أغانٍ ورقصات عربية جميلة، في أحد الأودية الخضراء، قريباً من ساحل المحيط الهندي، الذي ألقى عليه نظرة من الطائرة. فتدفقت في خاطره كلمات إيليا أبو ماضي:

أنت يا بحر أسير آه ما أعظم أسرك
أنت مثلي أيها الجبار لا تملك أمرك
أشبهت حالك حالي وحكي عذري عذرك
فمتى تنجو من الأسر وأنجو لست أدري؟

يا لها من أيام، امتزجت حلالاتها بكثير من المرارة، وبهاها من مواقف يطربني ذكرها، ويذكى في نفسي روح الشباب، روح الشجاعة والإقدام، التي غرستها فينا بخت الرضا، وجعلت صديقي، وأستاذي المستر جريفتس، يبدأ أحد خطابه لي من بريطانيا، قائلاً: لقد كان خطابك هذه المرة أشبه بهتافات مظاهرة في شوارع الخرطوم.

لم يذكر لي جريفتس كلمة «الشيوعية»، ولكنه أرسل لي عدداً من الكتب التي تهاجم الشيوعية، وعلى رأسها كتاب الفيلسوف الإنجليزي الكبير برتراند رسل بعنوان (مقالات غير محبوبة)، وكتاب المفكر الإنجليزي الاشتراكي الكبير هارولد لاسكي، بعنوان (انطباعات حول الثورات في عصرنا).

ولكن هذه الكتب القيمة الحافلة بالأفكار، والتحليلات، لا تعادل في أثرها التجربة التي عشتها في شرق أوروبا، فقد خرجت منها، كما خرج المتنبي من مصر، مردداً:

لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي شيئاً تيممه عين ولا جيد
يا ساقبي الخمر في كؤوسكما أم في كؤوسكما هم وتسعيد
إنها كؤوس مترعة بالهم والغم، وتجرعنا لها الحياة كل يوم، حتى لا ننسى
هموم، ومآسي الجائعين والمعذبين في الأرض.

(*) سيد أحمد نقد الله، حديث الثلاثاء، الأيام (الخرطوم)، ٢٧ نوفمبر ١٩٨٤م.

﴿ الفصل الرابع ﴾

مدني قاعدة النضال اليمني

ليس هذا العنوان من عندي، وإنما هو عنوان محاضرتين، ألقاهما الدكتور محمد يحيى الشرفي، الأولى في مدينة مدني، بوسط السودان، ضمن مهرجان ثقافي، أقيم هناك، في مطلع الثمانينات، والثانية في مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء، عندما قام الدكتور عبد العزيز المقالح باستضافة المحاضر، والتقديم له، عندما استقر الدكتور محمد الشرفي في صنعاء، في النصف الثاني من عقد الثمانينات.

ولست أجد أصدق من هذا العنوان، تعبيراً عن الدور غير العادي الذي لعبه أحد أبناء اليمن الأفاضل، في قرننا العشرين، والذي استوطن مدينة ومدني السودانية، وحوّلها مع رفاق له من أبناء اليمن إلى قاعدة للنضال اليمني، الذي تمكن بعد قوافل من التضحيات من أن يطيح، وإلى الأبد، بحكم الطغاة من أسرة حميد الدين لبلاد اليمن. فأنا بصدد الحديث، إذن، عن هذه الشخصية العملاقة، التي امتطت صهوة الأحداق، في يوم من أيام عام ١٩٧٤م، بالسودان، وبالتحديد في المنزل العامر للرجل في ود مدني، وكذلك الحديث عن الحركة الوطنية اليمنية بالسودان، ومن خلال إشارات إلى رفاقها، في ذلك الكفاح العظيم، الذين تشابهت همهم العالية، وتعانقت تضحياتهم في ميادين الشرف من أجل معركة التغيير إلى الأفضل في بلاد اليمن.



- الشيخ يحيى حسين أحمد المدوني الشرفي الكمام

(١٩١٠م - ١٩٧٧م)

[١ - ٨]

كان لجوء فيلسوف الثورة اليمني الشاعر، القاضي محمد محمود الزبيري (ت ١٩٦٥م)، إلى المستعمرة الإنجليزية، عدن، في الأربعينات، بداية لمرحلة جديدة في صراعه، هو ورفاقه، من الأحرار اليمنيين مع النظام الحاكم، يومئذ، في شمال بلاد اليمن. فقد ركز الزبيري، منذ ذلك الحين، على استمالة المهاجرين اليمنيين في الخارج إلى جانب القضية الوطنية اليمنية، واتخاذ مهاجرهم كقواعد لمناوئة الحكم الإمامي، ودفعه إلى التغيير من نمط سلطته. فقام الزبيري، وأحمد محمد نعمان هاتان الشخصيتان اللتان تكملان بعضهما بعضاً على الأقل فيما يخصنا في مقام الحديث عن اسهام المهاجرين اليمنيين بالسودان في الحركة الوطنية اليمنية - باستقطاب المهاجرين اليمنيين، دعماً لحركة الأحرار اليمنيين والجمعية اليمنية الكبرى، وقاما بشرح عدالة القضية، مطالبين المهاجرين بأن يضطلعوا بدورهم التاريخي في العملية الثورية أينما وجودوا، وقد وجد منهم بالسودان، يومئذ، مجموعة كبيرة!

ولا شك من خلال اطلاعنا على مجموعة من وثائق هذه الحركة أنه وجد بالسودان من المهاجرين من كان يدين بالولاء، ولو تعددت الأسباب، لحكم الأئمة في شمال اليمن. وكان أحد هذه الأسباب أن بعض الصحفيين والسوقة في السودان كثيرون اتهموا على اليمنية، وأحوالهم الصعبة في السودان، من باب الظرف وخفة الدم، كما أشار الباحث محمد محمود حميده^(١)، ومن باب القسوة والخبث، كما فعل الصحفي المعروف، عبد الله رجب، في صحيفته (الصراحة)^(٢). ولذلك لم يكن بعض اليمنيين من البسطاء يريدون أن يدخلوا في التناول على إمامهم في صنعاء، أو تعز، حتى لا يظهروا للناس بأنهم لم يتفقوا، حتى فيما بينهم كيمنيين جمعهم المهجر السوداني. وإذا كان المهاجرون اليمنيون بالسودان قد أسموا، أول دخولهم للسودان، بعد عام ١٩١١م، بالأشراف من العرب، فإن بعض هؤلاء، من

(١) مصدر سبق ذكره، في الفصل الثاني.

(٢) انظر مقالة لعبد الله رجب في صحيفته (الصراحة)، في عام ١٩٥٢م، بالخرطوم،

بعنوان «اليمانية.. كلاب العرب».



- الشهيد القاضي محمد محمود الزيري والشرقي
الأب في الخرطوم مع بعض السودانيين (١٩٥٤).
[٩ - ١]



- الزعيم السوداني الراحل إسماعيل الأزهري مرحباً بالقاضي الزيري،
والأستاذ يحيى محمد الوافي؛ في حديقة المقرن بالخرطوم (١٩٥٤م).

أصحاب الشخصية السيكوباتية (العدوانية)، قد أساءوا إلى سمعة الجالية اليمنية بالسودان، بتصرفاتهم الخسيسة، وحرموا أشرف العرب من اليمنيين هناك من ذلك التميز، الذي أعطاه لهم السودانيون، طواعية، وربما كان هذا هو ما يقصده أحد رؤساء الجالية اليمنية بالسودان، اليوم، التاجر عبد الغني محمد عتيق^(٣)، حينما يعتب، باستمرار، على إرسال الحكومة اليمنية، قبل وبعد الوحدة اليمنية، في ٢٢ مايو ١٩٩٠م، لبعض وليس كل بالطبع من أشباه الرجال ليعملوا في سفارة صنعاء لدى الخرطوم، أو في مكتب الخطوط الجوية اليمنية بالخرطوم؛ فيقوم بعضهم بالتجارة بالمحرمات، كالخمر التي يحصلون عليها من الأسواق الحرة المفتوحة للدبلوماسيين، والتحايل على إعطاء الطلبة اليمنيين بالسودان مستحقاتهم المرسلة لهم من صنعاء، بالدولار، بانتظام.

وإن الأمانة العلمية، وحدها، هي التي تدفعني إلى ذكر مثل هذه المخازي، من باب أن نقول للمحسن «أحسن» وللمسيء «أسأت». وهناك، بالمناسبة، مثل يماني، يعرفه أبناء مدينة عدن، يقول: (السارق فوق رأسه قشاشه).

وما دمننا في مقام الحديث عن النماذج، التي شوهت صورة اليمنيين بالسودان، فلا بأس أن نذكر برسالة هامة، كتبها شيخ مشايخ اليمانية بالسودان، يحيى حسين الشرفي، عام ١٩٥٥م^(٤)، إلى السيد أحمد محمد الباشا، القائم بأعمال وكالة حكومة المملكة المتوكلية اليمنية بالسودان، حول استيائه، رحمه الله، من ممارسات من أسماهم بالأخدام اليمنيين في السودان، من (الزعم والرقص)، وكذلك (الفتيات اليمانيات القادمات من أرتيريا إلى مدن كسلا، والقضارف، ومدني، والعاصمة المثلة الخرطوم بالسودان)، مما لسننا في حاجة إلى شرحه.

(٣) انظر حوار مع الصحفي اليمني ياسين المسعودي، في صحيفة (الثورة) بصنعاء،

بتاريخ ١٨ سبتمبر ١٩٩١م.

(٤) رسالة ضمن وثائق الشرفي بمركز الدراسات والبحوث اليمني، بصنعاء، بتاريخ

١٦ أكتوبر ١٩٥٥م.

ولقد وجد الزبيري، والنعمان الأب، والمناضل المرحوم عبد الله علي الحكيمي، بل قل وكل الخيرين والوطنيين من اليمنيين، في ذلك الوقت، في الشيخ يحيى حسين الشرفي، أعظم سند لهم بين المهاجرين في السودان، وحتى خارج السودان، بحكم علاقاته الطيبة باليمنيين، أينما كانوا، وهو الذي مكنتهم من تحويل المدينة التي أحب واستوطن.. ودمدني.. إلى قاعدة عظيمة للنضال اليمني.

ولد يحيى حسين أحمد المدومي الشرفي العكام، بالقرب من مدينة حجة اليمنية، حوالي عام ١٩١٠ للميلاد، وتلقى قدراً بسيطاً من التعليم الديني في بلاده، ثم عمد إلى تثقيف نفسه بنفسه، ووصل إلى مدينة سواكن بالسودان، في شهر فبراير من عام ١٩٢٣م، أي في الثالثة عشر من عمره، وتوفي في مدينة ودمدني، في شهر فبراير من عام ١٩٧٧م. استوطن مدينة ودمدني، في الجزيرة بالسودان، وعمل هنالك بالتجارة، وسرعان ما أصبح شيخاً لليمانية فيها، ثم رئيساً لجاليتها، عندما قامت هذه في مدينة ودمدني، في مطلع الخمسينات، وإلى حين وفاته في مدني، عام ١٩٧٧م، عن سبعة وستين عاماً.

وتشير وثائق الشرفي^(٥) إلى أن الشرفي، وقائد ناصر العماري، وحسين الحسيني الرداعي، الشهير بعشيش.. كانوا قد أسسوا أول تجمع لليمنيين بالسودان، مباشرة، بعد انتكاس ثورة ١٩٤٨م الدستورية في صنعاء، وبدأوا، منذ ذلك الحين، يحسون من المستعمر الإنجليزي لهم في السودان، علاوة على ممثلي وأنصار الإمام في السودان، بالمضايقات. ومما يدل على أهمية الجالية اليمنية بالسودان، أن مديعاً باذاعة صنعاء^(٦) وجه طلباً من المهاجرين اليمنيين بالسودان لتزويده بإمكانية سماع الإذاعة لديهم، ودرجة وضوحها ومن الدلائل، أيضاً، على أهمية هذه الجالية، الرسالة الرقيقة التي وجهها إليها، بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٩٥٤م، سيف الإسلام محمد

(٥) وثائق الشرفي.

(٦) عبد الله البردوني، الثقافة والثورة في اليمن، مطبعة الكاتب العربي، دمشق،

١٩٩١م.

البدر بن أحمد بن يحيى حميد الدين، ولي عهد اليمن، يومئذ.

والواقع الذي نريد قوله إنه في الوقت الذي كانت فيه حركة الأحرار اليمنيين تطل به من خلال أنشطتها المختلفة على الساحة، كان الشرفي الأب قد أصبح علماً يمتياً معروفاً في بلاد السودان، فسيرة حياة الرجل عطرة للغاية.. فقد كان ينفق من حر ماله على رواق اليمانية في الأزهر الشريف بمصر، ويقدم مرتبات منتظمة للطلبة اليمانية هناك، عبر شيخهم محمد علي الأهدل، وكان عدد الطلبة في أحد تلك الأوقات، يبلغ اثنين وثلاثين طالباً، من بينهم السياسي اليمني الراحل، السيد محمد علي الجفري (٧). وهو الأمر الذي لم تستطع الحكومة اليمنية أن تقدمه لهؤلاء الطلبة.. لا سيما إذا تذكرنا أنه أصبح كذلك ينفق على أعداد أخرى من الطلبة اليمنيين في الخارج، لا سيما الذين في مصر، ممن درس في معاهدها وكلياتها. وكان الشرفي الأب، في الوقت ذاته، ينفق على كثير من طلبة اليمن جنوبها وشمالها، ممن يدرس في مدارس وكليات السودان وبالنسبة لأولئك الذين كانوا في مدارس قريبة من منزله في مدني، مثل الطلبة اليمنيين في مدرسة حنتوب، فقد كان بيته استراحة لجميعهم، يجدون فيه حنان الأبوة الحقة، ولأنه كان القدوة بين اليمنيين في السودان، فقد قدم المال من أجل تشييد مستشفى الأمراض الصدرية في مدني، وأغاث منكوبي الفيضانات في الجزيرة، والمناقل. وهكذا اختاره أهالي مدني عضواً للهيئة الإدارية العليا لمجلس ودمدني البلدي. وهو الذي أسهم في تشييد المدرسة الأهلية في مدني، حينما أحس بنفاذ المؤسسات التبشيرية إلى المنطقة، من خلال المدارس التبشيرية.

فحتى في ذلك الوقت المبكر من الحركة التحررية اليمنية، كان الشرفي قد تعرف على رجالات الحركة السياسية والوطنية في السودان، أمثال: المرحوم اسماعيل الأزهرى، والمرحوم محمد أحمد محبوب، وأحمد علي أحمد، والأمير عبد

(٧) وثائق الشرفي.

الرحمن نقد الله، وآخرين... وكانت له مراسلات مع أفذاذ المفكرين في العالم العربي الإسلامي، أمثال: سيد قطب، ومحمود شلتوت، ومحمد الغزالي، وسعود عبد العزيز آل سعود، وجمال عبد الناصر، وصلاح الدين البيطار.. وكانوا يرأسونه، بصفته شيخ اليمانية في السودان وممثلهم، وهكذا كان، أيضاً، يقوم بزيارة القاهرة، باسم فرع السودان، للتنسيق مع بقية فروع المهاجرين اليمنيين، وبهذه الصفة أيضاً كان يتعامل معه ممثلو الحكومة في السودان. وكانت له، فيما بعد، أفكار غاية في النضج، مثل مواقفه الوحشية من قضايا اليمن، بشماله وجنوبه، فهو الذي اقترح تشكيل مجلس خمسيني لليمن، يكون للجزء الجنوبي منه، والذي كان تحت سيطرة المستعمر الإنجليزي عدة مقاعد نيابية، وكانت من علامات نضجه، في ذلك الحين، بخصوص الوحدة اليمنية أنه لام السلاطين في جنوب اليمن، عندما شكلوا اتحاد الجنوب العربي، الذي نفى عن الجنوب اليمني يمينيته، ثم عاد ووجه اللوم كله إلى طاغية اليمن، الإمام أحمد، الذي لم يعمل على استمالة هؤلاء السلاطين إلى الوحدة الحقيقية^(٨).

وهكذا، فإن ممثلي الإمام، الذين كانوا يحضروا للسودان، في مناسبات معينة، أو من أجل تفقد الأحوال هناك، أمثال، محمد علي الزهيري، وعلي محمد رجا، ويحيى الوادعي، وعبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب، كانوا يعرفون، ويقدرّون حجم نفوذ الشرفي، في تلك الزيارات^(٩).

وحضر شهيد الثورة اليمنية، القاضي محمد محمود الزبيري، إلى السودان، للمرة الأولى في حياته، برفقة الأستاذ الشاعر أحمد الخزان، والأستاذ يحيى محمد أحمد الوافي، عام ١٩٥٤م، مهتئين السودان بحصوله على الحكم الذاتي، وحضر الزبيري الإحتفالات، بهذه المناسبة، ومنها احتفال المقرن، عند ملتقى النيلين، حيث التقى كبار السياسيين، أمثال اسماعيل الأزهرى، ويحيى الفضلي الخ.. وألقى هناك

(٨) وثائق الشرفي.

(٩) وثائق الشرفي.

خطبة، تحدث فيها عن تاريخ العلاقات اليمنية - السودانية، ثم انتقل إلى مدني، قاعدة النضال اليمني، فاحتفى به اليمنيون، أيما احتفاء، ولبي دعوتهم في الإحتفال به في مدينتهم، فحضر الحفل كبار الشخصيات السودانية، أمثال أحمد خير المحامي، الذي أصبح، فيما بعد، وزيراً لخارجية السودان، وزيادة أرباب، الذي أصبح، فيما بعد، وزيراً للتربية والتعليم في السودان، وحسين علي كرار، محافظ مديرية الجزيرة، وأمين أحمد حسين، رئيس شرطة محافظة الجزيرة، والشاعر أحمد مصطفى المثلث، والشاعر مبارك المغربي، اللذان ألقيا الشعر، في الترحيب بالزيري، فما كان منه إلا أن ارتجل أبياتاً من الشعر، ذكر فيها مكارم أخلاق السودانيين.. كما مهد له الأحرار اليمنيون في السودان، والشرفي في مقدمتهم، الالتقاء بالزعامات السياسية في السودان، مثل السيد عبد الرحمن المهدي، والسيد علي الميرغني، والسيد خضر حمد الخ.. وقد حاول الزيري، من خلال هذه اللقاءات، تسهيل معيشة اليمنيين بالسودان.

واتبع الزيري تلك الزيارة بزيارة ثانية للسودان، تكون، رسمياً، خلالها فرع السودان من الاتحاد اليمني، وهو التنظيم السياسي لأحرار اليمنيين. وتشير بعض المصادر (١٠) إلى زيارة ثالثة للزيري إلى السودان، استضافه فيها عدد من المهاجرين هناك، مثل سعد التويتي، وأحمد ناصر الشامي، وعبد الله الخولاني.. وكان الغرض من هذه الزيارة الثالثة، على ما يبدو، اصلاح ما أفسدته زيارة للسودان قام بها منشقون عن حركة الأحرار، هما محمد الرباعي، وإبراهيم علي الوزير (١١).

وكان من ثمار هذه الزيارات المتلاحقة للزيري وزيارات أخرى للنعمان الأب، والشيخ الحكيمي، رحمة الله عليه، أن تنبه أعداء الثورة من زبانية السلطة في تعز، إلى المكاسب الكبيرة التي تحققت للإتحاد اليمني في السودان، والتي مهد لكثير

(١٠) عبد الرحمن محمد العمراني، الزيري أديب اليمن الشائر، مركز الدراسات

والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م.

(١١) المصدر نفسه.

منها الشرفي، فقد ارتبط المهاجرون اليمنيون في السودان بأحداث الوطن، وباخوانهم المهاجرين في مصر، وبريطانيا، وباخوتهم المقيمين في عدن. وأسهمت مالية فرع الاتحاد اليمني بالسودان في الاتفاق على المزيد من الطلبة اليمنيين في مصر. وطبعت في السودان كثير من المنشورات، والكتابات، والقصائد، التي تدخل ضمن أدبيات الاتحاد اليمني، مثل كتاب (أنقذوا اليمن)، للشرفي نفسه، وطبعة أخرى من كتاب (مأساة الواق الواق)^(١٢)، للزيري، ومن هذا الكتاب للزيري نقتطف قولاً، غاية في الأهمية وبالغ الحساسية.. يقول الزيري: (من هم الأحرار في المهاجر، لو أسقطنا الأبطال الهاشميين منهم في الوطن، أو في المهجر، خصوصاً في بورتسودان)!

كذلك أنفق الشرفي على طبع كتاب (معارك ومؤامرات ضد قضية اليمن)، للشباب الوطني محسن بن أحمد العيني، خريج كلية الحقوق بجامعة القاهرة، والذي أذكر أنه حضر للسودان لزيارة أبيه الروحي، الشرفي الأب، عندما تعرض هذا لوعكة صحية، في السبعينات. وأصبحت صحيفة (صوت اليمن)، لسان حال الاتحاد اليمني، تصل، بانتظام، إلى المهاجرين اليمنيين في مدن السودان المختلفة، وساندها في ذلك صحيفة صدرت عن الجالية اليمنية في مدينة بورتسودان اسمها (الأفق)، ولكنها ما لبثت أن توقفت. وقامت مالية الجالية اليمنية بالسودان، والتي كان الشرفي يجزل لها العطاء، بنقل ثلاثة من أولاد علي الوزير إلى مصر، بعد حضورهم من عدن إلى السودان، برفقة النعمان الأب، وقد تزامن ذلك مع زيارة الزيري للسودان^(١٣).

(١٢) محمد محمود الزيري، مأساة الواق الواق، دار العودة، بيروت، مايو ١٩٧٨م.

تاريخ تأليف الكتاب عام ١٩٥٩م.

(١٣) انظر وثائق الشرفي، وضمنها رسالة من الشرفي لمحسن أحمد العيني، حول

أحوال اليمانية في السودان، بتاريخ ١ نوفمبر ١٩٥٣م.

لقد أصبح فرع السودان من الاتحاد اليمني من أنشط الفروع، على الإطلاق، في تلك المرحلة من عمر التحدي، مع نظام التخلف في اليمن، ولقد كتب الصحفي السوداني، أحمد سنجر، في صحيفة (صوت السودان) (١٤)، بحث المهاجرين اليمنيين بالسودان للعودة إلى جنوب بلاد اليمن لمحاربة الإستعمار الإنجليزي الذي كان قد غادر السودان للتو.

ويذكر المعاصرون حياة الزيري في السودان أنه تعرض لعدد من المضايقات من قبل زبانية الإمام في السودان، فجرت محاولة للإعتداء عليه، في جامع الخرطوم بحري، وفي زيارته الثانية إلى السودان، برفقة المناضل الأستاذ أحمد محمد هاجي، الذي جند قلمه للكتابة في الصحف السودانية، عن حقيقة الأوضاع في اليمن، تعرض الزيري لمحاولة للإعتداء عليه في فندق البحر الأحمر، في مدينة بورتسودان، على يد رجل يمني، يدعى محمد عبد ربه، والمعروف بأبي حمراء. وهنا نورد وثيقة من وثائق الشرفي، عن تلك الحادثة:

حضرة صاحب السعادة السيد أمين أحمد حسين

مدير الأمن العام

نحن هنا نستطيع أن نؤكد أن هذه المؤامرة الدنيئة، دبرت في الخرطوم، عقب استجارة الحكومة السودانية لرجاء ابعاد ذلك الرجل عن السودان - الزيري - بما له من مكانة. ولقد أرسل من الخرطوم من يقوم بتنفيذها بايعاز من ممثل حكومة المملكة المتوكلية اليمنية، صلاح المصري، وكان على رأس هذه العصابة، شخص، يدعى أبو حمراء، وهو طريد العدالة، وحكم عليه، غيائياً، بشرق الأردن، في جريمة قتل، وقد أودى بحياة أبرياء كثيرين، لأنه محترف للإجرام الجنائي، ولا يعيش إلا عليه، ثم سافر الحجاز، بطريق الأردن، ليقوم بتنفيذ مؤامرة، لكنه فشل، وعذب، ثم سافر إلى الحبشة، فلم تقله الجاليات اليمنية هناك، لخطورته، فعاد إلى اليمن،

(١٤) صوت السودان (الخرطوم) بتاريخ ٢٦ يناير ١٩٥٧ م.

وارتكب جريمة قتل غامضة، فر على إثرها للسودان، عام ١٩٥١م، وهو يتظاهر ببيع الصعود (التمباك، أو السفة، أو الشمة).

يحیی حسین الشرفی

كما شرحت الرسالة كيف أن أحمد محمد الباشا غلب على أمره، واغتصب صلاح المصري وظيفته في سفارة اليمن بالخرطوم. وقد حملت مثل هذه الوثائق إلى السيد صلاح المصري، فنفى عن نفسه كل هذه التهم، وقال إنه، في الواقع، دفع السلطات السودانية إلى سجن أبي حمرا، نتيجة لكونه شذير... أما الأخ قائد ناصر العماري، والذي التقيت به، شخصياً، في صنعاء، فأكد أن سجن أبي حمرا إنما كان عقاباً، لمحاولته الاعتداء على الزيري.

كذلك أخبرني السيد صلاح المصري أن الإمام أحمد أصدر قراراً بالإستغناء عن الباشا، والذي كان هو والمصري قد أسسا الوكالة المتوكلية، عام ١٩٥٥م، بالخرطوم. وقد ظل المصري بها، حتى ما قبل ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م، في اليمن.. عندما اختلف هناك مع سفير جديد، هو الدكتور عبد الرحمن البيضاني! ويشير الأخ حمود الشامي^(١٥) إلى عمله في السفارة اليمنية بالخرطوم، كسكرتير أول، مباشرة، بعد ذلك، وما بين ١٩٦٣م و١٩٦٦م.

وكان من زملاء الشرفي في مدني أحد الأحرار اليمتئين، سعد سعيد أنور المعمرى، والذي أبرق، في تاريخ ٩ يوليو ١٩٥٧م، ببرقية استفزازية إلى الإمام أحمد. تقول البرقية:

صاحب الجلالة الحاكم الفردي إمام اليمن المحترم

لا شك يا صاحب الجلالة بأن جميعكم إلى مدينة الحديدة، بتاريخ ٧ يوليو

| (١٥) حوار في صحيفة الوحدة (صنعاء)، بتاريخ ١٤ أكتوبر ١٩٩٢م، العدد ١١٩.

١٩٥٧م، كان سبباً في حريقها، في ٩ يوليو ١٩٥٧م، وكما يقال إنما الأعمال بالنيات. وعليه فلا يسعنا إلا أن نعزي الشعب اليمني النهوب المنكوب.

فرد عليه الإمام أحمد بهذه البرقية:

من إمام اليمن المعظم أحمد يحيى حميد الدين إلى المعمرى

لعلك لا تعرف شيئاً، ولهذا فإن شعبك يستحق التعزية لأنك منه.

ونأتى، أيضاً، إلى ذكر هذا المعمرى في أحداث جرت بعد ذلك بستين، أي في عام ١٩٥٩م، خلال حكم الرئيس السودانى، الفريق إبراهيم عبود، فحينئذ، أوعزت حكومة المتوكلية اليمنية إلى الحكومة السودانية بإبعاد أربعة من منائىها من الأحرار اليمنيين فى السودان، هم الشرفى، والمعمري، وعبد الله غيلان أحمد، وقائد ناصر العمارى، كمقدمة لإبعاد خمسة وثمانين من هذه العناصر الثورية بتهمة ممارسة نشاط معاد لبلادهم فى السودان. وكانت حكومة عبود قد بدأت بمضايقة الشرفى، أولاً، بمنعه من ممارسة النشاط التجارى، الذى كان يعيش عليه، ثم بعد ذلك أصدر وزير داخلية السودان، بالفعل، قراراً بإبعاد الأربعة عن السودان، وتسليمهم لحكومة بلدهم، بتاريخ ٢٢ إبريل ١٩٥٩م (١٦). لكن التظاهرات المؤازرة بالتأييد الشعبى العارم من الشارع السودانى، ما لبثت أن أجبرت وزير الداخلية على العودة عن قراره، بتاريخ ٢٨ إبريل ١٩٥٩م، بعد أقل من أسبوع من ذلك القرار الطائش (١٧). وقيل، يومئذ، أن الحكومة السودانية قد منحت جنسيتها لهؤلاء الأربعة. وقد عارض القرار، إضافة إلى الشارع السودانى والمهاجرين اليمنيين بالسودان، شخصيات مثل: وزير الخارجية المحامى أحمد خير، والدكتور إبراهيم عباس أبو الريش، وأقلام صحفية، مثل، عبد العزيز حسين، ومحمد أمين حسين، ومحمد جاد الكرىم، صهر الشرفى. كما نشرت صحيفة

(١٦) الرأى العام (الخرطوم) بتاريخ ٢٢ إبريل ١٩٥٩م.

(١٧) الصراحة والزمان (الخرطوم)، ٢٨ إبريل ١٩٥٩م.

(الزمان) السودانية شكراً من الزيري، والنعمان للسودان، للعودة عن قرار الإبعاد. ويشير السياسي اليمني الراحل، حسين محمد القبلي (١٨) إلى أن الاتحاد اليمني قد كلفه، هو وزميله أحمد الخزان، بزيارة للسودان، للقيام بتجنيد عدد من المهاجرين هناك، كنواة فدائية تقوم محل الجناح العسكري للاتحاد اليمني. وقد وجدوا تعاوناً من حكومة السودان، فسمح لهما باستخدام إذاعة أم درمان، لمناوئة الإمام أحمد. ويذكر القبلي أن ممثلي الإمام قصدوا الإسكندرية، للقاء الزعيم السوداني، اسماعيل الأزهري، ليدفعوا به إلى إصدار أمر بإبعاد القبلي، والخزان، عن السودان، لكن مساعيهم خابت، واتصلا بالشرقي هناك.

كما عثرت بين وثائق الأخ قائد ناصر المعماري، في مدني، على رسالة، تعود إلى تاريخ ٢٣ مارس ١٩٥٤م، وجهها الفنان اليمني، اسكندر محمد ثابت، من القاهرة إلى اليمنيين، في مدني، يدعوهم أن يكتبوا لإذاعة مصر، بيت نشيد له، اسمه نشيد اليمن، وأنه بصدد تسجيل نشيد آخر للإذاعة المصرية، بعنوان نشيد الحرية. وقد أسهم هذا الفنان كثيراً في مناوئة المستعمر الإنجليزي، والحكم المتوكلي في اليمن، من خلال استقراره بالقاهرة.

ومن أبرز المناضلين اليمنيين بالسودان، المرحوم صالح السلامي، الذي توفي في مطلع التسعينات، في صنعاء، وكنت جلست إليه، وسجلت فيمن سجلت أسماء للمهاجرين اليمنيين، الذين عاشوا في السودان، وجعلوا منه بأكمله، وليس فقط مدينة مدني قواعداً للاتحاد اليمني أمثال ضيف الله الأبيض، وعبد ربه الصياد، وعلي محمد ناصر العرامي، وأحمد ناصر الشامي، في الخرطوم، ويحيى صالح العرامي، ومحمد عبد الوهاب الفاتش، وطاهر جبران عمران، ومحمد جبران عمران، وناجي العرامي، ومحمد علي النجيمي، في كسلا، والعرامي، في عطبرة، وسعد النوبي، والربيع، في مدني.

(١٨) حسين محمد القبلي، مذكرات القبلي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م.

ولكن هل يسير الحديث عن الأحرار اليمنيين بالسودان إلى الإكمال، بدون التوقف مع أحرار بورتسودان، الذي ذكرهم الزبيري، تحديداً، في كتابه (مأساة الواق الواق)، وعلى رأسهم السيد حسين عبد الله الحسيني (عشيش)، الذي مازال، في حفظ الله وصونه، وقد بلغ من السن عتياً.

إنه يقف ندأً للشرقي، كأحد أهم أحرار اليمن بالسودان، وهو الذي بدأ اهتمامه بالعلم والتعليم، منذ بداية حضوره إلى بورتسودان. فقد ذكر الأديب اليمني، الأستاذ عبد الله الجردوني (١٩)، في كتابه (الثقافة والثورة في اليمن)، أن الحسيني، والشيخ علي يحيى الهمداني، كانوا أعيان اليمانية بشرق السودان، وكانوا مولعين بالأبراد، وبارسال الكتب إلى مثقفي صنعاء، وتعز، وذمار، منذ منتصف الأربعينات. وأسس الحسيني أول جالية يمنية في بورتسودان، عام ١٩٥١م، وأصبح رئيساً لها ولناديها، الذي اتسم بالاهتمام بالعلم، والتعليم، شأن صاحبه، فقام الحسيني بمحو أمية ثلاثة آلاف يمني مهاجر، بشرق السودان، خاصة في بورتسودان، كانوا ضمن المسجلين في الجالية؛ فنجح في ذلك، إلى حد كبير، وأصبح النادي اليمني في بورتسودان يشهد مدرسة ليلية ومناظرات أسبوعية؛ وبدأ الحسيني وزملائه، في بورتسودان، بإصدار صحيفة (الأفق)، ذات الطابع الثقافي الاجتماعي؛ والتي أزرت حركة الأحرار إلى درجة دفعت بالحكيمة والنعمان إلى الإشادة بها، خلال تردهما على بورتسودان. وإذا كانت الجالية اليمنية اليوم، في بورتسودان، لا تزيد على ثلاثئة شخص، بعد أن توجه الشباب عائدتين إلى اليمن، أو مهاجرين من جديد في دول الجزيرة، والخليج العربي؛ لطلب الرزق فإن شخصية وطنية وفكرية يمنية مازالت تنتظر هناك على شاطئ البحر الأحمر من ينصفها من مزوري التاريخ، وما أكثرهم، في بلادنا.

ولا شك أن سطور الوفاء، التي كتبها علوي محمد الجبلي في صحيفة (٢٦)

سبتمبر)، عن المناضل الخضر أحمد صالح البعسي؛ والذي ولد بالسودان لأبوين يمنيين، وأسهم اسهاماً جريئاً في حركة تحرير اليمن من الإستعمار، والإمام تدلنا على الإسهام الأشمل، الذي كان لشباب الجالية اليمنية بالسودان عند قيام ثورة سبتمبر، وثورة أكتوبر؛ وقد فسرنا بهذه الظاهرة تناقص عدد اليمنيين بالسودان منذ ذلك الحين؛ فما أكثر من انخرط منهم في صفوف الدفاع عن الجمهورية، والإنتصار لها من نظام التخلف البائد.

ونعود إلى مذكرات الأخ حمود الشامي؛ فنجد أنه أول ما تسلم السفارة اليمنية الجمهورية في الخرطوم، قام باستبدال جوازات السفر المتوكلية، والتابعة لمحميات عدن من السلطنات على السواء، بالجوازات الجمهورية، وأشرف على انتخاب أول جالية يمنية في عهد الجمهورية باليمن، وهيئتها الإدارية، فتمكن بسبب ذلك من ممارسة نشاطات التوعية، ومقارعة أكاذيب الملكيين، ومحو الأمية، وإرسال تبرعات التجار؛ والميسورين، إلى خزانة الجمهورية في صنعاء.

وحتى حينما جاء الزيري لزيارة السودان للمرة الرابعة، بعد قيام الجمهورية العربية اليمنية، في ٣، ٢ نوفمبر من عام ١٩٦٤م في، جيت باركويت بشرق السودان، لحضور المصالحة الوطنية بين الفصائل اليمنية المتناحرة، يومئذ، في شمال اليمن كما ذكر رئيس وزراء السودان الراحل الشاعر المهندس محمد أحمد محجوب؛ في كتابه (الديمقراطية في الميزان)، دفع حمود الشامي بالمهاجرين اليمنيين إلى الذهاب إلى أركويت للتعبير عن الرفض للمصالحة مع الملكيين؛ لكنهم لم يستطيعوا الوصول إلى نقطة الملتقى (٢٠).

وختاماً لا ننسى بأن السودان كان عضواً اللجنة الثلاثية التي انبثقت عن مؤتمر القمة العربي بالخرطوم عام ١٩٦٧م من أجل حل المشكلة اليمنية، وأن مكتباً لجهة تحرير جنوب اليمن المحتل (فلوسي)، قد أنشئ بالخرطوم عام ١٩٦٦م،

كشف بأسماء طلبة رواق اليمن بالأزهر الشريف سنة ١٩٤٤م. المفق عليهم من قبل الشرفي الأب.

١	علي حريش	٥٤	علي حريش	١٨	محمد صالح السري	٥٤	محمد صالح السري
٢	محمد علي الاصول	٥٤	محمد علي الاصول	١٩	احمد عبد الرحمن الجيزي	٥٤	احمد عبد الرحمن الجيزي
٣	ابراهيم محمد	٥٤	ابراهيم محمد	٢٠	محمد علي الجيزي	٥٤	محمد علي الجيزي
٤	احمد محمد مسلم	٥٤	احمد محمد مسلم	٢١	يحيى احمد زبارة	٥٤	يحيى احمد زبارة
٥	محمد سالم باوزير	٥٤	محمد سالم باوزير	٢٢	محمد احمد الوشلي	٥٤	محمد احمد الوشلي
٦	احمد المرحوم سعيد	٥٤	احمد المرحوم سعيد	٢٣	عبد الرحمن عبد الرحمن	٥٤	عبد الرحمن عبد الرحمن
٧	عبد شمس	٥٤	عبد شمس	٢٤	احمد الصوفي	٥٤	احمد الصوفي
٨	علي عثمان سالم	٥٤	علي عثمان سالم	٢٥	احمد عبد الله القدوس	٥٤	احمد عبد الله القدوس
٩	محمد حسن الاصول	٥٤	محمد حسن الاصول	٢٦	عبد اللطيف علي حريش	٥٤	عبد اللطيف علي حريش
١٠	عبد الله احمد عبد الله	٥٤	عبد الله احمد عبد الله	٢٧	عبد القادر جعفر	٥٤	عبد القادر جعفر
١١	احمد محمد فارغ	٥٤	احمد محمد فارغ	٢٨	محمد عبد الله مريد	٥٤	محمد عبد الله مريد
١٢	حسن ابو بكر	٥٤	حسن ابو بكر	٢٩	اسلام فارغ	٥٤	اسلام فارغ
١٣	محمد علي حريش	٥٤	محمد علي حريش	٣٠	محمد عبد الله مريد	٥٤	محمد عبد الله مريد
١٤	اسماعيل عبد الله	٥٤	اسماعيل عبد الله	٣١	علي علي حريش	٥٤	علي علي حريش
١٥	محمد عبد الوهاب	٥٤	محمد عبد الوهاب	٣٢	عبد الله حريش	٥٤	عبد الله حريش
١٦	علي حيد محمد	٥٤	علي حيد محمد	٣٣	محمد عبد الله حريش	٥٤	محمد عبد الله حريش
١٧	محمد حسين الجردى	٥٤	محمد حسين الجردى	٣٤	محمد عبد الله حريش	٥٤	محمد عبد الله حريش

حفظه عزيرى المحترم الوجه المحسن الكبير لفيروز على البنا ووطنه الشيخ يحيى حسين الشرفي
 بارك الله تعالى في حياتهم وادوم سعده وبلغه مراده وحفظه بعين رعايته آمين
 بعد من يد وشرف السلام على الجناب الرفيع وصلواتكم وباركوا بكم الكرم رقم ١٧٤٤
 وسررت به كثيرا وحمدت الله على دوام عافيتكم واني اشكركم عزيرى على ما بذلتوه من المودة
 والعالية لجميع القديسات لطلبة العلم بالأزهر الشريف اليمنيه والجميع يا اخي يدعون لكم بلسان
 واحد ويشكرون فعلكم الشكور عند الله وعلمه رسوله وقد سرت ايضا بكتابكم للخدمة
 على يحيى وغيره اسأل الله الكريم ان تكونوا بكمال العافية والخير الكثير ويهديكم في دينكم
 ونياكم وعافيتكم ويجمعنا بكم على احسن حال وفعنا ما سلايس على حضوركم وجميع الاخوان
 سيدي ذارت انما نكلهم السيد حسين الكسبي مندوب جلاله أمير المؤمنين يحيى بن الحسن
 لا يحتاجكم ان مولانا الامام محمد يد على خراج الفلاس واعتقاده ان طلبة العلم في اليمن
 سالم فموا المعقودة والمحافظة على الدين هتم ان ما يمكن ان يرسل واحد رسس للطلبة العلم في اليمن
 هذه شباب اليمن ويغنوه السيد حسين الكسبي طيب جدا وقد قال لما في مرامنا ان
 انقل الاله لا يقدر بعمل الامام على ارسال الطلبة لطلبة العلم بالأزهر وقد شاورنا في
 تداروهم بغير عافية راقه بكم الامام بكم

(من وثائق الشرفي بمركز الدراسات والبحوث اليمني في صنعاء)

لنauثة المستعمر الإنجليزي في عدن، وكان يرأس المكتب الأستاذ عبد الله حسن خليفة.

ولعله من الجدير بالذكر أن أذكر القراء بمقالة هامة، كتبها الأستاذ والمناضل اليمني محمد أحمد الرعدي منذ سنوات (٢١)، في صحيفة (٢٦ سبتمبر) بصنعاء إذ عرض فيها رسالة بخط الزبيري والنعمان إلى الشرقي، في مدني ينادونه فيها بلقب أبي الأحرار اليمنيين؛ ويذكرونه بضرورة تحويل مدني إلى المركز الرئيسي لحركة الأحرار اليمنيين كما سبق واتفق معهما؛ لا سيما أن الحركة الوطنية اليمنية كانت في بعض ذلك الوقت قضية يزايد بها الزعماء على بعضهم البعض. أليس كذلك؟

(٢١) مقالة للرعدي في صحيفة ٢٦ سبتمبر (صنعاء) بتاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٨٧م، العدد رقم ٢٥٦، وهو، اليوم، سفير صنعاء لدى الخرطوم.

انظر كذلك:

- مذكرات الدكتور عبد الله حسين بركات، سفير صنعاء في الستينات لدى الخرطوم - معدة للنشر.

- ٢٦ سبتمبر (صنعاء) بتاريخ ١٧ أكتوبر ١٩٩١م، العدد ٤٦٨، حول حركة الأحرار اليمنيين في السودان.

- محمد أحمد محجوب، الديمقراطية في الميزان، دار النهار، بيروت، ١٩٧٣م.

﴿ الفصل الخامس ﴾

أواصر الفنون

فنانون سومانيون:

(١) الطيب عبد الله: ولد بالسودان، لأب يميني، وأم سودانية. عرف كملحن، ومطرب مرموق في السودان. حاول الاستقرار في اليمن، فلم يفلح.

(٢) ناجي القدسي: ولد بالسودان، لأب يميني وأم ارترية. عرف كملحن كبير في السودان، ثم عاد، واستقر في صنعاء، منذ الثمانينات، فغَيَّرَ اسمه إلى ناجي الهيثمي. وأراد أن يشق طريقه في الفن، في صنعاء، فأخفق. داهمه المرض النفسي، وقيل العقلي، فمنعه من أن يتبوأ مكانة في الطرب اليمني. التحق، مؤخراً، بالطريقة الصوفية البرهانية، وصار من دراويشها، في اليمن.

(٣) عثمان عبد الرحمن علي حسين اليمني: ولد بالسودان، لأب يميني، وأم سودانية. عرف كمطرب كبير، وعازف على آلة الطمبور.

(٤) جيلاني محمد عبد الله الشيخ: ولد بحضرموت، لأب سوداني، وأم يمنية. وكان أبوه يعمل مدرساً في حضرموت. برع في التلحين، والعزف على الكمنجة.

(٥) حجازي علي ناصر: ولد بالسودان، لأب يميني، وأم سودانية. كوميدان، وممثل مسرحي.

(٦) حسين عثمان بازرة: من أسرة بازرة اليمنية، في شرق السودان. ولد بالسودان، ونبغ في كتابة شعر الأغنية السودانية. جاء، في السيتينات، إلى حضرموت، يبحث عن أصوله، وكتب في اليمن الشعر. اعتزل كتابة شعر الأغنية، منذ فترة، واستقر في مدينة جدّه، بالملكة العربية السعودية.

(٧) حسين السيد: ولد بالسودان لأب يمني وأم سودانية. احترف الغناء، في صباه، في السودان، وكان قائداً لفرقة موسيقية شبابية العناصر، وتستخدم آلات الموسيقى الأوربية، وكان يتنقل بها بين المدن والقرى. برع كقاص في عدن.

(٨) سعيد عبد الله المحمدي: ولد بالسودان، لأب يمني حضرمي، من وادي المحمدين، عام ١٩٥٩م، في مدينة بورتسودان. سجلت له خمسة عشر أغنية بتلفاز وإذاعة أم درمان. عاد إلى حضرموت، عام ١٩٩٠م، وحاول التواصل الفني مع عميد الأغنية الحضرمية، السيد حسين أبو بكر الحضار، فلم يوفق. تأثر في فنه السوداني الطابع بالفنان عثمان حسين، والفنان زيدان إبراهيم.

(٩) أحمد عوض ريشة: ولد بالصومال، لأي يمني، وأم صومالية. نشأ بالسودان، ونال شهادة من معهد الموسيقى، والمسرح بالخرطوم. برع في التلحين والغناء الصومالي، واليمني، والسوداني. استقر، منذ سنوات، في أبي ظبي. (١٠) محمد عبده العراسي: ولد بالسودان، لأب يمني، وأم سودانية. برع في أداء الأغنية السودانية، وقلد الفنان السوداني، محمد وردي. استقر بصنعاء، منذ فترة وجيزة.

(١١) محمد سعيد باجسير: يروي لي المؤرخ السوداني، محفوظ عمر باشري، أن باجسير من أسرة حضرمية، سكنت بشرق السودان، وأنه كان يقرض شعر الأغنية.

(١٢) علوي محمد الجبلي: ولد ببورتسودان، لأب يمني، وأم سودانية. كتب في الصحافة الفنية بمصر، يمتدح فن الفنان اليمني، محمد مرشد ناجي. وصار رئيساً

لرابطة الفنانين بشرق السودان. رعى بازرعة موهبته، في كتابة شعر الأغنية. اشتغل بالصحافة واستقر، منذ سنوات، يعمل بها، في أبي ظي.

(١٣) محمد ناجي: من أب يميني، وأم سودانية، ويعد مغني أغاني الحقيبة بالسودان، الأول في الفرقة الموسيقية السودانية بصنعاء.

(١٤) آدم الحاج: من أب يميني وأم سودانية. مطرب بالفرقة الموسيقية السودانية، بصنعاء.

(١٥) أحمد محمد الجبلي: من أب يميني، وأم سودانية. يعمل بالصحافة، ويعد من أحسن من يقلد غناء المطرب السوداني، محمد وردي.

(١٦) أحمد العدادي: فنان يميني شاب عاش بالسودان، وتزوج فيها، وبرغ في الغناء اليمني التراثي، والسوداني، على السواء.

اغنيات سومانية

- ١ - أغنية (مراهقة) (١)

شعر: لطفي أمان

لحن وغناء: حمد الريح

منع الفنان الريح من تسجيلها لإذاعة أم درمان لجرأة كلماتها.

- ٢ - أغنية (روعة تعز)

شعر: محمد أحمد سوركتي

لحن وغناء: محمد صالح شوقي

بها توظيف للسلم الخماسي

- ٣ - أغنية (يا حديدة)

(١) لطفي أمان، على الدرب الأخضر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.

- شعر: محمد أحمد سوركتي
لحن وغناء: محمد صالح شوقي
- ٤ - نشيد (هتاف الطلائع العربية)
شعر: ابراهيم الكامل محمد أحمد
لحن وغناء: كرامه مرسال
- ٥ - أغنية (تعبنا معاك)
شعر: محمد مجذوب علي
لحن وغناء: صديق أحمد
- ٦ - نشيد (عاش الشعب)
شعر: محمد مجذوب علي
لحن وغناء: صلاح ابن البادية
- كُتبت ولحنت، في عدن، عام ١٩٦٣م، بمناسبة ثورة أكتوبر السودانية.
- ٧ - نشيد (الوحدة اليمنية)
شعر ولحن وغناء: معتصم الأزيرق
السلم حماسي
- ٨ - أغنية (إخلاص)
شعر: عبد الرحمن الرياح
لحن وغناء: محمد جبران
السلم حماسي
- ٩ - أغنية (هدهد سبأ)
شعر: محمد أحمد سوركتي
لحن: بشير عباس

- ١٠ - نشيد (لشعبي هذا النشيد) (٢)

شعر: محمد حسين الجحوشي

لحن وغناء: محمد وردي

- ١١ - مقطوعة موسيقية (أمنية)

لحن: أحمد قاسم

من وحي الخرطوم

- ١٢ - أغنية (حبيبي له جمال)

شعر: أحمد شريف الرفاعي

لحن وغناء: اسكندر محمد ثابت

توظيف حماسي

- ١٣ - أغنية (يا زهر)

شعر ولحن: محمد مجذوب علي

- ١٤ - أغنية (طمعان في ليلة)

شعر ولحن: محمد مجذوب علي

- ١٥ - أغنية (شرفة الأشواق)

شعر: عبد الصمد عبد الجبار ردمان

لحن: ناجي القدسي

توظيف للسلم السباعي

- ١٦ - أغنية (نهاية حب)

شعر: محمد عبد الله الشيخ

لحن وغناء: أبو بكر سالم بلفقيه

قيلت في فتاة حضرية، في غيل باوزير، أواخر الخمسينات. منها:

(٢) محمد حسين الجحوشي، ما لم تقله الغيوم، دار الهداني، عدن، ١٩٨٣م.

التقينا وافترقنا أبديا

فأراها كخيال وكحلم وسراب

- ١٧ - أغنية (يا صديق مالك مشغول بالك)

شعر: د. مبارك حسن الخليفة

لحن وغناء: مهدي قباس

سبق للفنان السوداني، سيد خليفة، تلحينها

- ١٨ - أغنية (من نظرتك يا زين)

شعر: محمد عبد الله الشيخ وأبو بكر سالم بلفقيه

لحن: أبو بكر سالم بلفقيه

غناء: نجاح سلام

يروي لي الفنان جيلاني، وهو ابن الشاعر محمد عبد الله الشيخ، المدرس السوداني، الذي عاش بحضرموت، وأنجب جيلاني من أم حضرمية، بأن كلمات هذه الأغنية، أساساً، من تأليف والده، زمن اقامته بعدن. لكن الديوان الذي يزمع الفنان بلفقيه إصداره من كلماته، أيضاً، يضم نفس القصيدة. ومن قصيدة أخرى للشاعر الشيخ، المكتوبة بحضرموت:

يا مسحها

يا دافئ الألوان

يا حريقي

المسح: ثوب المرأة في حضرموت.

- ١٩ - أغنية (أغلى الهدايا) للطفل

شعر: محمد مجذوب علي

لحن: يحيى محمد مكي

- ٢٠ - أغنية (السهر بطل علينا) للطفل

- شعر: محمد مجذوب علي
لحن: يحيى محمد مكّي
- ٢١ - أغنية (لا تهملوا الأطفال) للطفل
شعر: محمد مجذوب علي
لحن وغناء: حسن محمد فقيه
- ٢٢ - أغنية (من زمان)
شعر: محمد مجذوب علي
لحن وغناء: أحمد أحمد قاسم
- ٢٣ - أغنية (تسألني عن حالي)
شعر: محمد مجذوب علي
لحن وغناء: حسن محمد فقيه
- ٢٤ - أغنية (وأنا الأمي أبصم)
شعر: محمد مجذوب علي
لحن وغناء: محمد سالم بن شامخ
- ٢٥ - أغنية (هوه)
شعر ولحن وغناء: فرسان عبد الله خليفة
السلم خماسي
- ٢٦ - أغنية (أحبك وأنت تتكبر)
شعر: قيس غانم نعمان
لحن وغناء: فرسان خليفة
السلم خماسي
- ٢٧ - أغنية (أطفال حارتنا) للطفل (٣)

(٣) د. مبارك حسن الخليفة، الرحيل النبيل، مؤسسة ١٤ أكتوبر، عدن، ١٩٨١ م.

شعر: د. مبارك حسن الخليفة

لحن وغناء: علوي الكاف

- ٢٨ - نشيد (مقاطع للوطن) (٤)

شعر: د. مبارك حسن الخليفة

لحن وغناء: علوي الكاف

- ٢٩ - أغنية (دودحية) (٥)

شعر: محمد مجذوب علي

لحن وغناء: علوي الكاف

- ٣٠ - أغنية (يا حبيب يسعد صباحك)

شعر: أحمد شريف الرفاعي

لحن: أحمد قاسم

غناء: صباح منصر

توظيف حماسي

- ٣١ - نشيد (موطني)

شعر: لطفي جعفر أمان

لحن: خالد صوري

سلم حماسي

- ٣٢ - أغنية (مرثية للطفلي أمان)

شعر: أحمد الجابري

لحن خالد صوري

سلم حماسي

(٤) المصدر نفسه.

(٥) محمد مجذوب علي، قمري والمذ والجزر، دار الهمداني، عدن.

- ٣٣ - أغنية (وردي)

شعر: لطفي أمان

لحن: خالد صوري

سلم حماسي

قدمها لطفي للفنان محمد وردي، في عدن، عام ١٩٦٣م، فلم يلحنها وردي، وإنما لحنها خالد صوري، على السلم الخماسي، ثم اشتهر لحنها الآخر للفنان، أحمد قاسم (٦).

- ٣٤ - أغنية (الصباح الجديد)

شعر: ابو القاسم الشابي

لحن وغناء: جمال محنش

السلم حماسي

- ٣٥ - أغنية (أنا في عينيك)

شعر ولحن وغناء: جمال محنش

السلم حماسي

- ٣٦ - أغنية (أنا وأنت والليل)

شعر: علوي محمد الجبلي

لحن وغناء: صالح الضي

- ٣٧ - أغنية (عبث شباب)

شعر: علوي محمد الجبلي

لحن وغناء صالح الضي

- ٣٨ - نشيد (سبتمبر ٢٦ شمس الثورة الوهاجة)

(٦) انظر مقالة لعلوي الجبلي في صحيفة (اليقظة) العدنية بتاريخ ١٥ أكتوبر

١٩٦٣م.

شعر: محمد باب الله عبد الوهاب

لحن وغناء: حسن محمد فقيه

- ٣٩ - أغنية (خلق ربي الجمال وأبدع)

شعر: محمد باب الله عبد الوهاب

لحن وغناء: سعيد عبد الله الشعوي

- ٤٠ - أغنية (نهيتك عن هواك)

شعر: مجهول

لحن وغناء: رفيق محمد أحمد

السلم خماسي

- ٤١ - أغنية (انساه يا قلبي الحزين)

شعر: جميل محمد أحمد

لحن وغناء: رفيق محمد أحمد

السلم خماسي

- ٤٢ - أغنية (أحب فيك الدلال)

شعر: جميل محمد أحمد

لحن وغناء: رفيق محمد أحمد

السلم خماسي

- ٤٣ - أغنية (على النيل)

شعر: صالح علي مغلس

لحن وغناء: رفيق محمد أحمد

السلم خماسي

- ٤٤ - أوبريت (اليمن)

شعر: د. مبارك الخليفة

لحن: محمد المحسني

- ٤٥ - أغنية (قلي على اليمن)

شعر: د. مبارك الخليفة

لحن وغناء: نجيب سعيد ثابت

- ٤٦ - نشيد (الوحدة)

شعر: د. مبارك الخليفة

لحن: يحيى مكى

- ٤٧ - أغنية (حب لليمن)

شعر: د. مبارك الخليفة

لحن وغناء: خالد محمد علي

- ٤٨ - أغنية (بادلوننا)

شعر: علوي محمد الجبلي

لحن: برعي محمد دفع الله

- ٤٩ - أغنية (بشوف المسافر)

شعر: علوي محمد الجبلي

لحن وغناء: محمد وردي

- ٥٠ - (حصاد شعب) (٧)

شعر: محمد مفتاح الفيتوري

لحن: عبد الصمد القليسي

- ٥١ - مجموعة أغان للطفل، بتلفاز صنعاء، في الدورات الرمضانية

شعر: محمد علي عثمان

لحن: ملحنون يمنيون

(٧) محمد مفتاح الفيتوري - عاشق من افريقية.

- ٥٢ - أغنيات متنوعة، على السلم الخماسي، للشاعر الملحن اليمني، حسن غازي بارحمه.

- ٥٣ - أغنيات متنوعة، للملحن اليمني، أحمد عوض، الشهير في السودان بأحمد ريشة. فقد درس هناك علومه الموسيقية، وأكثرها للشاعر الحضرمي، محمد سالم بن بريك، المقيم بدولة الإمارات العربية المتحدة. كما وضع أحمد ريشة عدداً من الألحان، بالسلم الخماسي، لشعراء من السودان.

- ٥٤ - أغنية (تعالى فوق يالها لك هلا)

شعر: عبد الغفار أحمد جميل

لحن وغناء: جلال كسلا - فنان سوداني عاش باليمن

- ٥٥ - أنشودة (السلام)

شعر: عبد الغفار أحمد جميل

لحن: أحمد محمد نور شمت

غناء: طلاب المدرسة الدولية بصنعاء، ومدرسة الأيتام، والمدرسة اليمنية

الحديثة، بصنعاء.

- ٥٦ - قصيدة (بين صنعاء وأم درمان)

شعر: محمد علي عثمان وعبد الغفار أحمد جميل

لحن وأداء: أسرة ربوع السودان

- ٥٧ - أغنية (حمامة السلام)

شعر: عبد الغفار أحمد جميل

لحن وغناء: عبد الرحمن عبد الله

كُتبت ولحنت بصنعاء

- ٥٨ - أنشودة (علم الوحدة) - سلم سباعي

شعر: عبد الحميد المهدي

لحن: أحمد محمد نور شمت
غناء: طلاب مدرسة الأيتام بصنعاء اخراج: علي حسين
- ٥٩ - ملحمة (الأبحاد) - سلم سباعي
شعر: المرحوم عباس المطاع
لحن: أحمد محمد نور شمت
غناء: طلاب مدرسة الأيتام بصنعاء، غير تلفاز صنعاء
- ٦٠ - أغنية (العصفور) - سلم سباعي
شعر: عبد الملك الوداعي
لحن: عبد الملك الوداعي وأحمد محمد نور شمت
غناء: طلاب مدرسة الأيتام بصنعاء
- ٦١ - أغنية (شذى الأشواق)، عن الوحدة اليمنية - سلم سباعي
شعر: عبد الرحمن اسماعيل عثمان سكاب
لحن: أحمد محمد نور شمت
غناء: طلاب مدرسة الأيتام بصنعاء، غير تلفاز صنعاء
اخراج تلفزيوني: عبده العرامي
- ٦٢ - أنشودة (تلاقت سبأ) سلم سباعي
شعر: عبد الرحمن اسماعيل عثمان
لحن: أحمد محمد نور شمت
غناء: طلاب مدرسة الأيتام بصنعاء
- ٦٣ - أنشودة (السودان) - سلم حماسي محض
شعر: عبد الرحمن اسماعيل عثمان
لحن: أحمد محمد نور شمت، وشاركه بآلة السكسفون، العازف اليمني، عبد
الكريم عائض.

الله سم ملحة الأجاد " مقدسة "
كلمات بهاس المطاع



- ملحة الأجاد، تدوين ونسخ / أحمد محمد نور شمت.

عزف وغناء: الفرقة السودانية بصنعاء، وقد بثها تلفاز أم درمان.

- ٦٤ - أغنية (سلوكيات)

شعر: عبد الكريم الجرادي

لحن: صالح عبده صالح

غناء: طلاب مدرسة الأيتام بصنعاء، وقد مسرحه الأستاذ عبد الرحمن قسم

الله.

- ٦٥ - اسكتش غنائي للأطفال (القلق والبلايل) - سلم سباعي

شعر: علي أبو ذراع

لحن: أحمد محمد نور شمت

غناء: تلميذات مدرسة آزال حده

- ٦٦ - نشيد (الشهداء)

شعر: د. عبد العزيز المقالح

لحن: أحمد محمد نور شمت

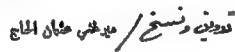
غناء: تلاميذ وتلميذات آزال حده

- ٦٧ - أغنية (حب)

شعر: أحمد صالح الخوري

لحن وغناء: الطيب عبد الله

طمان :- الأستاذ / عبد الرحمن بن سماحيل العتيق
 الخانة :- الأستاذ / أحمد محمد نور شمس



- انشودة اليقين (انشودة السودان)، تدوين ونسخ / ميرغني عثمان الحاج.

أغاني كردفان واحدة سباعية في محيط خماسي

يعزو الموسيقار السوداني الراحل، جمعة جابر، والموسيقار السوداني، عبد القادر سالم، وجود أغنيات تقوم على السلم السباعي في كردفان، بغرب السودان، إلى هجرات قبائل جهينة اليمنية إلى تلك المنطقة، بعد الإسلام. والواقع أن هذه الأغنيات أقرب إلى النكهة اليمنية، أو الليبية، منها إلى المصرية، وقد لاحظ العلماء ذلك. لكن ليست كل أغنيات كردفان على السلم السباعي، فأكثرها، حقيقة، على السلم الخماسي، ولكن هذه المنطقة تتميز بتعايش السلمين فيها. وإلى النماذج:

- أغنية (البريق الضوا)

المقام: يياتي

أداء: عبد القادر سالم

- أغنية (الليموني) مع رقصة الجراري

أداء: مريم بشارة

- نشيد (مارش البقارة) وهو نشيد عسكري لقبائل البقارة بغرب السودان

- نشيد (مارش مندي) وهو نشيد عسكري فولكلوري بكردفان. أداء: زين

العابدين أحمد

أغنية (بركب المشترك) تؤدي مع رقصة المردوم

المقام: يياتي

أداء: عبد القادر سالم

- أغنية (جيناكي زي وزين)

المقام: كرد

أداء: عبد القادر سالم

- مارشات علي دينار



- نوات موسيقية سودانية خارجة عن السلم الخماسي

(جمعة جابر، تراثنا ومفهوم السلم الخماسي).

- مارشات جبال النوبة

- أغنية (نوبة ميري)

- غناء الهداي والحكامه في الكاتم

مقاماته عربية، ويسمي البقارة في جنوب كردفان، وفي دارفور الشاعر المغني بالهداي. والشاعرة المغنية بالحكامه.

- في غرب دارفور تجد مقامات العجم والكرد، والحجاز كار كرد، وتجد آلة موسيقية عربية النسبة، هي آلة (أم كيكي) (٨).

- أغنية (قل لمن مل هوانا)

أداء: عبد القادر سالم

هذه الأغنية بحاجة إلى وقفة؛ فهي موجودة في التراث الموسيقي للخليج العربي، أيضاً. كما يشير إلى ذلك الأستاذ أحمد علي، في كتابه (الموسيقى والغناء في الكويت) (٩)، والدكتورة حصة السيد زيد الرفاعي، في كتابها (أغاني البحر / دراسة فلكلورية) (١٠).

أما في اليمن، فقد ذكر الدكتور غانم الأب، في كتابه (شعر الغناء الصنعاني) (١١)، أنها ذات نكهة يمنية يافعية. بينما ذكر الأستاذ محمد مرشد ناجي، في كتابه (الغناء اليمني القديم ومشاهيره) (١٢)، أنها من الأغنيات التي سجلها الفنان

(٨) علي الضو، وعبد الله محمد، الآلات الموسيقية التقليدية في السودان، الخرطوم،

١٩٨٥م.

(٩) أحمد علي، الموسيقى والغناء في الكويت، شركة الربيعان، الكويت، ١٩٨٣م.

(١٠) د. حصة السيد زيد الرفاعي، أغاني البحر / دراسة فلكلورية، مطبعة ذات

السلاسل، الكويت، ١٩٨٥م.

(١١) د. محمد عبده غانم، شعر الغناء الصنعاني، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧م.

(١٢) محمد مرشد ناجي، الغناء اليمني القديم ومشاهيره، دار الطليعة، الكويت،

١٩٨٣م.

اليمني الراحل، ابراهيم محمد الماس.
لكن أول من نشرها كان الأديب اليمني، أحمد بن محمد الشرواني (ت
١٨٣٧م)، الذي عاش في مصر، سنة ١٨٠٥م، وذلك في كتابه (نفحة اليمن)،
الصادر في بومبي بالهند، عام ١٨١١م.

القصص الشعبية المشتركة:

يشير الدكتور عبد المجيد عابدين^(١٣)، في كتابه (تاريخ الثقافة العربية في
السودان)، إلى وجود قصص شعبية، وسير دينية مشتركة، في السودان واليمن:

١ - فتوح اليمن الكبرى - سيرة دينية

٢ - سيف بن ذي يزن - قصة شعبية

ومن المتوقع أن تكون الباحثة اليمنية، الأستاذة نهلة عبد الله، قد فرغت من
مناقشة دراستها أمام اتحاد نساء السودان حول السيرة المقارنة، لتاجوج، والمخلق،
وللدودحية، في كل من شرق السودان، ووسط اليمن، على التوالي.

وقد تنبه المستشرق البريطاني الراحل (ت ١٩٩٣م)، البروفسور روبرت
سارجنت^(١٤)، إلى تشابه لُداء المديح النبوي، في كل من السودان وحضرموت،
وما أكثر المدائح النبوية، التي تقوم على قصائد الشاعر اليمني، عبد الرحيم البرعي،
من منطقة برع، في الانشاد الديني والصوفي السوداني، وهو بالمناسبة ليس عبد
الرحيم البرعي، صاحب الزرية، في غرب السودان، الذي كرمه الزعيم السوداني،

(١٣) د. محمد عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلى

العصر الحديث: الدين / الإجماع / الأدب، المطبعة التجارية، بيروت، ١٩٦٧م.

(١٤) الدكتور روبرت سارجنت، نثر وشعر من حضرموت، [بالإنجليزية]، جامعة

لندن، ١٩٥١م.

الفريق عمر البشير. والولي العدني العيدروس هو، أيضاً، مذكور في أغاني الأطفال

بالسودان، مثلما هو الحال في أغاني الأطفال باليمن:

العيدروس ساكن عدن

قال للسما احلب لبن

تري السما حلب اللبن

وما أكثر ورود الرمز اليمني في الغناء التراثي بالسودان، مثل غناء الحقبة:

١ - الشام واليمن جات زايه لسواح ذو الحيا النايه

٢ - يا تحفة الشام واليمن. للشاعر الفنان خليل فرح

٣ - كيف يا صاح وكيف بيها نقيسه

والحويده تفوق بالجمال (بلقيسه)

المسرح والسينما:

فيلم (ويبقى الأمل)، فيلم سوداني حديث، مدته ساعتان، يعالج عدداً من المشاكل الاجتماعية في المجتمع السوداني. وقد قام ببطولته: محمود ميسرة السراج، ومنال بدر الدين، وسهير الرشيد، وياسر رضا، وآخرون. والفيلم من اخراج عبد الرحمن محمد عبد الرحمن. أنتج الفيلم الأستاذ محمد عبد الله ناصر عليه، وهو أحد أبناء منطقة شبوه اليمنية، الذين احترفوا العمل التجاري في المهجر السوداني، وقد أنشأ شركة خاصة به للإنتاج الفني، والتوزيع السينمائي. بلغت تكلفة الفيلم سبعة عشر مليون جنيه سوداني.

وحيثما عرض الفيلم في عامنا [١٩٩٤م]، في صنعاء، حضر حفلته عدد من المهتمين، ومن بينهم الناقد السوداني المقيم باليمن، الأستاذ عادل السعيد، والذي يشتغل بالصحافة اليمنية، منذ فترة ليست بالقصيرة. وقد نشر عادل السعيد انطباعاته عن الفيلم، ومنها: «هذا الشريط ينطلق من اللحظة السودانية الراهنة،

بكل تعقيداتها وتشظيها النفسي والسياسي، وينتمي لتيار الواقعية الجديدة في السينما المهمة بقول كل شيء، دفعة واحدة، وتبدو في محاولاتها وإصرارها على ملامسة كل البؤر والوقائع، لاهثة مقطوعة الأنفاس، تكتفي، في الغالب، بالإعلان عن حالة ما، دون أن تخوض في تفاصيلها، مما يجعل مهمتها أكثر صعوبة، من الناحية الفنية، حتى بالنسبة لكاتب السيناريو المتمرسين، والمخرجين أصحاب التجارب الطويلة. ولعل ضعف السيناريو قد انعكس على النحو الواضح في مستويات الشريط الأخرى، من تمثيل، ومونتاج، وإخراج؛ فتعددت خيوط الشريط، وسياقاتها المتباينة والمتداخلة، في نفس الوقت وأدى ذلك إلى ضياع الوعود القوية والجريئة، التي أعلن عنها كاتب السيناريو، الأستاذ عادل محمد خير، الذي اهتم برونق وجمالية الحوار، أكثر من اهتمامه بوظيفيته؛ ففات عليه، مع تعدد الخيوط والبؤر التي حاول طرحها، استجلاء الملامح الحقيقية لشخصه، التي بدأت تجريدات إنسانية، تجمعها أكثر من معاناة، وتلتقي عند أكثر من منعطف، رغم الجهود التي بذلها، مضاعفة، الممثلون، للحفاظ على إيقاع العمل، الذي كان يمكن معالجته في مرحلة المونتاج، باعتبارها المرحلة الرئيسة لضبط إيقاع الشريط وتماسكه، ولكن يبدو أن المونتاج تحمل عبء ضعف السيناريو، وكذلك الحال بالنسبة للإخراج».

أما بالنسبة للمسرح، فلا بد من التوقف عند الدور الكبير، الذي لعبه المدرسون السودانيون، منذ أواخر الثلاثينات، في إدخال المسرح المدرسي في حيزهم. ويذكر الناقد اليمني، الأستاذ سعيد عولقي، في كتابه (سبعون عاماً على المسرح في اليمن) (١٥)، هذا الإسهام الرائد، ويذكر أهم شخصيتين لعبت دوراً فيه، وهما الشيخ القدال سعيد القدال، الذي أخرج مسرحية (الأمين والمأمون)، ومسرحية (رجل الأوهام)، والأستاذ عوض عثمان مكّي، وقد كانت

(١٥) سعيد عولقي، سبعون عاماً على المسرح في اليمن.

بطولة المسرحيتين للمدرسين السودانيين الشبان، ولطلبتهم في المدارس الأولية الحكومية بالمكلا. وقد كتبت صحيفة (فتاة الجزيرة) تعليقاً حاداً عن هاتين المسرحيتين^(١٦). كما أدى تبني المدرس السوداني سيد أحمد نقد الله لمسرحيات الحضرمي، علي أحمد باكثير، الوطنية في المسرح المدرسي، خاصة عن ثورة أندونيسيا، إلى طرد السلطات الإنجليزية له من حضرموت، قبل انتهاء مدة عمله. كذلك كان من رفاق القدال، في إيجاد المسرح المدرسي، محبوب زيادة حمور، وسيد أحمد صادق، وحتى فترة ابراهيم الكامل محمد أحمد في المكلا، في السبعينات، وجمع آخر.

وفي شمال اليمن، وفي مطلع الثمانينات، حضر إلى اليمن المخرج المسرحي السوداني، دفع الله أحمد البشير، والذي كان لوجوده أثر في تنشيط المسرح، بمدن مختلفة باليمن، لكنه ما لبث أن غادر البلاد.

وفي صنعاء، قدم المدرس السوداني عبد الغفار أحمد جميل ثلاثة من الأعمال التي مُسّرت هن:

- ١ - أوبريت الوحدة اليمنية؛
 - ٢ - أوبريت السلام؛
 - ٣ - مسرحية ثرية، في خمسة فصول، بعنوان (من تاريخ اليمن). وقد قام الأستاذ أحمد شمت بوضع الموسيقى التصويرية لها، ومثلت بصنعاء.
- وحتى من السودان، كان المسرحيون السودانيون يتفاعلون مع الأحداث في اليمن، ولعل المثال الأبرز على ذلك مسرحية (عرس القرية)، التي تحكي قصة من قصص حرب التحرير اليمنية، للمسرحي والشاعر السوداني الراحل، بدر الدين هاشم. وقد قدمت، في مطلع الستينات، على خشبة مسرح نادي الأشبال، بحي بري بالخرطوم.

(١٦) انظر صحيفة (فتاة الجزيرة) العدنية، بتاريخ مايو ١٩٤٢م.

وكان للدكتور محمد عبد القادر بافقيه اشتغال بالمسرح، عندما درس في مدارس السودان وجامعاته، منذ منتصف الأربعينات، ومن ذلك:

(١) قام بتمثيل مسرحيتين للكاتب الارلندي الساخر، برنارد شو، هما (سان جون)، و (آرمس أند ذي مان)، بالإنكليزية.

(٢) رثى الكاتب المسرحي برنارد شو، في مجلة (الشباب) الخرطومية.

(٣) كتب بالإنكليزية مسرحية طريفة، بعنوان (عقل آخر)، من ابتكاره.

كما تلقى عدد من اليمنيين في السودان ثقافتهم المسرحية، ومن ذلك:

(١) الصحفي الأستاذ عبده حسين أحمد، صاحب عمود (كركر جمل)،

بصحيفة (الأيام) العدنية. وكان قد درس بمعهد بخت الرضا بالدويم بالسودان.

(٢) الدكتور أحمد النميري، محاضر الأدب الأنكليزي بكلية الآداب بجامعة

الخرطوم. وهو من أبناء المهاجرين اليمنيين بالسودان.

(٣) الدكتور أحمد عبد الله عارف، مدرس الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب

بجامعة صنعاء، وقد درس بجامعة أم درمان الإسلامية. وقام هناك بتمثيل مسرحيتين

هما: (هاربة)، و(احتراق الدموع).

وفي منتصف السبعينات، نشرت دار النشر بجامعة الخرطوم، مسرحيتين

شعريتين، للشاعر والمسرحي اليمني البروفسور محمد عبده غانم، والذي كان يعمل

أستاذاً للأدب العربي بكلية الآداب بجامعة الخرطوم، في ذلك الوقت، وهما: (عامر

بن عبد الوهاب)؛ و(الملكة أروى). وقد أهداهما الدكتور غانم الأب إلى صديق

عمره الشاعر السوداني البروفسور، عبد الله الطيب، وقام بكتابة المقدمة المسرحي

السوداني المعروف، الدكتور خالد المبارك، كما أخرج مسرحية (الملكة أروى)،

إذاعياً، من القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية من لندن، القاض السوداني

العالمي، الطيب صالح. وفيما بعد، كتب الدكتور غانم الأب مقدمة لمسرحية من مسرحيات الدكتور خالد المبارك، وعنوانها (ريش النعام) (١٧)، تحكي عن دخول العرب إلى السودان.

وللمرء أن يستبشر بوجود عدد من المدرسين والمشتغلين بالمسرح، اليوم، في صنعاء، وغيرها من بلاد شمال اليمن، ومن هؤلاء:

- (١) محمد سيد أحمد، في تعز.
- (٢) محمد مصطفى الأمين، وله اهتمام خاص بالسينما.
- (٣) عادل السعيد، الناقد المسرحي والصحفي.
- (٤) الدكتور ناصر الشيخ، وهو من الأخصائيين في فن الحركة والرقص.
- (٥) محمد كباشي محمد، في صنعاء - معهد الشوكاني.
- (٦) عبد الله حسن، في عمران.
- (٧) كامل النور.
- (٨) أحمد عبد الكريم وهو، في الوقت نفسه، رئيس هيئة العاملين السودانيين باليمن، ورئيس البعثة التعليمية السودانية بوزارة التربية والتعليم باليمن.
- (٩) الفاتح محمد البدوي - معهد الشوكاني.
- (١٠) محمد مبارك - مدرسة الأيتام بصنعاء.
- (١١) مصطفى آدم دراج - الحديدة.
- (١٢) محجوب محمد أحمد - المعاهد العلمية.
- (١٣) شمس الدين يونس، وقد أسهم أعظم إسهام في تأليف وإخراج مسابقات رمضان (١٩٩٤م)، بتلفاز صنعاء.

(١٧) من إصدارات دار النشر بجامعة الخرطوم:

- (الملكة اروى)، و(عامر بن عبد الوهاب)، للدكتور محمد عبده غانم.

- (ريش النعام)، للدكتور خالد المبارك.

المنهجية في تدريس المسرح بمدرسة الأيتام بصنعاء. من أعماله:

(١٤) عبد الرحمن قسم الله - مدرسة الأيتام بصنعاء. كان وصوله لليمن، عام ١٩٨٩م، فتنقل في عدة محافظات. أسهم، أيضاً، بتعليم الموسيقى، وأدخل - ١ - إخراج مسرحي، لمسرحية (البقرة)، للمسرحي اليمني عبد الكريم الرازحي.

- ٢ - إخراج مسرحية (تصاريف الأقدار)، للمؤلف والشاعر والفنان اليمني، عبد الملك الوادعي. قام بمسرحة العمل المدرس السوداني، محمد مصطفى الجيلي.

- ٣ - إخراج عمل (سلوكيات)، للكاتب عبد الكريم الجرادي.

- ٤ - إخراج عمل (الوحدة اليمنية)، للكاتب عبد الحميد المهدي.

- ٥ - إخراج مسرحية إنجليزية، بعنوان (الجيل الصاعد).

وجميعها من تمثيل طلبة مدرسة الأيتام بصنعاء. كذلك

- ٦ - إخراج مسرحية (بناء اليمن)، للكاتب عبده العرامي، وقام بالتصميم والإخراج الفني، الأستاذ عبد الحميد جماع. أما الأستاذ محمد مصطفى الجيلي، فقد أنشأ صحيفة للأطفال، اسمها (اليمن السعيد)؛ كذلك نشرت له مطابع وزارة التربية والتعليم بصنعاء، في يناير ١٩٩٢م، قصة للأطفال، من تأليفه، بعنوان (وحدة الأرض المعطاءة)، وقرياً يصندر له عن الوزارة قصة جديدة للأطفال، بعنوان (جنة القروء).

النشاط الموسيقي السوداني في صنعاء:

نبدأ بذكر (الفرقة الموسيقية السودانية)، وفرقة أو (أسرة ربوع السودان)، وهي تتكون من دارسين، ومن هواة، ومن طلاب موهوبين. لكن الموسيقى ليست إلا واحدة من عدة نشاطات لأسرة ربوع السودان والتي تهتم بكل النشاطات في

الفنون، وتقدم الفرقان حفلات ناجحة للعالية السودانية في اليمن، فقد رافقت هذه المواهب الفنية حضور المطربين السودانيين باليمن، بحيث يعزفون أغاني المطرب الزائر، بينما يركز هو على الغناء، وهو ما لم يتيسر، مثلاً، للفنان اليمني، أحمد فتحي، وأحمد السنيدار، ومحمد حمود الحارثي في الحفلات التي أحيوها في الخرطوم، في مطلع الثمانينات، ضمن مهرجان الثقافة السوداني، حينئذ. أما بالنسبة لأسرة ربوع السودان، فإنها تحيي الليالي المسرحية والفنية في كل المناسبات الوطنية للسودان في اليمن.

ومن مدرسي الموسيقى السودانيين باليمن، اليوم:

(١) صالح عبده صالح - مدرسة الأيتام بصنعاء.

(٢) بدر الدين ود القنا - معهد المعلمين العام بصنعاء.

(٣) ميرغني عثمان - مدرسة الموسيقى العسكرية بصنعاء.

(٤) زين العابدين أحمد خليفة - معهد الشوكاني بصنعاء.

(٥) محمد أحمد محمد نور - لواء ذمار.

(٦) أحمد محمد نور شمت - مدرسة الأيتام بصنعاء.

(٧) محمد عيسى محمد.

(٨) بدري محمد الكيلة في صنعاء.

سرّ اسم عديلة في أغنيات صلاح أحمد محمد صالح:

في الخمسينات، ذهبت مجموعة من النساء العدنيات، لتلقي العلوم في السودان، ومنهن السيدة عديلة غالب، والتي أصبحت فيما بعد، تعرف بماما عديلة، من خلال تلفاز عدن، الذي تأسس في الستينات. وكانت عديلة تقدم من خلاله برامج الأطفال، وبالمناسبة كان كاتب هذه السطور أحد أولئك الأطفال.

حضرت عديلة إلى اذاعة أم درمان، لتلقي التدريب الإذاعي، فوقع أحد الإذاعيين السودانيين في غرامها، وهو الأستاذ الشاعر والدبلوماسي، فيما بعد، صلاح أحمد محمد صالح، وهو نجل الشاعر السوداني، أحمد محمد صالح. هام صلاح بعديلة، وكان حياً من طرف واحد، وحضر صلاح إلى عدن لخطبة عديلة، فرفضت أسرتها الفكرة. وما عادت عديلة إلى عدن، إلا وقد وضع صلاح فيها من شعر الأغنية السودانية الكثير. وهذه مجرد أمثلة:

من ألحان أحمد المصطفى: يا غاير علي وأنا هايم في دنيا هواك - إن شاء الله
يا عديلة تمشي وتجي ثاني -

من ألحان سيد خليفة: يا مسافر وناسي هواك

يا الفارقت أرض النيل

يرعاك الله يا ملاك

من ألحان عثمان حسين: أنا المظلوم - نايك أيه من هواه - ليالي الغرام -
حبيبي سافر ليه - يا عيوني أبكي دمع الحنين - يا عديله.
إلخ....

مضى كل إلى غايته في مسرح الحياة، وبقي لعشاق الفن هذا الابداع...

السماكة في شرق السودان فرقة سومانية

يرى بعض الباحثين السودانيين في موسيقى شرق السودان، وجوداً للسلم السباعي الشرقي، بين قبائل البجة، ويشيرون إلى أن الإيقاع اليميني (٤/٣) شائع كميزان إيقاعي هناك. والواقع أن البجة يشبهون قبائل اليمن، أيضاً، في تقاليد الفروسية، وما ينبثق عنها من رقصات شعبية، بشكل ملحوظ.

وتمثل فرقة (السماكة) الفلكلورية بشرق السودان أبرز أشكال التواصل بين أهل البحر واصطياد الأسماك، في شواطئ السودان الشرقي واليمن. فهي، أساساً،

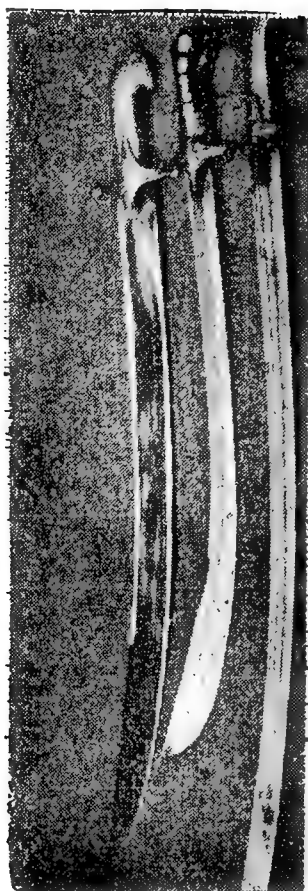
تتكون من مجموعة من الصيادين اليمنيين، الذين استقروا، وامتزجوا بأهل شرق السودان، لا سيما مدينة سواكن. والسماكة فرقة للموسيقى، والغناء، والرقص، ترتدي الزي اليمني الساحلي، وأعني به القوطة، والتي لا يرتديها في السودان إلا العجائز من النساء، وتسمى القرقاب، أما أغانيها التي تقدمها في المهرجانات السودانية الشعبية، فأسطع دليل على جذورها اليمنية، ليس فقط من حيث السلم الموسيقي، والإيقاع، والأداء اليمني، وإنما، أيضاً، المواكبة لأغنيات البحر في اليمن، مثل: (سئت العين)، و(سرى الليل وأنايم على البحر)، وهي، حتى بالمقياس اليمني، تعتبر أغان قرية العهد!

وبالمقابل، فإن النسوة السواكنيات اللواتي تديرن عدن، في العقود الأولى من قرننا العشرين، وبعد أن غربت شمس سواكن، وأفل ازدهارها هن اللواتي كن يكلفن بالضرب على الإيقاع والرقص، في حفلات الزواج المقتصرة على النساء، في مدينة عدن، وكن يؤدين رقصة (الركح)، عادة. بل كانت هناك أكثر من فرقة سواكنية بعدن.

التشابه في فن صناعة السيف

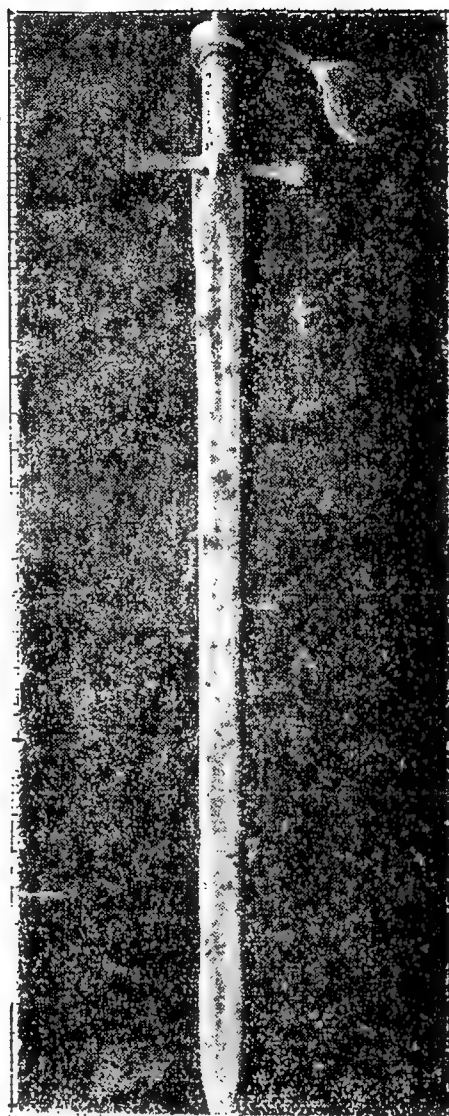
في كتابه الموسوم (دراسة زخرفية لسيف الوزير ناصر بالسودان وأربعة سيوف يمنية معاصرة) (١٨)، يذكر الدكتور مصطفى عبد الله شبيحه، مدرس الآثار الإسلامية بكلية الآداب بجامعة صنعاء، أوجه التشابه في الزخرفة المستخدمة في سيف لوزير طائفة الهمج في مملكة سنار الفونجية، واسمه ناصر (ت ١٧٩٨م)، وأربعة سيوف أخرى يمنية، كانت ملكاً لأسرة حميد الدين بصنعاء.

(١٨) صادر عن مكتبة الجامعة بالقاهرة، سنة ١٩٨٤م.



- ثلاثة سيوف يمانية

[١٦ - ١]



- سيف الوزير ناصر المحفوظ بالمتحف القومي بالخرطوم.

[١٥ - ١]

صحف السودانيين في اليمن

- ١ - صحيفة، صدرت يومياً، في عدن، عام ١٩٧١م، لتأييد جماعة الحزب الشيوعي السوداني التي حاولت الوصول إلى السلطة في الخرطوم، في ذلك العام.
- ٢ - مجلة (البرلمان)، ناطقة باسم الحزب الإتحادي الديمقراطي السوداني / فرع اليمن. وهي اصدار معارض لحكومة الفريق البشير، في السودان اليوم. صدر منها ثلاثة أعداد، حتى الآن، كان آخرها في يناير ١٩٩٤م. يطغى عليها الخطاب السياسي.
- ٣ - مجلة (أنا السودان)، الناطقة باسم هيئة السودانيين العاملين في الجمهورية اليمنية. صدرت منها ثلاثة أعداد، حتى الآن، وكانت بدايتها، في عام ١٩٨٩ / ١٩٩٠م، تحفل بمواضيع مشوقة، لا سيما في مجال الأدب. سياسياً هي موالية للحكومة السودانية.

من الفن التشيكلي

في السودان، تلقى عدد من الفنانين التشكيليين اليمنيين دراساتهم الفنية،
مثل:

(١) سالم عوض باوزير.

(٢) علوي المفلحي.

(٣) أحمد عبد القادر موسى الملاحي (ت ١٩٧٩م). وقد حصل على دورة
سنة أشهر، في عام ١٩٥٢م، في معهد بحث الرضا، بالدويم بالسودان. وذلك من
أجل تدريب المعلمين في الأعمال اليدوية، وتفتيش المدارس في الرسم، والفن،
وتجليد الكتب. وله كتاب (التدريب العملي اليدوي لمدرسي المدارس الابتدائية).
وبشكل غير نظامي، تلقى عدد من الطلبة اليمنيين دروساً في فن الرسم،
خلال دراساتهم بالسودان، بل إن بعضهم لم تفتح موهبته في هذا الأمر، إلا في
السودان، ومن هؤلاء بصورة عامة، الفنان لطفي أمان، والفنانة نجلاء نصر الدين
السنبلي (دكتورة)، والفنانة منى علي قاسم المؤيد (دكتوره)، والفنان أمين
اليمني (مهندس).



- لطفی جعفر آمان.
(۱۹۲۸م - ۱۹۷۱م)

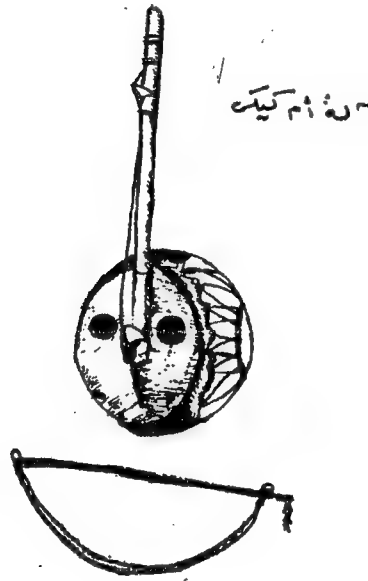
وفي اليمن، قدم الفنان السوداني عبد العزيز المري عددا من ابداعاته الكاريكاتورية، مثل كتيب (أمثال يمانية) (١٩)، وكتيب (القات رؤية كاريكاتورية ساخرة). كذلك قام رسام الكاريكاتير السوداني، مختار حسن بالعمل بالصحافة اليمنية، من خلال فن الكاريكاتير.

وهناك عدد من الفنانين التشكيليين السودانيين باليمن، اليوم، أمثال:

(١) عوض رحمه.

(٢) عثمان حامد الفكي.

(٣) محمد حسن محمد عبد الله - غادر اليمن.



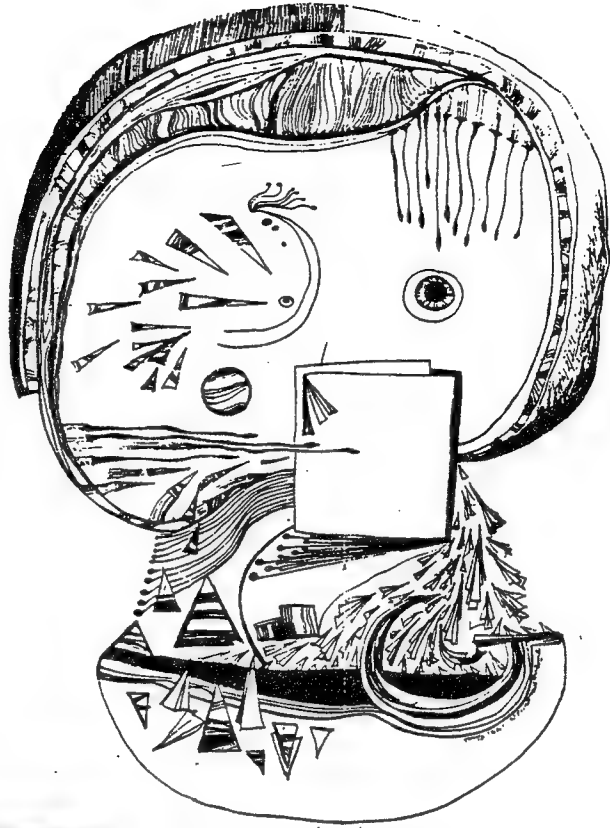
رسم آلة أم كيكي الوترية في غرب السودان

[١٧ - ١]

(١٩) عبد العزيز أحمد المري، أمثال يمنية، كاريكاتير، صنعاء.

- تشكيل للفنان عبد الله تاورته

[١٨ - ١]



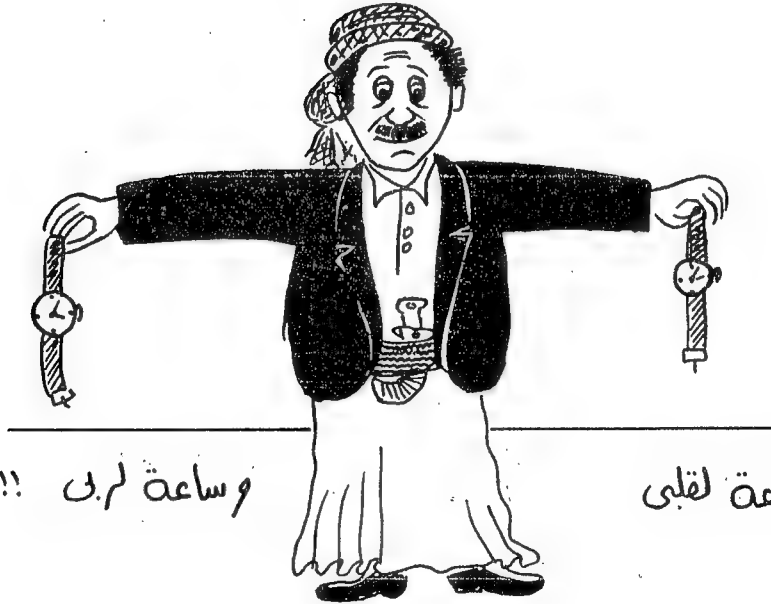
- لوحة غلاف ديوان بقايا نغم للشاعر والفنان
لطفی جعفر أمان، بريشته سنة ١٩٤٨ م.

[١٩ - ١]



حامل السلاح قاتله !!

- [٢٠ - ١]



وساعة لربي !!

ساعة لقلبي

- [٢١ - ١]

.رسوم كريكاتورية للفنان عبد العزيز أحمد المري

(عزيز، أمثال يمانية، صنعاء).

(٤) عبد الحميد جماع - شقيق الشاعر السوداني المعروف المرحوم، ادريس

جماع.

(٥) خالد الدوش - ذكرت مجلة (الناهل) اليمنية بأن له عمل بعنوان (تخزين

القات).

(٦) عبد الرحيم جاويش، وقد عمل في مجال الوسائل التعليمية طويلاً.

(٧) قمر زين العابدين، بمدرسة آزال بصنعاء.

(٨) ياسر عثمان.

(٩) عثمان شريف - وقد قدم أكثر من معرض للوحاته بصنعاء.

(١٠) علي الهادي، بكلية التربية بجامعة صنعاء.

(١١) عبد الله تاور تيه، معهد الشوكاني بصنعاء. حضر لليمن عام

١٩٨٠م، وله بحث غير منشور بعنوان (القيمة الجمالية في العمارة اليمنية

التقليدية).

(١٢) عبد العظيم محجوب، ويتضح في لوحاته الأسلوب التعبيري في المناظر

الطبيعية باليمن. والأسلوب التعبيري، والتجريدي، في المناظر البحرية، حيث

يلاحظ التقارب بين هذه المناظر البحرية، في كل من الحديدية وسواكن.

(١٣) الطيب الحاج. وقد عمل باليمن، منذ ١٩٨٦م، وشارك في عدة

معارض، في صنعاء، وتعز. ومن أعماله صورة الغلاف لمجلة (اليمن الجديد)،

بصنعاء، العدد ١١، السنة ١٦ نوفمبر ١٩٨٧م.

(١٤) أحمد عمر.

وبالمناسبة فقد أهدت السيدة والفنانة التشكيلية «جوهرة» عقيلة الأديب

السوداني الدكتور عبد الله الطيب لوحة عن اليمن ومدرجات الجبال فيها بريشتها

إلى أسرة كاتب هذه السطور عند زيارتها لليمن.



ـ غلاف كتيب القات للفنان عبد العزيز المري.

إكسبرس الأربعينات في عدن

هو الفنان السوداني الراحل، التجاني السيوفي، والذي عاش طويلاً في عدن، إلى أن توفاه الله فيها، في السادس من إبريل من عام ١٩٧٦م. وقد لقبه نقاد الأغنية السودانية، بإكسبرس الأربعينات، لما عرف عنه من السرعة في ابتكار اللحن، في الأربعينات من هذا القرن. فقد غادر السيوفي السودان، عام ١٩٤٣م، إلى ارتريا، في بداية مشوار غربته، الذي انتهى بالإستقرار في عدن، عام ١٩٥٥م، بعد إقامة ببجوتي، حيث تزوج هناك من امرأة صومالية، وكون، يومئذ، ثروة من حرفته، وهي التجارة.

قال لي، ذات يوم، الناقد الفني السوداني، الأستاذ ميرغني البكري، إن السيوفي غادر السودان، لمشاكل عائلية تعرض لها، وقال لي شقيقه عبد اللطيف السيوفي إن مغادرته للخرطوم كانت نتيجة لمواقفه الوطنية ضد الإستعمار الإنجليزي؛ فالرجل وضع عدداً من الألحان الوطنية، المحرصة ضد الإنجليز في بلاده، بل، فيما بعد، مد يد العون المادي لحركات التحرر الإفريقية من الإستعمار.

نبغ السيوفي مبكراً، وكان من أوائل من قدم وسجل أعماله لإذاعة أم درمان، ولحن أعمالاً عديدة، للشاعر فلاح، والشاعر عبد الرحمن مكاوي، والشاعر اسماعيل خورشيد. ومن أهم أعماله الوطنية، يومئذ، أغنية (طال الليل للمساهر وأصبح ماله آخر)، و(نحن السودان يا بلدنا).

وفي ارتريا صادق السيوفي الفنان السوداني، سرور، والذي توفي في ارتريا، في ذلك الوقت، وكان السيوفي، خلال الحرب العالمية الثانية، يرفه عن الجنود السودانيين المشاركين في تلك الحرب في ارتريا، واحترف التجارة، فأصاب مالاً وفيراً من ذلك، وتعلم غالبية اللهجات الموجودة في شرق افريقية، حتى أصبح يغني بتلك اللغات غير العربية، وأخذ عنه الفنان الحبشي، تلايون جسسا، النموذج

الحبشي لأغنية (عازة في هواك)، الوطنية السودانية، لصاحبها الفنان الكبير خليل فرح.

ثم انتقل لجبوتي، وأصبح أول رئيس للجلالية السودانية، فيها، إلا أن نشاطه الوطني، إلى جانب المناضل الصومالي الطيار محمود حربي، دفع الإستعمار الفرنسي في جبوتي إلى مصادرة كل ممتلكاته، وخاصة بعد مصرع محمود حربي، في كمين أعد له.

وصل السيوفي، مطروداً، إلى عدن، عام ١٩٥٥م، ودلف إلى عالم المعاناة النفسية الصعبة، فقد غادر جبوتي، البلد الذي أحب، وفقد ممتلكاته، ولم تكن تجارته في عالم النجارة بعدن مربحة، كما كان الحال في القرن الإفريقي. وأخذ السودانيون المقيمون والزائرون لعدن يزورونه، باستمرار، ومن هؤلاء الفنان محمد وردي، وإبراهيم عوض وصلاح بن البادية، وحسن خواض، والدكتور تاج السر الحسن، والدكتور محمد حامد النقر، والدكتور النفسي حسن خليل، وعبد الكريم القرني، وعبد الله بكري، ومحمود عبد القادر، والشيخ موسى، والرياضي مبارك فضل الله، والشاعر سيد أحمد الحردلو.

وكان لفلسفة موسيقاه، القائمة على السلم الخماسي، مشكلة في تحقيقه للرواج الفني في عدن السلم السباعي، بقدر ما كانت هذه الخاصية سبباً لقربه من أذواق جمهور الطرب في القرن الإفريقي، ورغم ذلك، فمن الثابت أنه ردد بعض أغنيات الفنان العدني خليل محمد خليل، وساهم في احتفالات الاستقلال الوطني، في نوفمبر ١٩٦٧م، لجنوب اليمن عن المستعمر البريطاني.

يقول في قصيدة له، لحنها، وغناها، حيناً إلى السودان، من عدن:

تحملت مدينة أم درمان

وتذكرت الشعر و الكروان

بالعودة لي يا رب

وتجمع شملنا يا زمان

مكذلك هناك نفس هذه الروح المتلعة في أغنيته (دنيا الغرام)، التي وردت فيها الإشادة بالمجتمع اليمني، أيضاً. وتحدثنا مذكراته، المنشورة في مجلة (الإذاعة والتلفزيون والمسرح) السودانية، عن أهم أعماله الفنية، قبل تلك المرحلة: غضبك جميل زي بسمتك / غزال البر يا رافل، لأحمد إبراهيم فلاح / الدنيا حظوظ، لعبد الرحمن مكاي / لياليا عودي تاني / يلاك يا عصفور نغني ليك / عايز أنسى الأمس / الندامي، إلخ... وقد غنى من ألحانه المطربون السودانيون: حسن عطيه، وبادي محمد الطيب، وعبيد الطيب، والحاج عبد الحميد، والخير عثمان، وعلي إبراهيم، ومصطفى سيد أحمد.

وتدهورت حالة السيوفي الصحية والمادية، في عدن، خاصة بعد أن أقدم قادة جنوب اليمن، عام ١٩٧٢م، على تأمين ممتلكاته العينية، رافضين استغاثة الصحف السودانية. هكذا كان جزاء الوطني السيوفي، الذي صاغ من ماله قبعة من ألوان العلم السوداني، لكل السودانيين المهاجرين معه في الخارج، يوم استقلال السودان، عام ١٩٥٦م، والذي شهد له الناس بدوره، أيضاً، في عدن في خنادق مقاومة الإنجليز، كما ذكر الأديب، د. تاج السر الحسن.

وقد استوقفتني وجود قصيدة (الصخرة)، للشاعر المصري مصطفى عبد الرحمن، في دفتر يخص السيوفي، في عدن، ومكتوب عليها أنها من ألحانه. فماذا، إذن، عن لحن موسيقار السودان العروبي، العاقب محمد حسن، الشائع لهذه القصيدة، أيضاً؟!

لقد حاول عبد اللطيف السيوفي أن يعود شقيقه الأكبر التجاني السيوفي إلى السودان، وكتب شعراً فيه، يقول:

عدن حضنت النيل وابن النيل عز النيل فخر النيل

كالبركان ثائر

يشدو على الوتر المرنج مرسلا

نبضات قلب موسقته يد المشاعر

لكن السيوفي، بعد غربته الطويلة الطويلة عن أم درمان، أقسم ألا يعود من عدن إلى السودان، إلا بثروة مالية، تبرر غيابه الطويل، فلم يزل إلى أن وافته المنية، في ثغر اليمن الضاحك لأمواج المحيط، في عام ١٩٧٦ م. واليوم تعيش أسرته عيشة الكفاف، في أم درمان، على الرغم من أن الفنانين في الخرطوم ساعدوا في ابوائها. إن الإنسان قد يعرف البداية، ولكنه لا يعرف النهاية، أبداً.

المشترك في فن الطنبورة في السودان واليمن

لسنا معنيون في هذا المقام إلا بالحديث عن المحور اليمني - السوداني في فن الطنبورة الذي تستخدم فيه آلة الطمبور بنفس هذا الاسم في شمال السودان، وباسم مصحّف هو الطنبورة في اليمن، مع الإشارة إلى وجود نوعين من هذه الآلة في اليمن أولهما صغير الحجم يسمى السمسمية، والآخر كبير الحجم يسمى الطنبورة. وبينما تكون الطنابير في السودان، وأغلبها من الحجم الصغير، مدوّنة دائماً على السلم الخماسي؛ فإن السمسميات عادة ما تدوّن على السلم السباعي، بينما تكون الطمبورات في اليمن على سواحل البحر الأحمر وبحر العرب مدوّنة على الخماسية كما في السودان.

ففن رقصة الطنبورة آت اذن من اسم الآلة الأساسية - الطنبور - ولحيء حرب النون الأنفية بين الطاء والباء نطقها العامة الطنبورة بالميم، ثم عمنت على ما يبدو فغدت طمبيرة بعد الإختزال (٢٠).

ومن المعروف أن العزف على الطمبور في السودان واليمن؛ فن شعبي شائع لكن استخدام نفس الآلة في الطقس العلاجي المسمى «الزار» قد شكّل فناً قائماً

(٢٠) جمال محمد السيد، في الحلمتيشي والطنبيرة، الحكمة (عدن)، عدد ١٧٧.

بذاته بما له من طقوس موسيقية وعلاجية مستقلة وأطلق على هذا الفن تسمية «الطنيرة أو الطميرة» معتمداً على الطمبور بالسودان، وعلى الطنبورة في اليمن.

وألة الطمبور هذه كان قد شاهدها الرحالة الدنماركي كارستن نيبور ورسمها صديقه الألماني بورنفاليد حينما سافرا من كوبنهاجن إلى اليمن عن طريق شمال السودان عام ١٧٧٦م وأسمياها قيثارة دنقلا النوبية (٢١). كذلك فيما بعد عندما قصد الرحالة الأوروبي بوركخارت الطريق إلى اليمن عبر شمال السودان، ذكر مشاهدته لها في عام ١٨١٣م وسجل ذلك في كتابه (رحلات في النوبة) (٢٢). إن الأمر في الواقع أكثر تشويقاً؛ فقد ذكر أحد المؤرخين المصريين عن نشأة سلطنة الفونج في وسط السودان أن أصل الفونج من وادي الشماتين بجنوب شبه جزيرة العرب - وأنهم هاجروا من هذا الوادي إلى جزيرة في المحيط الهندي قبالة الساحل الصومالي تسمى «لامو»، ونفس هذه الجزيرة كانت تصدر الراقصات إلى مدينة الشحر الحضرية الساحلية عام ١٥٢٢م كما يذكر المؤرخ اليمني الراحل محمد عبد القادر بامطرف في كتابه (الشهداء السبعة) (٢٣). وتشير بعض الروايات الشفاهية إلى أن المؤرخ ابن الجاور الدمشقي ذكر حضور هؤلاء الفتيات من جزيرة لامو إلى الشحر وعدن. وحتى إذا كانت منطقة وادي الشماتين تقع ضمن سلطنة عمان اليوم فإن فن الطنبيرة في عمان، اليوم، يعترف أكاديمياً وميدانياً بالزعامة اليمنية له من خلال شخصية المرأة السقطرية عائشة مرجان الفارسية والشهيرة بعائشة الونجا.

إن أول ما يلفت الإنتباه في موسيقى الطنبيرة باليمن قيامها على السلم

(٢١) توركيل هانسن، من كوبنهاجن إلى صنعاء، بيروت، دار العودة، ١٩٨٣م،

ترجمة: محمد أحمد الرعدي.

(٢٢) بوركخارت، رحلات في النوبة، لندن، ١٨١٩م.

(٢٣) محمد عبد القادر بامطرف، الشهداء السبعة، عدن، دار الهمداني، الطبعة الثانية.

الخماسي الإفريقي النكهة، والبعيد كثيراً عن السلم السباعي المستخدم في باقي موسيقى اليمن التقليدية والشعبية كما يقر النقاد؛ لا سيما أولئك المتحمسون لتسمية فن الطنيرة بفن النوبان - نسبة إلى النوبة - بشمال السودان (٢٤). وقد كان المستشرق الأمريكي أندرسون ديوك باكويل أحد الذين اقترحوا احتمال الأصل السوداني للموسيقى الخماسية في تهائم اليمن المعروفة في تهامة بالأغنيات النوبية (٢٥).

وعندما نستعرض إيقاعات موسيقى الزار في اليمن نجد:

١ - إيقاع السوداني: وقد ذكر الباحث عبد الله مقبل معمر - من اليمن - في محاضرة ألقاها، في مؤتمر بالخرطوم، في شهر يناير عام ١٩٨٨ م عن الزار في مدينة الحديدة بتهائم اليمن، أنه إيقاع قادم من السودان (٢٦).

٢ - إيقاع النوبي: ذكر الكاتب آر. سكين عام ١٩١٧ م في دراسة له عن فن الزار باليمن أن هذا الإيقاع أحضره الجند السودانيون الموجودون بسواحل اليمن (٢٧)؛ لكن مصادر أخرى تسمي نفس هذا الإيقاع بالإيقاع (القادري) ناسبة إياه إلى الشيخ النوبي عبد القادر الجيلاني.

أما الشاعر اليميني الراحل إدريس أحمد حنبلة، فقد كتب عن نشاط فرق الطنيرة في حي الشيخ عثمان بمدينة عدن في الخمسينات، مشيراً إلى أن الرقيق من

(٢٤) رفعت محمد خليفة دويب، أغاني الأعراس في دولة الإمارات العربية المتحدة؛

دبي، مطبعة كاظم، مايو ١٩٨٢ م.

(٢٥) مجموعة مؤلفين، اخراج: فرانسيس ستون، دراسات عن تهامة، بالإنجليزية، لندن،

لونجمان ١٩٨٥ م.

(٢٦) الدراسة محفوظة بمكتبة معهد الدراسات الآسيوية الإفريقية بجامعة الخرطوم.

(٢٧) آر. سكين، الرقصات والطقوس العربية والسواحلية، بالإنجليزية، مجلة المعهد

الملكي للأنثروبولوجيا، لندن، ١٩١٧ م، صفحة ٤١٣ - ٤٣٤.

النوبة أو النوبان السودانيين الذين قدموا من السودان إلى عدن عام ١٨٠٠م كانوا أول من أدخل هذا الفن إلى مدينة عدن وكانوا من الكثرة بحيث كونوا أربع فرق هي:

١ - فرقة (فتح الخير)

٢ - فرقة (جمالة)

٣ - فرقة (نصرة)

٤ - فرقة (الباكوتة)، والباكوتة هو اسم رئيسة الحفلة في هذه الفرقة (٢٨).

كذلك يتحدث الشاعر حنبلة عن أن هؤلاء السودانيين أحضروا معهم تسمية لآلة الطمبور هي «السنجا» وتسمية لعازفها هي «السنجك» ويخبرني النطاسي والشاعر السوداني محمد بادي محمد - الشهير بود بادي - بأن هذه التسمية شائعة وسط قبائل الشايقية في السودان، والحقيقة أن الباحث السوداني بدر الدين عبد الرزاق أكد هذا الرأي، في محاضرة له بعنوان (الطنيرة والزار في السودان) القاها في صنعاء في شهر مايو ١٩٩٠م ضمن سمنار الطب الشعبي في جامعة صنعاء (٢٩).

ويأتي محمد رفعت خليفة دويب بنص من نصوص غناء الطنيرة ترد فيه اشارات لمواقع في كل من اليمن والسودان، واشارة أخرى إلى البطل السوداني عثمان أبو بكر دقته - المولود سنة ١٨٤٠م، بسواكن، بشرق السودان - وقد اشتهر كتاجر للرقيق في السودان، والحجاز؛ وكمناضل ضد المستعمر الإنجليزي في منطقة البحر الأحمر وجوار عطيرة بالسودان ضمن حروب المهديّة. وهنالك في

(٢٨) ادريس أحمد حنبلة، حركة الطنيرة في الشيخ عثمان، صحيفة الشباب (عدن)،

العدد ٦٧، ١٠/٣/١٩٥١م.

(٢٩) نشرت ضمن الدراسات المقدمة لسمنار الطب الشعبي في مجلة دراسات يمنية

(صنعاء).

الحقيقة ايقاع في فن الطنيرة يسمى ايقاع السوداني نسبة لعثمان دقنة :- (٣٠).

جارية (سواكن)

ليش تيكين يا جارية (سواكن)

وايش بغيتي يا جارية؟

أبغى حقي تعطوني حقي

يا (مخا) في سبيل الله

يا (مخا) عذبت روحي

حبيبي (دقنه دقنه) يا ماله

انكليزي يتمنى حرب (السواكن)

...

ومن أشار إلى هذا الحضور لعثمان دقنه، في فن الزار في البحر الأحمر، المستشرقة الإيطالية تزيانا باتان التي تقيم في اليمن والتي تعد أطروحة عن فن الزار في مصر وما جاورها من بلاد.

وفي صنعاء في الفترة من ٥ إلى ٧ ديسمبر من عام ١٩٨٩م خلال انعقاد المؤتمر الرابع العربي للطب النفسي قدم الطبيب اليمني الجهبذ محمد يحيى الشرفي والطبيب النفسي السوداني المقيم باليمن العالم محمد الحسن توفيق هيبه، دراسة شيقة باللغة الإنجليزية عنوانها «الزار في السودان» (٣١). وبالمقابل فإن هناك أبحاث عديدة لأطباء سودانيين من أصول يمنية - منهم طه باعشر، وأحمد الصافي، عن الزار وهما اللذان قاما بترجمة الدراسات التي كتبها العلامة السوداني الدكتور التجاني

(٣٠) تزيانا باتان، أساطير وروايات التأسيس لشعوب البحر الأبيض المتوسط، فرنسا -

العدد ٥٦، ٥٧ بتاريخ يوليو وديسمبر ١٩٩١م. عنوان الدراسة بالفرنسية موسيقى الوجد

وأسطورة تأسيس الطنبورة في طقوس الزار بمصر، في مجلة البحر الأبيض المتوسط

(٣١) لم تستكمل الدراسة بعد.

المأحي عن الزار في السودان وعن القات في اليمن(٣٢).

والجدير بالذكر أن كل من المستعرب الفرنسي الدكتور جون لاميرت والمستعربة النمساوية الدكتورة جابريولا براونة، قد قاما ببحوث ميدانية من شأنها أن تضيف إلى معلوماتنا عن أغاني آلة الطمبور في السودان واليمن. حيث نشر جون لاميرت مؤخراً دراسة بعنوان (الزار والهارب في اليمن)(٣٣)، ونشرت جابريولا براونه بعض آرائها في أغاني «النوبة» في البحر الأحمر والمستخدمة فيها آلة الطمبورة إضافة إلى غيرها من الأغنيات والرقصات والعادات والتقاليد المتشابهة في السواحل اليمنية الجنوبية منها والغربية، وسواحل سيناء ومصر والسودان، وغيرها من بلاد حوض البحر الأحمر(٣٤). وهي تعمل أستاذة للموسيقى العربية في المعهد الدولي للموسيقى في برلين.

(٣٢) من منشورات دار النشر بجامعة الخرطوم. كذلك دراسة الصافي (عودة

للمطبورة) الخرطوم يناير ١٩٨٨م.

(٣٣) تم الحصول على هذه الدراسة من الدكتور جون لاميرت بمتحف التاريخ الطبيعي

للإنسان في باريس، عن طريق المراسلة الشخصية.

(٣٤) انظر لها دراستها في اجتماع الجمعية العالمية لعلوم الموسيقى في مدريد عام

١٩٩٢م.

وللمزيد انظر: صحيفة الشرارة (المكلام)، بتاريخ ٨ و ١٥ ديسمبر ١٩٩٣م، وآرثر

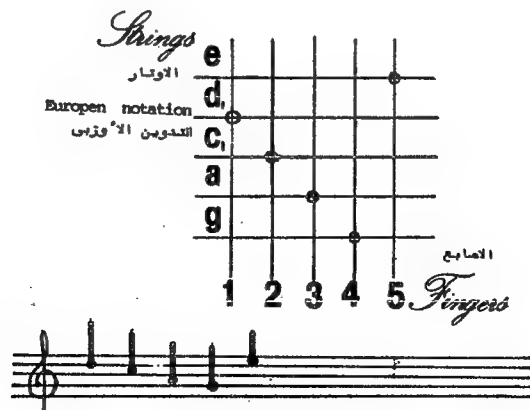
سمون، موسيقى النوبيين في شمال السودان، بالإنجليزية، برلين ١٩٨٠م.

- الطمبور ودوزنته لدى النوبة في شمال السودان.

[٢٣ - ٩]



طبقة أموات • الكيسر • لدى النوبيين شمال السودان
Tuning of the "Kisr" in Nubia



ملحق الفصل الخامس

مرثية للفنان أحمد قاسم

فجع الفن وأهل الفن إبداعاً وعشقا
فجع الأهل أجل والصحب والأعداء حقا
فجعت أرض اليمن
أصبح الحزن رفيقاً للشغاف
رحلت أفراحنا أعراسنا
رحلت كل البشائر
ما الذي يبقى لنا للفن للإبداع...
بعد أن غادرنا والحزن في الأعين في الأعماق جاثم
أحمد الفنان قاسم
التقت في شخصه الموهبة الحققة
والصنعة تدريساً ودرسا
وثقافات عديدة
وقضى العمر كما قد شاء طويلاً وعرضاً
بيد أنني كلما شاهدته حتى وإن قد كان يبسم
ساخراً من ذا وذاك
باحثاً عن غائب آت ولكن
في يقيني أنه لو جاء لن يرضى به
لا ولن يسعده
هكذا أتعب نفسه

أتعب الأهل وصحبه
أتعب الفن وأهله
ولذا غادرنا والحزن في الأعين في الأعماق جاسم
أحمد الفنان قاسم
يا ترى نعطيه ما يرضيه بعد الموت
أم نلزم الصمت ونرضى
بالتراث الخالد الحافل من انتاجه
فيه ما يشفقنا ما يسعدنا
وله في عالم الخلد بديل
نسأل الرحمن أن يرحمه يسعده
ولذا غادرنا والحزن في الأعين في الأعماق جاسم
أحمد / الفنان / قاسم

محمد مجذوب علي
عدن / ابريل ١٩٩٣م

ملحوظة: للشاعر السوداني، المقيم بـعدن، مرثية منشورة بالصحافة اليمنية،
للفنان اليمني الراحل، محمد عبده زيدي، ولكني فقدتها، فوجب التنبيه لتلك
القصيدة الجميلة، لمبارك حسن الخليفة.

مناجاة

يا حديدة... يا دياراً هام فيها القلب وحدا
بل عيوننا علمتني كيف يبقى الحب عهدا
بل تعدى كل أشكال الموائيق العظيمة
كل أصداء التراتيل القديمة وكان أنقى
كان أجدى يا حديدة
يا حديدة.. أنت في أحضانك الأيام سعدا
أنت للإبداع بحر أنت فيض أنت فجر
أنت فيك الغيم شهدا
وأنا فيك ومنك قد قطعت اليوم وعدا
أن تكوني في عيوني داخل الأعماق ودا
يا حديدة.. أهلك الكرماء ذخرا
ثغرك الوضاء بُشر.. شطك الممراح دور
شدوك الأخاذ شعر.. وأنا يا بضع عمري
سوف أشتاقك دوما
لو دعاني عنك يوماً موطني أو رمت بعدا
وستبقي في ذكراك وتبقى جذوة الأشواق وقد
يا حديدة

محمد أحمد سوركتي

روعة تعز

بالصدفه شفتك في تعز وعرفت أنك بنت عز
ما بعجبك قصر الرشيد وقليل عليك ذهب المعز
مر النساييم خطوتك ومحروسة أنت بعفتك
وقبل الصباح تلقى الندي فرحان كده وفارش دموعه بسكتك
وكل الحسان خجلت كمان من روعتك وحتى الورود مشتاقه
تشبه طلعتك وقالوا البدور لو شافتك حتسب دياراً وتمشي ليك
وتغني ليك وتنادي ليك يا أغلى من ذهب المعز
يا روعة معقول من تعز
أنت زي بلقيس علم... وحتى السلام منك نغم
مولودة في جنة عدن ومنقوشه في صدر الزمن
ألفين سلام ليك يا وطن وألفين كمان ليك يا يمن
في ربوعه بنشوف زيك أنت يا أغلى من ذهب المعز
يا روعة معقول من تعز

الحديدة / مارس ١٩٨١م

محمد أحمد سوركتي

هدهد سبأ

مرة يا هدهد سبأ ودي للسودان نبأ
وكلم الطير الخداري يغشي بيك كل الحوارى
واحكي عن سهدي ووداري وعن حنين عايش معاي
لحظة ما فارق خطاي وعمره في يوم....
مره يا هدهد سبأ ودي للسودان نبأ
أصله في إحساسي دايب
وديمه من أنفاسي شارب
وبرضه يا هدهد سبأ إبقى زي أشجع محارب
زادو في الدنيا التجارب وأمشي عدي السكة لهفة
وابقى إنزل في المغارب احضن النيلين برأفه
واروي شوقك رشفة رشفة واقري كل الناس سلام
للديار والصحبة والغيم المسافرين كم تحية وكم سلام
للفيا في والمرافي ولي حدودنا وعز جدودنا وللقوافي
أصلو ما في أحلى من قولة سلام
وعن كثير أشواقنا احكي
لكن أوعه مرة تبكي وتمشي تشكي
عن سهادنا وعن بعادنا وعن قلب في الغربة هام
دي كل لحظة بألف ساعة وكل ساعة بألف عام
يلا يا هدهد سبأ ودي للسودان نبأ
زي سليمان يتي واقف بالخيال تلقاني طائف

وفي هجير أشواقى زاحف وديمه راجيك في المشارف
واوعى يا هدهد سبا تمشي للحلوين وتنسى
وبرضو زي الغربه تقسى أصلي منك والله خايف
وأصلي يا مرسالي عارف زي حنين عشرتنا مافي
وزي عبير طيبتنا ما في وديمه نيل أشواقنا جارف
الغريب يلقي البشاشة ويلقى كل الدنيا هاشه
ويلقى شرفات المحبة ويلقى أحضان الأحبه
ديمه مفردوة وتلاطف أصلي منك والله خايف
تمشي للحلوين وتنسى وبرضو زي الغربه تقسى
وانت عارف إني لسه زي سليمان يلقى واقف
بالخيال تلقاني طاييف وفي هجير أشواقى زاحف
وديمه راجيك في المشارف
مرة يا هدهد سبا ودي للسودان نبا

محمد أحمد سوركتي

الحديدة / ديسمبر ١٩٨٠م

عبث شباب

في يوم من الأيام كان لي حبيب وافي
بادلني حب وغرام وشاركني إحساسي
كان لي أمل وزهور
أفراح وبهجة ونور
لكنه كان مقلدور
تبدد أفراحي
في جحيم من الأشواق قاسيت أنا الآلام

طبع الزمان فراق

يا ما الغرام في الدنيا أسعد وأشقى قلوب
ناس فيهو عاشوا اتهنوا وهنهم كان مكتوب
وناس الفراق أشقاهم يوم فارقوا المحبوب

علوي الجبلي

أنا وإنّ والليل

أنا وإنّ والليل والقمر حوالينا
والنسيم الضاحك والغرام يروينا
نسبنا كل الناس يا ريت الكون يكون ناسينا
السعادة معانا....

علوي الجبلي

بادلونا

بادلونا عواطف بعواطف
بادلونا محبة بمحبة
خلونا نذوق طعم الجنة

علوي الجبلي

بشوف المسافر

بشوف المسافر وليل الذكريات
وبراعة عواطفه وربيعي اللي فات
حلفتك يا غالي ما تقول حي مات

بشوف المسافر راحب والحنين....

علوي الجبلي

قل لمن مل هوانا

لشاعر غير معروف.

قل لمن مل هوانا وتسولى وجفانا
ولمن أعرض عنا بعدما كنا وكانا
من تبدلت علينا ومن اخترت سوانا
نحن ندري أنك اخترت فلاناً وفلاناً
نحن لا نعجل بالأخذ على عبد عصانا
قل لنا أي قبيح قد جرى منا وبانا
كم تتبعنا مراضيك ولم تتبع رضانا
كم دعوناك إلينا وعلينا تتوانى
كم توقعناك للصلح وطولت الزمانا
كم رأيناك على ذنب وما كنت ترانا
كم أمرناك وخالفنا هوانا في هوانا
هكذا الحر المواقى هكذا كان جزانا

وتلاقت سبأ

وتلاقت سبأ في ساحة الشمل المديد
وأطل العييد من أيار أنداء ورود
حلماً كان وقد واكب أحقاب العهود
ثم أضحى واقعاً ينبض خفّاق البنيود
وانطوت لعنة تشطير مع الليل البليد
أيها الصادح بالأنغام من مايو الخلود
أنت لحن وقعت أطيّاره حر النشيد
هب شمسان يلاقي نغم الماضي المشيد
وزييد رقت الأشواق منها للصعيد

أشرقت شمس اليمانيين مع الصبح الوليد
تغزل الآفاق نسجاً سابغاً حلو البرود
وريباً لاح يفتّر عن الثغر التضيد
يا نواة الوحدة الكبرى ويا عرس الوجود
من ذرا قحطان قد بشرت بالبعث المجيد
موكب يستقطب العرب طريقاً في صعود
ويزيح الفرقة النكراء بالعهد الجديد
وخلق أنت يا قحطان بالشأو البعيد
إذ أطل البشر من دنياك أبراج سعود
وتلاقت حمير في دوحة المجد التليد

عبد الرحمن إسماعيل عثمان سكاب

ثورة ٢٦ سبتمبر

أزف التهاني لأهل اليمن
جنود المرأة عند المحزن
بأيلول شمساً أضاء الوطن
فعم الرخاء وطاب السكن
لشعب يسابق ركب الزمن
يروض الحياة بعلم وفن
بحكمة قائده المؤتمن
أزف التهاني لأهل اليمن
بفخر سيخزي دعاة الفتن
سيأتي بهيا سيأتي غدا
تعانق صنعاء فيه عدن
أزف التهاني وكل الأماني

من زمان

لراعي وشعب وجيش اليمن

ميرغني عثمان الحاج

من زمان يا روجي أهواك ولكني أنجي
واللامح حدثني أنت تهواني وربي
والعيون تحكي الحقيقة من زمان
كم محبين نراهم أعلنوا الحب جهارا
بعدنا جاؤوا فعاشوا الود ليلاً ونهارا
غير أنني في انتظاره طال قد صار حصارا
واللقاء ملك يدينا من زمان
كل شيء حولنا يبدو وتأتيه نهاية
غير أنا ما خطونا خطوة نحو البداية
يا ترى تأتي النهاية يا زمان

محمد جذوب علي

تسألني عن حالي

تسألني عن حالي وأنت السبب يا زين
أيش يا تعود ثاني قلبي يا نور العين
قصداك تزيدني جراح
يكفي حياتي نواح
الصبر ولي وراح
غلبتني يا زين
يكفي الذي شففته منك وجربته
المزقة ذقته أتعبتني يا زين
كم مره أترجاك تنسي الخصام وجفاك
تمنحني لحظة معاك حرمتني يا زين
أحسن نعيش في بعد والذكرى أجمل زاد

ما دام فيك عناد تسألني ليش يا زين

محمد مجذوب علي

علي النيل

غزالي المحنن المعطر لايس ثوبه الأحمر

رمانى بسهم العيون خلا قلبي ونفر

ما ليا غيره حبيب

دايره تملي قريب

في حبه أنا مجنون صار قلبي مني غريب

نخضاب الحنه في إيده

حمار الوردة في خديده

ريح ضفايره الهادله تسكرنا يوم عيده

سهران وحدي حيران

من طيف الحبيب ولهان

من شفته ليا زمان

في قلبي ليهو مكان

في حبه ما بنسى

في قلبي ريد رسى

ليه غرامي قسى

أتمنى أشوفه عسى

باحبكم باحبكم وزاد شوقي لكم

صالح علي مغلس

تحية إلى اليمن

في الهوى صرت يمانى

وشباب اليمن الناهض في الحب رمانى

وبأنفاس الأزاهير ومعسول الأغاريد وشلال التواشيح سباني

ثورة اليمن الوثاب ضاءت بكيانني
ادكارات وآهات وآمالاً ورقصات افتتان
ذو يزن عاد جديداً وبزنديه احتواني
كلما قلت له هات إسقي من قدح الثورة أنخاباً سقاني
قصر بلقيس غدا حقلاً لمحزوني الأسارى وزراع الأزاهير
وعشاق العصافير لأطفال حسان
اليمن عاد سعيداً وتحلى بالأغاني
وغداً يغدو بشقيه مناراً للزمان
وجنائاً للمظالم فزاد واحد الخفق اشتراكي المعاني
وعدن ترسل من صنعاء للخرطوم باقات التحارير وشارات المشاوير
وصيحات الشحارير وصندوق الأمانني

معتصم الأزيق
القاهرة

نشيد الوحدة

قد وحدت قلوبنا محبة الوطن
صنعاء في نفوسنا وأختها عدن
تفجرت ثوراتنا تدمر العدا
توحدت غاياتنا بالعزم والفدا
نحطم السدود ونحمل الورود لوحة اليمن
المجد لا تتصارنا يا فرحة الشهيد
السعد في ديارنا في عهدنا الجديد
الحق رائدي والعلم مرشدي لوحدة اليمن
قد نورت شمسنا تبدد الظلام
وأشرق نفوسنا بالحب والسلام
بشعبنا الأبي وحزبنا الوفي نوجد اليمن

د. مبارك حسن الخليفة

لحن التهم أنامله

* مهادة للفنان ناجي القدسي، والفنان محمد البيرق

آووا تحت أوتاركم التجفوا أنغامها
ارتدوا خيوطاً من الرقص الحزين كلوا ذرات قوس يقتل
وناموا على نبض حرف يولد اعزفوا لحناً يتيما
واحسوا دهرأ من القبلات احصدوا الحسرات
امنحوني التسكع في زقاق الكمنجه
في ساحة مذعورة لقينار مات
امنحوني التيه امنحوني الغد
أمسي الطفولي. افصلوا بيني وبين فراغ أمة

عبد الرحمن الغابري (شاعر وفنان يمني)

١٩٨٨م

نثرية إلى ناجي القدسي

حفرت في عين الزمان قامتك. أكف الملاحكة كل يوم فراشك، ودمك
ممزوج بدموع العشق، وفي لفح شمس القحط. يستظل المبدعون تحت لحيتك الكثة.
وبين ظفائر عمايتك الملونه. نهر يسقي ودياننا العطشى. زفراتك تصعد إلى
السماء. كلما غنيت تكون غيمة بأثداء ترضع الأطفال.. حب الوطن. وريشتك
جسر نمر منه إلى أرواحنا، وإلى عقولنا. أنت الوسيلة للوصول قدمت إلينا، وبساطك
قوس قزح، مثقل بهموم البلايل. ما عسى أفعله لك سوى أن أعصر الدهر،
وأهديك ربيعته.

عبد الرحمن الغابري (شاعر وفنان يمني)

قلبي مع اليمن

قلبي مع الذين يرسمون لوحة الأمل

الفجر في إطارها يطل

يلونونها بالفكر والعمل

ويحلمون بوحدرة اليمن.. ويعملون لعزة اليمن

قلبي مع الذين يرسمون لوحة الغد.. يلونونها بخير موعده

يلوحون قبضة اليد.. في وجه كل معتد

يدافعون عن اليمن ويبدعون في اليمن قلبي مع اليمن
قلبي مع الشباب في اليمن وحزبه القوي المؤمن
وشعبه الذي ما لان لا ولن يلين أو ينام عن حماية الوطن
قلبي مع اليمن

أغنية حب لليمن

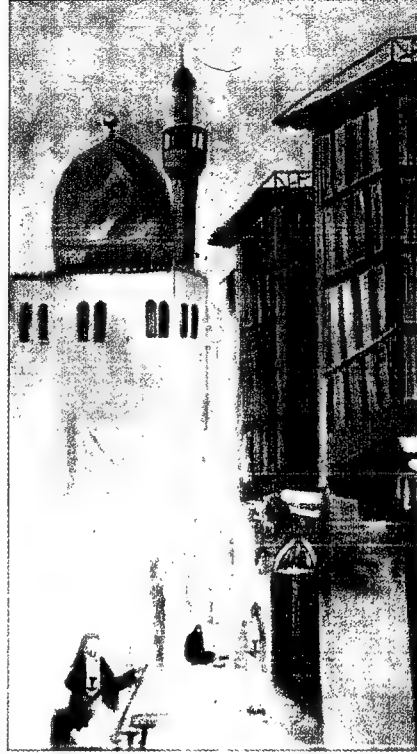
د. مبارك حسن خليفة

بحبك يا يمن
وأنا في هواك عليل
وبلمح في تبين
عشاق شباب النيل
وجيتك يا بنا
أنا للغرام عطشان
وسقيتني من الهنا
وأنا بي هواك نشوان
بحبك يا عدن
زي أمنا الخرطوم
ولازم يازمن
عشق الأحبه يدوم
وجيتك يا يمن
حامل جراحي أنوح
لقيتك يا يمن
يلسم يداوي الروح
برسم على صيره
وبنقش على شمسنا
أجل هوى وسيرة
من موطني السودان

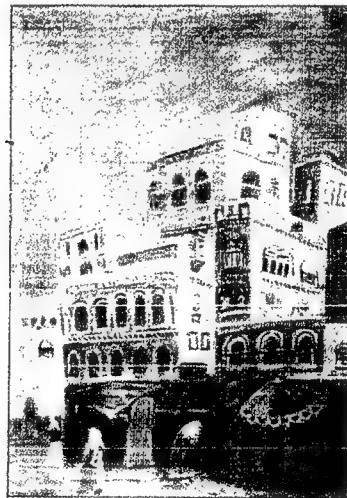
د. مبارك حسن خليفة

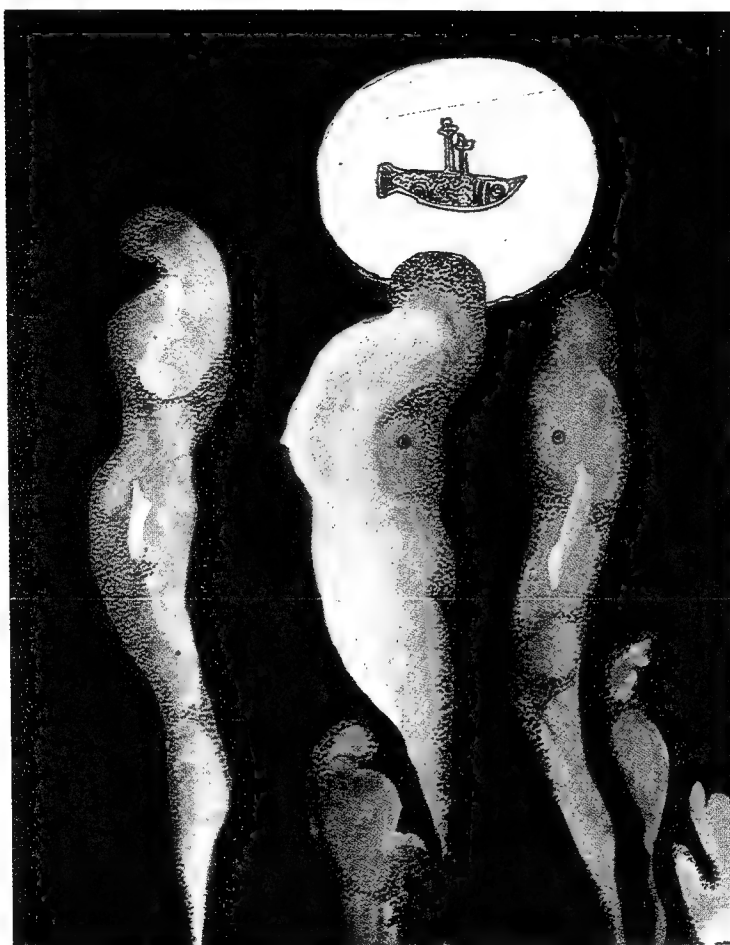


للفنان عثمان شريف



لاہور عثمان شریف

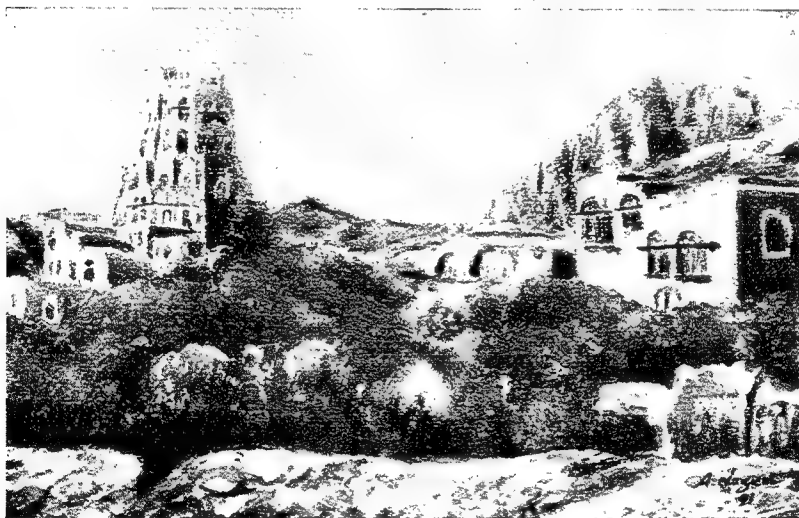




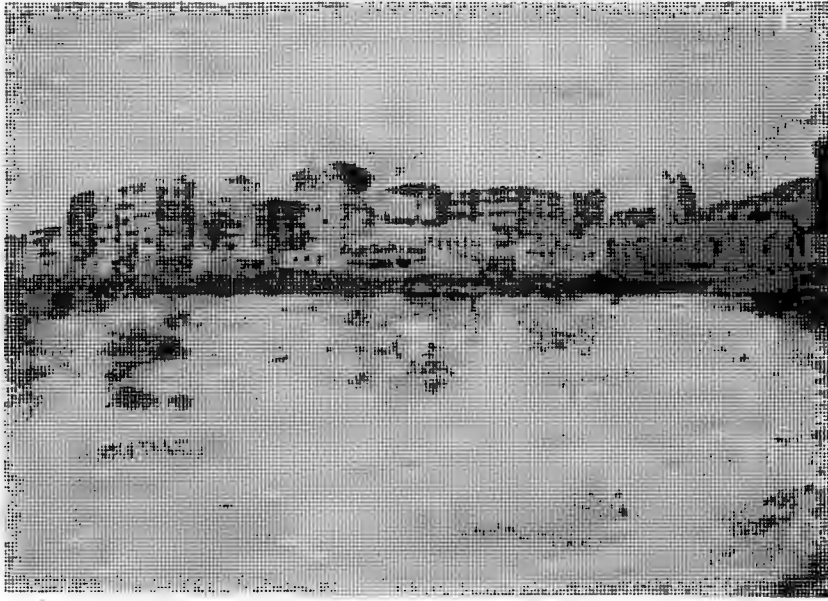
للفنان الطيب الحاج



للفنان الطيب الحاج



للفنان عبد العظيم محجوب



للفنان عبد الحميد جماع



للفنان علي الهادي



د. غام: الأب وابن

الباب الثاني

نماذج من الأدب السوماني

ابراهيم الكامل محمد أحمد

شاعر سوداني رقيق، قدم إلى حضرموت، عام ١٩٧٠م، واشتغل هناك بالتدريس، لفترة وجيزة من عمره. أسهم، ابان وجوده بحضرموت، في المسرح المدرسي، وقدم قصيدة (هتاف الطلائع العربية) إلى الفنان اليمني المعروف، كرامة مرسل، فلحنها، وغناها.

كتب، خلال وجوده بالمكلا، قصائد فصحي، مثل (صدى أكتوبر)، وأخرى عامية. وهذه قصيدته (الاختبار من دمشقية فرعاء)، التي كتبها في منطقة (فوه)، بالقرب من المكلا:

أهديك روجي زهرة من (فوه) يا مسحة الضعف وكل القوه
ومزجة الجبن مع الفتوه إليك قلبي هاكه تعالي
يا ومضة الحنين يا خيالاً ونبضة الجنين في الحبالي
هيا أقليني ناحتاً مثلاً لشفق لاذت به الليالي
يا منهلاً تعشقه الغواني ونغمأ فاض على ألحاني
هجرت ليلاً بيدر القبانني لتزعجي الثبات من أوصالي
كراحة الإيمان للحيارى وواحة الهيمان في الصحاري
الروح لا ترضى الهوى أزراراً والراح لا تغني عن الزلال
ولكن للمحصنات التوق كالتميل مدمر كالخمر في التميل
فلنرض بالمقسوم لو قليل ولنمض أنداداً بلا اعتلال
والمال من منارك الفنيقي والنحل من مزارى الإفريقي
والعسل الشقاب من طريقي لو تسمع السماء بالحال

فويل من يستلهم إنفصاماً لتغرز الأمانة انتقاماً
يستولد اطمئنانه أو هاماً تفلسف الحرام بالحلال
شريان فينوس بنسل أروى ليس الغناء للطلول شدوا
فلنفترق قبل فوات الجدوى مداركم ما عاد في مجالي
ولنلتزم أقطابنا يا أنبت ولنعتصم لا هنت لا أهنت
كاد الخيال قبل إذ هنت يأتني على براعم الخلال
ولكن لأرضنا وشعبنا علينا قضية تضيع تنهار لو تأينا
إطارها الوحدة ما حيننا فلنعتنق في ساحة النضال

المكلا / فبراير ١٩٧١ م

أبو تلة الحسن أحمد

شاعر سوداني، اشتغل باليمن في مجال التدريس، وما يزال.

تراثيل العشق بين النيل وبلقيس

بلقيس شمس الكبرياء

بلقيس أغنية المساء

بلقيس تعبد ربها

بلقيس تفتح قلبها

بلقيس تعلن حبها

بلقيس تعشق من تشاء

بلقيس تفعل ما تشاء

بلقيس فوق الأوصياء

بلقيس ماء النيل من دمها

وشدو النيل من فمها

وذاكرة الغناء

بلقيس سيده النساء

بلقيس تؤتى من جنان الخلد رزقا

بلقيس تسكب في خلايا الروح والأحلام شوقا

بلقيس تبقى للمدى للفجر للتاريخ عشقا

بلقيس ترتيل الغسق

بلقيس أحلام الشفق
بلقيس رمز الكبرياء
بلقيس تأمر كي تطاع
تؤتى من الحقب القديمة وهي لا تأتي وإن
بلقيس شمس في سماء العشق
آلهة يناجيها الشعاع
بلقيس تأمر أيها التاريخ كن
بلقيس قالت كن فكنّت عشيقها الأبدى
صارت مقتلها لي وطن
بلقيس تسكن في مسام الروح مني لا القلاع
بلقيس بحر الشعر لا يكفي لأكتب عن وعن
بلقيس من
بلقيس في
بلقيس من
بلقيس عن... بلقيس لن
بلقيس قيثار ودن
بلقيس من فرحي أصلي
بلقيس في قلبي وعقلي
بلقيس من يهواك مثلي
بلقيس قافيتي وظلي
بلقيس للشمس تدلي
بلقيس عن حي وعن
لن أنتهي أبداً ولن

بلقيس شمس الكبرياء
بلقيس لي خبز وماء
بلقيس لي هذا الهواء
بلقيس ظمأى والصحاري كلها عطشى
ويعتد الهجير إلى شرايين القلوب
والنيل مندفع مع التاريخ نهر للهوى
للشوق للأحزان والسقيا وقافية الوجيب
بلقيس ما كشفت سدى عن مقلتيها ذلك الأفق الرحيب
والنيل متكيء على شطيه يغميل قلبه حلماً يناديه
أيا بلقيس يا بلقيس فاض الشوق
يا بلقيس جف الحلق
يا بلقيس قد أزف الغروب
النيل مشتاق وبلقيس العنيدة لا تجيب
الشمس تشرق والمدى وهج وكل الكون همس
بلقيس ما أهذاك هذا النيل
ما وهبتك هذي الشمس
هذا السحر في عيني والآفاق والأمس
بلقيس تكسر صمتها بلقيس تعلن حبها بلقيس تسأل في خجل
يا نيل هل أبصرت هذا السحر هل
بلقيس تسكن منك في هدب المقل
بلقيس حبك في الأزل
بلقيس تغزل عرشها للحب فوق الماء
تعلن أنها باتت تحب النيل قل

بلقيس واحدة وهذا الحب واحد
بلقيس خالدة وهذا القلب خالد
يا أيها المأأ اسمعوا يا أيها الزمن اشهدن
إنني أحب النيل جداً مثل حيي لليمن

صنعاء / مايو ١٩٩٣ م

غربة

أرحلت من مدن الهدير ومن قرى الدم والذهب
إنني هنا ما زلت أنتظر الرجوع تجمد الدم في عروق قصائدي
وغدوت بعدك شاعراً دنفاً يغازل في الدمى عبثاً ويمتدح اللعب
وعاود قلبي الوجيب والخفقان فهممت أن وعزمت فكتبت ...
شقيقت الصدر ثم غسلت قلب القلب بالبرد
لأصبح من هوة عينيك مرتاحاً إلى الأبد
فإن عاد الهوى والقلب للتذكّار والوجد
لعلقت الهوى والقلب في حبل من المسد

إلى حبيبتي ابنة أبي جهل

طلع الفجر علينا بعدما طال الزمن
وافترقنا والتقينا عند جنات عدن
أيها المحبوب قلبي هل تذكرت اليمن
كم أضعنا من سنين ما لها عندي ثمن

أبو القاسم العرامي

ولد في السودان، لأب يمني وأم سودانية، واستقر في صنعاء، للعمل، منذ
فترة. له ديوان معد للطبع، بعنوان (يا حلم سيكون)...

الهجرة

أخي ذاك كأساً ارتشفنا منه سوياً ارتوينا
احتشينا حنظلاً وبذات الكاس رشفنا الشهد رشفاً
تغربنا سنينا ما نسينا
واكتوينا بنار البعد شوقاً وحنيناً
وتغنيا كثيراً وبكينا
ومشينا حتى آدمت قدمينا
علا الشيب مفرقنا طموحاً وهموماً
وتجاعيد وجهينا أوضحت ما نالته منا السنون
كم من العمر انقضى وكم تبقى.. أتذكر
أتذكر يوم هجرنا أرضنا أرض الجدود الأولين
ولهتنا خلف السراب والحلم اللعين
ماذا جنينا سوى الأرق والأنين
ما ضرنا لو كنا لوصيتهم طائعين
وعملنا للأرض بالجهد والهمة مخلصين
الأرض معطاءة أعطها نطفة من عرقك

تمطرك بخيراتها مدى السنين
فلنكرس ما تبقى من حياتنا لها كالسابقين
هم أولي حبرة منا بوفائها
ونحن بهم مغترين
لنحرث الأرض نسقيها حبات عرق
علها تعوضنا ما ضاع من العمر
وما نحن عليه آسفين

صنعاء

سألتني عن صنعاء.. عن مدينة سام
قلب السعيدة إذا حل فيها الربيع طاب له المقام
تكتسي من حليها سندساً يريذك فوق الهيام هيام
هي للشعوب الأم تفرعت منها الأنام
كم من العشاق والأشعار لها غزلاً وغرام
لياليها الساحرات تناثرت لولواً مرصعة في نسيج الظلام
وصبحها نسماته تحمل الأريج بيعث فيك الالهام
صنعاء للناظرين متعة وللعاشقين العشق والأحلام
فؤادي جريح في بعدك يا صنعاء
جرحه لم يندمل
ولا يمكنه الالتئام

أحمد أحمد الفقيه

شاعر وقاص يمّني شاب، درس الهندسة في السودان، واشتغل بها، منذ سنوات، في مدينة ذمار اليمنية. كان والده من أعيان الجالية اليمنية، بمدينة كسلا، بشرق السودان، وأصبح شقيقه صالح رئيساً للجالية اليمنية بالسودان، وكذلك نبغ شقيقه جمال في الكتابة الأدبية. نشرت له صحيفة (الثورة) بصنعاء عدداً من المقالات الهادفة في العلائق الاجتماعية اليمنية - السودانية، يوم كان طالباً بالخرطوم. كذلك توثقت صلته بالأديب الإرتري محمد عثمان كجراي، في مدينة كسلا، ونشرت أعماله الأخرى مجلة (الوطن)، وصحيفة (الوحدوي)، بصنعاء، التي كتب فيها داعياً إلى مبادئ الزعيم جمال عبد الناصر.

كسلا

أعبر الشوارع شوارع الزجاج والأسفلت
وأمضي عشرين خطوة وقنديل
وعلى البعد مصباح سيارة قادمة
وشرطي عجوز يقف أمام بوابة مشبوهة
وأنا هنا كل الحروف تنام
الساعات تنام
وتبقين أنت أمامي
بكل التفاصيل الحلوة فيك
أتسكع في شوارع قلبك
وأمضي
أعيشك لحناً تعزفه مشاويري

و حين أسافر
أذكر أني
ما عدت أحتمل لوني واسمي
أنت الدهشة أم الاختيار
ما كنت حلمت أني الآن بين يديك
أقبلك حين أشاء
وأنت صرت الملكة
تاجك الفرح الآتي
وبعض الآتي الحور
وبخور المسك يطرد روح الشياطين
سبحان الخالق.. جاء المكتوب
ما كنت أظن أن يفرح قلبي المفعم بالأحزان
حتى رأيتك بين يدي
جئت إلي
تنزف خطواتك أنفاسي الملهوفة عليك
ودفوف الزمن المنسي
وشذى الحناء المرسومة على كفيك
خفت على قلبي منك
خفت عليك
فأنا أبداً ما صدقت أحلامي
و حين أفقت ارتعش الكف بكفك
نامت أهداً العين
جف الخلق المدهون بمرح الدنيا

بـ فمضيت أسأل من حولي عن سر حضورك
هل زارتني ليلة قدر منسية
تاهت في (السكة)
هل غفلت أقداري نامت ما بين جراحي وجراحي
هل تاهت خطواتي المهمومة
فمشت غير دروبي العطشى للحزن
أوضاع المكتوب في زخم الدنيا المجتونة
(دنياي) أنا يا بنت السلطان بالمقلوب
دنياي دروب تأتي من خلف دروب
دنياي هروب وهجير الشمس
وأنا الخافي فوق الرمل
دنياي غروب لكفي يا بنت السلطان
راض بالمكتوب
أنا يا بنت السلطان عاشق ولهان أضناه الحرمان
سبحان الخالق سبحان جاء المكتوب
ليتك جئت قبل الآن

الحديدة / يناير ١٩٨٢م

الرسالة الأخيرة

شعر هو بسعادة لا توصف، وهي تمسك بيده، دونما تكلف أو اصطناع،
وحينما افترقا كان كل شيء قد بدا واضحاً لكليهما.

حمى الرغبة المجنونة تسكن في الحشا، والليل موأل، لا ينتهي، وهي بين يديه
تتلوى كأفعى. الصمت يلف المكان إلا من فحيح الأفعى، وصوته المبحوح يخرج
بصعوبة... حان الرحيل. همست هي بنشوة غريبة: لقد أخذت منك ما أريد.

النيل يعانق الليل، والليل يضمها إلى صدره، وهو وحده هناك، ورسالتها
بين يديه. أهذا كل الذي كانت تريده.

قالت له: سأسميه باسمك.. سيكون شعره سلاب، وعيناه واسعتان،
وسأحكي له عنك، كل مساء.

عاد أدراجه، يبحث عن تلك الذات العنيدة، وعن معاني جديدة خلف
البحر. كانت الحقيقة تبدو غائبة، وكان هو يمد ذرى الترحال إلى ما لا نهاية. إنها
الرسالة الأخيرة.

أخرج رسالتها من جيب معطفه.. قرأها للمرة الأخيرة.. ثم مزقها، بنشوة
غريبة. جمع القصاصات في قبضة يده، تتمم بعزيمة علمتها إياه، ثم قذف بتلك
القصاصات في الجو، فتناثرت، وخيل إليه، في تلك اللحظة، أنها اتخذت شكل
النيل.

الخرطوم / ٢٤ يناير ١٩٨٧م

بلاد ما وراء البحر

يا تالقه ما طري يا ذي ظلالش برود

الغنم هكذا....

رحمك الله يا علي الشغيته، كم كانت كلماتك هذه تثير في دواخلي
هو اجس الترحال نحو الوطن.. هناك حيث المطر يغسل وجه قريتي، التي حواها
حصن التراخم، فنامت بهدوء غريب، بعد أن غفا الفؤاد، فاستسلم لتلك النسائم
العليلة، التي هبت من الشمال.

كان صوت عبد الوهاب يشق عنان السماء، كل فجر.. قطرات الندى تلثم
حجارة الطريق... يخرج الحاج صالح من داره العتيقة، يتوكأ على عصاة غليظة،
متوجهاً نحو مسجد (بني هلال)، يداري في دواخله بوادر سعدة خفيفة، ويغتال
خواطره العنيدة، التي كانت تشده دوماً نحو تلك البلاد. بلاد خلف البحر بعد
الأفق البعيد، حيث عاش أحلى أيام العمر، أو هكذا يظن.

* * *

أذن الآذان، قبل لحظات قليلة، فأضاءت القناديل وجه المدينة.. كان شيخنا
يعبر الطريق نحو الجامع الكبير. قال له شيخ ابراهيم، بعد صلاة العشاء: تبتدو
مهموماً، هذه الأيام، يا حاج صالح؟

- اهم أكبر من السؤال، والقلب دليل الشيخ، شيء ما ينذر بقرب العاصفة.
السكون يلف المدى، والجرح صار بحجم الكف.

رد الشيخ صالح، باستسلام عجيب: ربما. كانت هموم البلاد، يا شيخ
ابراهيم. ابتسامة ودودة ارتسمت على شفاه الشيخ ابراهيم، وهو يقول:

- أي بلاد يا حاج صالح؟

- بلادي.. تلك البلاد التي تركتها منذ سنين.

- تريد الرجوع؟

- إنه الحلم المسافر دوماً في دواخلي.

بعد هذا العمر؟

- بعد هذا العمر، يا شيخ ابراهيم.

ومضى الشيخ في طريقه.. الأمطار هناك لا تستكين، والأهازيج تملأ وديان البلد، وأمام الدار بقرة، وثورين للحراثة، وعشرون دجاجة، ودابة للحمول، أو للأسفار.. ليته يعود.

كانت القناديل شاحبة، ونسيم الليل يداعب وجناتها، فيبدو عليها النعاس.. الشوارع العتيقة، ذات الوجه الترابي، تمتد أمام الحاج صالح، وكأنها لا تنتهي. من بعيد لاح برق في الأفق، «برق الشمال لا يخيب»، وعلى ناصية الشارع كان قاسم الوهالي يغلط متجره الصغير، ويتشائب، بصوت مسموع، بينما كان ابنه يتبول خلف المتجر. وجاء صوت الحاج صالح، متسائلاً:

- أين ابنك يا حاج قاسم؟

- خير يا حاج صالح؟

- ألف خير إن شاء الله. ثم أردف يقول:

- جاءني جواب من البلاد.. أين علي؟

- إنه قادم يا أبو محمد، ولكن قلبي من الذي جاء من البلاد؟

رد الحاج صالح، يهدوء، بعد أن مسح أرنبة أنفه، بظهر يده:

- علي الجرادي، أبو سعد.. لقد أحضر معه جرة غسل، وقارورة سمن. ثم

أضاف: وحجينة (بلس).

صاح الحاج قاسم الوهالي، بدهشة واضحة:

- حجينة بلس.. ما أطيب حجين البلس، يا حاج صالح! ثم أردف متسائلاً:

- أمعي رسالة من أم علي يا حاج؟

لم يرد الحاج صالح.. فتمتم الوهالي:

- الفقيه عبد الله يكتب الرسالة بدجاجة.

- ربما كانت أم علي لا تملك دجاجة.

- عليها أن تدبر حالها.

- الحال يبدو أقسى من ما نظن.

حسر الحاج صالح العمامة عن جبهته البارزة.. ثم أجهد بالبكاء:

لتكن مشيئة الله

أمام باب متجره، جلس شيخنا فوق مقعد صغير صنعه له «شعيبو»، ذلك النجار الناجيري العجوز، الذي كان حينما يكسد سوق النجارة، يعمل حملاً عند شيخنا.

تتابع حبات المسبحة في يد شيخنا، دوغما قصد. سأله عن بابو ابن النجار،

ثم تتم:

- استغفر الله.. لا حول ولا قوة إلا بالله!

- لتكن مشيئة الله يا حاج حسن.

- لا دائم إلا الله

- كل من عليها فان.

كان حسن علامه، والنور حاج النور، وعبد الله حميده، يجلسون بالقرب

من الحاج صالح، يواسونه في مصابه الجلل، على حد تعبير الشيخ ابراهيم.

- ماتت مسعده بنت علي جابر.

- رحمة الله تغشاها

- لم تترك لي غير محمد.

عشرون عام.. عام بعد عام.. وهو يُمني نفسه بالسفر، حتى يراها.. كان

قد تركها، وهي حامل بابنه محمد، ومن يومها لم يعد.

كان المنزل لا يخلو، وكان المتجر لا يخلو. صفوف المواسين والمعزين،^١ وبعض من لا عمل لهم.. حتى ابراهيم طلب، التاجر المشهور في بلدتهم الصغيرة، جاء يعزيه.. يومها اجتمع كل من يعرفونه. وتحولت الزيارة إلى مهرجان، وغادره التاجر الكبير، آخر النهار.

ابراهيم طلب هو ملك السوق في مدينتهم، ما كان ينافسه أحد غير ابراهيم يونس. وكان الناس فريقين؛ فريق يشتري من ابراهيم طلب، وآخر لا يشتري إلا من ابراهيم يونس.

كان كل من الحاج صالح، وأبو علي، وعلي عبد الخالق، ويحيى علي، وسعد البري، وصالح القاضي، يتعاملون مع ملك السوق. وكان كل من أبو مصلح الجرادي، وحسين عذبه، ورزق عبد الخالق، وأحمد الجمالي يتعاملون مع ابراهيم يونس. وكانوا جميعاً يتعاملون مع الخواجة هرنبغال، والذي كان يمدهم بالقمشة، على أن يسددوا قيمتها بعد البيع.

وانتهت أيام العزاء، وانحسرت عمامة الشيخ عن جبهته البارزة، وانفرجت شفتاه، ولكن بقايا حزن كان يكمن في النفس، وجرح عميق يشع بريقه من عيون الحاج صالح، ولا يخبو إلا حينما يتوسد ظلمة الليل.

اتجه أحمد العرامي من مطعم القاضي إلى قهوة الحجر، كان الوقت أواخر الثلث الأول من الليل. شتاء المدينة يلهب ظهور الفقراء. أحمد العرامي لم يحسر عمامته، كعادته، كلما كان يبحث عن شيء ما. وحينما لم يجد الحاج صالح، عبر الزقاق نحو سوق النسوان، ماراً بجامع متولي الخليفة، ثم يساراً حتى وجد نفسه أمام باب الدار.. دار الحاج صالح.

كان يصلي نوافل. انتظره أحمد العرامي، حتى أتم صلاته.. ثم يقول:

حرماً يا حاج صالح.

- جمعاً يا حاج أحمد.. أهلاً بك.

ألم يكن الملعون صالح قاسم يقول له، حينما يشاهد عشه تكتال منه الذرة،
نهار كل خميس:

- يا بخت من تزوجها.
- فيرد عليه: أي بخت يا ملعون؟!!
- يكفي تدكي على أردافها.
- قبحك الله.
- إدكي يا حاج صالح.. جبل داكي على جبل.
- ذات ليلة، كان أحمد العرامي يسامره:
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. تتمم الحاج صالح، وتنحنح ثم بصق على الأرض:

- ما بك يا حاج؟
- تذكرت عشه.
- الفلاطية أم شلوخ.. سأله أحمد العرامي، دون أن ينظر إليه:
- فأجاب، وبريق نشوة في العين: بل قل «أم صلب».
- أما زالت تحضر إلى هنا؟!!
- معاذ الله.
- ربما ترغب في زواجها، يا حاج صالح؟!!
- لم تفاجئه كلمات صديقه، فقال بهدوء:
- بعد موت أم محمد...

وسكت الحاج صالح، ومرت اللحظات، وبدا وكأن جداراً من الصمت قد
نما بينه وبين أحمد العرامي... وخرج الرجل من الدار، والحاج صالح مازال داكياً
فوق أرداف عشه، أو خيل إليه.

مر عام عل وفاة أم محمد. مرت الأيام، في بطء شديد، حتى خيّل للحاج صالح وكأن هذا العام يأبى أن ينتهي. كان خريفه أكبر مطراً من العام الماضي، وكانت المدينة قد بدأت تنمو وتتوسع. في أواخر ذلك العام سافر أحمد العرامي، والحاج قاسم، وعلي عبد الخالق، ولم يرسل معهم شيء لمحمد.

تنحّج أحمد العرامي، ثم قال: الموت حق.

- أي والله.

- الباقيات الصالحات.

- أي والله.

- ما عدنا نراك في صلاة الفجر.

- انهض حيلي يا حاج أحمد.

- قل شغلتك الدنيا.

- معاذ الله.

- يريدك شيخ إبراهيم.

- أعزيمة جديدة.

ثم أردف يقول، بهدوء يناسب الموقف:

- بلغه أنني قادم إنشاء الله. وخرج أحمد العرامي.

وتزوج عبد الخالق من فلاتية، تماماً كما تزوج مبخوت البري من إحدى

القادمات من جبال «ارتريا».

قال صالح قاسم:

- لقد حملت منه سفاحاً، قبل أن يتزوجها.

- اترك الناس في حالها، يا صالح قاسم!

- لم يخبرني أحد.. كنت أرغب في أن نعقل عبد الخالق.. فلاتية إنها كارثة

سيطلقها، فيما بعد.

- وإن أنجبت له ما العمل...

- كل شيء بيد الله.

كانت السماء فوق رأسه تبدو صافية، وكان الوقت متأخراً بعض الشيء، وكانت النجوم متألّلة، وكان الوقت متأخراً بعض الشيء... واحترم شيخنا هذا السكون، فمضى في بحر لا أمواج له، وفضل الصمت «ألم يكن يرغب في الزواج من تلك البهمة، أي والله بهمة.. بل بقرة من أبقار الغرب.. عشه أم شلوخ، صاحبة الأرداف، كم تخيل نفسه وهو يداعب تلك الأرداف الكبيرة. وتوالت الأيام في تتابع كتيب، وكبرت في رأسه فكرة الزواج، ومع بداية عام آخر كان قد تزوج من عشه.

يومها كان قد ذهب إلى غرب القاش هو وصالح قاسم، ومحمد النميري.. كان ذلك بعد صلاة المغرب، وحينما وصلوا منزل عشه أم شلوخ استقبلهم رجال الحي، ودخل الدار كانت زغرودة تنطلق لتشق عنان السماء، وأخذوا عروسهم، بعد صلاة العشاء، تزف خطاويهم أهازيج الفرح وموال يذكره، حتى الآن.

أمام داره الصغيرة التي أجرها من أحمد الشامي في حي «الزعة» ودع أصدقاءه، ودلف هو وعروسه حوش الدار.. كم مر من عمر الزمان.. آه لو تعود تلك الأيام. كانت عشه يبدو عليها الخجل، أو هكذا خيل إليه.. في حجرتهم الوحيدة التي ضمها الدار. جلست عشه على حافة عنقريب صنع من خشب الطلح الأبيض، بعد توصية للنجار شعيبو، وخلع جلبابه الأبيض بعد أن علق عمامته فوق مسمار، ثبته على حائط الغرفة.. وفرشت عشه برش أحمر اللون حواشيه خليط بين الأخضر والأصفر، صنعتها بيدها من سعف النخيل، وأخرجت من شنتتها ذلك، وفتيل عطر «بنت السودان»، وقليل من بخور التيمان، ومرت اللحظات سراعاً، وتمم الرجل، دون وعي: «الله يرحمك يا أم محمد» كان عرفك المخلوط برائحة الروث والتبن أعقب من هذه العطور مجتمعة.. ربما كان الفرق

الوحيد أن الملعونة كانت تصرخ بدلال مصطنع، وكثيراً ما كانت تغرز أصابعها في ظهره. وأدكى الحاج صالح من يومها على أرداف عشه، تماماً كما تنبأ صالح قاسم.

توالت الأيام وتتابعت السنين.. تابعت كحبات المسبحة..

وأنجب، مع الأيام، قاسم، وحسين، وزهرة، وست البنات، وتقدم الأولاد صوب الشباب، وكسد السوق، فبدأ العجوز يعمل ليل نهار، وحينما فشل أشهر إفلاسه. وكان حديثاً هز المدينة. وتكاتف الرجال، فجمعوا مبلغاً من المال، رفض هو أن يستلمه، ولكن عشه أصرت على استلامه، وافتتح محلاً لبيع التبناك، ومضت حياته تسير، في هدوء غريب.

كان قاسم قد أنهى دراسته الثانوية، فرغب بالسفر إلى بلاد والده، ورفض حسين إكمال تعليمه، فترك المدرسة، وعمل مع والده، ثم انفصل عنه، بعد أن جمع مبلغاً من المال، كان كافياً لشراء عربة كارو، فصار عربجياً مشهوراً، ساعده في ذلك بنيتة القوية، وطباعه الشرسة، خاصة بعد أن عاقر الخمر، فأدمنها. لتذهب أنت وأردافك إلى المزبلة أيها العجوز.. كان حسين مخموراً، وهو يصرخ في والده.

- قبحك الله يا ابن الد... ما فعلها أبوك ولا جدك.

- أغبياء تركتوا بلادكم وجئتم إلى هنا.. أي جد هذا الذي سمح ليك

بالمجرة؟!

- جدك أشرف من أن تنتسب إليه. ثم أردف الحاج صالح، وغصة في الحلق:

- خسارة بعد هذا العمر يكون لي ولد مثلك.

وبصق حسين في وجه والده، فدارت الدنيا في وجه الحاج صالح، ثم رفع

يده وهوى بها على وجه حسين، وهو يصرخ، بحدة: اخرج يا وجه الكلب..

اخرج يا عدو الله.

وتجمع سكان الحارة.. حاول بعضهم أن يهدىء من غضب الحاج صالح،
ولم يستسلم إلا بعد أن خرج حسين، وإلى الأبد.

كانت زهرة تحمل ملامح عمتها عماره.. هكذا كان يقول والدها، كلما
رآها، أما ست البنات فجاءت على خالتهن.. السارة.. شفتان غليظتان، وأنف
أفطس، وشعر مجعد، وأكتاف عريضة، وردفين مؤخرة حصان، حتى أن الحاج
صالح كان يداخله شيء ما في انتسابها إليه.

- الفلاتية غير مضمونة.. العرق دسّاس.. هكذا كان يحدث نفسه، كلما
رأى ست البنات.

غربة

وغربة

لا فرق بين غربة عاشها الحاج صالح، منذ ثلاثين عاماً، في بلاد ما خلف
البحر، وغربة يعيشها، الآن، في قريته الصغيرة، عند سفح أحد الجبال المنسية.
ما زال صوت عبد الوهاب يشق عنان السماء، والحاج صالح يتوكأ على
عصاته الغليظة، ولا شيء آخر سوى صوت خطواته ترجع صداها السنين
وحجارة الطريق.

عشه ما زالت في دارها قابضة تجتر الذكريات، بعد أن هجرها الحاج صالح،
وترك لها ست البنات وابنها حسين.. والحاج صالح هنا في قريته يهرب من
خوابه، كلما تراءت له تلك الأرداف. عاد الحاج صالح؛ بعد غربة طويلة. كان
محمد قد تزوج أمينة، بنت علي حسين، وكان قاسم قد التحق بكلية التربية،
وصارت زهرة مدرّسة في مدرسة القرية، بعد أن خطبها ابن الحاج قاسم. وكان
هو قد أرجع أرضه المفقودة، وأعاد حرثها، فنمت سنابل الشعير، وتناولت
محاجين الذرة، وعلى حواشيها عشرون غرسة لفاكهة، ما عهدتها القرية من قبل..

وتمتم الحاج صالح، بعد أن خرج من مسجد بني هلال، عقب صلاة الفجر:
رحمك الله يا علي الشغيته. رحمك الله يا علي محسن رحمك الله يا علي الفقيه..
ثم أخذ يدندن بصوت شجي:
يا تالقه ما طري
يا ذي ظلالش برود
رد الغنم هكذا.....

صنعاء / شتاء ١٩٨٩م

-
- (١) عنقريب: قعادة من الخشب ينام عليها أهل تلك البلاد.
(٢) صلب: أرداف، باللهجة المحلية لتلك البلاد.
(٣) برش: بساط من سعف النخل، تعسفه النساء، ويفرش على قعادة ليلة الزفاف.
(٤) دلكه: نوع من العجين، مخلوط بروائح مختلفة، تدهن العروس به زوجها ليلة الدخلة.
(٥) كارو: عربة يجرها حصان، تستخدم في نقل البضائع.
* كل ما ورد من أسماء هو من وحي الخيال، وإذا تطابقت مع الواقع فذلك صدفة، لا
أُسأل عنها!

أحمد الخزان

شاعر، وسياسي يمني، لعب دوراً نشيطاً في معارضة الحكم المتوكلية بشمال اليمن، من خلال وجوده خارج اليمن، في مصر، بالدرجة الأولى، وفي السودان، بالدرجة الثانية. وهو، الآن، مستقر في صنعاء، بعد أن تقاعد عن العمل، ولم يعد بالمهتم بالأمور السياسية، إلا أنه يكتب الشعر، من وقت لآخر.

وفي مناسبة نيل السودان للحكم الذاتي، عام ١٩٥٤م، كتب قصيدة يهنئ فيها السودانيون بهذه المناسبة، ونشرت له في صحيفة (الاتحاد). كان الخزان، يومئذ، سكرتير الاتحاد اليمني بمصر. قال موجهاً شعره لرئيس وزراء السودان:

تهانينا إلى الشعب الحبيب تزف من القلوب إلى القلوب
فهذا العهد في السودان أضحى مثلاً رائعاً بين الشعوب
وفرة حكمه الذاتي انتصار أتيح بفضل علام الغيوب
به فخر العروبة وهو نور سيهدينا إلى الرأي المصيب
فوادي النيل قبلتنا جميعاً ومنبع نهضة الآتي القريب
لنا برباه اخوان وصحب كرام في الشمال وفي الجنوب
فقم في موكب الأفراح وانظم نشيد البشر في ثوب قشيب
لقد ملك السرور عليّ قلبي فجئت أطير بالقلب الطروب
فللسودان خالصة التهاني بما أوليه من فوز عجيب
عن الشعب اليماني فاقبلوها تزف من الحبيب إلى الحبيب

وقد أسلفنا أن الخزان ورفاقه اتخذوا من المهاجرين اليمنيين بالسودان جمهوراً
لحركة التغيير في اليمن، وكان من الطبيعي أن يلتقي الخزان برمز هذا التوجه الوطني
والإنساني بين اليمنيين بالسودان، وهو الشيخ يحيى حسين الشرفي، فكتب القصائد
في مدحه:

شوقي إليك عظيم وأنت أب رحيم
وكيف أسلو وحتى متى اشتياقي يدموم
تالله أن فؤادي للبعد فيه جحيم
(يحيى) لقاءك قصدي وكل شيء أروم
لكنه الدهر قاس وللعباد ظلموم
ليت الليالي تطوى لكى لديك أصوم
ان الدراسة فرضي كما ترى يا حكيم
كذاك فرض التلاقي بكم علي لزوم
سئلت عنك فؤادي فقال يحيى عظيم
أنت ابنه فلماذا تقول أنت يتيم
أهتز وجداً إليكم إن جن ليل بهيم
وينعش الروح مني من الجنوب النسيم
ذكراك ما فارقتني فسرهما مستديم
ولا ملام ومن ذا على هواك يلوم
هذي التحيات يهديكها ابنك المستقيم
إن غبت عني فقلبي على ذراك يحوم

م ١٩٥١

وقال بمدحه، وهو الذي تكفل برسوم الدراسة في مصر للخزان وأمثاله من

الشباب اليمني الطموح، يومئذ:

آن الرحيل ولكن كيف أرتحل ومهجتي عندكم والقلب مشتعل
خزان حبكم يحى له جزع من بعدكم وله في قريكم أمل
لا روعتني الليالي في مناي وفي حلمي السعيد بين ليس يحتمل
دعوا خيالي يجري كيف شئت له فإنه بكم ما عشت متصل
ولي فؤاد رقيق الحس يجرحه جفا الحب جروحاً ليس تندمل
دوموا على العهد لا تنسوا محبتنا فانكم في وفاء العهد لي مثل

أحمد محمد الشجني

دبلوماسي يمني، عمل في سفارة شمال اليمن في الخرطوم، في الستينات، وارتبط بصداقة مع الشاعر السوداني، الدكتور تاج السر الحسن، الذي أهده أحدى قصائده. قلما ينشر أشعاره. وقصيدته (لا بد أن نمر) من مجموعة قصائد كتبها في الخرطوم. توفي عام ١٩٩٤م.

ولم أكن لأعرف الطريق

عبر الدخان والحريق

لولا نداؤك الرقيق

يهتف بي يصيح بي تعال

حبيبي نحن هنا أسرى تنقلنا الأغلال

ترهقنا الأثقال

لكم نحن للرحيل نريد أن نبحر

أن نرفع الشراع دون أن نرسي

نريد أن نمضي قاصدين اللامكان

لكنما القرصان

وصائدي السفن من يزرعون دربنا بالحقد بالألغام

عبر هذه السفينة لا يتركوننا نمر

لا يتركوننا نبحر

يخشون أن نبحر رحلتنا يخشون أن نمر

بالعوالم الفساح

يخشون أن نبجر ضوة الصباح
أن نسمع الأنغام
شادية بعيدة عن النواح
حببتي لا بد أن نمر
ونلتقي بحلمنا المعشوق
أما الأولي رأيتهم وسيفهم مسلول
والفكر في سجونهم مخنوق
ولم أكن لأستطيع
وقد مررت عن طريقهم أن أساير القطيع
شهدت يؤسها الحياة
شهدت كيف تنعكس الحياة
أعلامها إذا أطل فوقها قتلة وحاقدون
وكيف تبرز المأساة
وكدت أن أضيع أن أفقد الطريق
لولا نداؤك الرقيق
يهتف بي عبر الظلام
يهتف بي تعال
حببتي ليس سوى الترحال
ليس سوى أن نرفع الشراع
رضيت أن أكون سندباد
قبلت أن أعيش حليفي الأسفار
لأنني لو تعرفين يا حببتي لا أستطيع
أن أعيش داخل السجون

مهما تزيت وزيف المزيفون
وزعموا لي أنها أجمل ما ينتشده الإنسان
لأنني أنا الإنسان
أعرف ما يكون ما قد كان
أعرف أن الحب والحنان
أعز ما يملكه الإنسان

د. أحمد علي الخضر

نطاسي بمحي، درس الطب في رومانيا.. له بالموسيقى المصرية ولع عظيم، وهو عازف للعود. زار السودان، في طريقه إلى مصر، للدراسة قبل الجامعية، والتقى في مدينة ودمدني بشيخ شيوخ اليمانية بالسودان المناضل، يحيى حسين الشرفي، رحمة الله عليه، وكتب إليه هذه الأبيات:

وطني أحن إليك طول زماني وأهيم في ذكراك من وجداني
وطني إليك أشكو قصة رحلتي وما جرى لي في سجون (أسوان)
فمنعت من مصر ومن جناتها وحرمت نور العلم في (حلوان)
اليمن الخضرا أجمل بلدة يشهد لها التاريخ والثقلان
فأرقتها كرها لسوء نظامها وسمت عيشتها من الشعبان
وذكرتها في غربي ونشدها ونظمت ذكراها على الألحان
وترنمت أوتار عودي باليمن ومدحها وبحسنها الفتان
الله أكبر ما الذي هيج لي حب بلادي في فضا السودان
يا أيها الشعب السعيد تحية من قلبي المملوء بالإيمان
وأهدي بذكراك إلى (يحيى) حسين شيخ العروبة صانع الإحسان
يا أيها الشيخ الكريم فقم بنا لنجاهد الحكام في الميدان
ونحطم الأغلال عن اخواننا ونعيد فيهم روحهم من ثاني
ونموت في تحرير أبنائ شعبتنا ونكسر الأصنام والأوثان

م ١٩٥٢

أحمد مصطفى المثلث

شاعر من السودان. كتب قصيدته هذه، مرحباً بزيارة المناضل والشاعر
اليميني الفذ، محمد محمود الزبيرى، رحمة الله عليه، لمدينة ود مدني، بوسط
السودان. وقد أُلقيت في حفل أقيم للزبيرى، وحضره شيخ اليمانية بود مدني،
الزعيم الراحل، يحيى حسين الشرفي:

سيري على نهج السلام ورددي صور السلام
وتحدثني بين المحافل عن بني العرب الكرام
حتى يجاوبك الصدى في الناس من يمن وشام
فهنا حبيب هائم وهناك صبب مستهام
وعلى ربي السودان مقداماً تكفر عن نظام
أضحى يكرم في البلاد فتى مآثره عظام
شهم أطل وإنه في قومه الرجل الهمام
تمسك بعري المودة غير منقطع الوثام
فهو الوزير المرتضى وابن (الزبيرى) الإمام
واليوم يهبط في ربوع نالها منه المرام
في محفل رحب الجوانب في الإدارة والنظام
(يحيى) على أرجائه متقلداً أحلى وسام
تخذ المروة عادة لا يتخذ منها وسام
يا أيها الضيف الكريم قد استنار بك المقام

آدم الغزالي باكور

شاعر سوداني، يعمل في اليمن. سبق له أن نشر في صحيفة (الثورة) اليمنية مقالاً، حط فيه من كتاب صدر باليمن، بعنوان (وبكيت في الخرطوم).

الهجرة إلى باب اليمن

من سيروى من اناء فيه صورة ذي يزن
من سيمشي في طريق لا يؤدي لليمن
نعب الآن المداخل
بالرؤوس الإفريقية والقلوب الحميرية
نسلم الأوجه منا للعروبة
إن للإيمان في أرض اليمن طعمه العربي
إن للحكمة صمتا جبلي
إننا الآن نهاجر ثملاً للدرب عيوناً وخطى
نمتلي ماضٍ وحاضر
من سيمنحنا يدينا كي نعانق في الطريق العام
من عادوا من القروات للتو ونشتم البطولة
الأرض تعرف عاشقيها والجبال الشم تصطاد الصغار
ثم ترنو للخيل الراكضات على الجدار
للمراجعين ترجهم رجاً تعاريج المدينة
إنها آزال لؤلؤة المدائن

تتصادم الأزمان فيها والمسافات المكعبة بالظلال

منذ طوفان المدائن وهي تبحر في السنين

لن تنزل بعد صبية

أين خيأت السنين الدائرات مع السراب

أين خزنني الوجوه من الشفق

إن للهجرة معنى لا يقاوم

إن للسنوات أسماء وللحكمة باب

آمال إبراهيم

مؤرخة سودانية شابة، تكتب الشعر، من حين لآخر. اشتغلت في اليمن بالتدريس، وهاتان القصديتان لها مکتوبتان باليمن.. وقد صدر لها عن مركز الدراسات والبحوث اليمني، منذ فترة وجيزة، كتاب تناول بالدراسة الأكاديمية، تاريخ البحر الأحمر. (١)

اقترب ولكن

وجهي يمتد أضعاف عمري
طفل يولد في منطق الزمن الضائع
معتلياً صهوة يوم ظنه صحو يصارع عباب البحر
بحثاً عن المدائن ومرافئء دفء مأهولة
أيها الطفل المولود في رحم القدر المحتوم
تحمل بين حناياك نبضات القلب الأسر
زمنك إلى زمن نبض وقائعه يعكس بعد المأساة
اقترب ولكن لا تنسف جسر العودة إلى رحمك
اقترب لتتضح الرؤيا
فالزمن اللاهث يسحبنا خلفه يطوي لوحات اليوم
ليفضح فحوى الغد
وتأتي أنت من جوف الزمن الضائع
في عمق عصور نائية تبعد عنا قرون سراب
أتولد في زخم مسافات تأرجحنا
زخم مساحات
ضباقت اتسعت اقتربت تلاشت تبعثها حل ملائنا

اقترَب ولكن لا تنسف جسر العودة إلى رحمك
اقترَب سوف أصنع لك من الشعب البطافي فوق الماء مركب
يقاوم مد الخطر القادم من عمق البحر
وطول الشاطيء المعشوشب تنام عليه أفاعي الصيد البشرية
اقترَب لتتضح الرؤيا وتمتزع أطراف الحقيقة بالخيال
ولكن لا تنسف جسر العودة إلى رحمك

عامية إلى نزار غانم

يوم مراسيلك نجينا
في غيوم بتطل علينا
من سنا صنعا الحنينه
بننسي غريتنا وسنينه
نعتلي الغيمه ونسافر في جروفك طينه طينه
وكل نسمة تهب علينا
نديانه بي زخات رشاشك
وعبق فواح من دعاشك*
طيه زي أرضك وناسك
شايله حبا مالي ذاتك
لليمن طيلة حياتك
ما اليمين أهلك وناسك

* الدعاش: رائحة تفوح من الأرض، إثر هطول الأمطار، عند اختلاط الماء بالتراب.

(١) آمال ابراهيم محمد، الصراع الدولي حول البحر الأحمر في النصف الثاني من
القرن التاسع عشر، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٩٣ م.

بدر الدين هاشم

شاعر وأديب سوداني، صاغ مسرحية بعنوان (عرس القرية)، تحكي جانباً من كفاح شعب اليمن، ضد المستعمر الإنكليزي في جنوب البلاد. وتحت نفس هذا الهاجس، كتب قصيدته (ايا عدن). توفي، منذ عام، في الخرطوم:

أيا عدن أفديه من تسمرت يداه فوق مدفعه

فتى.. العمر في عمر الزهور

الوجه وجه ذو وزن

يستقبل الرصاص والجنّة

كما الشهيد ودع الحياة

وهام في جناته سكن

ايا عدن

الفارس الصغير حطت على يديه وقفة الزمن

يسترجع التاريخ والمشاهد القديمة

ويلبس التميمة

فالعرس عرس الشعب مهره الدماء

لا يقبل الخضوع والهزيمة

فدا لك العيون يا قمم الجبال

وروعة السدود

يا حلمنا المنشود

يا طائرًا على جناح عزمنا يحطم الأغلال والقيود

يوحد القلوب والحدود
يسترجع الأيام والرجال
حتى غدت من فرط عزمه تعود
أيا عدن
أي خلية الأبطال في سراديب الإحن
كوني لنا البداية
هزي جدار الصمت في قلب الرواية
وعلمي الجميع معنى الحياة في الرماية
وفجري الطاقات للنهاية

بدوي ابراهيم

من أهم كتاب القصة القصيرة، وكتاب القصيدة الشباب من المدرسين
السودانيين العاملين، اليوم، باليمن.. وبالتأكيد، فإن أعماله التي ينوي نشرها،
قريباً، في كتاب، ستحفل بعطائه هذا. اخترنا له مجموعة من القصائد والقصص التي
نشرها في صحيفة (الثورة) بصنعاء.

جدلية النوح حين البوح

لا تسقي الورد دمعا
يكفيننا الصمت والحزن في الأيام الشاحبات
لست أول من ابتنى قبراً في سماء الوطن وكفن قلبا
ثم مات حباً وشتات
لا تزرقي فليس للعشق رفات
كفكفي فالبوح آت
يجدل الدرب همساً ندياً عناقاً أبدياً دنحاً طريا
ماء وقات
لا تسمعي لحكايات النخل وحبوبات الرمل بين الفلوات
لضفائر تغفو على صدر الرياح الموسميات
ولا تعرف متى تصحو
فالوجد بين حبوبات الرمل
والنخل والرياح كالحلم العذب.. السراب

كأجلى الروايات المفجعة حين الإستلاب
كفكفي فنحن قد أتينا لنقتلع الرجال الأشياء
والرايات المنكسات
أتينا لنبني وطناً للسلام ووطناً للكلام
وطناً للعشق وأم اللغات

مواليد برج الصمت

* مهداة للشاعر اليمني الشاب محمد القعود..

وكانوا هناك (القعود) و(الأبنود) النوارس البيضاء
حين الدخول لحظة الدهول وكان الإحتفاء
قال القلم: توضاً واستقم أنت في حضرة الأنبياء
وذي صلاتك وهذي دواتك فغلها واكتب
قلت: ما أنا بكاتب
قال: اكتب باسم مشكاة النساء
التي جعلت الأرض لك كتاباً والهمتك السماء..
عن الساسة الانزواء
«حين يسقط الجميع إلا القلم إلا الشعراء»

صنعاء / ١٩٩١م

لك العشق كله يا صنعاء

لك العشق يا صنعاء
يا وردة سبتيمرية موشحة بالفرح
يا عروسة الجزيرة

يا من تفردين رداءك قوس قزح
وتهزجين صباحاً وعشية
يا أحلى مواويلنا الكبيرة
لأنت اليوم بنفسجة يشتاقها الندى
أنشودة بها الحب قد شدا
سما ورديّة
تحتها الكل قد بدا نشوان وعدنان
ولأنت اليوم كبرياء يتوشح المدي
فلك العشق كله والتحية
يا أميره يا ابنة ذي يزن
يا أخت عدن وفخر اليمن وعبق الوطن
الذي يعطر الأجواء
يا من تجعلني أخلق انتشاء
في صبح سبتمبري دفاق
يا فراشة الانعتاق
لك التحية
والعشق كله بدءاً وأخيراً

ضربة قمر

* في وداع (ابن عتمة)، قبيل رحيله..

البحر زاف (١)

علقتة جارية (٢)

تنشر ثوبها فوق السارية

من تحته تبدو عارية
الا من مجداف توسد الهلب (٣) ونام
وأد نجمة ناهد أمر ليس للريح فيه يد
فآخر «المحنش للحنش» يا حجاب (٤)

(١) البحر زاف: أشجار البان السامقة، المعروفة بهذا الاسم، في اليمن.

(٢) جارية: الجارية هي سفينة مفرح.

(٣) الهلب: الثقل المستعمل لتثبيت المركب، عند الرسو على الشاطئ.

(٤) آخر المحنش للحنش: مثل يمحي، والحنش هو الثعبان.

امرأة تشرق قبل الشمس

تثاءب عصفور أسود، في ثقاقل، ونادى على رفيقه، بصوت رقيق ناعس: خيو.. خيو! ومن على صخرة ناتئة قربه، حرك الرفيق الآخر رأسه إلى ناحية الأول، في استفسار. ولما رأى أن مناداة رفيقه الأول ما هي إلا إشارة العصفير المعهودة لبعضها، أثناء النوم، لتأكد من وجود السرب أو أحد أفراده بالقرب. هز جناحيه في لا مبالاة، وعاد إلى تأملاته السابقة في الجبل، وبيوتات القرية التي تتوسده، في استرخاء كسول.

خيط رفيع من الدخان يتصاعد من رأس أحد بيوتات القرية، لكنه لم يستطع أن يبصره، إلا بعد تدقيق كبير، وإمعان في النظر؛ فسماء القرية الرمادية اللون، بفعل الطبقة الضبابية لا تختلف في شيء عن خيوط الدخان المتصاعد إلى السماء. الأشباح السوداء التي تتحرك أمام ناظريه تبين فيها إمرأتين، وكلبين، يحومان حول بضعة عنزات، تتلفت في سأم وتبرم. وبينما تشاغل إحدى المرأتين بجمع الأعواد الصغيرة الجافة، التي راكمتها رياح مجهولة الاتجاه، عند أعتاب الجبل وحوله. واصلت الأخرى طريقها تجاه شجيرات (القات) المتمايلة في إلتشاء ظاهر، مع آخر نسمات الليل.

ولم يكن هناك ما يسترعي الإهتمام. فهذا يحدث كل يوم، ومع ذلك استمر العصفور الثاني في حالة التفكير الأحادية تلك، غير ملتفت إلى رفيقه الأول، الذي بدا قلقاً، من خلال قفزاته المتكررة على الصخر وحولهما، محاولاً تذكير رفيقه بأنه قد تخلص من رغبته الملحة لمواصلة النوم، وليؤكد لرفيقه الآخر يقظته الكاملة، أخذ يرف، ويحلق، في نصف دائرة، قبل أن يعود إلى موضعه السابق، بجوار رفيقه، محققاً في نفس الاتجاه، ناحية خيوط الدخان المتصاعد. شجيرات القات أوقفت تمايلها، بعد ما أحست بوقع أقدام تتجه ناحيتها، إحدى الوريقات الياضنة نظرت شذراً، ثم همست قائلة للغصن الذي التصقت به بحثاً عن الدفء: من هذه المرأة التي تشرق

قبل الشمس؟ ولماذا تتجه ناحيتنا؟ فرد عليها الغصن، قائلاً: لا أستطيع أن أميزها، لكن خطوها ليس غريباً عليّ.

ربما تكون....

وبلا مقدمات ودون صوت، أيضاً، قطع حديث العصفور جسم ناري، مندفعاً كالنيزك، مشعلاً السماء الضبابية. كان مصوباً بدقة وإحكام كبيرين، حيث لم يترك فرصة للمرأة المتجهة صوب شجيرات القات لتفعل شيء سوى أن تنخر إلى الأرض الرطبة تحتها، مطلقة صرخة مكتومة، لم يحس بها أحد، غير الكليين اللذين أخذوا ينبحان لهنية، ثم عادا إلى مراقبة العنزات المتorme. أما العصفوران الأسودان فقد قذفا بحسديهما في اتجاهين مختلفين، بعيداً عن السماء الضبابية، وصياحهما يخلق خلفهما، في دعر كبير: خيو..خيو.

عيون الشاوك التهامي

كان الماء ينز من وجهينا وجسدنا، أنا وصديقي بول، كزيرين جديدين، مع أن كل منا لم يضع على جسده سوى فنلة (تي شيرت) بيضاء، فوق سرواله الواسع، قبل حضورنا إلى سوق الأسماك بالحديدة، عند الساعة صباحاً، لمشاهدة البحر، والسوق، وتناول وجبة من الدايك الطازج. إلا أن الشمس آخر يونيو، فتحت عامدة عينيها الواسعتين إلى آخرهما، لتصطاد الجميع. ولم يكن بوسعنا، أنا وبول، أن نهرب من شبك العيون المدارية. فاصطحبتنا في تجوالنا وقادتنا نحو البحر.

من مصنع الثلج، ومن خلال كرة أعلاه، استطاع البحر التهامي أن يشد عيني كاميرا بول إليه. فعلى اليسار، الأولاد والبنات، دون العاشرة، يسبحون أو يتعلمون السباحة. وعلى اليمين باعة ومشترى ذكور وإناث من كل الأعمار،

يملاؤون البحر بشراً، ورقة، وعافية، تلمسها في وجوههم، أو عباراتهم، عند
الشراء، لدى ترحيبهم بالصيادين، العائدين لتوهم من البحر.
شباك الصيد بعضها يفتح عيونه البيضاء الكبيرة تحت الظل، ينتظر دوره، أو
يشير إلى مواضع في جسده تحتاج عناية صاحبه قبل النزول إلى البحر، وبعضها
الآخر يسبل مقلتيه على سر دفين. المراكب العائدة المصنوعة من الخشب والحديد،
ذات الموتور الصناعي، بأحجامها الصغيرة والمتوسطة، تفرد أشرعتها الموشحة
بالأحمر، والأخضر، وتتمخطر كطيور البحر البيضاء الالهية خلفها على بحر تحزي
أمواجه أن تصطفق.

(ذو الرأس المطرقة)، أيضاً.. إنه لشيء مذهل.
كان بول يقول ذلك، وهو يتراقص فرحاً، ذات اليمين وذات اليسار، مديراً
ظهره للشمس، ثم ينحني إلى الأرض، ثانياً ركبتيه، في محاولة لاعطاء الكاميرا
وضعاً مناسباً، يمكنه من العمل، بدقة كبيرة، لتسجيل لحظة الدهشة المنبجسة من
رؤية (يافعين من أسماك القرش)، كما يقول.

وقتها كنا قد غادرنا مصنع الثلج إلى مدخل السوق، حيث المطاعم، لتناول
الافطار. فتقدمت إلى الصبي، صاحب السمكتين، ورجوته أن يرفع رأسيهما من
على عربته الحديدية، ذات العجل الواحد، حتى يتمكن بول من التقاط صورة
واضحة للقرشين اليافعين، حتى ينقل الدهشة كاملة إلى أسرته، وأصدقائه، وزملائه
الأطباء في لندن. كما كنت أحب لصديقي بول أن يحس بفخر الرجل، الذي يقف
على مقربة من قرش.

وبول يأخذ عدة لقطات لـ (ذو الرأس المطرقة)، التقت عينا القرش التهامي
اليافع... بعيني.

كانتا عينين من كحل وماء عند الهدب الناعسة الناعمة بسبيك مزيج من
براءة، حيرة، وشيء من حزن، كالذي تحسه عند تحديقك في وجه الجيوكندا. وفي

الوسط تشدك قوة ساحرة للإقتراب، حتى الالتحام، بصاحبها، كتلك التي تقرأها في عين حسناء أمهرية، تخاصرها على نغم غربي حالم، بعد الحادية عشرة مساءً. أخذ بول يحدثني عند تناول الإفطار عن أسماك القرش، وكيف أن القرش الأبيض يروّع الناس، كل صيف، عند (الميامي بيتش)، مقارنةً ذلك بسماحة الشارك التهامي الأسود، الذي يترك الأطفال يسبحون في شاطئ الحديدة، بسلام. وكنت مسحوراً، مثل بول، لكن بعيني الشارك التهامي اللتين تدعوانك للإقتراب، أكثر فأكثر، حتى الالتحام. أو ربما كنت خائفاً أو ربما كان يتتبعني شعور بالاحساسين معاً. حقيقة أنا لا أدري، فقط أحس سعادة كبيرة، لأنني كنت ملء عيون شارك تهامي.

عيون الجسر المعلق

كأبي حنيفة، يمد رجليه ثم ينزلهما على يافوخ المدرسة، في تودة، تتناسب مع كومة جسده المستندة إلى كتلة السمنت عند الطرف الآخر للشارع. المارة القليل العدد تحته لا يلقون بالالما فوقهم، مثلهم مثل السيارات المسرعة في الاتجاهين، على الجبهة اليمنى، حسب قانون نظام السير والحركة. المدرسة... نفسها...، وبعد مغادرة الطلاب، عند الظهر الباكر، تغط في نوم عميق، تلمسه في صفير الرياح المتقطع غير ردهاتها، أو حفيف أغصان الأشجار الكائنة في فناء المبنى.

ربما الشارع المزفلت هو الوحيد الذي يهتم لما يجري فوقه، بحكم أنه، دون غيره، يحتمل ثقل الجسر المعلق وغيره من العابرين والعابرات، وبالطبع، راوي هذه القصة فالحياة عليه، ولي أجر المناولة، ولكم العتبي.

ولا بد أنكم جميعاً شاهدتم ذلك الجسر المستلقي على ظهره، أنا مثلكم شاهدته، مراراً، في استرخائه المريح (تيك)، وكنت أعتقد أنه يفعل ذلك ترفعاً عن

الصغار والصغائر تحته، أو أن له علاقة (باليمنية) لإعطاء إشارات للطائرات الهابطة. ثم غيرت ذلك الاعتقاد، وقلت لنفسى إنه ربما نصح له أحد الأطباء بذلك، كي تكتسب بشرته اللون الأسمر، أو قليلاً منه، مثلما يفعل أثرياء البيض على رمال المتوسط، كل صيف.

لكنني وبعد أن طعمت (الربطة) التي جاءتني من بيت الكوماني من ذما.... وصلت للإجابة الشافية، وهي أن هذا الجسر إما أنه أكبر فلاسفة العصر، أو أنه أكبر العلماء، والسبب في ذلك أنه ينظر إلى السماء، دائماً، مثله مثل فلاسفة اليونان الماديين أو العلماء؛ مثل جاليليو. وهو يفعل ذلك لأنه يبحث عن مسألة محيرة، كأن تقول مثلاً: كم عدد الجولات التي يحتاجها أربعة عرب (طحاطيح)، يساعدهم عدة سماسرة، لا قناع تاجر يهودي واحد للتنازل عن متر مربع من أرض لا يملكها، في مقابل كل ربع متر مربع خصب من تلكم الأرض، سنوياً، وإلى قيام الساعة.

نظر إلى (الزفلة)، باستهجان، جعلني أحس بحقارتي وضالة أفكارى، فأطرقت.

فقال الزفلة، لما رأى وقع نظريته:

- قلنا لكم لا تتبعوا أنفسكم بالعلم الكثير هذا، قتلوا اخرجوا من صنعاء ها.. قد خرجنا.

فقلت، في اعتذار ذليل:

- أنا آسف يا مزفلة. لكن أشقي أعرف. وكلامي كان ظن، فقط. وبعض

الظن... أنت أدري به....

فأصلح من جلسته، قبل أن يقول المزفلة، والعهد عليه:

- ياجنا.. هذا الجسر هو رجال، والسرقة جروا منه (ابو دبه). ولما ما وجد

له أثر هو ورجال القانون، سار لي عند عالم كتب له بصيرة صعبه مرة.

ومن يومها، صار صاحبك الرجال جسر هاتا مريع للسرقة سع ما بتبصر.
وجدت كلام (الراوي) المزفلت مقنعاً جداً. فبعض الناس قد مسخوا قرده
وبعضهم الآخر حجارة. وإذن ليس غريباً أن يمسح رجل إلى جسر معلق يفتح
عيونه، إنتظاراً لـ (أبودبه) المندفع في إثر (ليلي علوي)^(١)، كما تشاهدون.

(١) ليلي علوي، اسم يطلقه اليمنيون على نوع من أنواع السيارات الفاعرة (المولف).

د. تاج السر الحسن

الدكتور تاج السر الحسن شاعر سوداني معروف، ومن أسرة مبدعة، تضم شاعراً آخر هو الحسين الحسن، شقيق تاج السر. وقد تلقى تاج السر علومه في السودان، ومصر، ومن ثم في إحدى الجمهوريات السوفيتية.

تعرف خلال دراسته في مصر بعدد من الطلبة اليمنيين، الذين تلقوا علومهم بمصر، في الخمسينات، أمثال الشاعر محمد أنعم غالب، والشاعر عبده عثمان، الذي أشار إلى هذه المعلومة في كتاب صدر عنه^(١)؛ وذكر فيه شعراء السودان الشباب، في القاهرة الخمسينات: تاج السر الحسن، وجيلي عبد الرحمن، وحجي الدين فارس، ومحمد مفتاح الفيتوري. والواقع أن تاج السر التقى هناك، أيضاً، بالزيري، والنعمان الأب والإبن، ود. أبو بكر السقاف، وعمر الجاوي.

ومن الطريف أن تأثر تاجر السر بالمزاج اليمني جعله ينافس محمد أنعم غالب في قطف وريقات شجرة (القات) من حديقة الأرملة وحديقة الحيوان في القاهرة، والإنتشاء بمفعولها. والواقع أن المرء يجد نفسه مدفوعاً في هذا المقام إلى ذكر دراستين موسوعيتين من الناحية التاريخية للطبيب والأديب السوداني الراحل، البروفسور التجاني الماحي (ت ١٩٧٠م)، أنجزهما في العقود الوسطى لقرننا العشرين^(٢).

وقد صدر تاج السر الحسن ديوانه الثاني (القلب الأخضر)^(٣)، والذي صدر له بعد ديوانه الأول المشترك مع الشاعر جيلي عبد الرحمن، بقصيدة (عودة ذي يزن) المكتوبة في موسكو، في أكتوبر عام ١٩٦٢م، ترحيباً بثورة اليمن، في سبتمبر ١٩٦٢م، منها:

قد عاد ذو وزن جواده عرفه ينداعب السماء
يمد ظله في اليمن السعيدة الخضراء
أعلامه الجديدة تكلل الجديدة
قد عاد يحرق الأغلال والوثن وقصر صنعاء الذي يحوطه العبيد
تكسرت قلاعہ أعمدة الحديد
ومات مالكوہ في متاهة الزمان
غطاهم باللعنات والأكفان
البن ينمو في الجبال والبشر يعلنون فوق قمم الزمان من جديد
ويصنعون فجراً مشرق الصور
وسيد مأرب القديم شيد في الرمال
وظله الأخضر أنبت الحقول والآلال
رأيتہ يسمق فوق قمم الجبال
ينبوعه يقطر الماء على الصحارى
وضوؤه ينور الطريق للحيارى
وعاد ذو وزن على وجوهكم يا رفقي عيناه تلمعان
وفي شفاهكم نيرة صوته الجسور
وفي أيديكم حسامه يقطر منه النور
وفوق حدة دم الطفغة والكهان
قد عاد فليتحدا الجنوب والشمال

ولتتحسر مأساة تلکم اللیل
بلادنا صنعاء أو عدن
سعيدة قوية بلادنا اليمن
ففي ربوعها قد عاد ذو یزن

ویکتب فی القاهرة قصیدته (موت صديق) (٤)؛ راثياً فیها فدائياً یمنیاً، سقط
شهیداً فی حرب التحریر مع المستعمر الیطانی فی جنوب الیمن، فی الستینات،
ویستحضر فیها شیئاً من قصیده (شوق زهران) للشاعر المصری الراحل صلاح عبد
الصبور، منها:

قد مات فی عدن ذاك الذی عرفته علی شواطئ الجزیرة
ودمه لون شطآن الخلیج والیمن
وقبل أن یطلق فوق صدره الرصاص تذكر النیل وأرض (دنشواي)
وظل (زهران) یغطي ردهة الزمن
لم یعرف الحمام أنه السبب والأرض أم البحر والصدف
أم كل النفط أم النخل أم السعف
لم تدر أنها السبب
لأنها یدر تندیها الحیاة عروقها تفيض بالذهب
ذاك الذی شد علی عنقك یا زهران حبل المشنقة
ذاك الذی عند الأصيل یصطاد الحمام والبشر

في قرية مصرية مسالمة هناك حيث عاش زهران ومات رافعاً راية المقاومة

ذاك الذي روع دنشواي حفيده يجوس في عدن

قاتل زهران حفيده يجوس في عدن

عرفته جلسنا في مقاهي النيل وكان يحكي لي

عن المقاصل السجون والهجرة الغربية عن ربي الوطن

وفوق صدره تخرج الأسى تدحرجت طاحونة الزمن

يا جيلنا الجسر إلى الحقيقة

يا جيلنا المهدي والكفن

يا جيلنا متى سنلتقي ونحن لم نزل معاً معاً

قد مات في عدن ذاك الذي عرفته على شواطئ الجزيرة

وملء روحه وقلبه كل اليمن... كل اليمن

ومن موسكو، يكتب قصيدته (أصدقاء من تعز) (٥)، ويهديها إلى صديقين

من اليمن، هما الشاعر أحمد الشنجي، والصحفي عبد الله مقبول الضيق؛ متذكراً

مقاهي باب اللوق:

الصمت مثل النار يشعل عشب الذكريات القديم

على سهول الأمس كانت ترى أطلالهم وراء سواح الديار

حيث الجبال البن يزهو على رؤوسها ويستमित الرجال

الدم يروي البن

الدم يروي القات

الليل نسر جائع يأكل من قلوبنا يقتات

يا أصدقاء الجيزة الخضراء على ثراها وقع أقدامنا

الجسر والجامعة وروضة الأصدقاء

أُغنية من تعز منها يفوح الدم مثل العطور
مقاصل الإمام عند النيل يصوغها الشعر ليمحوها
ولحظة تسرح أبصارنا ما أوحش الليل واقساه
إلى اللقاء تكاثف الضباب في الطريق
(أحمد) (عبد الله) كيف الحال
رسالة تفيض بالذكرى
شوارع العواصم الكبرى شوارع العالم تلفظنا
لكنما تجمعنا الذكرى

ثم تحمل الأيام تاج السر إلى عدن، في مطلع السبعينات، حيث عمل
بالتدريس الجامعي، بكلية التربية بعدن، واسهم هناك في الحركة الأدبية، إسهاماً
وقفنا عليه في مجالات (الكلمة)، و(الحكمة)، و(اليمن الجديد)، وحاز على إعجاب
النقاد اليمنيين، أمثال: الأستاذ عبد البار طاهر(٦). وقبل أن يقفل راجعاً إلى
الخرطوم، يكتب في عدن قصيدة، بعنوان (الوتر المشدود) منها:

هذا الوتر المشدود من قلبي إلى قيثاره العالم بفعل الريح
قضايا تستحق البوح
فيا موجات بحري الأحمر الطوافة الخضراء
إذا ربح الشمال دنت وهبت تشعل الموجات
ذوآبات من الفضة يزهرن رؤى بيضاء
تعالى وامسحي من وترى المشدود إلى قيثاره العالم
أسى تلك الكآبة صمت ذاك النوح
ويا عدن المفتحة البراعم

يا يمانية
دعيني أفتح العينين في عينيك
دعيني أنشق البحر العميق وأرتقي قمم الجبال
وأرملق الواحة
لعل الريح إن هبت شمالية وإن عبت يمانية
أعود لتلكم الساحة

-
- (١) ابراهيم المقحفي، حوار مع أربعة شعراء من اليمن، دار الهناء، القاهرة، ١٩٧٥ م.
(٢) التجاني الماحي، الأعمال المختارة، جامعة الخرطوم، ١٩٨١ م.
(٣) تاج السر الحسن، القلب الأخضر، القاهرة.
(٤) تاج السر الحسن، النخلة تسأل أين الفاس، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٢ م.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) عبد الباري طاهر، مجلة اليمن الجديد (صنعاء)، العدد ٤ سنة ١٩٧٥ م.
انظر، أيضاً، دراسة لتاج السر الحسن بعنوان (وشائج الكلمات عن العلائق الثقافية بين اليمن والسودان)، صحيفة الخرطوم، (القاهرة) عام ١٩٩٤ م.

جعفر حامد البشير

أديب وشاعر سوداني، عمل، في مطلع الثمانينات، مستشاراً للبنك اليمني للإنشاء والتعمير، بصنعاء، وصادق أدباء اليمن، خاصة الشاعر الدكتور سعيد الشيباني، الذي كتب في شاعرنا القصيد.. وعندما تقارب الزعيمان اليمنيان، علي عبد الله صالح وعلي ناصر محمد، كتب هذه المقطوعة، يهنئهما بالتوافق، من أجل وحدة اليمن.. كذلك نشرت له صحيفة (الثورة)، بصنعاء، كتابات ثرية أخرى، عن الأدب اليمني:

الله أكبر كم يبقى على الزمن هذا اللقاء لقاء الروح والبدن
إن أشرق اليوم في صنعاء منبجاً هذا الضياء فقد أوفى على عدن
إن العليين خطا حينما اتفقا مسيرة الوحدة الشماء لليمن
بل للعروبة في أقصى مرابضها بين المحيطين في شوق وفي شجن
فلتفرح اليوم أجساد مكنته من ناصر وسمت حتى لذي يزن
إن العروبة يا أعداء أمتنا لما تصب ويلكم بالضعف والوهن
وهاك يا وطني الثاني مشاركة مني ومن كل اخواني ومن وطني
عجالة ضمخ السودان باقتها بعطر وجدانه الدفاق والهتن

جمال أحمد الفقيه

هو نجل الشيخ أحمد الفقيه، شيخ اليمانية في كسلا، بشرق السودان، وهو شقيق صالح الفقيه، الذي أصبح، في وقت ما، رئيساً للاتحاد العام للمغتربين اليمنيين في السودان، وشقيق أحمد الفقيه، الشاعر والقاص الشاب. يكتب جمال الفقيه الجواهر الثرية. وينشر بعضها في صنعاء، منذ أن استقر بها.

ود بادي شاعر العامية في السودان

محمد بادي، الشهير بود بادي، طبيب سوداني، وشاعر فنان موهوب، تخصص في الشعر الحلمتيشي السوداني، وهو شعر يحتاج إلى عبقرية فذة، وملكة وموهبة إلهية. واذكر له قصيدة يشرح فيها موقف شخص ألقى التحية على الناس، وكانوا من أبناء الأسر الغنية، فلم يردوا عليه، فقال:

تبقى مصيبه إن كان السنه انعدمت بين الناس

تبقى مصيبه إن كان القرش الأحمر قسم الخلق أجناس أجناس

يا سادات البرج العاجي سلام

يا سادات البلد الغادي سلام

والله قدامي وما شايفكم ولما أشوفكم بشوق أقزام أقزام

يا سادات البرج العاجي وداع

يا ناسات البلد الغادي وداع

نتقابل في يوم أنداد ونصفي حسابنا الصاع بالصاع

أحس أن ود بادي فرس جامع، يحمل هموم شعبية، يخرجها بسلاسة وعذوبة، لا يسعنا إلا أن نقف أمامها مشدوهين. وأتمنى أن يسمع ود بادي الزامل

اليمني، لأنه سيجد أنه فن أصيل، وأن منبعه والشعر الحلمتيشي في السودان
واحد.. المفردات متقاربة، والبنية، والفكرة، أيضاً.

كسلا

إليك يا مدينة تنام عند السحر وتغتسل فجرأ بماء القاش الدافق القادم من
أعلى بلاد الأمهرا. إليك يا من التقيتها طفلاً وودعتها شاباً راسخاً رسوخ جبال
التاكا وأنا أردد في سري قول ادريس جماع فيك:
أنت السماء بدت لنا واستعصمت بالبعد عنا

د. جيلي عبد الرحمن

شاعر سوداني معروف، وأحد أهم شعراء السودان، الذين اتخذوا الإشتراكية العلمية مذهباً لهم، في الأدب والحياة. درس بالسودان ومصر، ثم حصل على درجة الدكتوراه من جامعة سوفيتيه، واستقر في عدن، مشغلاً بالتدريس الجامعي، بكلية التربية، ما بين عام ١٩٧٧م وعام ١٩٨٣م، ثم غادرها للعمل بجامعة وهران بالجزائر. توفي إثر مرض عضال، في القاهرة، سنة ١٩٩٠م.

لعب دوراً ثقافياً كبيراً، خلال إقامته بـعدن، وتمتع برضى حكومتها، يومئذ، عنه، وظل يحمل التقدير لقياديتها، الذين بادلوه المشاعر ذاتها، وتنافسوا على التكفل بنفقات علاجه بمصر، رغم اختلافهم الشديد فيما بينهم، في يناير من سنة ١٩٨٦م.

وعلى مستوى التدريس الجامعي، فقد ترك بصمات واضحة في تلاميذه من أدباء اليمن الشباب، والذين درّسهم الأدب الحديث، وعلم الجمال، أمثال: محمد حسين هيثم، وكما الدين محمد، وخالد هزاع، والدكتور جنيد محمد جنيد. نشرت مقالاته وقصائده عن اليمن في مجلة (الحرية) الفلسطينية، و(الثوري) اليمنية، التي قدم فيها دراسة مطولة عن ديوان (الجدار والمشنقة)، للشاعر اليمني عبده عثمان.. وعدد آخر من المجلات اليمنية.

له ديوانان مخطوطان، وقفت عليهما في القاهرة لدى شقيقه الشاعر محمود السيد عبد الرحمن، هما: (الحريق وأحلام البلابل)؛ و(بوابات المدن الصفراء). وخلال إقامته بـعدن، كتب مقدمة لـديوان (الرحيل النبيل)(١)، للشاعر السوداني المقيم بـعدن، الدكتور مبارك حسن الخليفة.. والذي أهده إحدى قصائده الديوان، بعنوان (الغار والهداية) منها:

أيها الشيخ الذي خلف في الغار سنينا من عناء
ونجيمات تألقن على خسيط ضياء
وحروفاً ضوأت لوحك من نور حراء
وبقايا من طعام السدر في قعر الإناء
وهذه بعض من أشعاره في اليمن:

نعود مع البرق اليماني

تحاصرني المدن وضوء المرايا على ساقها
يفادرنني الوطن ولم أفتح بأعماقها
تماثيل قوطية السحنات
وأبراجها سلاف تته بأعراقها
مصاييحها مثقلات ولما أرى غير أطراقها
أروم نبياً من الشعر شحت على القبيض كل أباريقها
تقاذفني فوق أبوابها
وتحشرني بين أنفاقها
وجئت مريضاً كعشاقها
على الثوب عطر الصخور التي خلفتني لأحيا بترياقها
يخون القصيد فتاة لأنني حملت الينابيع من شدقها
وحين تعذبت في شوقها تلوى بقيدي لظلي شوقها
يمانية أطعمتني سدرًا وبدراً يندوب على ريقها
غصوني أخاديد من برقها وحمري كتمراتها ذيقها
وقلبي كدف الأيادي الفقيرة عنقد في عنقها
وعلقت الشمس في أفقها
كحلم البرايا وأرزاقها

نعود زمردة تستحم بأوراقها
وتنفجرين كقافية من حدود النشوى وأحداقها

من هشيم السحرة

بلقيس يا مليكة العروش والفرائد
هذا زمان التكنولوجيا لا يستجيب للهداهد
يا سليمان إتقنا هنا في النار

قات

تقاتل وحدك
ومن لي بعدك
القات أخضر والغيم أخضر
وأنت كما أنت روحك شفق وعنبر

الوهج

من يصب الخمر كالقات
يحط الروح في السفح الموات

اخضرار المطر اليتيم

من سبأ جئت نبأ الرسم
أحرفه وشم
توارب البابا
قل هاجسا أو رقية سرايا
وأقرا عليه (بسم)

(١) مبارك حسن الخليفة، الوحيل النبيل، مؤسسة ١٤ أكتوبر، عدن، ١٩٨١م.

حامد ابراهيم حامد

شاعر سوداني، عمل بالتدريس باليمن، وكتب هناك قصيدته هذه:

تحت قوس الجزيرة العربية

في الفاتحة لك التحية .

مثل افترار الزهر والشمس النقية

أما بعد فأليك والشمس في مرجل الإكليل

أخبار من جاز التخوم الساحلية

يا نجمة الخرطوم ضيّعت خطوي في البهيم

فلا أقيم ولا أسافر

تتقطر الساعات تفري حجاب الليل في زخم التواتر

يتناسل المضمار آماداً يفرق همتي مرقاً شطائر

حادثيني يا عيون النيل

فما اجتمعت عليك ملامح العتمور (١)

وما اقترفت جرائر الترحال في شرك المخاطر

تظل غاياتي على الدرب المعصب

ركبت بحراً زاحمت نسرأ

وسلخت غلى جسر السنين عشريناً وعشرأ

متعسفأ في حاضري سبل المظفر (٢)

مجدب التحليق

أنقل وجهتي في الصمت قسراً
تتقاطع الأقواس على طبق السكون
ترسم خارطة الجراح أشكالا تعرى
جفلت عني النهايات
ولت فنارات المرافىء فما دنوت بمطمحي المرجو شبراً
ذا أنا وأنت في الخرطوم عين ساهر
يصاقب سهدا كحل الغياب
تحصين للنبض اللهيف
تساقط الأيام بجدول التوقيت
لآخر الأرقام على حدود الفجر وأنسام الإياب
نهضت بباب الليل كل دفاتر التذكار
بالشجن القديم وبالخطاير
حملت أغاني الأمس والكلم الأنيق منضداً بفهم المزاهر
يا بيدر النجم المعلق فوق صدر النيل عقداً من مكارم
يا بردة من شمس الغراء ثوباً للأكارم
يا دوحة من روضة المأنوس ترفل بالنسائم
يا طهر الغراس النابتات معزة تثري العوالم
يا تهليلة بالفجر شادت أم درمان يا زخة المعالم (٣)
ما زلت أقرأ في الرقيم كتاب عهدك
لن أحيـد ولن أساوم
في انتظار الشمس ترحل في المدارات تختزل المسافة
تأكل أعراق الشمال
حتى إذا رتع الصباح

على الوجوه مبرقشاً حدر السماح
وكل دوحات المدائن
تتناغم الأنداء والهزج الأخير يزف أشرعة السفائن

(١) صحراء بشمال السودان.

(٢) أشهر ملوك دولة بني رسول اليمنية، وعاصمتها تعز.

(٣) عاصمة دولة المهديّة بالسودان، في القرن التاسع عشر الميلادي.

حامد عوض حامد

شاعر سوداني شاب، اشتغل، وما يزال، بالتدريس في اليمن في صنعاء، ومدن أخرى حوالها، وطبع ديوانه الأول في اليمن، منذ سنوات. حقق شعره تقدماً فنياً ملحوظاً منذ ديوانه الأول، الذي طغت فيه سياسة الدفاع عن العراق في حرب الخليج، ١٩٩١م (١)، كمضمون للقصائد على الناحية الفنية. ويعد الشاعر من أكثر من يرفدون الأدب السوداني المكتوب باليمن، حالياً.

عيناى

أنا الخرطوم مزماري وأغنيقي كما صنعاء أوتاري وتلحيني
هما عيناى في حلي وترحالي فهل تدري بدا أروى فتكفيني؟

١٩٨٩م

اليمن.. الوصل الحميم

هي اليمن جذور العرب أجمعهم لها الكرم لها الطائي عنواناً
تمد بنيتها منذ السد أنهار ندى حمى واشفاقاً وتحنناً
وللخرطوم حين النيل قد سبقت وأدمع طفلها تحكيك أحزاناً
ومن فرط ظننا الجرح باليمن وكان الجرح يا صنعاء سوداناً

آزال

الله صانك يا آزال ونضدا والخير فاض على أم عراض وعربدا

واليمن ألقى على الشعاب فيضوه وأقام ما مل أم نواء فأنجدا
اني أرى فيك قلول وبلبل* من ذا يماري ما رأيت مجسدا
من لم يرى صنعاء يعشق صيتها فهي الغناء لمن تغنى وأنشدا
للشعر فيها تأمل وتنسك والقلب في محرابها متهددا
في كوكبان ووداي ظهر آية لمجاهد ومكابر رام العدا
ان تسألوا صبرا يحدث عنهم أو اسألوا نغم العتي الماردا
قمم السمارة أو شعيب والصلو أو سائلوا عنهم بكيل وحاشدا
والقات بمس الخل فيه حتفكم كم أخضر جار الأفاعي والردى

مايو ١٩٨٧م

*قلول وبلبل: قرى جميلة خضراء بمنطقة جبل مره بالسودان.

لقاء وهموم

حييتها فتلعثمت: «فجعتني» قلت: فداك انني من يؤتمن
قالت: غريب ها هنا، قلت وهل من غربة للعرب في أرض اليمن
كان الألي أجدادنا من صلبها ثم ابتنوا في كل قاصية ووطن
سيان من غذاه موج النيل أو عذب قراح من غيول ذي يزن
اني أتيت من بهاء عمائم لم تحنها يوماً تصاريف الزمن
إني من السودان ذي الوقفات واللآءات لم تصرفه عن حق حزن
إني بلى لي سحنة كاللجة ودواخلي ضاءت لآلئها الدجن
قحطان جار في شرايبي ومن إفريقيا أرضعت حباً للحسن
وكساني الإسلام ثوب فضيلة مازتني بين العالمين في علن
إني من السودان حسي أن أرى متلفحاً ثوب الإباء الممتحن
ساءلتها لما تبدد روعها عن دارها عن عمرها والإسم من

قالت أنا بنت السواحل والشعاب والسفوح الحلمات والقنن
وضاح من أجدادي والقاهر الأقران والأنداد طرا ذوين
من حمير بنت التباة الألي كانوا لقافلة الحضارات رسن
ساسبوا وشادوا وابتنوا ما لم يزل أسأ لقانون وفن
في مأرب أو بالكلأ تلقني في حجة في شنبوة أو في عدن
أزال ما ظلت ضميراً للعصور يستريح في حواريتها الزمن
في كوكبان عترقي وعشيرتي أم وأباء وروح والبلدن
قلت: لمن أتكلم قالت: بأروى سمني أو شئت بلبقيس اليمن
قلت: أما في وحدة اليمنين بذرة وحدة عربية بعد الشطن
قالت: بلي دكوا عروش النفط والأهرام تمتلك العروبة للوطن!

٢٢ مايو ١٩٩٣ م

معزوفات الصعود والرحيل

صنعاء حاضرة القمم إليك أتيت يا صنعاء

ممتظياً تاريخي وألحاني

وبين طبولي السمرَاء أغنية موقعة لعيان

وتواشيح إلى نغم وثالثة لشمسان

ورابعة إلى صيره وخامسة إلى ردفان

إليك أتيت يا تعز

على الأبواب تاريخاً لمن (جرهم) كانوا

أتيت إليك مستقباً فصول البن والموز

على بحر من الدانه أغني دان وا دانه

أتيت إليك التحف غيوماً حبلى يا يمن

أتيت إليك مذكراً سيوف الفارس يزن
وصولات لنشوان
أتيت إليك أرتشف الموايل الحمينية
أتيت إليك يا يمن من الشمس مهاد النيل والتاكا
أتيت إليك يا يمن على حقوي سوميت
إفريقية رنات طبل العز تمنحني مداراتي
ويا صنعاء إن سألوا فهذي الصرة الفواحة شيء من الشيع
وأعواد من الصندل وأدعية وألواح من الذكر
تنجيبي من السحر وهذا الأبيض ثوب
وجلباب وملفحة كلون البدر بالماء ولا فخر
وعند الرأس زيتنا عمامتنا
وفي الكعب عصي الأبنوس غايتنا
وعزتنا أصالتنا هل هي الأصل
بها كان العروج الباكر أعلى من القمم
هي الوطن بعيد السد أنهار
إليك أتيت يا بلقيس مذكراً سيوف الفارس يزن
توضأت بقشر البن غنيت بباب القاع نشوانا
ونضدت بباب الملح الحاني
إليك أتيت يا صنعاء مأتوراً حزاماً ضم في وسطيه صيفاني
ويا صنعاء غنيت وللأبواب آذان لها استرق
بايقاع الحضارات السماوية هنا سبا
هنا أنعم هنا يزن هنا عدن هنا الجند
تغني دانه وا دانه

أتيت إليك يا صنعاء أحمل وشمي الحامي سجادا
وأحقافاً من النمر
ويا صنعاء في بردى صوفي يحيل الليل واحات من الصلوات والذكر
أتيت يا صنعاء ولهانا
وحادي صعودي للسد مزودتي
وتتلو مهر لقيانا
على الساحات قرآنا
فهل للوصل أن يمتد يا صنعاء ننصهر
وتنصهر المسافات
ويغدو عشقنا الأزلي معراجاً للقيانا

يناير ١٩٩٢م

(١) حامد عوض حامد، تداعيات لعيني بغداد، مطابع صنعاء الحديثة للأوقست،

١٩٩١م

حسن محجوب

صحفي سوداني، يعمل في صنعاء. بدأ بالكتابة في صحف تنتمي للحزب
الاشتراكي، مباركاً توجهها، ثم ما لبث أن استقر في أحضان الصحف المتنامية
للمؤتمر الشعبي العام، مستخراً قلمه للدفاع عن مسارها.
من قصائده المكتوبة في اليمن (بطاقة حب معلن):
فاطمة يا أخت حوريات النيل
ويا تمر بلادِي الزاهي فوق العرجون
يا أخت (جميلة) (أنجيلا)
كلماتك عبرت أعتى الألبوار
أقوى من إعصار حملت اسمك
للاجلال والتذكّار ولليوم الآتي
فوق جماجم أعداء الثوار
شدي من قبضتك المرفوعة يا أختاه
شدي فالصبح دنا
والنصر لك والنصر لنا

حسن محمد سعيد

مستشار قانوني، وقاضي سوداني، عمل باليمن، وتديرها، وهذه مرثيته في الشاعر والفنان والمهندس اليمني الراحل، عبد اللطيف الربيع، وتاريخ كتابتها، في صنعاء، ٢٦ ابريل عام ١٩٩٣م.

الرسالة المستحيلة إلى عبد اللطيف الربيع

من عبث الأقدار أن تكون رسالتي هذه إليك.. وهي الأولى، بلا شك.. قد جاءت وأنت غائب عن دنيانا، والغريب في الأمر أنني لم افكر، قط، في كلمة عنك إلا عندما نعاك الناعي، وجاءني خبرك حزينا، يشق السكون، وكأنني أشعر، لأول مرة، أنك ملأت الدنيا، وشغلت الناس. ولحظتها، فقط، فكرت وأرهقني التفكير، وفي معاناة عبثية، كانت هذه الرسالة، متوهماً أنها ستصلك وفق المؤلف والمعتاد، في دنيا الأحياء، ومع أن المؤلف والمعتاد في دنيا الأحياء يجعلانها مستحيلة، فقد اتروا لحظة الإفاقة من هول الفاجعة وتحسد فقداك وهما أسطورياً، خرافياً، ولا معقولاً، وعندما جاءت ساعة الإفاقة، أدركت هذا الواقع الحتمي في حياتنا، ولا أبالغ لو قلت نحن أبناء أمة لا حتمية لديها، غير هذا الموت. وفي لحظة الإفاقة تلك، قلت في نفسي سأجد العذر لهذه الرسالة المستحيلة، لا محالة، حتى من باب أن المعقول صار في دنيانا المعاصرة هو الاستثناء، واللامعقول أصبح هو القاعدة العامة، بل قل نحن أمة تقيمها وتقعدّها الكلمة؛ فأضحت هذه الكلمة هي الوسيلة والغاية معاً، فلا غرو أن امتطيت فكرك، وقلت إن المقاييس عندنا قد انقلبت، أو اجعلها جزئية صغيرة، وموحية من (شر البلية) الذي تعنيه.

ومن هذه الزاوية استأذن لأدخل في الرسالة المستحيلة. بقول الشاعر صلاح عبّ الصبور، في كتابه (ماذا يبقى منهم التاريخ؟)، وهو بصدد حديث عن الأديب ابراهيم المازني، واصفاً إياه بأنه كان فناً حتى أطراف أصابعه، وإنني عنك استعير هذا الوصف البالغ الشمول.

بل أضسف إليه بأنك كنت مهندساً للجمال، في أرقى صوره الرفيعة، تنوعت لديك أدوات التعبير، كأنك تجاهد لتعيد الحياة والعطاء للعيون الميتة، والآذان الصماء، والعقول الغافلة، بأدواتك الكثر تلك..

وأحببت وطنك الصغير والكبير، حتى النخاع، فأشفقنا عليك من هذا الحب القاتل، ولم يخب ظننا، حيث قتلك هذا الهم النبيل، وذهبت عنا، مودعاً، في وقت مبكر جداً، ولم يدعك قدرك المأساوي أن ترى ما جندت بعض فنك له. فارقت ديارنا قبل أن ترى بعين رأسك (الانتخابات) في اليمن الموحد، وهي بعض همومك، بل هب حلمك الكبير الكبير الكبير، الذي حوله المناضلون اليمنيون والمخلصون، أمواتاً وأحياء، وأنت منهم، الى واقع تمارسه الجماهير الخيرة والبسيطة.....

حلمك الذي أبى قدرك المأساوي إلا أن يظل حلماً بالنسبة لك، فلا تعيشه حقيقة، وبينك وبينه ساعات أيام معدودة، وأنت حامل الهموم الكبيرة والصغيرة معاً، من أجل لحظة خالدة يعيشها الوطن... تصطاد السانحة، والعابرة، واللمحة، والخطرة البارقة، لتصنع منها فناً جميلاً، ورائعاً، يجمد هذه الهموم النبيلة المترفعة عن الذات، ويحترم فيها الإنسان وعقله.. حملت مشعل المسؤولية والالتزام، فكان فنك الجميل يسمد ويرمي في غاياته البعيدة والقرية إلى (حرية) الإنسان، فكراً وسلوكاً...

وتعرفت عليك، في فترة هي بمقياس الزمن، (لحظة) ولكنك تركت في عقلي
وفي قلبي بعضاً منك، وكأنني أعرفك منذ صباي الباكر، ولا يوجد عندي تعليل
محدد لهذا الشعور..

- لعلني وجدت فيك بعضاً من نفسي.
- لعلني عايشة معك هموماً مشتركة.
- لعلني لمست في أقوالك ثوابت قضايا اغتالها ساعات الزمن الوغد.
- لعلني استقيت من بصيرتك النافذة وميض أفراح ماتت عندي.
- لعلني أخذت منك طوق النجاة من اليأس القاتل، ونحن أبناء رقعة من
جغرافية بالغة التعاسة.

لعلك كنت كل ذلك، وكنت عندي، أيضاً، البارقة التي أضاءت،
كالشهاب، لتعيد ويأومه النضال السياسي والفني صناعة (التاريخ) لأعراب الرقعة
الجغرافية، من الخليج إلى المحيط، الذين ضاعوا. وأضاعونا، نحن الأحفاد الأشقياء،
ومنذ العصر الأموي، وإبان فجر الإسلام، بعد الخلافة الراشدة. أقول أضاعونا،
بأشكال نخيلة متعددة للحكم الشمولي، وغياب فكر سياسي حر، يأخذ من
الإسلام وجوهره، في الحق والعدل والمساواة والحرية والعلم والمودة آناً، والرحمة
والعفو، والدفع بالتي هي أحسن، ويعايش منجزات العقل البشري، تأثيراً، وتأثراً،
يأخذ، ويضيف لحضارة (الإنسان)، الذي اختار أن يحمل الأمانة.

كنت يا صديقي محباً للحياة، التي يكرم فيها الإنسان فكرهت الضعف،
والعجز، والخوار، فكنت مناضلاً عنيداً، من أهل المبادئ، والقيم الإنسانية
الفاضلة، فأبي الكلمات يمكن أن تعيد لحظة وجود مادي معك؟ وأي المراتي يمكن
أن توفيك حقك؟ ونحن أبناء فحول الكلمة التي شغلتنا، وجعلناها وسيلتنا،
وغيابتنا، وضيعتنا الحقائق العلمية للكون، وكان هذا بعض هموم.

ولا شيء من ذلك كله، فأنت أكبر من كل الكلمات والمراثي، لأنك
تركت ما يخلد ذكراك، ويعزف لحن وجودك الباقي مع الأيام..
مكتني من أجلك، والحزن يعصر قلبي هذه الرسالة المستحيلة، التي أقول فيها
كلمة للحق والتاريخ، وأنت الآن بين يدي الله، عز وجل..
كلمتي هذه تقول جاءتك المنية وأخذتك من بيننا إنساناً قوياً وشاعراً،
وكأنني بها تشير إليك، وتنادي هو ذاك صديقكم حتى منيته، يكشف عن لحظة
مليئة بالمعاني والدلالات والإيحاءات، منهج الجمال الذي عايشه (وهندسه)،
ليكون حتى في موته ظلال حياة مليئة بالحركة والمقاومة.. و... و ولم يبق بعد
كلمتي هذه إلا حزني عليك.....

حسن محمد عثمان

سوداني، اشتغل في اليمن، وهذه مقطوعته (اليمن السعيد):
وادي النيل مرتعه خصيب وطيب العيش في اليمن السعيد
إلى شعيبين من أصل كريم هما صنوان في كرم وجود
هما شعبان بينهما صلات يقوي عراها ميراث الجدود
هما أهلي وعزي بل فحاري وحبهما تمازج في وريدي
من الخرطوم سامرة العيون إلى صنعاء نائرة الخدود
غدا قلبي بها كلف ومضني فإن ألقاها ذلك يوم عيد

صنعاء

حسين مجذوب علي

شاعر سوداني، عمل بالتدريس في منطقة لحج، باليمن، لعشرة أعوام، بدءاً من عام ١٩٥٨م. وأسهم في الصحافة العنيدية، كمقالاته (المعلمون السودانيون وذهب المعز) في صحيفة (الأيام)، باسم مستعار، هو أبو ذر، إضافة لمقالاته باسمه الصريح. نشرت له مجلة (تبين) هذه المقطوعة الشعرية. والشاعر الراحل حسين مجذوب علي هو شقيق الشاعر السوداني، المقيم بـعدن، محمد مجذوب علي:

قل لي حدثني يا تبين وحديثك تاريخ فطن
تجتر الماضي حضارات وتصيغ الحاضر يا تبين
تنساب جميلاً دفاقاً وتعريد سحاحاً هتن
والليل طويل يا تبين والصبح نزول به المحن
ومنايع مأرب كم فاضت وكم أيضاً جرفت يا تبين
واليك سلامي يا تبين واليك هيامي يا تبين

خضر عطا المنان

شاعر سوداني شاب، يكتب بالعامية، أساساً. عمل مدرساً في اليمن، لفترة قصيرة، ثم قفل راجعاً إلى المملكة العربية السعودية، وهناك أودع السجن بتهمة. وبعد أن أطلق سراحه، عاد إلى اليمن، كباحث متفرغ في مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء، لكنه ما لبث أن أودع السجن بتهمة أخرى. فأمر بمغادرة اليمن. استقر مؤخراً بأبي ظبي، وأصدر هناك ديوانه الأول.. وقد نشرت صحيفة (المنار) اليمنية كثيراً من مواضيعه الثرية، يومئذ..

صنعاء

عروسة الجبال أغرودة السماء
يا رمز الهدى أنت يا مهد الوفاء
أغنية الصباح أهزوجة المساء
حبيبي صنعاء
يا مجد العروبة والإباء
يا حسناء يا سمراء
ويا قصيدة عصماء
لم تجل يوماً بخاطر ما قالها شعراء
يا لغز حب لا يترجم
نوري إذا ما الليل أظلم
أنت للخرطوم توأم

في بلادي صرت معلم
عنك كم شعبي تكلم
وبك موج النيل همهم
صنعاء يا نبض فؤادي واعتزازي ووادي
يا فيض شوقي وصديقي في بعادي
يا عروستي، وأنيسي ودليلي في وهادي
صنعاء يا أخت بلادي
بين بلدنا جسور وجذور
عنها كم تاريخ يحكي منذ آلاف العصور
مشعل قبس ونور
يهيم في أوج الهوى وبين شعبنا يدور
لثم وعناق فرح وسرور
كعاشقين على المدى الكل ملتهب الشعور
لن أنساك يا صنعاء لن أنسى تفضل وأيش
وشباباً من بلادي في تلالك الخضراء يعيش
أنت يا صنعاء حي وبخاطري فرح يجيش
أنت والخرطوم تاج لزفاف عروسة وعريس
وسباً مثل مروي نغزها
وتنام في حلقاتنا بلقيس

سبتمبر ١٩٨٢م

قيلت في زلزال مدينة ذمار، عام ١٩٨٢م

حبيبي ذمار
رغم الدمار والإنهيار
وغاب عن الديار كل آبائي الكبار
أنت عندي يا ذمار
فوق ذياك الدمار
فوق هاتيك المحن
أنت مشعل
يأبى يرحل
خالد طول الزمن
أنت المنار يا ذمار
كنت قربي سلوى قلبي والقصائد والشعار
رغم حيي تاه دربي ضاع في وضوح النهار
للساكنين على رباك
الراجلين يوم ذاك
التاركين لكل دار
أتلو كتبي أدعو ربي
بكل تقوى وانبهار

ديسمبر ١٩٨٢م

سالم عبد العزيز

مدرس بمبنى لمادة الإنكليزية في كلية التربية، بجامعة عدن. يكتب الشعر وقد صدر له ديوان مطبوع بعنوان (والعشق أيضاً يماني)^(١). وفي الديوان قصيدة بعنوان (الخرطوم وبشارة حدام اليمانية)، تحكي عن حالة الشاعر، عندما صدر قرار بمنع اليمني من الإتصال بالأجانب في البلاد اليمنية الجنوبية، عام ١٩٧٦م. وهو قرار ما لبثت الدولة أن عادت عنه، بعد ذلك بفترة من الزمان. وقد أثر هذا القرار على الشاعر، بأن منعه من الاتصال بصديقه الحميم بعدن، الأستاذ السوداني، فاروق محمد... فكتب هذه الأبيات:

نصبوا مغاني الروم في الخرطوم فصبا الفؤاد إلى مغاني الروم
وتصببت قسماً عيوني كلما أضنى دموع العين طول سحوم
والله لو سدموك في قعر الدجى أو قاع بحر الصين يا خرطومي
ما غبت عني والهوى يبقى الهوى مكتومه أطرى من المعلوم
صرموا جبال الوصل دون روية فغزلتها من لوعتي وهمومي
ووصلت ليلات النوى أشكو النوى للقات أو للعائق المختوم
وأهز قلب الغيل في سكر المنى متخفياً كالعاشق المهزوم^(٢)
يا غيل يا مغنى الصبا أين الصبا يبكي على قطر الندى المسموم؟
شاب الزمان فقال قول خرافة ورأى الحجى في لشغة المفطوم
أين الأولي خطفوا نجوم سماءهم ليفيق ليل العيد تحت نجوم
أبحت رباك ربوعهم ووشومهم وتنكرت لحنؤولة وعموم

يا خيمة سمراء في سمر الربى علقت في أوتادها منظومي
زفي دوا بيت الرجاء إلى الدجى فالعين ترجف للدجى المحروم
ستشهد سد الزيف فأرة مأرب وتزعد الأحقاف للخرطوم
وتعود ليالات التلاقي مثلما عادت ليالي الخيف للمخزومي
هذي دروب الوصل تزهو مثله وتبوح بالكاذي والمشموم^(٣)
قالت حدام لنا وعود تحتبى ذوب الندى ولهم نعيق البوم

(١) سالم عبد العزيز، والعشق أيضاً يمانى، ادارة النشر بمركز البحوث التربوية، عدن،

١٩٧٧م.

(٢) اشارة لنور المدرس السوداني في مدرسة غيل باوزير، بحضرموت.

(٣) الكاذي والمشموم نباتات عطرية في اليمن.

د. سالم عمر بكير

أحد الوجوه البارزة في الحزب الاشتراكي اليمني. عمل مديراً لجامعة عدن، وتقلب في مواقع عدة. درس في صباه في السودان، بالمدرسة الثانوية بمدينة بورسودان، وكتب في الخرطوم قصائد مثل (طفل وحذاء ومطر)، ذات الطابع الرومانسي الاجتماعي، و(أرض المآسي)، المنشورة بصحيفة (الرائد) السودانية، ومنها:

سئمت من العيش في وحدتي وأصبحت أهفو لحريتي
وتقت إلى النور نور الصباح وضقت من العيش في الظلمة
وثررت فقالوا صغير غرير فقد ضحك البعض من ثورتي

أعطى جهده الشعري، منذ فترة طويلة، لنمط من الشعر المحلي الحضرمي، هو شعر الدان، الذي لم ينس أن يكتب به ذكرياته بالسودان، كما سئرى عند حديثنا عن شعر الدان، الذي كتبه الشاعر السوداني المقيم بـعدن، الدكتور مبارك حسن الخليفة...

ومن قصيدة بعنوان (شاعر ورسام)، كتبها في فتاة تنزهه بحديقة الحيوان في الخرطوم، في الستينات:

حملتني قدماي تحت تلك النخلة
بازاها صفق القلب لها في نشوة
وتشاغلت فاني أستحي من نظرتي
أردف النظرة بل لا أثنني من لذتي
وكأنني خلعت قلبي عاش في أحلى مناه

أقبل الرسام بالمحراب بالفن البديع
وحبا تغرك ورداً كاد بالعطر يضوع
وبدت من ناظريك لفحة الطفل الرضيع
فهو رسم كاد أن ينطق بالأشواق فاه
يا فتاتي أنا من يحلم كل العمر فيك
أنا لم يسع فؤادي بالهوى إلا إليك
شاعر يستلهم الشعر برويا ناظريك
حظه شعر فهل يبلغ بالشعر مداه

سامية رزق

شابة يمنية، قضت في المهجر السوداني، سنوات.

خاطرة

كم أود أن أُعبّر عن ذاتي
كان صوتي يمنحني فرصة الرواية والتفكير والإقناع
منا توقف الإنسان في غربته إلا بعد أن تاه في زحمة الدنيا
فمضى يبحث عن الذات
هناك امتلاك المشاعر
وهنا حرية الروح
تلك الروح التي تبحث دوماً عن معنى جديد للحقيقة
كأن الغربة قدراً فرض علينا
وكانت خطى لا بد أن نمشيها
وتعلمنا فيها الصبر واحتمال الصعاب
وها نحن نعود
يشدنا دوماً الحنين إلى الوطن
وتبقى في دواخلنا أجزاء صغيرة من ذكريات الغربة

د. سعيد الشيباني

الدكتور سعيد الشيباني شاعر، يكتب بالفصحى وبالعامية. وله بالعامية اليمنية مجموعة تعد من أجمل الأغنيات اليمنية المعاصرة، في الصعيدين الأناشيدي والغزلي. وتتميز أغنياته هذه، مثلاً، بالخلط المدهش بين قضايا الوطن اليمني، من أقصاه إلى أقصاه.

وقد تزوج الشاعر كهلاً من إحدى فتيات الجالية اليمنية بالسودان، عام ١٩٨١م، من مدينة كسلا، بشرق السودان، فأصبح اتحادة بزوجه هذه محور حياته الخاصة، وكاد يتعداها إلى العامة، فلم نعد نقرأ له من الشعر المنشور إلا القليل. وفي مناسبة قرأته، كتب قصيدة مطولة، بعنوان (كسلا.. عش العصافير الزغب)، ذكر فيها بوفاء أصدقاءه، شعراء وأدباء السودان، الذين عرفهم في القاهرة، وصتعاء، وعدن، في فترات سابقة من حياته، الحافلة بالعلم، والشعر، والعمل، بل والنضال السياسي:

خفق القلب في انخضال اللسان لمن أسلمت له (البراق) عناني
من قرى في (عرام) من كل نبض تاه عن قلب بلدي وعياني
(كسلا) النبع والحدائق نشوى والسواقي توتني القطوف دواني
فتحت بابها لتصبح داراً للعصافير هاجرت من يماني
إيه سودان والسواد بياض مستثير قاصيك يحضن داني
عزوة الحب خرطوم مهجتي وثقي كسلا فيك قبلتي وأذاني
يا (رباعية الحروف) تجلت كسلا الاسم فاق كل بيان
إيه سودان دفء شمس ضياء في حروف (المجنوب) (١) و(التيحاني) (٢)
والندامي الرفاق أين (بشير) (٣) (تاج سر) (٤) (جيلي) (٥) و(لطفني أمان) (٦)
أيها (القاش) فيض فيضك عذب خمر ماء الحياة حبا رواني

كسلا اللحن والبلايل تشدو وسط قلبي صبا نشيد الأمانني
عشت يا مربع الصبا لحبيبي كسلا خير أمة ومكان
وقد وقفت على قصيدة طويلة طويلة لسعيد الشيباني كتبها عن الفيضانات
والسيول، التي اجتاحت السودان، عام ١٩٨٨م، بعنوان (عموتون ضماء في فرات).
ومن الطريف، كما يخبرني الشاعر السوداني المقيم باليمن، يومئذ، سيد أحمد
الحردلو، أنه حاول رص الأوراق التي كتبت عليها القصيدة «المعلقة»، فجاوزت
مساحة منزل الحردلو العامر بصنعاء:

فيما هنا صنعاء تستقي نهار الغيث تطلب بالصلاة

من رب كل الناس ما يهب الحياة

شرباً وتطهيراً وري

لكل حي

في الكون انسان وشي

كانت هناك مدائن السودان تضرع بالصلاة

لله - كي عنها ومن فيها وما فيها حياة -

الغيث يرفع قبل أن يغدو الفناء

حتماً هو القانون والحكم القضاة

يا سخرة الأقدار بالمتناقضات

(١) الشاعر السوداني الراحل، محمد المهدي المجذوب.

(٢) الشاعر السوداني الراحل، التيجاني يوسف بشير.

(٣) الشاعر السوداني، الدكتور تاج السر الحسن.

(٤) الشاعر السوداني الراحل، الدكتور جيلي عبد الرحمن.

(٥) الشاعر اليمني الراحل، لطفي جعفر أمان، وقد درس بالسودان.

(٦) الشاعر السوداني جعفر حامد البشير.

سعيد محمد باوزير

شاعر من اليمن. قصيدته (وفاء) هذه مهداة للشاعر السوداني الذي أقام
باليمن، الدكتور جيلي عبد الرحمن، رحمة الله عليه:

سلامي عليك ولهفي عليك

وبلقيس مدت يديها لتمسح من مقاتليك

دموع اشتياق ما ترجمتها الدموع

وكل العواصم أبوابها صدأت واحتساها الغبار

وأنت كما أنت سفر ارتحال تسامق فينا

وأنت المخرج بالشعر والصخب والكبرياء

وأنت المخرج بالوجع المنتقى الممدد فوق دفاترنا

المتقدم في ذاتنا

وأين العذارى وأين الصحاب

حين أقمت لهم مبدأ من قصائد

فلا تبتس في هذا الزمان هو النصل

أعددك للذكر كم حالة لا تسمى وأنت الخير بهذي المواجه

أسمح دمعك وركب (سليمي) إليك يشد الرواحل

أصدق وعدك

وأنت كثير النبوة والوعد وفي غرفة من أساك

تسامر وجدك

وتدخل في عالم من تهجد

وبجراً من الذكريات
وتحلم تحلم تكبر في مقلتيك أغاني التواصل.
وآه لأعمارنا واحترافاتنا
فهل كسر السيف
أماتت على شفتينا الإجابة
وذاك الشراع على الشط أيسلمه الإغتراب إلى الإغتراب
ورغم المتاهات تولد في أفئدتنا الليالي
شواظاً من الحلم لا ينتهي
وآه (لصاء) عروس من الأنوس المضمخ بالطيب والجمر والإتماء
وآه (لصاء) عروس الشمال هي البوح والكدح والبسطاء
أراك على ربوة ظللتها النخيل البواسق
تمسح جليابك الشمس
وفي (عرس الزين) بالأمس كنت تغني وترقص
وتمتد قامتك الفارحة
تعانق وهج الحقيقة
وأنت كما أنت شاخت سنين المنافي والإغتراب
وأنت تغني وتشللو
وأسمع في الحقل صوت أبيك يناديك: يا (زول)
هذا زمان المواسم هيا اغتنمها
فأنت الشفاعة في زمن ضاع فيه الشفيع

سعيد محمد مخاوش

مربي وشاعر من عدن. وفي وفاة زميله في التدريس هناك، المدرس
السوداني، عباس محمد الأمين، كتب هذا المقطوعة:

عباس يا نبراس* غاب نسرًا يخلق في السحاب
سودان يا أرض البطولة والندى أرض النجاب
سودان عباس قد وفى دين الفدائي المهاب
وعروبة السودان أوفى من سماسة حراب
عباس يا رمز الندى نجم هوى ومض شهاب
أنت الذي أسلافه زرعوا بصحرائي غاب
يا شيخنا** ما ودعت عيناى نوره فى الأهاب
يا شيخنا ماذا أورد والرؤى حولي ضباب
نبراس أنا أهلك نبراس تفديك الرقاب

سبتمبر ١٩٨٤م

*نبراس: ابنة الفقيد.

** شيخنا: اشارة إلى الدكتور مبارك حسن الخليفة، المدرس السوداني بجامعة عدن.

سعيد محمد دحي

شاعر ونائب، احترف مهنة الصحافة في دولة الامارات العربية المتحدة، واتخذها مستقراً. كتب الشاعر اليمني، الدكتور عبد العزيز المقالح، في صحيفة (الثورة) بصنعاء، في ذات يوم، أن الحركة الأدبية اليمنية تظل ناقصة، في غياب هذا الشاعر عن الساحة اليمنية. درس دحي في مدرسة حتتوب الثانوية بالسودان، ما بين عام ١٩٦٤م و١٩٦٨م. وكتب من وحي تلك الفترة الشعر:

عنجة

عنجة يا حبا عشعش في صدري
وشباباً ينبض في قلبي
عنجة يا مرتع أحلامي وسلافة أيامي
يا صوتاً يتردد في قلبي قبل لساني
يا روحاً يسبح فيه قلبي قبل خيالي
يا معنى يمشي يتمثل في نفسي
يا طيراً غرد في واحة قلبي في ذاك العنبر
يا مسبح فكري وسلافة عمري غنيت مرارا
ولهت باسمك تكرارا
مالك يا مرتع أحلامي وسلافة أيامي؟
وغناء الفرحة يتجدد
انحطم الناي وطار

وانقطعت في العود الأوتار
وإذا الفرحة تتبدد
وإذا بي بعد ندائك يا مرتع أفراحي
أصيرح أقول يا منبع أحزاني
ويكائي في يوم الأحران
ذلك يوم فراقك
لا لن أنسى وطني الثاني
لن أنسى سودان الثورة
لن أنسى أيامي الأولى
لن أنسى أكتوبر
ولأول مرة بعد سكون رام على نفسي
لم أرفقاً بين هنا وهناك
ولأول مرة خارج وطني
أشهد شعباً يتقياً عهداً أسود
وانفجر البركان بركان الشعب الأسمر
وترامى في سمعي وأنا محبوس في ذاك العنبر
لعلعة رصاص غادر
وهتاف جماهير تهتف
كأسود تتوثب تزارر.. يسقط عبود
عاش كفاح الشعب الصابر
وهناك بعاصمة المهدي
ولأول مرة أشهد شعباً يزحف في ثورة
في يوم الإثنين لن أنسى أروع منظر هدهد فكري

وتمثل في نفسي شيئاً يتخطى كل خيال
كان الثوار جميعاً يبنون متاريس
والنقمة في كل جنان
والعرشة تسري في قلب الخائن
وأخيراً أرجع للملهمة الكبرى لأبي عنجة
مدرسة الحب الأخوي الصافي
عنجة في ذكر هواك وأفضالك أتلعثم
تسبيحي وعصارة روعي إحساسي بفراق حبيبة قلبي
عنجة لا أملك عنك سوى ذكرى أربع زهرات
فيهم رواء شبابي في أربع سنوات
ما أحيأ لن أنسى أبو عنجة
لن أنسى نخل أبو عنجة
نخل أبو عنجة
لن أنسى طير أبي عنجة
لن أنساكم لن أنساكم
عجزي في إبداء شعوري يجعل صدري قفصاً ذهبياً
يحمل طيراً مختوق الأنفاس يتحشرج في حسرة
لا يملك كيف يغني
محبوس ييكي
وبكاء الطير لعنجة يغني عن كل غناء

هدهد إلى حنتوب

حنتوب تدعونني تعال
فذكرت حفل العمر في حنتوب جوهرة الجزيرة
وذكرت أشجار الحراز
أحب أشجار الحراز
وذكرت نهر النيل..

الزنبقة السوداء

زنبقتي أريد أن أقول شيئاً عنك لا يقال
أريد أن أنال شيئاً منك لا ينال
أن أقطف المحال
وأرتوي من منبع الخيال
أشتم من عبيرك الفواح عنبراً
أضم من حديثك العطري باقة تزرع في صدري زنايق الآمال
زنبقتي ما زال طعم ذلك الرحيق في فمي
يطرد مني الشك في حلاوة الأشياء
بيني وبين بغية الحياة شعرة من الحرير
بيني وبين نقمة الحياة شعرة من الحرير
ملبساً يعصمني من الشتاء
وسلوياً تعصمني من الأسى
وقارباً يتنيه في نهر من الأنوار
باهية ألوانه هادئة أمواجه
ترود شاطئاً يدور بالبحور

يسبح في غلالة من نور
زنبقتي هل لي إلى عبادة في ذلك المحراب
ذي الأعمدة السمراء
هل لي إلى سياحة في غابة الأبنوس
أركع عند ذلك التمثال
أشبه أضمه أدهنه أحمله لمقبدي الحزين
فأرتوي وأنتشي بأروع انتشاء
وعندها أقول يا زنبقتي ما في الحياة من قلق
وذلك الربيع في الضلوع ما احترق
وانتعشت آمالنا في رحلة الحياة
وتغتدي قصيرة كالحلم الجميل
زنبقتي إن الحياة عندما يقترب اللقاء
تطيب بالأسواق والترحيب والعناق
فتزدهي الشفاه بالبريق
وتغتدي الحياة يا زنبقتي
أروع ما يمر من زمان
وخير ما نغني من المكان

سعيد أحمد الخردلو

شاعر وقاص سوداني مرموق. ألف الدواوين العديدة بالفصحى، وكتب شعر الأغنية في السودان، فصارت من أكثر الأغاني السودانية انتشاراً.. مثل أغنية - (تقول لي منو تقول لي شنو)، التي لحنها وغناها المطرب السوداني اليميني الأصل، عثمان اليميني.

اشتهرت له قصته (ملعون أبوكي بلد).. وفي شعره الفصيح تجده شديد الإقتداء بمذهب نزار القباني الشعري.

عمل الخردلو دبلوماسياً في السلك الدبلوماسي السوداني، إلى أن أصبح سفيراً للخرطوم في صنعاء، ما قبل الوحدة اليمنية. ولعب دوراً بارزاً في توثيق الصلات الأدبية بين اليمن والسودان. وبعد وصول الفريق عمر حسن البشير إلى السلطة، في الخرطوم، عام ١٩٨٩م، عزل الخردلو من منصبه، فاختار أن يطلب اللجوء السياسي في اليمن، وأقام بها سنوات، كان فيها نشيطاً على الصعيد السياسي، فكان منزله في صنعاء ملتقى المعارضة السياسية السودانية في صنعاء. ويقال بأنه نشر ديواناً باسم مستعار، يهاجم فيه حكومة السودان في ذلك الوقت. وكان منزله، أيضاً، ملتقى من أدركتهم حرفة الأدب، من يمنيين وسودانيين.. وقد كتب، في تلك الفترة، من الشعر في اليمن ما تنحني له قمة الأدب اليمني - السوداني. ثم قفل راجعاً إلى الخرطوم، مهادناً حكومتها، بعد أن منعته من الإتصال بعائلته وأسرته.

لكن أول معرفة الحردلو باليمن إنما كانت في مطلع الستينات، حينما عمل مدرساً في مدارس حضرموت، وإلى تلك الفترة تعود قصيدته (جوليانا)، التي نشرها في ديوان (أغنية إلى يافا) (١):

جوليانا

الجسد الفائر من إفريقيا
والقلتان من صومالي
الأنف شرقي
والشعر هندي
ولثغة اللسان من أثيوبيا
تعيش منذ الحرب في عدن

١٩٦١م

وفي عام ١٩٦٣م، عندما كانت القوات المصرية تخوض في اليمن حربها ضد التحالف، وتنتصر لراية العروبة، كتب الحردلو في القاهرة قصيدته (مذكرات جندي في اليمن)، والتي عاد ونشرها، فيما بعد، بشكل آخر عن الذي نشرت به في ديوان (أغنية إلى يافا)، في ديوان (مقدمات) (٢):

أكتب من صرواح
أكتب يا صديقتي في مطلع الصباح
والفجر مد وجهه يعانق البطاح
ويفتح الطريق للطيور والأفاح
فيهمر الندى على الجبال حولنا
ويضحك المدى
كأنما ينقلني لمصر للشمال

أنت إليّ طفلة كأنها القمر
في صوتها دندنة كأنها وتر
وفي اليدين قهوة وكسرة وماء
وأمسكت فنجانها تصب في حياء
تصوري تشكرني
وقلت في ابتسامة أنا هنا في وطني
أنا هنا في اليمن
أزود عن مصيرنا
لستعيد مأرب أمجادها الكبار
وفي غد نعود يا مصر يا (هنا)

مارس ١٩٦٣ م

ونأتي الآن لنستعرض قصائده المكتوبة في صنعاء.

اليمنيون آتون

اليمنيون آتون

سيأتي زمن فيه اليمنيون يمضون إلى كل مكان
ويقيمون على الأرض لكل الناس فردوساً يمان
أرى راياتهم تمتد من صنعاء إلى باب عدن
يبدأون الآن مشوار التجذر بسم الله طي أعماق اليمن
إنهم آتون ومن قحطان من قتيان من أسفار حمير يطلبون
ها هم جميعاً يبعثون وطناً جديداً فوق أشلاء الأئمة والمشائخ والسجون
وها هم إلى أم المدائن والعواصم والعروبة ينزلون ويسكنون
بإذن الله من صنعاء ومن شط عدن

ديسمبر ١٩٨٩ م

ماذا يفيد الكلام وقد أكملته اليمن

ماذا تبقى من الشكر حتى تبلغه اليمن
وماذا يفيد الكلام وقد أكملته اليمن
وأنت الذي بذل الحب للناس والأرض خمسين عاما
بدون ضجيج ودون ثمن
ولما تهاوى الظلام عليك وأردف أعجازه وادلهم
لم تجد في الدنيا غيرها من وطن
وماذا لديك وأنت الذي لم تكن منذ بدء الحياة
سوى نطفة من يمن
وماذا تقول وأنت الذي كنت تنبش في الأرض
خمسين عاما
لترتاح في جنة من عدن

ديسمبر ١٩٨٩م

ذلك القلب النبيل حتى الكفاية (٣)

* نثرية في رثاء الأديب اليمني الراحل، علي عبد الرزاق ياذيب (ت ١٩٩١م).

هو بمئة رجل، وقلبه بمليون، وسجاياه الحسن، والإحسان، والحسن. من أي
فردوس أنت، من أي عدن. أنت الذي عشت أزماننا وزمن الآتين في خمسين،
وازدادوا بعض أعوام. كان يمنياً حتى الثمالة، وعدنياً، بشكل خاص. تحاوره في
الشعر، فيستشهد بعدن. وتقول آه بحر، فيقول آه يا عدن. ثم تمضي وعدن صارت
يمن. علي ياذيب، رحمك الله في جنة من عدن.

يناير ١٩٩١م

العشب والجبل والمطر

مهنداً أقبل في هيئته اليمينية المعتادة وضاح المحيا
توضاً ثم صلى ركعتين شكراً لله وحمداً في اليمن
خرج باكراً من دارته في المكلا
لم يكن البحر هو ذاك كان مختلفاً جداً
يتداعى من اللامتتهى إلى منتهى اليمن
اصطبج في حجه ونزل إلى ساحل معاشيق
ثم التفت ينظر عدن
ثم أقبل في عجل إلى صنعاء يلحق مجلسها
ولما كركرت المداعاة كان نقم يستعد للراحة
وعيان يأخذ مكانه وصنعاء ترفل في نعيم اليقين
فرأى أنه يتسلق نقم حتى قمته
فنادى بكل صوته يا يمن
كن واحة للحرية كن يمناً للجميع
ليلتها تعشى في شبام ونام ملء جفنيه في تعز
على شبام الهاجعة في أعتاب كوكبان
سأله الموظف المختص: مكان الميلاد فأجاب اليمن
الهوية اليمن
موطن الجلد اليمن
معارفك هنا.. الوالدان

مايو ١٩٩١م

قراءة ثانية في دفتر صنعاء

وكل عام يزدهي سبتمبر وفجر أكتوبر في العيون
وكل عام والمدينة التي تحرسها أيامها السبعون
طيبة تطاولت هاماتها وأنتمو عرب يمانيون
ومأرب يطرح ما في (جوفه) ويزدهر النخيل في سيئون
حياكم الله وحيا يمناً يعلم الإنسان أن يكون
أنتم على الخرطوم سودانية ونحن في صنعاء يمانيون
وبيننا البحر الذي يربطنا وبيننا الود الذي يصون
إن دق في صنعاء قلب عاشق هفت له الخرطوم: مشتاقون

سبتمبر ١٩٩١م

بكاية على بحر القلزم (٤)

وها هم على ساحليك يعودون
روماً وفرساً بطالمة يهود
وها هم بنجران ذات الأخاديد
والنار ذات الوقود

من أوراق عاشق سوداني إلى طفلة المدائن صنعاء

إنني أجيء وفي الأحداق صنعاء فالشوق برحني ولدي أنباء
وفي الفؤاد ترانيم تحدثني أن الهوى يمن والحسن صنعاء
الله يا سدة الغالين من عرب الله يا واحة الآتين إن جاعوا
إنني أجيء وأحزاني تطاردني فحرريني من الأحزان صنعاء
إنني أرى وطن الأجداد منكسراً وكان كالسيف إن شئنا وإن شاعوا

وذاك سودانكم يا ويلكم أبداً إن مرة نعت السودان أنباء
صنعاء يا طفلة عربية أبداً أحلى وأغلى وأنقى وهي عذراء
ظلي مرؤتنا فالحقد بعثرنا وللمينا فان الكل أجزاء

نوفمبر ١٩٨٧م

أنتم الناس أيها اليمانيون

* نثرية للحب والتسامح عشية ٢٢ مايو... الذكرى الثانية للوحدة اليمنية.

هاهم يرحلون إلى يمن الحب والتسامح. يمن الأيام الآتية. أنتم الناس أيها
اليمانيون. ها هو الزمن المأربي يعود. تسلفت زهرة ياسمين حائط اليمن. الليلة
(حزنا) نخب اليمن. فالحب دائماً من صنعاء، والعشق دائماً من عدن. أرايت كيف
نهضت (أيين)... «دان يا دان». كيف احتشدت صعدة.. «دان يا دان». بسنم
الله تنوضاً بماء الحب والتسامح، ونغني عاش اليمن. أنتم الناس أيها اليمانيون.

مايو ١٩٩٢م

ناوليني القات وابتسمي

جاءت تموسق نخطوها وكأنه عطفو اليمن
هل أنت نهر أم نهاري يا مليحة أم وطن
هل تبصرين وجوهنا تنداح من بدء الزمن
تروي لنا أخبارنا من عهد مأرب أو يزن
كنا هناك فإننا في البدء كان لنا سكن
هذي أذن صنعاء عصماء العواصم والمدن
ترتاح في ظل الجبال كأنها ظل الزمن

أسوارها تحكي لنا سجنًا وسجنًا ظعن
والله يا صنعاء حين وجدت نصفك في عدن
ألفيت نفسي مثل عصفور يذندن في فنن
من غيركم يا سادة الدنيا ويا أهل اليمن
هل تطعمينا (سلطنة) فيها شفاء من وهن
هل ذقتها دفدافة تلغو بصوت قد رطن
من لم يذقها لم يذق شيئاً بتاتاً في اليمن
ناوليني القات واتسمي فأنت لنا وطن
والقات يشجيني وبعض القات آخره شجن
هذي مداعتنا تكركر من لدنك الى تبين
~~أوليس... إن القات يطربني كما الوجه الحسن~~
وأنا أرى أن الخلاص كما البداية في اليمن

يونيو ١٩٩٢م

من حقيبة عاشق على سفر

شكراً لكل اليمن من البحر إلى البحر من السهل إلى الجبل
من قاع (العلقي) حتى السماء
شكراً لسبتمبر شكراً لآكتوبر
شكراً لسقوط الجدار والتنام الدار
البارحة رأيت رجلاً في ميدان التحرير يهتف ضد الحكومة
ثم يمضي سبيله عادي
شكراً لكل دخنة سلطنة شوتني
لكل ورقة قات تناولتني

شكراً لكل المجالس من صنعاء إلى عدن
لكل مداعة وجنبية وقمرية
شكراً لسوق الملح لميدان التحرير
شكراً للجامع الكبير والحدار العتيق وباب اليمن
شكراً للمارب وسدها وما في جوفها
شكراً للمانقو والنخيل والعمبة
شكراً لليمون والتفاح واخضرار اليمن
شكراً لحضرموت وما أدراك ما في حضرموت
ماء وبترول وفاكهة مما يشتهون
كان المطر عاشقاً لليمن هذا العام
كأنما البحران هرولا إلى السماء ثم اتدلقا على اليمن
فاحتشدوا أيها اليمانيون معا
لأجل القمح والأطفال والفراشات
ها هو ذا نوفمبر يذب أبواب اليمن
فاحتشدوا له الحب والسماحة والإيمان
الإيمان يمان والحكمة يمنة
والدنيا يمنة والحرية يمنة
والعروبة عاشت لأنها يمنة
شكراً للشعراء أبناء الله الأوفياء
قافية وتفعيلة و(بنت صحن)

.....

.....

لم يهزمني في سباق عشق السودان سنوى شاعر واحد غير سوداني

أغزو الشرق فيغزو الغرب
أجتاح الشمال فيجتاح الجنوب
أكتب نثراً فيكتب شعراً
أتحدث عن اليمن فيكتب كتاباً عن السودان
أدندن أغنية يمنية في سري فيرد علي من إذاعة أم درمان
أخيراً رفعت الراية البيضاء
وعينت نفسي نائباً له في جمهورية عشق السودان
واسمه نزار غانم

-
- (١) سيد أحمد الحردلو، أغنية إلى يافا، دار العودة، بيروت، ١٩٦٦م.
(٢) سيد أحمد الحردلو، مقدمات، القاهرة، ١٩٨٦م.
(٣) سيد أحمد الحردلو، بكائية على بحر القلزم، دار النشر بجامعة الخرطوم.
أنظر، أيضاً:
الفقيد علي باذيب المفكر المثال القدوة، مؤسسة ١٤ أكتوبر، عدن.

شاعر مجهول

ألقيت هذه المقطوعة الشعرية، بمناسبة احتفال أقيم بمبنى الجالية اليمنية في الخرطوم بحري، للذكرى السنوية لثورة سبتمبر اليمنية. شاهدت الحفل في شريط

| فيديو:

بكم تتجدد الأيام عندي ويصبح ثوبها أبداً قشيب
وهذي السحب من صنعاء جاءت يذوب حنينها بين القلوب
من السودان يحملني هيامي وقلبي بالتغني عندليب
أما لي في رؤى صنعاء حظ أأصبح دائماً وحدي غريب
أنا بالصدق يعرفني صحابي وقلبي في هوى صنعا يجيب
أيا بمن العروبة أنت أم لقحطان وللمجد الربيب
وكان بنوك في الماضي حماة وذخراً في لظى اليوم الرهيب
إذا طلعت جحافلهم فصارت لشمس الكون أسدار المغيب
أجىء اليوم يحملني شعوري بأجنحة من الشوق العجيب

شيخ الدين عبيد عثمان

قاص سوداني، استقر في صنعاء، سنوات، وأصبح أحد المحررين الرئيسيين في مجلة (الطرق) اليمنية.

ليلة خميس

الكلمات كانت تضح في أذنيه وهو يرددها:
إن النساء شياطينا خلقن لنا، أعوذ بالله من شر الشياطين!
مساء صنعاء الرودي المميز كان قد أزف عليه، ولم يعثر بعد على ضالته
المنشودة. الطريق أمامه طويل؛ كافعي بمنكبين، بلا بدايات أو نهايات.
مشيناها خطي كتبت علينا ومن كتبت عليه خطي مشاها
كاذب منافق من قال يوماً أن وراء كل رجل عظيم امرأة. وراء كل رجل
تعييس امرأة. أرهقه وأضناه التجوال، حتى سالت من على فوديه بحار من العرق
الدافئ، برغم ما زعموا عن انخفاض درجة الحرارة بالتلفاز؛ كذب المنجمون ولو
صدقوا. قلبه كطاحونة يعلو ويهبط، حين انتحى مكاناً قصياً في ذاك المقهى.
صوت المنادي المطوط يتسلل في إغراء وإصرار «واحد حليب محوَّج». الحاجة أم
الاختراع. ماذا لو انقلبت الآية، وأصبح الرجال هم الأمهات. في خوف تحسس
بطنه وساقه، طرد الفكرة، قبل أن يسرح معها. ثناءب في فتور، ثم هش ذبابة،
قبل أن تحط على طرف كوبة المحوَّج ذاك، وهو يرقب أرتال السيارات الخصوصي
تمر أمام ناظره، كشريط حياته الحافل. يسرعون ويسرعون وأصوات الأبواق
العالية المتنوعة في إلحاحها لشارة المرور، تسرع في إعطاء ضوئها الأخضر. تنتهي

التقدم، والمدنية في حركات لا شعورية كان يداعب ورقة اللبتون داخل كوبه المحوَّج ذاك «كلهم جنباء، عملاء، وأنا مثلهم». تحسس الورقة، المطوية بعناية، داخل جيبه، فغمغم المنوع مرغوب، والمرغوب... ولم يكملها، وأشعل سجارة وتحتشأ بصوت مسموع. «إن أردت يا عزيزتي أن تحافظي على زوجك وفيأ مخلصاً، كالكلب، عليك بهذه الخلطة التي وصفوها لي يوماً.. اسقيها له، ليلة الخميس، بعد أن تخلطها بملعقة من عطر دم العصفور».

في ليلة الخميس هذه تسمى الأشياء بأسمائها، وتكون سمعاً وطاعة، هي الإجابة على كل الطلبات «كلنا جنباء، عملاء»! وخاصة في يوم هذه الليلة، بالذات، ولكن لم إصرارها على هذا العطر، بالذات، تقول هي أن رائحته الرائعة تجلب البهجة والسعادة. أي بهجة، وأي سعادة تلك هي؟! ابتسم في خاطره، حين وجد نفسه أمام «عجلات ليلة خميس»، دلف داخلاً، ثم جعل يحملق داخل فاترينة العطور الحافلة، وفجأة توقفت عيونه على حنة دم العصفور، تناول كيسها الورقي، وبناية شديدة فك الديباجة من عليه، ثم قصها، بعناية وفن، لتصبح دم العصفور. أخذ قارورة عطر باريس رخيص. فتحها شك أصبعه بدبوس صغير سكب الخيط الرفيع الأحمر داخل القارورة. قفلها بإحكام، احتضنها، وهو يردد «كل الرجال أكذوبة، في هذا الزمن الرخيص»!

البترول بنت اليماني

قالت عجوز عقيم، من اللاتي شهدن ولادتها، تالله لقد خرجت «فاطمة» من بطن أمها للحياة، دون أن تطلق الصرخة الأولى، شأن الأطفال جميعاً في كل الدنيا، فقد خرجت باسم الثغر، مفتوحة العينين كأنها أقحوانة.

الوالد من سهل تهامة، والأم سلية ترهاقا النوبي.. كتفاحة مهجنة من بلجين. أطلقت فاطمة للحياة بالزغاريد، والعديل، والزين. استقبلت فاطمة طفولتها

براءة الشفاوة وحلاوتها.. تتقاذز كأرنب بري، من حجر الحجر، ومن صدر
لصدر، ومن يد لأخرى. والوجه القمري الطفل يستكين في حبور لكل الناس في
ألفة، وعفوية، وحب فطري.

وكياسمينة لازمها الطل، شبت فاطمة، وترعرعت.. الشعر شلالات من
ذهب منسكب طويل، طويل كليل بلا نهايات، خصلاته تداعب، في وله
ودلال، جبيناً كبدر التمام حسناً وبهاء.

العينان، يا سبحان الخالق، واحتان واسعتان، من شهد ولبن، فيها حائر
ألف سؤال وسؤال، كصاروخين من شهاب تفتكان، والأنف الروماني فيه ما فيه
من كبرياء بلقيس الملكة وعزة وأنفة «مهيبة بنت عبود» السودانية، الشاعرة
الفارسة.. والشفتان السفلى عطشى عطشى، والأخرى دوماً تتلظى، وحين تفتان
عن البسمة الساحرة أو الضحكة الموسقة الآسرة، تكشفان عن كنوز من الدر
والمرجان فتبدو لك اللوحة البديعة، مثل كرزة حفها العنب. البتول بنت اليماني
كانوا ينادونها، أنت يا قصيدة من نور ونار، أشرقت يوماً في قلب وسماء البقعة
المباركة «أم درمان» ويالحناً سماوياً لطالما عزفت خطواتك الرشيقة أشجى وأعذب
وأكثر رقة من سيمفونيات بتهوفن، والإلياذة، طالما زوعت الفرع الورد في
دروب شارع «الشنقيطي»، في مجيئك وذهابك، «لكلية التمريض العالي». فكثيراً
ما صفقت شطمان النيل لك، كثيراً ما وشوشت وتغنت لك أمواجه بالحب عند
الملتقى والمنحنى.

وكان لا بد من صنعاء وإن طال السفر. وعاد الحاج صالح لأرض الآباء،
ومهد الحدود، عاد لقطعة من نفسه الكبيرة، بعد غياب وغياب عاد، والعود أحمد.
مصطحباً زوجته، وابنته الوحيدة الأثيرة «فاطمة البتول»، واستقبلته صنعاء،
كعادتها، هاشة باشة، وضمتهم إلى صدرها الحنون، بعد أن زالت، وإلى الأبد،

دواعي الفراق والبعاد، وأثر أن تكون داره بشارع الخرطوم، في قلب توأم الخرطوم.

وكان زفافها لابن عمها «ناصر» يوماً حافلاً كل الأيام. ويمثل ما استقبلت قدومها أم درمان بالزغاريد والعديل والزين، كان يوم زفافها زائراً بأهازيج الفرح وأكاليل البهجة والحبور، فازدانت وتبرجت شرفات شارع الخرطوم، وشكلت رقصات البرع، بين الدفوف والطبول، لوحات من جمال الزناج البديع.. يومها رقص الحاج صالح بساق واحدة، رقص وقلبه يفيض سعادة وطرباً بين الضلوع.. رقص ودمعتان هاتتان تأييان إلا أن تعبراً عما يجيش في النفس من فرح ولواعج وذكريات خالدة في الوجدان، سطرته عشرون سنة بأرض الطيين، سمر الوجوه، بيض القلوب، وكأنها ينابيع الندى.

واختارت فاطمة أن يكون عملها بقسم الأمومة والطفولة بالمستشفى العام. ولأن الله خلقها ليحبها الناس، كل الناس، فقد تعلق بها الكل، منذ قدومها؛ الأطباء، والعاملون، بلا استثناء. أحبها المرضى، أحبها الزائرون أحبوا.. إسمها يكاد لا يفارق الشفاه، لحظة واحدة، ذاك يستدعيها، وتلك تناديها، وهي كمنحلة بيضاء، وكفراشة تحوم، والابتسامة تلك الساحرة المرسومة - ولا الجوكندا. لا تفارقها.

كتلة من النشاط، وتغان، وتجرد، وإخلاص، تنتقل من غرفة لغرفة، ومن سرير لسرير، وكل دواء مع تلك الابتسامة الكبيرة الملائكية كفيلاً بطرد شبح المرض، وإن اشتدت وطأته.

وكل طفل يولد، وقد استقبلته تلك الابتسامة الفرائحية، أخرى به أن يرى الدنيا بهية جميلة بيضاء.

حتى وبعد أن انتفخ منها البطن، لم ينقص ذاك أو يحد من نشاطاتها وحيويتها؛ فهي تحمل الحياة في جوفها، والأمل الزاهر في عينيها، وابتسامتها

الصافية، وفاجأها المخاض، يوماً داخل غرفة إرواء الأطفال، وحين فتحت عينيها
المجهدين من أثر الطلق، حامت بهما في الوجوه التي تحلقت من حولها من الأطباء،
والعاملين، وقد اعتلتها كلها، وحتى مدير القسم الجاد القسمات، ابتسامات
السعادة والهناء، ثم عادت بعينها تلك التي ترقد تحت أنفاسها، فخيّل إليها أنها
تري صورتها معكوسة على مرآة بلورية صافية.

صالح بانقا

صحفي وكاتب سوداني راحل. اشتهر بلقبه وهو «ابن البان». وفي كتيبه
(عواتك) (١) إشارات متعددة إلى عواتك من اليمن في السودان مثل:

عاتكة القرية:

أمها من حسان الشمال، وأبوها من حضرموت، جاء مع الفتح؛ فهي شرقية
اللون، شمالية العيون. لها مقلة كحلاء خلقة؛ كأن أباهما الظبي أو أمها مها. ويصبح
الصباح، ذات يوم، على القرية، فإذا بواحد من أبناء عمومتها، يعبر البحر الأحمر،
ويبحث عن عمه، حتى إذا وجدته، ووجدها أخذها أخذ ابن عم مقتدر، ولم يترك
في مكانها إلا صدى الأكف تضرب بعضها بعضاً، على ما فرطت من أمرها،
ولات حين مندم. وتمضي السنوات الثلاثون، ويختلف الليل والنهار، وينسى
العشاق عاتكة القرية، ويتلهون بعواتك ويتشبتون بفواتك، وتمضي الأيام يطرد
بعضها بعضاً. وبالأمس فجأة، ألقاها في أحد شوارع العاصمة، وقد خطها
الشيب، ويدت دروب الخمسين تسلك فجاجها، في صفحة خديها، اللذين
يشبهان قطعة التفاح. وأطيل معها الحديث، وأسألها، وأتملاها، يوم كانت الملكة،
وكانت الحسناء، وكانت، وكانت. وأعرف أنها جاءت إلى بقية أهلها بأطراف
العاصمة، ولن تعود، فقد مات زوجها، ولم يخلف شيئاً. وأبكي، وتبكي معي.
ويعاتني ريفي، كيف أبكي طويلاً مع هذه المرأة، وأبادلها شيئاً من الدمع. وما
خطبها، وعلى جد تعبيرة.. لا خيل عندها تهديها ولا مال.

وقلت له، يقولون:

قال أبو المهلهل الخزاعي:

ارتحلت يوماً إلى بادية الدهناء، وسألت عن مي، صاحبة ذي الرمة. فدفعت إلى خيمة فيها عجوز، فسلمت عليها، وقلت أين منزل مي.

فقلت: ها أنا مي.

فقلت: عجباً من ذي الرمة، وعظمة شعره فيك، ما الذي رآه فيك حتى خللك بذلك الشعر العظيم؟! فقلت: لا تعجب، فإني سأقوم بعذره. ثم قالت يا فلاتة، فخرجت من الخيمة جارية ناهد.. عليها برقع بخفيها، فقلت: اسفري، فلما سمرت تحيرت، لما رأيت من حسننها وجمالها. فقلت علقني ذي الرمة، وأنا في سن هذه. وكل جديد إلى بلي، فقلت عذرتي، والله وأستنشدتها من شعره، فأنشدتني ما ملأ نفسي جمالاً وانطلاقاً.

وهنا قلت لصاحبي، وهو يعاتبني: إنها مي، أخت ذي الرمة الآخر، ولو رأيته، يومئذ وقبل ثلاثين عاماً، لرأيت (عجوة معطونة بي غسل)، فيما يقول ود الرضي، أيضاً.

وقلت لصاحبي: أما أنا فقد رأيت فيها مطلع الفجر، ولكنك رأيت فيها مغرب الشمس، والذين يعيشون مع مطلع الفجر، فهم وحدهم الذين يشهدون ميلاد الصباح، والذين لا يشهدون غير مغرب الشمس، فإنهم لا يرون غير الظلام شيئاً.

عاتكة صنعاء

أبوها من صنعاء، من اليمن السعيد، وأمها من واحة البشيري، من شمال كردفان، ولكن الشيء الذي لا نذكره ولا نعرفه ولا نجد له جواباً هو العام الذي جاءت فيه أمها من كردفان، وأبوها من اليمن، ولا الزمن الذي تم فيه لقاءهما وزواجهما بعد.

كان هو كسهيل، وكانت هي كالثريا، ومع ذلك التقيا، هي شامية، إذا ما استحطت، وسهيل إذا ما استهل يماني.

وحديثها العذب، الذي تختلط فيه سيناته، وثأاته، كلهاء الطفل بقلب

سرير.

ثم ماذا. وفجأة يغادر أبوها البلاد عائداً بها إلى دنيا اليمن. بعد أن تفجر البترول، واخضر الزرع، ودر الضرع، وتوحد الشطران جنوبه وشماله، وبعد أن فتح علي خيبر وانتهت الامامة، وسدها التاريخ في سد مأرب. ولعل والدها أراد لها أن تكون قرية من أخواتها، خفيدات بلقيس. ولم تترك بعدها إلا بقايا من الذكريات الهاجعة النائمة. وأذكر وصديقي يعود من رحلة اليمن، وأسأله عنها: هل رأيته هناك، وهل حدثك عنها المحدثون، فإن أخبارها تأتي، بين الحين والآخر، سائلة عن حالاتها في البادية، وصديقاتها في القرية، ووصيفاتها في حي القبة؟ وحتى صاحبي، وهو يعود، لم يأت من سبأ نبأ يقين. وفي النهاية، حتى إذا جاء الهدهد المفقود، وحدثنا عن عرشها، فأين سليمان، وأين هي، بل وأين الصرح؟ فإذا جاء الصرح، وحسبته لجة، فإننا نقول: اللهم ارح ثوبها، واسدل خمارها، حتى لا تكشف حال العشاق.

عائكة المهجر

أبوها من أرياف صنعاء اليمن، وقد جاء إلى السودان، في ذلك الزمان البعيد، شأنه في ذلك شأن الكثيرين من الخوة الأشقاء اليمنيين، الذين جاءوا إلى وطنهم الثاني، يعملون في التجارة والأعمال المختلفة، وتفرقوا في رحاب البلاد، وعواصمها هنا وهناك. ولعل القلة القليلة باقية منهم أو في أصلاهم، حتى الآن، ولكن أغلبهم عادوا إلى وطنهم، بعد أن دعاهم إلى العمل فيه، مرة ثانية. وكان نصيب قريننا أربعة منهم، مات ثلاثتهم، وبقي الرابع، في نهاية العمر. والذي أعنيه هنا واحد منهم، بقي في القرية، زمناً طويلاً. وكان كريماً جواداً، يكاد ينفق متجره كله للسائل والمحروم، حتى افتقر، في النهاية، والجود يفر، فيما يقول الشاعر

القديم. ورغم فقره وخلاء متجره، كان يجلس أمامه، ويردد، بين الحين والآخر، أبياتاً من الشعر الشعبي اليميني، يسري به عن نفسه، وما كنا، ونحن صغار السن يومها، نفهم المعنى، ولا نحفظ اللفظ الذي يردده صاحبنا اليميني. وأذكر أنه أثناء وجوده في القرية، تزوج منها، وأنجب هذه الكريمت الثلاث. ثم نزع آخر عمره، ومات في الشمال، وتزوجت كريماته الثلاث من أقاربهن اليمينين، ولم يظفر واحد من أهل والدتهن بواحدة منهن، ولا أدري لذلك سبباً، رغم ما يتمتعن به من جمال يخلب الألباب.

كنت في شارع الجمهورية يومها، بالخرطوم، وكانت زحمة الشارع من كل جانب جعلتني أترك سيارتي بعيداً، وأمشي راجلاً، أبحث عن شيء في المتاجر، وما كنت أدري أن القدر، وحده، هو الذي جعلني أتجول كثيراً، ولم أظفر بحاجتي، ولكنني ظفرت بلبائها. كانت تقف في أحد المتاجر، حين تسمرت تماماً حقيقتها البيضاء، كأنها جزء منها، وساعتها الذهبية تنلّس بين عاقية معصمها، حتى تحسب أن الساعة من فصيلة يدها، ولا تعرفها، منذ أول لحظة، إلا إذا دققت النظر في المعصم، وإلا إذا لفتت أنظارك اليد، وأخذك ذوق ثوبها الذهبي المرصع بالورود البيضاء، وتكون أنت ساعتها في حيرة من الوصف والتشبيه.

كنت مسرعاً فتوقفت، وكنت أريد حاجة، فنسيتها، وأذكر أنها التفتت كالطيف، واقتربت مني وزوجها الشاب اليميني الوسيم يقترب معها. ثم تأخذ يدي وتناديني باسمي كاملاً. وتسدلي الدموع، ويتوقف الكثيرون من سابلة الشارع، يتأملون المشهد المثير حقاً؛ الدموع تتدلى من الحسناء، والثوب الذهبي المطرز بالورد ينزل من الجسد البلوري الراقص، في وقار الطهر، والكلمات تموت في رعدة الذكريات، ولعل طبيعة اليمن السعيد، وخضرة الهضاب أبت على الخضاب أن يفارق الجمال، فأعجب للجمال حين تعتقه الطبيعة، وتحرس نضرتة السنوات.

قلت لها، وقد دعيتي مع زوجها أن أتناول معها طعام الغداء، في الفندق الكبير، الذي يطل على النيل، لا سيما ولم يبق لهما بالسودان إلا بضعة ساعات، وبعدها يركبان الطريق الجوي، من جديد، في طريقهما إلى اليمن. قلت لها، ونحن في الفندق، إنها ثلاثون عاماً تمضي، ولا نلتقي، وجهاً لوجه، إلا في هذه اللحظة العابرة، والساعات القلائل. ولكنني أعرف أنك غادرت وطنك الأول، ومسقط رأسك واستقر بك المقام في موطن الآباء والأجداد، وكانت الأخبار تأتي، بين الحين والآخر، عنك وعن أختيك، وأجهشت بالبكاء، حتى خرجت منها إلى بلكوكة الغرفة أتاامل وقلبي يبكي معها، فقد ذهب بها خاطر الأمل كله؛ أمها التي ماتت، في ريعان شبابها، وأختها اللتان ابتعدت بينهما المسافات، والمسافات؛ واحدة في الدمام، والأخرى في حضرموت. ولا يتم اللقاء بينهما، إلا في بدوات نادرة. ووالدها الذي مات، في مكان ما، كان من المتوقع أن يموت فيه. وقد زارت قبره، وكانت تريد أن تموت بمسقط رأسها (أم ضوايان) ليكون سبباً من أسباب الصلة ولكن:

من كان منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها! هوننت عليها، آخر الأمر، وهي تسألني عن القرية، وعن جاراتها، وصديقات الصبا، الواحدة بعد الأخرى.. وتقف بي، في النهاية، تسألني عن صديقتها من الأعراب النازلة في فناء القرية، يبيعون اللبن ويجلبون الحطب وكانت تأتي مع أمها، وتشترى من متجر والدها، حتى توثقت بينهما الأسباب، وحتى ظن بعض الناس أنها أختها أو توأمتها... وأخفيت عليها حادث القطعة الحسناء.. كأنها أدركت بحسها الفني أن هناك شيئاً، وبكت، من جديد، تاركة لي عدم التفاصيل، فقد ماتت صديقتها الحورية، وهذا هو اسمها، في حادث حركة، ليلة زفافها. وأخيراً قلت لها: هل تزورين السودان، مرة ثانية، وهل تريدان أن تشهدي مسقط رأسك: وقد تبدلت المعالم، واختفت الطلول؟ قالت: أخاف البكاء، فقد

بكيت كثيراً، بكيت بعيداً، وبكيت قريباً، ولا أريد أن أعيد هذه السمفونية
الحزينة. وكل الذي أريده منك قبضة من تراب القرية، ومن مكان بيوتنا، ومن
ساحاتها، التي كنا نلعب فيها وهذا هو عنواني كاملاً. وكانت هذه هي نهاية
كلماتها. وقد انتهى الزمن، وجاءت لحظات الوداع، ووقفت والسيارة، وانطلقت
بها إلى دنيا المطار، فاليمين.. اليمين الذي جاء منه والدها، قبل خمسين عاماً، ومات
في غيره، وها هي تعود إليه، ولا يدري الإنسان كيف تكون النهاية؛ لأننا دائماً
نعرف البداية، ولكننا لا نعرف النهاية، ولعل هذا هو جوهر أحاديثي مع عاتكة
المهجر!

(١) عواتك ابن البان، أو صالح بانقا صالح - اعيداد: معتصم صالح بانقا - تقديم: نجيب الفضل -

مطابع المروة، بالخرطوم.

صديق الصادق

شاب سوداني، ينشر الكتابات الصحفية، من حين لآخر. تزوج بمهاجرة
يمنية، في منطقة الدويم بالسودان.

يمنية سائلة قحطان بنت بلقيس العربية
ذابت في أوصالي أغنية حب خالدة أبدية
من صنعاء انحدرت من أسلاف عرق عربية
مازجها دم الزنج فجاءت وردة بنفسجية
تستقي من نيلنا الأبيض
من منابع الزنج الأصلية
يمنية

سلاف الحب ومضة النور مشرقة
أناجيتها في الطيف
أناديها في الذكرى
فتعودني
موسيقى اللحن تونسي
تبقيني على عهدي
وسأبقى كل العمر لك يا صبية

صديق مدثر

شاعر سوداني معروف، لكنه مقل. صارت بعض قصائده من أكثر أغنيات المطرب السوداني عبد الكريم الكابلي، رواجاً. استقر، منذ سنوات، للعمل بالملكة العربية السعودية.

وفي عام ١٩٥٨م عمل مدرساً في منطقة أبين، بجنوب اليمن، في المدرسة المتوسطة، في مدينة زنجبار. وقد أشار إلى ذلك الشاعر اليمني الراحل، عبد الرحمن باعمر، في قصيدة له، ذكر فيها صديق. ومن نماذجه من تلك المرحلة:

عشية الثورة في ساحل أبين

في بلاد الحاس والحساس والظلم الشديد
كانت الثورة حلماً يتراءى من بعيد
وحكايات مثيرة عن كفاح البدو في أعلى الجبال
كأساطير تمررون على قيد الخيال
ونمت تلك الحكايات الصغيرة
وأنتنا غضبة الثوار همساً
ثم طلقة ورأينا جثة قد أوثقوها بالحبال
لغلام جندوه عنوة دفعوه وهو مازال قتيلاً للقتال
ملأوا وجدانه زيفاً ووهماً وضلال
حين قالوا: تصنع المجد إذا ما رمت
تبني العدل تحمي كل ضال
وتهاذت قرب داري مركبات تحمل الوتى

فأبصرت دليلاً للنضال

همس البعض مشيداً بالبداية

فتصورت زوال الاحتلال

وعلى الساحل والليل صبي ورمال الشط في لون اللال
كم سهرنا والأمانى حولنا تنهادى معجبات بالقوافي
قلت من شاعرها يا اخوتي فأجابوني بأن السر خافي
ربما كانت مشاعراً كلها لجميع الناس في هذي الفيافي
وإذا شئت فسل منشدها وأشاروا للأمير الحافي
يا أميراً سار من غير حذاء لاح كالطيف خفيفاً كالهواء
وبدا كالسيف عزماً ومضاء ليس يغري العين شكلاً أو بناء
وله في القلب قربي وانتماء غنني فالشعر داء ودواء
وأصغنا السمع في شوق لنحظى بحديث من أحاديث الأمير
قال والدمع بريق في العيون اطمئنوا فرؤى الفجر بدت
وغداً يشرق تيراً في التلال

١٩٥٨م

الجنوب العربي بعد انتصار الثورة وزوال الاحتلال

عادت مع النسرا المحلق في العوالق ذكراهمو فاستنفرت في الصدر خافق
ووددت لو أنني الغداة بقربهم لشهدت بعثاً وارتقيت جناح خالق
روحني وما عز الفداء بأرضهم تفديهمو بدم قوي النبض دافق
ما زلت أذكر والمشاهد حية في خاطري ولهيها في الذهن عالق
تلك الوجوه وقد تحدث صمتها رغم القيود بيانها بالصدق ناطق
في القيد تزار والبدو حياها نسج الدروب على تعددها مزاللق

قد هاج هائجها فشبت ثورة وتفجر البركان في أحشاء شاهق
ميلاد رفض الاحتلال وطلقة كانت بدايتهم وكان الوعد صادق
هم قد أرادوها نذيراً للألي زعموا بأن الشعب بايعهم ووافق
ونسوا بأن الشعب في أعماقه لب يثور وعاصف للظلم ساحق
وبنوه من قمم الجبال تحذروا شعلاً تضيء ظلامه والليل غاسق
والصمت الحق (أبيناً) متعمداً برماله ساحلها فليس هناك بارق
لكن همساً قد تسرب خائفاً والساحل المغبون مد له النمارق
وكساه من صبر الرمال عباءة ورعاه فانتظم المغارب والمشارق
والهمس يرعد للطفأة فرائصاً وله اختراق فاعل فعل البنادق
مهما أشادوا من قلاع يعتلي ويدك صرحاً كان ملء العين سامق
تلك المشاهد لم تزل في خاطري نبعاً يطل الشعر من واديه دافق
أولى ملاحظتها بدت في أبين لما أتانا ما يبرهن من شواهد
يا ثورة ميلادها قمم الذرى سيري إلى العلياء تحرسك الفيالق
سيري على هدي الحقيقة إنها أقوى سلاح فاجعليه لك المرافق
وضمير شعبك حكميه فإنه درع يقيك من المزالق والطوارق

صنعاء

أما قصيدته (صنعاء)، فمن وحي زيارته لها، عام ١٩٧٦م، ضمن وفد أدبي
سوداني...

من الخرطوم أحملها تحيات من ———
إلى صنعاء خالصة فما للوصل من ———
لقد جئنا على أمل وسوف نعود بالوعود ———
بأن الشعب منتصر بوحدته على الكيد ———

يدوي صوت قائده ويدعو الناس للحشد
أن احتشدوا لنرفعها على الهامات بالأيدي
وإن غداً لناظره قريب فاهتفوا بعدي
ففي الماضي حضارتنا سمت في النبيل والقصد
بفكر أشعل الدنيا ضياءً مشرقاً يهدي
وطاف شعاعه الوثاب بالدنيا ليستهدي
فهبَّ الغرب من سنة ليسمع صيحة المهدي
وسار الخطو في ثقة وأعمل ساعد الجد
فما ضلت مسيرته ولا وقفت على حد
— ودار الدهر دورته على حذر وفي مد
وعلنا من تجاربه بما يأبي عن السرد
صحنونا أمة خرجت خروج السيف من غمد
فلن تثنى تقدمنا أراجيف لمرتد
وساد الشعر عالنا فأدرك غاية الرشد
وصور من ملاحمنا أساطيراً بلا عد
يمور إذا سما قصداً ولا يسمو بلا قصد
ويقطر في حنايا القلب ألواناً من الشهد
يضيء كثيف ظلمته بتور شع من عقد
ويبعث ميت الآمال في أسطورة اللحد
ونبل القصد يدفعه فلا ينفك عن رفد
سما بالعرب قاطبة وبلغهم ذرى المجد
ونخلد من مشاعرهم غناءً ضج بالوجد
وسطر حكمة الدنيا بيت واحد فرد

ولم تترك شوارده عيون الصين والهند
وذاك تراث أمتنا سما قدراً عن الند
أنار مسالك الإنسان من عهد إلى عهد
وفيه تجارب فاقت جهود الحصر والسرد
وجوهرها وغايتها خلاص الشعب من قيد
ليبقى الشعب رائدنا ونبقى نحن كالجنود
ليهتف في غد صوت ينادي من ربى الخلد
لقد صلقت سريرتكم وقد نلتهم رضى الحمد

صفاء مصلح أحمد

مغتربة يمنية، سابقاً، في السودان. تعمل، الآن، في صنعاء، وقلما تنشر كتاباتها. وهي شقيقة الكاتبة عزيزة مصلح أحمد.

خاطرة في يوم نهاية السنة لعام.....

يمضي عام، يحمل في طياته آمال وآلام، ويأتي آخر طفل يولد، لا شيء في خاطره. وبين الرحيل والميلاد، تسافر عبر الذاكرة، قوافل تحمل متاعها، من الماضي البعيد والقريب، وتصحو في مفكرتي السنوات الساكنة في حضن النسيان.. تعيرني أمسيات طبعت نفسها في أعماقي.. ها أنا اليوم أمضي هذه الليلة وحدي، وليس بيننا غير مسافات زمنية محدودة.. ولكن رغم ذلك فإننا مفصولان، كأن بيننا عهد تاريخي كبير. مشاعري قارة مظلمة من الحزن. عبثاً أحاول أن أطل من شرفات مشرقة على أمسيات جمعتنا، وحلقات وصل، لم أكن أتخيل أن الدهر قادر على تبديدها على ليالي العودة من مرافئ الغربية، ثم ليالي السعد، والفرح، يزرع سنابل الأمل، من جديد. وفجأة تجتاحني أعاصير ليال قديمة، عشتها رغم أنف الموت. ذاكرتي أصابها الوهن، أرهقت كاهلها مواكب الذكريات، أصدائها تجلجل في أنحاء تفكيري. إيقاعاتها الحزينة أيقظت الجروح النائمة.. أيام صفراء من عمري تحاول أن تنهض وأخرى خضراء، يشلها المستحيل من العودة أو اللحاق بركاب العمر. لحظات مشرقة جميلة، زرعت في خاطري حقولاً للفرح، ترحل سريعاً، تتركني وحدي على رحيق الزمن، أتابع صفحات أيامي من كتاب عمري. ثم نيت أن نكون معاً، نودع العام الراحل، ونحتفل بالعام الجديد، ولكن ربما ائذاناً بالفرقة المحتومة، وربما استنزافاً للجرح الغائر. ها نحن نفترق، رغم رحمة الزمن، ترحل

خطاك بعيداً، طوع إرادتك، وكأنا نلقي بأنفسنا نحو منزلق الفرقة، وهاوية الشتات. أخاف أن أتعلق بخيط واهن، يشدني لوقت، ويتركني بقية العمر هائمة. الآن العام يلفظ أنفاسه الأخيرة، وها هي لحظات الميلاد، ولكن يحكم المكان يجرفني تيار الذكرى إلى رحاب الماضي، ويشدني حنين إلى أسماء رددتها، وباتت مجرد أصداء في خاطري. أيام من عهد الطفولة والبراءة تتمايل واكب ذكراها كلحن جميل. شوارع نحت فيها خطاي. رسوماً.. صديقات اللهو، واللعب، وحقائب سفر محزومة، ودموع تنهمر من عيون المدينة القديمة التي شهدت طفولتي، وشجيرات منزلنا الرحيب. رسالة بتاريخ ١٧ فبراير سنة....، أحاول أن أغمض عيني عمداً لأحكام الزمن. ماذا في نفسي. شوق جارف إليك.. شعور بالضياح، وأنا هنا في الجزر النائية عن عينيك، ولكن يضيع في الزحام، فيستوطن الضياح أعماقي.. ها هي صفحة جديدة تفتح، وأنا مع الصمت والسكون والحزن في يد الحياة.

عام مضى حافل بالجراح، وعام أقبل أوله ما تبقى من النفس من أمنيات.

لا زلت أذكر

لا زلت أذكر لون الدموع وحزن النهار. لا زلت أذكر هلع النجوم وبطاء القمر. لا زلت أذكر صمت الصغار، والمدينة الآمنة، عندما ابتلعها الضياح واندرس تحت ركام النسيان كل تاريخه العريق. لا زلت أذكر الفرح المشنوق في المساء، والحلم الذي سقط في منتصف الطريق. والأمل المسافر بلا رجوع، وأنين الديار ساعة الوداع. لا زلت أذكر كل شيء، وأي شيء. حتى الباب مكسور الخاطر، يطبق على الذكريات، والقط البري، في الوحشة والضياح. والليلة الطويلة المجهولة.. العمر.. والصبح الذي كان آخر المحطات وبداية الإحتضار.. الماضي عندي بحث عميق بلا جزر، والحاضر عندي جزر منسية في زخم البحار.

صلاح مدني محمد

شاعر سوداني، أقام بتعز، وكتب فيها الشعر، ونشرته له صحف اليمن.

حوار الكمنجة والخنجر

منذ آلاف السنين نكتب الأشعار عن لون الحبيبة

شعرها المجدول.. نهديها المدافع

ونغني نشوة الحب نشيداً ساحلياً

ثم نروي الشوق في فيض المدامغ

منذ آلاف السنين نزهق المعنى بالآلاف التراتيل

الترايم المقاطع

غرز الأعداء فينا ما تيسر من خناجر

فانتفضنا نعلن التنديد جهراً والإدانة

ثم باعوا ظلنا بعد أن خارت قوانا

قلموا منا الأظافر

فهجعنا نعلن التنديد سراً واستكانة

ثم شقوا قبرنا بعد أن سلبوا معاني النيل فينا - الكرامة

فهرعنا نطلب الغفران ذلاً ومهانة

ونغني مجدنا المقبور في عهد الرشيد

للعقالات

ونغني السوامق ما تريد

ونغني للحبيبة ما تريد

وإذا ما صاح فينا جرحنا الدامي أفيقوا يا عبيد

تتداعى

نطلب الغفران لحناً ونشيد

ونغني لحن خيبتنا الجديد

ونغني للحبيبة ما تريد

ونغض الطرف عن جرح يلزمننا ويريد

تعز

الربوة الحلم وخزن البحر

أسرحت السكة من حولي وحملت فوانيسي ظهرا

فتشتك بين شهيق النفس الراضع عطرا

جروف كانت منك

وبين زفير يرعن لونك طعمك عطرك يروي عنك

ناشدتك يا....

هيا اخرجي من بيتي وغداً ينتزع الحزن الرابض

في دربي

يستلب اللب

غنيتك ملء الصوت وملء ثواني العمر

راقصت رؤاك

دوزنت الحرف الخارج من جوف الآهات وحمى الصبر

راقصت رؤاك
رقصت البدر الضاحك سعدوناك
والمد أنا
ناديتك يا...
لكن الصوت تكسر بين الصخر وبين الوعد

المائل في الأركان تخطي الجذر
الريوة كانت تبكي
اختلط الرمل بحب الدمع
صعق الجبل الواقف
صوب البحر

تعز/ ديسمبر ١٩٩٠م

الطيب السراج

شيخ من شيوخ اللغة العربية، والشعر العربي التقليدي، في السودان. أثارته حياته شغف النقد، وكتاب السيرة، لما عرف عنه من فروسية حقة، وخلق صارم، دفع ببعضهم إلى القول بأن هذه الشخصية جاءت متأخرة عن زمنها، بألف عام. لم يجمع شعره في ديوان، حتى الآن. وقد قتل في ظروف غامضة، بمنزله بأمر درمان. قاوم استعمار بريطانيا للسودان، وأحدث ثورة عليها، في مدينة عطبرة. خلف أسرة نبغ فيها أكثر من ابن وحفيد.. وقد تيمته أخبار وشخصية الإمام يحيى بن حميد الدين (ت ١٩٤٨م)، فقال بمدحه، على البعد:

ما عاد قلبي مأوى بعد للحزن قد حال بيني وبين الحزن ذو يمن
يحيى الإمام أمير المؤمنين أبـو الأسياف حامي حمى الآيات والسنن
ما زال هذا الإمام العادل الورع البر التقي النقي المحسن الحسن
يعتر عابدة الطاغوت معترضاً بالسيف يضرب في الأعناق والقنن
في جحفل من بني ماء السماء سما إلى السماء بهم عمرو وذو يزن
وذو المنار وذو الأذعار تبعهم وذو نواس وذو جد وذو جلدن
أهل المصانع من غمدان تحسبه إذا دجا الليل سح العارض الهـن
ومن ذمر مر أو صرواح أو هكر أو أهجر الحجر أو ناهيك من فدن
حتى ابذعرت جيوش الكفر طائرة مثل الهباء بلا رأس ولا بدن
إليك جئت من السودان ترفعي إلى لقائك أشواقى وتخفـضني
بجاهد في سبيل الله متـكلاً على الذي هو يسقيني ويطعمني
مطيتي نفس ماضي العزم مجتريء على الجراءة ذي جبن عن الجبن
مهاجراً من بلاد الشرك ليس لنا عنها مراغمة إلا إلى اليمـن

عبد الله حامد الأمين

أديب وشاعر سوداني معروف. كان بيته مقراً للندوة الأدبية بأمر درمان، لسنتين طوال. وكانت هذه الندوة الأدبية من أثرى الندوات والصوالب الأدبية في تاريخ السودان. كان يعاني من الشلل، وعند زيارته لليمن، ضمن الوفد الأدبي السوداني، عام ١٩٧٦م، اصطحب معه شقيقه. كتب في اليمن قصيدته (عاد افريقيش)^(١). توفي في أواخر السبعينات:

تتلوى الطريق سكرانة تقوم وتنهار
تنحني وتلوذ بالجدار الطويل
وترنو إلى الذرى جانبيين عن يمين ترامي
تحتها دون أفق وعن يسار تسامي
والذرى لا نهايات مستحيل
غرقت في الضباب سراً وسحرا
(قاع جهران) ييكى وحيداً دموعه اعشوشبت صخرها
ويحبو ويبدأ يتلمس السفح سلماً مؤودا
يتشقق قطرات من الغيم وساعة يرتخي فوقه
ويصلب عوده وتناديه من بعيد
تناجيه مزامير الريح هنا
وتنفس الصعداء (سمارة) خلفي حيران
وأسلمني للريح ثغره بين الكتبان
ويرقع فوقى البرق صكوك الغفران

وتلوح لنا (ا ب)
الجنة ذات الأفياء وأعانند صمّي أبكي أنا من هذي الوديان
ظرفي يطر القدرة عمدني بارك خطوي فالليلة
تحرس في الجبل تنادييني
تنتظر العبس الغائب منذ قرون
الليلة عرس الأحقاب
الليلة يا بنت (صبر) يعود الأعراب
تألأت على البعيد أعين المدينة القديمة
ونامت التلال في الغروب طرزت أثوابها من الغيوم
وعلقت على صدرها المخضر باقة من الزهور ومددت أقدامها إلى النسيم
عارية صبية مليحة فلاحه وراعية
تودع النهار واحتملت سلاها وأينعت غصونها تفتحت ثمارها
وتحتمي بقلعة منيعة أكنافها علوية الشجر
وهذه (تعز) بموجها وأغنية الأمس تراحم الصدى وتملأ الأفق
قد عاد (افريقيس) يا صبية الجبل
قد عاد مثقلاً بهمه والسهاد والسفر
وغَير الزمن وجهه وخط فيه أحرف من الأسى
لا تنكريه يا صبية الجبل
مدي يديك يا (تعز)
ولترفعي القناع فالغريب إنه حبيبك المسافر القديم
قد جاء بالعطور والثياب والحكم
والأبنوس والبخور والعقود
فلتفرحي (تعز)

قد عاد افريقيس عادت السفائن المعتقة

وعاد (ذو يزن)

قد عادت اليمن

(١) للنص الكامل: انظر صحيفة الجمهورية (تعن)، ١٩٧٦/٧/٢ م.

عبد الله حمود حمران

سياسي يماني راحل، وأديب شاعر، وإعلامي عريق، كان من أول الأصوات التي بشرت بمولد الجمهورية العربية اليمنية، في السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م، عبر إذاعة صنعاء.

قضى بالسودان فترتين من حياته، الأولى من ١٩٦٥م حتى ١٩٦٧م، كدبلوماسي، وتزوج هناك بامرأة من الجالية اليمنية بالسودان.. ما لبث أن انفصل عنها. والثانية، من عام ١٩٧٨م حتى ١٩٨١م، كسفير لصنعاء لدى الخرطوم. وعبر كل مراحل حياته جمع إلى العمل السياسي أعمالاً ثقافية عظيمة، ولذلك فالسودانيون واليمنيون معاً يعرفون فيه الشاعر، والعاشق، والصديق، والقلب الكبير، والإنسان الفاضل الكريم، بقدر ما يعرفون عنه كسفير، أو وزير، أو ممثل شخصي لرئيس الجمهورية، ومناضل وطني، مهر الحرية والنظام الجمهوري في بلاده حياته الشريفة، وروحه المحلقة. لقد كان منزله العامر، في صنعاء والخرطوم، ندوة أدبية دائمة، تقابل فيها أفاضل الرجال وأعلمهم. يقول هذا الشاعر السوماني العظيم، في قصيدة له بعنوان (إليها)، نشرها في ديوانه (أنا وقلبي) (١)، وتمنى أن يغنيها الفنان السوماني الطيب عبد الله:

أنا إن وهبتك كل قلبي

ويحيي فما يبقى لشعبي

إن الهوى بعد المبادئ

بعد تحرير الجموع

.....

كان، رحمه الله - بقدر ما عطف على أبناء اليمن في السودان - عضواً نشيطاً في ندوة عبد الله حامد الأمين، في أم درمان، بل قل كان البوابة التي دلف منها أدباء السودان إلى واحات الأدب اليمني الخضراء. ومن يقرأ سطور هذا الكتاب، لا بد أنه سيقف على أعمال الرجل الخالدات. لقد كان حمران وراء تلك الدعوة الكريمة التي وجهها الزعيم اليمني الراحل ابراهيم الحمدي إلى أعضاء تلك الندوة لزيارة اليمن، عام ١٩٧٦م، فكتبوا عن اليمن في أدبهم ما يصلح أن يكون موضوعاً مستقلاً من مواضيع هذا السفر. يقول حمران، وهو يودع أعضاء الندوة على طريقة مهيار الديلمي:

أيها الأحباب صـنعاء لكم قبلة حرى وعطر نفحها
أبلغوا الخرطوم عنا عابقاً من هوانا توجـوها مدحها
وأذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحنا

وفي قصيدة له بعنوان (من وحي نار المجاذيب) المهداة للشاعر السوداني الراحل، محمد المهدي المجذوب، بمناسبة صدور ديوانه الموسوم (نار المجاذيب)، يتذكر حمران زملاء آخرين له وللمجذوب، في الندوة الأدبية، لعبد الله حامد الأمين، في أم درمان، مثل الشاعر السوداني، مصطفى سند، والشاعر السوداني، الدكتور مبارك حسن الخليفة، والشاعر المصري، الدكتور سعد دعبيس، الذي عاش في كل من الخرطوم وصنعاء:

وللتيل والأنسام همس مموج دوائره تفشيه لحناً موقعا
فنعزف بالأفواه أنا وتارة نغير الفتى المجذوب قلباً ومسمعا
ونسلم شعراً من مبارك مرة ومن مصطفى أخرى ومن سعد أربعا
وهل غير عبد الله أصدق غيره إذا ما تجلى الحق أبـلج أنصعا
أيا فتية السودان يا نبع روحه ويا فيضه يا عطره المتضوعا

أراد لي البوس من أختار أرضكم لنفي عسفاً عن بلادي موضعاً
نزلت بكم عامين لو وزغموهما بعمرى جاء العمر أدنى وأوضعاً
سأنقش في أعماق غسان حبكم ليورث من أبنائه من ترعرعاً
وغسان هذا نجل حمران وقد ولد بالسودان. وفيما بعد نرى أن الشاعر
المجذوب يهدي ديوانه (منابر) إلى حمران^(٢). ويقيني أن الشاعر السعودي، حسن
عبد الله القرشي، قد نظر إلى قول حمران هذا في قصيدة ودع بها الخرطوم.
وفي قصيدة (إلى الخرطوم)، المكتوبة بمناسبة عيد استقلال السودان، حينما
رافق حمران الزعيم ابراهيم الحمدي إلى الخرطوم، يقول:

هذا أنا واشتياقي غير محدود أعود يا غابة الأحرار والجود
هذا أنا عدت يا خرطوم فاغتفري هجري رباك فهجري غير مقصود
استغفر الحسن من (تاجوج) تنهله عين المخلق دون الخرد الغيد

وتاجوج هذه في الأدب الشعبي السوداني بمثابة ليلي. وحببها المخلق بمثابة
قيس.

وفي قصيدة (شوق وشكوى) المهداة للوزير السوداني الأول، يومئذ، الشاعر
الراحل، محمد أحمد محجوب، تأكيد لطلب اليمن الوسطة السودانية في الحرب
الأهلية التي كانت تمزق اليمن في الستينات، وهو الأمر الذي أشار إليه المحجوب في
كتابه (الديمقراطية في الميزان)^(٣):

يا بني السودان يا أهلي وهل لي أهل مثلكم في النوب
لا يخاف الضيم من فيكم نزل لا ولا يعرف معنى الكرب
كلكم عند الملمات بطل ومنايا تزدري بالعطب

ونستمع إليه، في قصيدة نشرها الشاعر اليمني أحمد عبد الرحمن المعلمي، في
مجموعته (صدى الحنين)^(٤):

إنما القلب بصنعاء ولو كانت الخرطوم لي عنها بديلاً
غربة النفس إذا ما واكبت غربة الأوطان أردتك قتيلاً
يا اخضرارات المنى يا وطني يا سنى الآمال حزناً وسهولاً
يا قداسات القداسات ويا كعبي صبحاً ومحراي أصيلاً
وفي كتابه (عبد الله حمران حياته وشعره) (٥)، للكاتب اليمني أحمد صالح
الخوربي، يقول حمران في قصيدة:

أعزتي يا بني الخرطوم أنقلها تحية عن بني صنعاء تلتمع
نقية كشعاع الشمس عاطرة كالورد لا كلف فيها ولا طبع
اليكم تنهاى كل مكرمة وكلكم لغزير العلم متسع
تعطون ما زرع الآباء بينكم لا يذل الناس إلا نفس ما زرعوا
ورنا الشهامة والأخلاق مشرقة فيكم وقابلنا الإيمان والورع
إن العروبة والإسلام آصرة نشد في منها الأقوى ونجتمع

وفي قصيدة أخرى، نشرها له الخوربي، في كتابه، يرثي الشاعر السوداني
الراحل ادريس محمد جماع، صاحب البيت الشعري المعروف «إن حظي كدقيق
فوق شوك نثروه ثم قالوا الحفاة يوم ربح اجمعه»:

ذوبته حرفاً ولحناً وزفرته نغماتاً ومعنى
وغمست في آهاته قلماً يشع هوى وفنا
قلباً تلظي الشوق في أغواره فشدا وغنى
وبكى وصلى للجمال إذا تخطى أو تشنى
ادريس يا لحن المحب ويا ربابة كل مضنى
يا نعمة الحسن الدفوق وواحة الصب المعنى
ضاقوا بنظرتك البريئة ما عليهم إن نظرنا

ادريس نحن الخالدون على الزمان بما تركنا
تحيا بنا الأجيال وما دامت تقلس ما وهبنا
نحن التراث وغيرنا يأتي إلى الدنيا ليفنى
لولاك يا بن ذريح ما باهى الزمان بحسن لبنى
ادريس نم ملء الخلود فإنه بالفن أحنى

وفي قصيدة حمران هذه تذكير بشعر لجماع، لحنه وغناه الفنان السوداني
المعروف سيد خليفة. وتاريخ القصيدة في يوليو ١٩٨٠م، بأُم درمان.
وحيثما وصل وفد الندوة الأدبية بأُم درمان إلى صنعاء، حياه حمران شعراً،
فقال:

أحبابنا ما هتفنا باسمنا يمنا إلا هتفنا بكم يا أهل سودانا
صاغت أمانينا الغربى ووجدنا دم سفحناء للأجناد قربانا
عروبة تنتزى ملء أكبدنا في سفح صنعاء أم في أم درمان
دم الضحايا الغر منهمر من كف غردون ميداناً فميدانا

وغردون هذا الحاكم البريطاني للسودان، الذي قتله رجال محمد أحمد
المهدي، خلال الثورة المهدية. وقد رد على هذه التحية الشاعر السوداني، مصطفى
طيب الأسماء، الذي كان ضمن الوفد:

وحيت (عبد الله) منا تحية هي الود مكنون تضوع ناشره
من النيل ومنطلق الهوى تفوح بها شطآنه ومعايره؟
وأنت فتى الحمران لحن وفاء تكرم منه وفده وتسامره
وكنت لدى الخرطوم حلية عقده وبهجة ناديه إذا التف سامره

وقد اتفقت بالرجل في اقامته الثانية بالخرطوم، فحمدت الله على أنني عشت في عصره، وإن كان، رحمه الله، قد بدأ يشك في من يعرض عليه صداقته، بعد صراعه المرير مع الطبيب الأديب، محمد يحيى الشرفي، مما أضاف إلى معاناته من المرض الذي ألم به، في نفس تلك الفترة.. علاوة على اضطراره للسفر إلى الخرطوم، بعد أن تعرض لاعتداء جسماني، يوم مقتل الرئيس اليمني، الغشمي، فكان أن عين سفيراً لدى السودان، سنة ١٩٧٨م.

وكان رحمه الله يردد هذا البيت الشعري، بنجث:

العلم يرفع بيتاً لا عماد له والجهل يهدم (بيت العزي الشرفي)

والعزي هو لقب من كان اسمه محمد عند بعض اليمنيين!

وعندما اشتد مرض حمران، عاد لليمن، فأمر الرئيس اليمني علي عبد الله صالح بعلاجه في ألمانيا، حيث توفي، في عام ١٩٨٢، عن ثلاثة وأربعين عاماً، كما يذكر الدكتور عبد العزيز المقالح. وقد رثاه الشاعر السوداني، الدكتور تاج السر الحسن، والصحفي السوداني الراحل، صالح بانقا، المعروف بابن البان، والكاظم اليمني، محمد أحمد الحبابي، الذي عاصره في السودان، وجمع لا حد له من المحبين لتلك الشخصية الفذة، التي رحلت مبكراً، فإذا مآثرها في الحياة تصوير لصاحبها بمثابة لحن الخلود.

(١) عبد الله حمود حمران، أنا وقلبي، دار الكلمة، صنعاء.

(٢) محمد مهدي المجذوب، منابر، دار الجليل، بيروت.

(٣) محمد أحمد محجوب، الديمقراطية في الميزان، بيروت.

(٤) صدى الحنين، مجموعة قصائد جمعها أحمد العلمي في جزئين، وضمت حنين شعراء

اليمن الكبار لوطنهم.

(٥) أحمد صالح الخوري، عبد الله حمران حياته وشعره، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م.

عبد الله الطيب

البروفسور عبد الله الطيب المخبوب شاعر وناثر سوداني واسع الشهرة في بلاد العرب، وهو أحد دهاقنة اللغات العربية، والإنجليزية، والفرنسية. درس في السودان، وبريطانيا وعرف بموسوعية المعرفة، على أشكالها، وأحب العلم، وأهل العلم، حباً جماً. وأقدم على تفسير القرآن، وتعريف الغرب بالعقريات العربية، وفي مقدمتها أبي الطيب المتنبي، الذي على وفرة ما كتب عنه الناس، صنف فيه عالمنا الكتب والمحاضرات.. وعلى وجه العموم، فإن عالمنا عرف بنظرياته المتحددة في الآداب.. لكنه لم يستصغ الشعر الحديث، وقلما كتب به.

وفي كتابه الضخم (المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها)^(١)، أشار إلى خصائص للشعر اليمني، وقف عليها بواسطة صديقه الشاعر اليمني البروفسور، محمد عبد غانم.

وما أكثر الإخوانيات في الشعر، بينه وبين هذا الشاعر اليمني. فمن قصيدة بعنوان (وادي النيل البعيد)، كتبها بعد زيارة لغانم، في منزله بـعدن، ونشرت في ديوانه (بنات راما)^(٢):

ألا إن وادي النيل منك بعيد فهل أنت لما أن تأيت سعيد
وفي عدن دار الأديب ابن غانم وحيث وراء البحر عاش هنود
ركبت إليها زورقاً وسباحة وعطلة صيف والطريق كهود

وبهنا غانم بالشفاء، بعد عملية جراحية أجراها له النطاسي السوداني
الراحل، البروفسور عمر بليل (ت ١٩٩١م)، فيبعث من جزائر سيشل، في يناير
سنة ١٩٧٧م:

أنا النفر اليمانيين إنه القريض به نشدو إليك مجودا
نطول به فوق الطوال ونعتلي على كل قرن حثما كان أرضدا
لقد سرنى لما (بليل) بكشفه تأكد أن لا شيء يخشى وأكدا
فلم في هناء لا يراع وصحة ووقت أحداث الليالي وتفتدي
ولا تعفون دار بفرضة أبين بها سوف تلقى مثلما كنت سيدا
تعود إليها إذ نعود مسوداً سعيداً ونلقى زائرين ووفدا
ومن قصيدة أرسلها إليه من بلاد المغرب، في مارس ١٩٨٦م، بعد زيارة له
لليمن، بدعوة من مدير جامعتها، الدكتور عبد العزيز المقالح، ونائبه، يومئذ،
الدكتور أبو بكر القربي:

أتاني من عبد العزيز المقالح كتاب كريم بالموودة مانحي
وجدت لدى عبد العزيز طبيعة من الفضل فيها جد وهو كمازح
ولما أتت برقية من جنابه زهتني إلى صنعاء نشوة صنادج
وعهدي بصنعا كرمتي وأحسن جادت وزادت واستحقت مدائحي
ولم ألفت في أعلامها غير عالم ملسم بأنباء الأمور الصحائح
وقد سرنى حقاً لقاء ابن غانم وهلك من نحل إلى البر جانح
نمت منذ سني بضع وخمسين بيننا صلات وداد أصلها في القرائح
ومني له توقير شيخ عشيرة تراه أباه بين غاد ورائح
وهذا نزار منه يشبه شيمة تطول إلى العليا بهمة طامح
كما لأبي بكر صفاء ابتسامة تشع على وزن من الحلم راجح

وجدت لدى القوم اليمانيين باقياً إلى اليوم عتق الأولين الجحاح
وكانوا همو أصل الحضارة معدن العروبة في ظلماتها كالمصباح
سلام على صنعاء مني تحية مضمنة حياً لها في الجوانح
ومن آخر اشارات عبد الله الطيب إلى غانم الأب، ما جاء في كتابه (ذكرى
صديقين) (٣).

(١) عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وحناعتها، الجزء الأول، مصر،

١٩٥٥م.

(٢) عبد الله الطيب، بنات راما، الدار السودانية، الخرطوم، ١٩٧٠م.

(٣) عبد الله الطيب، ذكرى صديقين، مطابع الطليعة، الكويت، ١٩٨٧م.

العقيد عبد الله محمد الزيادي

من أعيان قبيلة جهم - بمنطقة صرواح باليمن - وهو شاعر شعبي مطبوع، تفاعل خيراً بقيام ثورة الفريق عمر حسن البشير، بالسودان، عام ١٩٨٩م. وحينما ولد طفل في بيته، في أغسطس من عام ١٩٩٠م، أسماه عمر البشير. وقد نشرت مجلة (أنا السودان) (١) ثلاثاً من قصائده في الزعيم السوداني؛ وذكر كاتب المقال، الناقد السوداني باليمن، الأستاذ عبد العظيم صالح، بأن قبيلة جهم اليمنية تمتد ما بين صرواح و«حوش بانقا»، بالسودان، وأن من سلالتها يأتي الزعيم العربي جمال عبد الناصر، والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة. وهذه نماذج منها:

١ - القصيدة الأولى

يا هناك يا شعب ففي السودان حكم البشير
قائد مناضل شهد له برها والبحار
الحر ما قط راهن في سوام المصير
دم العرب في عروقه قد تحرك وسار
بشير واصل مسيرة خطها مستنير
الله وكل العرب معه بتأييد حار
رسم سياسته حكيمة حر لن يستشير
البيت الأبيض ولا للغرب قد استشار
وسياسته ناجحه خارج وداخل قدير
قومي ومسلم وانساني بكل اعتبار
والختام صلوا على روح البشير النذير
على نبينا محمد عدد حب الثمار

٢ - القصيدة الثانية

إلى الزعيم البشير الفارس العربي
من أرض مأرب إلى الخرطوم وأم درمان
إلى مقام البشير ومن معه وثبوا
لإنقاذ شعبهم من الأخطار والحرمان
ناضل ووفر لشعبه كما طلبوا
رغم الظروف المحيطة والعدوان
يفخر بك اليوم من للعرب ينتسب
من نواكشط غرب لشرق عُمان
تحية يا عمر من داخل القلب
من كل شعب العرب أرضاً مع الإنسان

٣ - القصيدة الثالثة

أهلاً وسهلاً بمن جاء من بلاد البشير
إلى بلدكم وبين إخوانكم والديار
في أرض صرواح في مأرب مرحب كثير
الكل رحب جميع أكبارنا والصغار
أرقى التحيات نرسلها بموج الأثير
إلى عمر قائد الثورة له الانتصار
حياة كل العرب صغيرهم والكبير
بالحب والعز والتقدير والإفتخار

(١) عبد العظيم صالح، عمر البشير لحظة الميلاد.. من صرواح إلى حوش بانقا، أنا
السودان (صنعاء)، العدد ٣، يناير ١٩٩٤م.

عبد الرحمن اسماعيل عثمان سكاب

شاعر مجيد بالعربية. إرتري الأصل، سوداني النشأة، يعني الإقامة الطويلة في مجال تدريس اللغة العربية، بمدارس صنعاء. كتب قصيدته (أماه)، على لسان يتيم ينادي أمه، التي مثلت بين يديه في صنعاء وعدن كياناً واحداً. له إسهام في كتابة الأغنية باليمن.

أماه

أماه يا لدة النجوم ويا زمردة الزمان
يا برق غيمتنا المجلجل رعداه ولقد شجاني
ما زلت نبعاً للأوممة أنت يا يا شمل الأمان
أماه فابقي ديمة وطفاء تحتضن المغاني
إبقي عطاء نابض الصفحات يا سفر الحنان
من ثديك الثرثار نحن نعبد ضاحكة الأغاني
إن راعني يتمي وووري في الليالي الحانين
أو... سامني دهري بعثرته المريبة وازدراني
حسبي حنانك قد سقاني فيضه شهد الحواني
هذي طيور رباك رفّت سرب عطف قد رعاني
ولرب يوم إن سأغدو سيفك العضب اليماني
وأصوغ حرفي من سنائك بنبله يزهو بناني
لاشيد الدرع المنيع في سبيلك من بياني

ما زال قلب الكون مخضل الجوانح بالحنان
ما زال هذا الأفق متشعاً بإيمان
يتثال من نبع القلوب الحانيات على الزمان
يشدو ويرتجز الربيع شذاً ويشدو الخافقان
أصبو إلى أندائه شوقاً يفيض به كياني
أصغي إلى حادبك بعزف طلعة الغلس اليماني
أماه عنهداً لن تهاني قسماً بوجهك أن تصاني

عبد الرحمن بن حسين الجبري

أديب يعني، جاء إلى السودان ليناصر الحركة المهدية فيه. يقول عن نفسه:
(عبد الرحمن بن حسين الجبري، الساكن في طيال بني جبر، قطر من أقطار بلقيس
سبأ شرقية من صنعاء اليمن. فلما خرجت من أرضي، وأنا طالب مناقب آل بيت
المهدي عليم في المشجرة، التي هي عن بيان ظهور المهدية من الشمال، والفضائل،
والكرامات، والمعجزات، والنسب، والحسب، والمناقب، والوقائع، وأسباب
الظهور، وجميع الشمال المهدية، وما أشبه ذلك... الخ). ألف كتاباً، وقفت عليه
في شكله المخطوط في مكتبة السودان بالمكتبة الرئيسية لجامعة الخرطوم، بعنوان
(النفحات الوردية في بيان المشجرات المهدية التي تفرعت أصولها الذاتية عن
الشجرة المحمدية: تاريخ المهدي والصوارم الهندية حاوي الفضائل وجامع الشمال
بشرح مختصر في بيان ظهور المهدي)*. وكانت مصادره، فيما يقول، من الثقات،
وأعيان الناس. وقد طلب الإعاشة من المهدي الابن، السيد عبد الرحمن المهدي،
ووضع كتابه هذا، في أم درمان، سنة ١٩٢٥م. ومن أشعاره:

يا صاحب الغار عقلي فيك قد سلبا وكنت طفلاً صغيراً في ديار سبا
والشوق أزعجني من نحوها طرباً كأن جسمي بالأشواق قد جذبا
الحمد لله قد شاهدت بيعته كنت مريداً معاه وسط غار آبا
يا مهدي الله عاملني وخذ بيدي إذا أتيت غداً بالذنب محتجبا
نحذي بيدي يا ابو الفضائل وايدني فنحن يا سيدي في داركم غربا
هم أهل وادي جبا
وهاجروا في آبا

وعبدكم من سبا
فجاءكم مستجير
يرجو الرضا منكمو
لأنكم أنتمو
أهل العطاء الكثير

جد في السير باخلاص العمل
من سبا بلقيس إلى أرض وشل
هكذا من جد في السير وصل
لو يكون البعد في أقصى اليمن

من أرض بلقيس جذبني لحيه وجئت غريب الدار من ذاك المحل

* رقم المخطوطة بالمكتبة ١٩٩٤/١٠

عبد الرحمن عمر باعمر

شاعر ومربي يمني، من حضرموت، ذو غنائيات شدا بها المطربون في بلاد حضرموت، وأصدر، قبيل وفاته، في مطلع التسعينات، ديوان (أنت الحياة) (١). ضم الديوان قصيدتين، كتبهما من وحي زمالته للمدرسين السودانيين بأبين، في أواخر الخمسينات، ومنهم الشاعر صديق مدثر، هما: (الحب الضائع)؛ و (كلمة ترحيب)، والأخيرة تقول:

ردي الوصال فهذا الحجر أشقاني كيف اصطباري على صد وحرمان
وفيك نفسي وقد ذابت بحرقها لهفي عليك بأشواقني وأشجاني
ليلى تعالي فقد طال البعاد بنا نجدد العمر ألواناً بالوان
ونغتشم لذة الدنيا ونشوتها فما تدوم على حال لإنسان
الله أيامنا بالحب زاهية كما ازدهرت ببنيتها أرض (سودان)
يا جيرة النيل حيا الله نيلكم على الوجود وحيا روض رضوان
أهلا قدمتم ففي الإحشاء منزلكم تربعوها قلوباً دون اعلان
وشايطرونا صفاء الود واعتبروا أهلاً (بأبين) أهلاً في أم درمان
لا تشغلوا البال إن شط المزار بكم لم تخطبوا السير في صحب وخلان
أرض العروبة يا أحباب موطنكم إذا حلتم به قاصيه والدانسي
فما (صلاح) وما (صديق) إن قدما أو (فيصل) غرباء بين جيران
إننا نكن لكم في الروح عاطفة والحب بالروح صاح خير برهان
هذي تحياتنا تهدي معطرة أشذى من الورد في أسحار نيسان

سبتمبر ١٩٥٧م

(١) عبد الرحمن عمر باعمر، أنت الحياة، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٥م.

عبد السلام الحداد

أديب يمني، كتب الأبيات التالية في الترحيب بوفد أدبي سوداني زار صنعاء

في يونيو من عام ١٩٧٦ م.

حي عنا نوابغ السودان وفحول البيان والتبيان
ألف أهلاً ومرحباً بكم يا اخوة القلب والحجى واللسان
اخوتي اخوتي الكرام لقد عزت (عز) بكم على البلدان
هذه أرضكم ومنها مضى الركب لاحقاً حضارة الإنسان
فإذا جئتم اليوم حياً ووفاء لأول الأوطان
فصدور تلقاكم وقلوب خفقت في هوى إلى السودان
عائق النيل فيكم أرض بلقيس وهشت جدلى بها الجنتان

د. عبد السلام نور الدين

فيلسوف سوداني، عاش في اليمن، شماله وجنوبه، طويلاً، كمدرس للفلسفة الإسلامية، في جامعة صنعاء، ثم جامعة عدن، حيث مازال يعمل. اهتم بالأدب اليمني، لا سيما أدب وشعر الصوفي اليمني، أحمد بن علوان. قيل إنه تعرض لمحاولة دهسه بسيارة مجهولة في صنعاء، وغادر بعد ذلك اليمن شماله إلى السودان، ثم إلى اليمن جنوبه. وقيل بأن المتشددین دیناً كانوا وراء محاولة قتله هذه. قلما يكتب الشعر، وهذه قصيدته التي توجه بها إلى الكاتبة اليمنية، هدى العطاس، بعد نشرها لمقالتها بعنوان (أهفو إلى عشق مجنون):

رسالة إلى هدى العطاس

عزيزتي هدى لا تعطسي كثيرا
أرجوك يا هدى إلى خزيمة ارجعي وسدرها المنتهى
هناك في (أزال) مبتدا
عزيزتي هدى الود في اليمن
الحب في بلاد ذي يزن
العشق في زمانها الكوليرا نحن أسى شجن
كالعطر في كفن
تعطري ان شئت يا هدى بالموت والدم
تأزري بالدم والعطن

تبرجي حداذاً تمخطري عشية في الساحل الهندي في عدن
الحب في بلاد ذي يزن درن
قروح داحس الكريه في البدن
إذا عشقت دون أن تغتال فوراً أنت قطعاً لست في اليمن

د. عبد الشافي صديق

مؤرخ ومفكر سوداني، اثنى بكتاباته الحياة الثقافية في عدن، منذ أن استقر بها، من سنوات طوال، محاضراً لمادة التاريخ بجامعة عدن. حاولت أن أحصر انتاجه، ولا أخلني وفقت في هذه القائمة من الأعمال، التي تمحورت حول اليمن، وجاءت غيضاً من فيض هذا المبدع والدكتور النشط، الذي ما زال عطاؤه يتدفق عبر صحافة اليمن:

(١) سهيل بن عمرو نفوذه الاجتماعي وحضوره التفاوضي، مجلة (المؤرخ العربي) عدد ٣٤ سنة ١٩٨٧م.

(٢) العلاقات اليمنية الأيوبية (٥٦٩ - ٥٩٤ للهجرة) بحث في ندوة العلاقات اليمنية المصرية عبر التاريخ، يناير ١٩٨٩م.

(٣) ليس الشر في التعدد القومي اللغوي وإنما في كيفية معالجة قضاياها.. دراسة حول الأجدية المهرية والسقطرية، صحيفة الثوري، (عدن) ١٨ يوليو ١٩٨٧م.

(٤) ندوة شبام حضور تاريخي وغياب سوسيولوجي، صحيفة الثوري (عدن) ٢٦ مارس ١٩٨٨م.

(٥) شبام حديث عن الوطنية والقومية والإسلام، الثوري، (عدن) ٢٣ ابريل ١٩٨٨م.

(٦) الطابع العملي في المثل الشعبي اليمني، التراث (طرابلس) العدد ٦، ١٩٨٢م.

(٧) خصوصية الأدب اليمني، الثوري (عدن)، ١٩٨٧م.

- (٨) الحابل والنابل في جائزة نوبل الثوري (عدن) ديسمبر ١٩٧٨ م.
- (٩) اشكالية الترجمة وفقه اللغة، الثوري (عدن)، ١٢ ابريل ١٩٨٩ م.
- (١٠) في المسألة التربوية المطلوب تخليق الوازع لا الذاتي، الثوري (عدن) ٥ ابريل ١٩٨٩ م.
- (١١) الوحدة اليمنية، محاضرة بتلفزيون عدن.
- (١٢) دور اليمنيين في التوسع الإسلامي، محاضرة بتلفزيون عدن، عام ١٩٨٨ م.
- (١٣) يوم المؤرخ العربي، ٢ اكتوبر ١٩٨٩ م، محاضرة بتلفزيون عدن.
- ومهما قيل في الدكتور عبد الشافي صديق، فإنه يبقى أحد الرؤوس الخلاقة الكبيرة في عدن.

د. عبد العزيز صالح المقالح

هو العلم الأدبي اليمني الشامخ، الدكتور عبد العزيز المقالح. وإذا ذكر اسم المقالح، ذكرت النهضة الثقافية المعاصرة في اليمن؛ فهو مدير جامعة صنعاء، ومدير مركز الدراسات والبحوث فيها، وهو رمز من رموز البعث الفكري والإبداعي في بلاد اليمن. وعلى الرغم من الرهبة التي تنتاب من يكتب عن هذا الجهيد المعاصر، فإننا نضم صوتنا إلى الشيخ جمال الدين الأفغاني؛ إذ يقول أن طول المقدمات ربما دل على ضعف المحتويات.

والسودان كانت أول قطر يسافر إليه المقالح، لطلب العلم. وقد اصطدم هناك بصعوبة المنهج السوداني، الكثير التركيز على لغة أبناء التيمس، فغادرها إلى أرض الكنانة، وهناك نال الشهادة، تلو الأخرى، ولمع اسمه في عالم الإبداع. زار المقالح الخرطوم، ومدينة ود مدني، ومنطقة أم ضبان، وقدم البرامج الإذاعية من إذاعة أم درمان، التي عرفها كموظف في إذاعة صنعاء. والتقى في ود مدني بشيخ اليمانية فيها، المرحوم يحيى حسين الشرفي، فشمله برعايته، كما كان يفعل مع كل اليمنيين القادمين للسودان.

تناول المقالح، كناقد، بالدراسة رواية «موسم الهجرة إلى الشمال»، للقصص السوداني العالمي، الطيب صالح، نشر ذلك في كتابه «اصوات من الزمن الجديد» (١). كذلك قدم الناقد السوداني الشاب، مجذوب عيدروس، دراسة مطولة عن صنعاء، في شعر عبد العزيز المقالح (٢).

أما بالنسبة لما كتبه المقالح من شعر في السودان، فهو كثير، وإن كان القارئ العادي لا يقف من ذلك إلا على قصيدته (عتاب)، المنشورة في أحد دواوينه (٣). ولقد حصلت من الدكتور المقالح على مجموعة من أشعاره، المكتوبة عن السودان، وهي ليست بالمجموعة الكاملة لقصائده عن السودان، التي تربوا على

العشرين. وسيلاحظ القارئ معي مرحلة شعرية مر بها المقالم، قبل أن يهتدي إلى شعره الأجد.

عتاب

يائس منك يا ياسي من لقائي ودعيني لغربتي وعنائتي
فيك أخلصت واحترقت وعانيت وجاهدت في سبيل اللقاء
يا بلادي وأنت لم تمنحيني غير أذن مثقوبة وتنائي
كلما شيع الزمان نهراً من حياتي في الغربة السوداء
ودعته بلا صلاة دموعي وبكاه بلا أسى كير يائي
كيف أهرقته على غير أرضي ولماذا دفنته في العراء
كان أولى بأن يكون شعاعاً في بلاد لم تكحل بالضياء
في ضميري زلازل في دمائي ثورة عالمية الإنتماء
غير أنني إلى بلادي مشوق كل أذن تهفوا إلى صنعاء
قبلتي حائط عتيق وأطلال على ذلك التراب النائي
وسراجي إذا تغور المصاييح نجوم تغفو بتلك السماء
فلماذا لم تذكريني أجيسي يا بلاداً تقيم في أحشائي
بح صوتي على الجبال تكسرت على كل ربوة خرساء
أكل الليل ضوء عينيك أغفى تحت جفنيك هيكल الظلماء
فلماذا لم تغضبي لم تثوري أي قلب لصخرة صماء
لا دموعي تهز ذرة رمل في موانيك أو يهز ندائي
أسفي أن أموت يوماً غريباً ودم الشوق صارخ في دمائي

الخرطوم ١٩٦١م

عند ملتقى النيلين

هنا أقترن النيلان فالأفق أخضر وماؤهما في النهر أشقر أسمر
تسير عليه السفن نشوى كأنها عذارى تصد الموج عنه وتقهر
تغني على شطآنه كل زهرة وتحرسه طير الروابي وتشكر
وقفت به عند الأصيل وفي فمي صلاة وفي قلبي نداء معطر
وكنت أرى (توتي) أمامي يحفها من الأخضر الريان فجر مصور
تناغى بها موج وغنت يراعة وأخلد عصفور إلى العش ينسقر
وحين يجيء الليل تنداح هالة من الضوء تحتاج الضفاف وتغمر
ولولا أحاديث التماسيح كان لي على الشط نوم ناعم متحرر
فما أحمل الأنغام والنيل هادي وما أعذب الأنسام والليل مقمر
الخرطوم / نوفمبر ١٩٥٩ م

المشاهدة

رأها الجمال بلا حارس وخاف عليها عيون الحسود
فمد يديه بجزن عميق وخلش بالكف جمر الخدود
فيا ليتني لم يمس الوجوه ولم يطمس النار ذات الوقود
فقد عبثت كفه بالهوى وشقق بالحقد وجه الورود
ويا أم درمان كم فائن حملت وكم مبتلى بالصدود
يحاصره حبه صامتاً وتضرعه رائعات النهود
فيخفي هواه ويطوي ظمائه ويقنع بالنظرات الودود
أم درمان / ١٧ ديسمبر ١٩٥٩ م

في منزل الشاعر التجاني يوسف بشير

حملتني من الهموم الحوالك، وسمت بي (إشراقة) (٤) من خيالك
يا أخا الشعر والتصوف والإشراق إني ضيف عليك وآلك
ها هنا كنت تكتب الشعر تصغي في خشوع إلى نداء الملائك
«أيها النيل يا سليل الفراديس» سمعناه صاعداً من ظلالك
أتراني أعيش مثلك أم أقضي غريباً على دروب المهالك
فأنا الضائع المعذب في الأرض وما زلت في صباح المسالك
تفتديني الأشجان يا كلني الخوف وتخشي صوتي حدود الممالك

في رحاب ود مدني

مدني سلام عاطر متضوع حملته من قلب السعيدة أدمع
نثرته فوق شراك أشواق الهوى وطوته من تحت الحريق الأضلع
مدني وفي صنعاء مناحة أمة شماء يجلدها الظلام المفجع
ما مريوم بالبلاد وأهلها ألا حسبناه القيامة تسرع
ظلم تذوب له النفوس وقسوة يشقى بها الوطن الجريح ويخضع
مدني فررت إليك من جور الأسى وأتيت يحدوني الرجاء الأوسع
لما رأيتك تحت أنوار الضحى والنيل يجري والخمائل ترتع
آمنت أنك للجمال قصيدة كبرى وأنتك للمحبة مطلع
(حتتوب) ما أحلى الحداثق والربى والشوق في ظل (الناقل) يهجم
سودان يا وطن المحبة والمنى يا خير ما حفظ الحدود وأبدعوا
لك في القلوب مكانة ومهابة ولأهلك الصيد الأماجد موضع
قوم من الخلق الرفيع وبلدة يزهو بها الشعب العظيم الأرفع
فاسلم لأمتك المجيدة حارساً ولك السلامة والهناء المرع

مدني / ٩ يناير ١٩٦٠م

يا صديقي أنا في الخرطوم
والخرطوم بيت وملاذ للعرب
كل من أظماه الدهر وعانى من سغب
جاء للخرطوم مشتاقاً من النيل اقترب
يا صديقي إنهم أهلي هنا
آه ما أروعهم أهلي هنا
يمسحون الحزن عن روعي ويطوون العنا
في بلاد هي للقلب المنى والسنا
يا صديقي إن صنعاء التي أحبت لحن في عظامي
لا يوارىها عن العينين ياسي أو ظلامي
قل لها: هذا كلامي وسلامي

الخرطوم / ١٩ فبراير ١٩٦٠م

-
- (١) د. عبد العزيز المقالح، أصوات من الزمن الجديد: دراسات في الأدب العربي المعاصر، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠م.
- (٢) دراسة منشورة بصحيفة (الأيام) الخرطومية، في مطلع الثمانينات.
- (٣) د. عبد العزيز المقالح، رسالة إلى سيف بن ذي يزن. انظر كذلك الأعمال الكاملة للمقالح، طبعة دار العودة، بيروت.
- (٤) إشراف: ديوان الشاعر الكبير التيجاني يوسف بشير، الذي وافته المنية، عام ١٩٣٧م، عن خمسة وعشرين عاماً.
- (٥) أرسلت القصيدة إلى صديق المقالح، الشاعر السوداني الكبير، محمد مفتاح الفيتوري، لنشرها في مجلة (الإذاعة والتلفزيون) التي كان يرأس تحريرها، يومئذ.

عبد الغفار أحمد جميل

شاعر سوداني، عشق اليمن، واستوطنها، لسنوات طوال، وما يزال. وطبع أسرته بأذواق اليمن واليمنيين. عمل بالتدريس، وشارك في النشاط الثقافي في اليمن، من خلال المدرسة، والقصيدة، والمسرحية. ولا شك أن ديوانه المعد للطبع سيحمل إلى القارئ هذه الأحاسيس، وهذا الفن، كما له في الأغنية إسهام مشهود.

نحية لليمن

أنتم أوفى من النيل فيضاً وأعتى من مأرب شموخاً وبنينا
وأنتم مهد العروبة وعزها وما تبقى منها قلباً وشرينا
ما أن منكوب أو توجع مغلوب إلا زلزل القطرين عروشاً وأركاننا
وما حل مرتحل بأيهما إلا واجداً فيه أهلاً وعحلاًنا وأخواننا
أم العروبة أنت يا يمن وأنت صدرها المعطاء تحننا
أبقى العلي (عليه) حافظاً تراث الأجداد ما ظل منه وما كانا

* قيلت في مناسبة الدعم الشعبي اليمني لضحايا الفيضانات بالسودان، عام

١٩٨٨م.

صوت آزال

مرحى آزال زهرة الوادي حدثني عنا الأحقاب والأجيالا

أنت طيب عبق الأريج ضمخ وادينا خيراً وأفضالاً
وأنت نبع لكل ظامي رام فيك آداباً وأمثالاً
وأنت روض اشترأت براعمه للضوء والطلل مدراراً وهطالاً
يا ترنيمة على شفاه الزغب وأنفاس صبح تهدد الأطفال
قفوا في محرابها وحيوا آزالا حباها الله علماً وعزاً واجلالاً

* قيلت في تحية مدرسة آزال الحديثة، بالوادي، في مايو ١٩٨٩م، بمناسبة صدور مجلتها التربوية الثقافية: (صوت آزال).

أوبريت الوحدة اليمنية

شتات وتمزق عم البلاد
وأخ يضم لأخيه الشر والأحقاد
خراب عم السهول والجبال والأوهاد
وفرقة غذاها المستعمر أزماناً وآماداً
أحبيك يا وطني أحبي فيك شمسنا
أحبيك يا وطني أحبي فيك عيانا
لحمك يا وطني أثور زلزالاً وبركانا
أحميك يا وطني أرضاً وإنسانا
أفديك يا بلدي جزراً وشطآننا

العرب والأحلام والتاريخ

قف أيها التاريخ واحفر بالمسند على جدار مأرب حاضرننا وماضينا
فهذي أم العروبة قد جمعت أشلاؤها واتحدت فأصبحت غصة في حلوق الحاقديننا
عانقت عدن صنعاء برداً وسلاماً وأشعلت ناراً في قلوب الشامتينا
وتجاوبت بيض القلوب في السودان صادقة لا تعرف زيفاً وتلوينا

تمنطقت جنبيتي والتزمت مهنداً يمانياً وعقدت لوائي
وصاح النفير هذا البشير يهلل بالدستور بالشرعية السمحاء
هذا البشير ركبه الميمون المؤمنون الحادبون وأخلص الخالصاء
١٣ فبراير ١٩٩١ م

وحدة اليمن

المارد انطلق يعانق الأفق
احتضن النجوم وبينها إتللق
زغردي بلقيس فالقول حق
توحدت شعوبنا والقلب رق
يا صنعاء عدن عدن ما فيكما من عق
فأنتما الضياء والشفق
وأنتما العبير والألق
لياليك يا عدن نسيمها أرق
ونجمك يا صنعاء علا وسمق
حين المارد انطلق
وعانق الأفق
واحتضن النجوم بينها إتللق

وهذه فصيحة مشتركة له مع الشاعر السوداني المقيم بصنعاء، الأستاذ محمد
علي عثمان، كتبت بمناسبة عيد استقلال السودان، بعنوان (بين صنعاء وأم
درمان). وقد قامت فرقة أسرة ربوع السودان بتلحينها، بغرض تقديمها، مسرحياً.
صنعاء:

سلفي عن الشيء المباح
لا تسأل الأنجم ضوءاً في الصباح

وهذه فصيحة مشتركة له مع الشاعر السوداني المقيم بصنعاء، الأستاذ محمد علي عثمان، كتبت بمناسبة عيد استقلال السودان، بعنوان (بين صنعاء وأم درمان). وقد قامت فرقة أسرة ربوع السودان بتلحينها، بغرض تقديمها، مسرحياً.
صنعاء:

سلني عن الشيء المباح
لا تسأل الأنجم ضوءاً في الصباح
عيناى من ماء وطن
وسلالتي عرق تفرع من معين
الخاتم المنسي من بلقيس ثغري
وورثت من نيران حاتم موقدي
فصنعت حمري
آتاك أمري

فأنا امتداد العمر إن جم الزمان
وأنا عروض الشعر وقعاً واتزان
وأنا جفان الأوس تقرري الضيف زاداً أو أمان
وأنا أزيز النحل يسري في البيوت وفي المساجد
وأنا ضياء مشرق في وجه عابد
أنا الإيمان ما لاحت لكم ظلمة
أنا الحكمة
أم درمان:

سلني إذا ما شئت إسمي
في خيوط النور آناء الغسق
لما يحيط الأزرق الدفاق صدرّاً في لقاء المفترق

لما يجيء الأبيض الفياض في لون الألق
حينها ادلق مدادك في الورق
سيشع برق ويحق حق
وسل الزمان سل الزمان سل الزمان
سيقول يا ما كان كان
أنا الماضي وما يأتي
أنا أم درمان أنا السودان
أنا الدر البزین بلدي
أنا البرعاك سلام وأمان
وأنا البفداك يا ولدي أنا أم درمان
أنا أم درمان
صنعاء:

الشمس تشرق ها هنا من كل آفاق السماء
أروي ولون الأرض مجد من ضياء
يماني هو الإيمان قول من صفى الأنبياء
فسل السلدود الباسطات يدا تصافح بالوفاء
ومتى اللقاء

هنا صوت هنا صنعاء
هل أنت يا أم درمان سامعة النداء
هذي يدي تمتد في لون القباب الخضر
ترقى في السماء
فجيران من أمس الزمان ومن غد
بشارك إن الحق جاء

وبشيرك الميمون يصدح بالنداء
فسلي الجيوش الزاحفات بكل فج في الفضاء
وبلاد قيصر أرض كسرى ما البطولة ما الفداء
فالشمس تشرث ها هنا من كل آفاق السماء
والشمس نيل ها هنا والنيل ماء
أُم درمان:

لكن يا صنعاء هلا تعلمين
المجد في السودان أشرق مرتين
فالمجد واعد أهلنا سيعود يوماً في حقول القمح
في أرض الجزيرة عند أجمل ضفتين
ولأن وعد الحر دين فالمجد عاد
والطفل أمسك باليمين سلاحه
ورمى على الأرض الحنونة حبتين
وسقى جذور القمح ماءً دمتين فدمعتين
ويضاعف الله العزيز لمن يشاء
سبعين سنبله حصاد الزارعين
ونكون يا صنعاء قلنا للورى أو لا نكون
والله شاء والخير جاء والله أكبر في المصانع في المزارع
في المساجد في الصباح وفي المساء
وسمعت صوتاً في الورى (حيّاك مني الصاحب الخفاق)
يا هذا الوطن ويراعني يا أيها العملاق
في هذا الزمن علم البلاد إليك أطرق خاشعاً متيمناً
ونيزيني في ساحك الإشراف يا هذا الوطن

صنعاء:

أنا بلقيس هذا السد من فني
عبدت الشمس جاهلة سلوا شمس الدنيا عني
سلوا قلدي أماجيداً وحبانا
سلوا عني صخور الأرض تحكي كل ما كانا
سلوا قومي إذا هبوا زرافات ووحدا
سلوا عني غزاة الأرض رجالاً وركبانا
سلوا عني سليمان
أم درمان:

سلي كرري وصمويلا وغردونا وشيكانا
سلي عني عصاة الله لا يرضون إيماننا
سلي عني غزاة الأرض فجّاراً وعدوانا
سلي عني زغاريد البنات السمر لا يبيكين فرسانا
سلي عني بيارقنا سوى العلياء لا يعشقن أوطانا
سلي عني بناء المجد فرسانا وهجانا
ليلي أمان فجرني أمان
هذا كرومه يث لحنا للزمان
هذا سرور يرقص الكون بإفتان
ويرد روعي من ربي تلك الجنان
(مكتول هواك أنا من زمان مكتول هواك يا كردفان)

صنعاء:

انظروا ماذا ترون
آأمري نحن أولو بأس

ونسخر بالحياة وبالمنون
أيكون هذا العرش عزشك قد يكون
إني أراه كأنه لكنما
إن الملوك إذا غزوا أرضاً أذلوا من يعز ويرهبون ويحكمون
قد كان في أرضي قديماً جنتان
والأرض طيبة وربّي غافر والخير دان
ويجيئني طير غريب
يلقي إلي بدعوة علي أجيب
فيقول لا ويقول قومي ألف لا
لكنما إن الملوك إذا غزوا أرضاً أذلوا أهلها
فحزمت قولي وعددت رحلي وأتيت أرض الأنبياء
مسرى النبي بذات ليل للسماء
أم درمان:
فيا صنعاء من أهداك أبنائي
أراهم في فجاج الأرض من دان ومن ناء
فهذي الربوة العليا تعرفهم وتعرفني
يشيدون العقول الخضر في البيضاء وفي عدن
فهذا عاد بعد الهجر للأبناء مشروحا
هذا أسلم الروحا
ولكننا نرود المجد يا صنعاء نبيه
ونحتاج الردى نسعى له حتى نلاقه
ويا صنعاء إن أهديتني وعدا
فيا صنعاء إني أحفظ الوعدا

ويا صنعاء إن أهديتني جبلا
فلي التاكا ولي كسلا
وإن أهديتني دارا
فلي مدني ولي بارا
ويا صنعاء إن أهديتني بحرا
فإني أعشق الشعرا
ولكن الدماء تسيل ثم تعود للمجرى
صنعاء:

أيا أم درمان يا أم درمان
يا جلاب درويش بلا لون
ويا المجلدوب يا توشكي وترهاقا وبردوني
ويا دوبييت من غنى
ويا المحجوب والبنا
ويا عرساً بلا صوت بلا دن
ويا لحناً بكى من جرسه لحنى
ويا أم درمان يا صافر ويا المحويت يا أم بادر
ويا أم درمان يا ضوءاً تراءى في تسايحي
ويا قلباً حوى في قلبه روحى
أم درمان:

أيا صنعاء يا صنعاء يا سيفاً ردينياً ويا وضاح يا عرساً ربيعياً
ويا عبيان يا شمسان يا فتحاً إلهياً
ويا بيتاً من الشعر ويا بيتاً من الشعر
ويا غيثاً أتى من هاطل المزن

ويا حُسناً بكى من حسنه حسنى
ويا صنعاء يا مدني ويا أم درمان في عدن
ويا روحاً تحل اليوم في بدني

صنعاء / ١٩٩٤م

عبد الفتاح عبد الولي

قاص يمني معروف، وهو شقيق القاص اليمني الكبير، محمد عبد الولي، رحمة الله عليه. لم يعرف ككاتب قصيدة، لكن هذه أبياته المهداة إلى الشاعر السوداني، الذي عمل سفيراً بصنعاء، الأستاذ سيد أحمد الخردلو.

صديقي الخردلو

ليس في اليمن
ما يكفي من عيون كي تراك
افتح الباب وادخل
تدثر برائحتي
واختبأ في عيوني
تنقل بين خلجانها
مثل طير القبل
يا نبذ القل
ابشر بمائدة من نجوم
وزوبعة من عسل
افتح الباب وادخل
شق سماء يمتأ
ببرق سناك
انجر شبائك (شندي)

بقلموم عشقك
وقتصح ورود (تنجا)
بمزن فمك
أنا نحبك حباً نعما

صنعاء / يونيو ١٩٨٩م

عبد القادر أحمد باحشوان

أديب يمني من حضرموت، كان أول خريج لمدرسة بخت الرضا السودانية، من بلاد حضرموت، كتب الشعر الحلمنتيشي، وهو شعر يقصد منه الفكاهة، كان قد أعطاه هذا الاسم الشاعر المصري، حسين شفيق المصري، سنة ١٩٢٦م. وقد وقفت على هجاء، من باب الدعابة، للأديب السوداني الراحل، الدكتور سيد أحمد نقد الله (ت ١٩٨٤م)، لباحشوان، عندما كان نقد الله مدرساً ببخت الرضا.

المولّد الحلمنتيشي

ولا يعجبك (أبو دقش) وإلى جانبه (باحشوان)

* أبو دقش: طالب سوداني

وجاء رد باحشوان على أستاذه نقد الله على نفس الروح:

الشعر التفنتيشي

أبو هريرة ذو الأخبار بالكذب قام إلينا يجر الرأس بالذنب
أما ترى وجهك المملوء بالخطر سهم من الشرق أم سهم من الغرب
لما رأينا أبا الأصفوح ملتوياً كان السقام علينا أعدى من الجرب
وانظر علي حورة من كل ناحية كأنه شغب في الماء منقلب

* علي حورة وأبو الأصفوح أي حسين عولقي: طالبان يمنيان.

عبد القادر شوقي محمد

عمل مدرساً سودانياً باليمن، وكتب في وداعها قصيدة (صبيحة الحق):

غنى الهزار قبيل الفجر في فنن فغزا مسامعنا بمآثر اليمين
وان أردت أنحي عما مضى خيراً فأستفتِ صنعاء واستلهم ثرى عدن
كن ذا ثبات وسل نجران في أدب تجبك عما لها في الأرض من منن
ساد العقول بنوها منذ نشأتها بالعلم والرشد والتبيان والفطن
أبحادهم غطت الدنيا مراجعها وشيدت عرشها في هامة الزمن
هم أيدوا الدين بالحرباء إذ نبذوا صفو الحياة فما أغلاه من ثمن
لبوا جميعاً نداء الحق في عجل عافوا الخضوع لدى الأصنام والوثن
نفوسهم دائماً بيضاء راضية لا يجنحون إلى البغضاء والإحن
أقدامهم نحو فعل الشر مبطئة ويسرعون لدى الحاجات والمحن
أيعجب الشعب من إنجاز ثورته أم من مكارم عمار وذئب يزن
قاد الرئيس بعون الله دولته نحو السمو وقد سارت على السنن
نادى فأصغت له الآذان والتحنّت صفوف أمته فقضى على الفتن
لم يأل جهداً وظل العدل ديدنه فرفرف الخير في الآفاق والمدن
دمتم وما مسكم في الدهر من حرج ذخراً يدعم صرح الفخر للوطن

عبد الوهاب أحمد علي الحبر

مدرس سوداني بقرية (ماهلية) وهذه قصته.

أواه ماهلية

تحدثت من صنعاء تجاه مأرب.. مأرب هي نقطة انطلاقي إلى ماهلية.. ماهلية اللحن الذي يتردد في أغوار أغواري.. هذه المرة يخامرني شعور داخلي أنها الزيارة الأخيرة، إذا صدق هذا الظن، فلن أراها ثانية.

بعد هبوطنا من تلك الجبال، انطلقت عربة (التاكسي)، بسرعة لم تخف - كلما زادت سرعتها، كلما قربت منها.. الحجارة السوداء على جانبي الطريق تحكي ماضياً عريقاً، وأول ما رأيت، بعد مأرب الجديدة، كان مأرب القديمة، بيوت طينية مازالت تقف شاخخة، رغم السنين العvisية التي مرت بها.. بيوت على ربوة نحت من سيل العرم، وحينما ترجلت في تلك البقاع، سألت نفسي هل تجولت بلقيس هنا؟ هل جابت جيوشها هذه الأصقاع؟ المكان الذي أقف عليه، هل استقر عليه الهدهد وهو يلحظ بلقيس؟

هذه أعمدة العرش، على أي حال، وقرية من هنا لا أدري شمالاً أم يمينا، قبع الهدهد، وراهم يسجدون للشمس.. فضوا، وبقيت الشمس، وبقيت معها آثارهم الدارسة، وهذه الأعمدة مازالت واقفة تتحدى الزمن، وتحكي بصمتها تأريخاً، مازال خافياً علينا، وإلا فقل لي كيف سارت بلقيس من هنا إلى الشام؟ ما هو الطريق الذي سلكته؟ ماذا كان مركبهم؟ كم كان عددهم؟؟ أخرجني من

تساؤلاتي صوت سيارة أوقفها سائقها، وسألني (هل تريد صرواح؟) قلت له أريد ماهلية، لم يزد علي: (ماهلية بعيدة)....

وقفت انظر الطريق الممتد المعبّد حديثاً، السيارات تتجه نهياً، بعضها يتجه لصرواح، وبعضها لحريب، وبعضها للجوبة.. وأنا أريد هذه الأخيرة، لأن منطلقني منها. وأنا في مكاني ذاك، انطلق إعصار دوّار حول نفسه، ثم علا وعلا ينطاح السماء، بدونما سبب، أليست هذه أرض العجائب؟ أثر سيل العرم مازال شاخصاً لكن أرض الجنتين بدأت تعود كما كانت، الخضرة على جانبي الطريق، وأشجار الفواكه صفت بعناية فائقة.. وطققة (الماكينات) تبشر بالأمل والخير... وحينما انطلقت بي السيارة للجوبة، قلت ما أقربك ماهلية، يا بقعة قادني الشوق إليها.. هناك يقف جبل (حورا) شامخاً، ينظر إلى (حمد) ... جبال تناطح السحب... ما أجمل (حورا)، ساعة هطول الأمطار. تنفجر منه الدموع، أجمل دموع أراها في حياتي، دموع خير تتطارّد لتصب في وادي ماهلية... واد كسته الخضرة الداكنة، كل الفصول. أشجار السدر، والإثل، والبلس.. واد لا ينقطع مياهه. يجمعها من جبال بعيدة، ويرسلها إلى سد مأرب لتزوي أرض الجنتين.. هذا الوادي شارك في ثورة العرم العنيفة، مع رفيقيه (ذنة)، وذمار، وأقول الحق، ولا شيء غير الحق، إنني حينما كنت أسمع خريره، في ليلة مطيرة، وهو يحمل معه الصخور الضخمة، يتملكني شعور بالخوف والطمع.. خوف يقودني إلى آلاف السنين الماضية، التي انهار فيها السد.. لكنني حينما أنهض مبكراً، وأرى ماهلية، التي ارتوت حتى الشمال، يزول خوفي، ويحل محله الرجاء والأمل.. في الجوبة سألت عن سيارة تريد ماهلية، قيل لي إنها سارت أمس، فقط. من الجوبة، أرى الجبال التي تلبّد خلفها ماهلية، تحضن أناسها الطيبين.. معهم أحس أنني بين أهلي وعشيرتي.

في الجوبة، في سوقها، لفت نظري شيخ طاعن في السن، إلى سيارة (محملة)، وأخبرني أنها تريد ماهلية، لكنني حينما تقدمت تجاهها تحركت.. انطلقت خلفها،

حتى ضاق صدري، وأخيراً توقفت وانتظرني - قال سائقها أين تريد؟ وحينها أخبرته، قال لي (أنا أريد رحبة). بعدها، لفني غبار السيارة، التي انطلقت، وتركتني ابتلع حسرتي...

في الجوبة مكثت يومين أطارد السيارات، دون جدوى... وأخيراً أشار عليّ أحدهم بأن أذهب حتى مبتدأ الجبال، حيث القصر على قمة (الحيد)، وأجلس هناك؛ لأن السيارات ماهلية (تجزع) من هناك.. حملت حقيقتي، وانطلقت، وبعد وصولي، وضعت حقيقتي، وبقيت في مكاني، حتى بعد آذان العشاء.. ثم.. ثم جاءني سيارة (محملة)، عليها (تريال)، نهضت واقفاً، ورجوتها، فوقفت.. واضح أن سائقها (مخزّن).. أخبرته بوجهتي، فقال مقتضباً (اصعد)، وصعدت بعد أن أزاح قارورة ماء كانت جواره على المقعد.

وانطلقت السيارة. اليوم أجيء إليك ماهلية، يحدونني شوقي إليك إلى أناس تنقاصر الكلمات، وهي تحاول مدحهم.. يطعمون أضيافهم بأيديهم، صيد.. عروبتهم خالصة.... و ماهلية خضراء مس الأصيل ذرا جبالها.. تدثرت بالخضرة، وتقافزت أرائنها، وحلقت فوقها الفراشات، وذلك البرق الذي أراه لا بد أنه سقاها، وجادها غيثاً - سقاها الله دائماً.. قال لي السائق (إذا لم نسرع سيقطعنا السيل)، قال تسلقنا الجبال.. جبال شاهقة شاهقة، تتكرر عند كل منعطف.. قال السائق (هذه الجبال المناقل). لذت بصمتي، وصمت الرجل، لا بد أن القات قد عمل فعله.. وتحدثت السماء.. بدأت قطرات المطر تبلل زجاج السيارة.. والبرق الذي كان بعيداً جاء، واستقر فوق السيارة وأمامها.. وضحكت السيول، وصارعت الإطارات الصخور المتلة وصمتنا.. لا أدري، فيم كان يفكر السائق، لكنني كنت في ماهلية.. في واديهما الجميل، عند بئر (العيال) على سفوح الجبال أتأمل (العقب).

(العقب) مع صديقي (الطالي) وعيناى غمضتا، رغم حركة السيارة،
فإرهاق الأيام الماضية أثقل جفوني، وحينما افتحهما بصعوبة أرى سياراً مندفعاً، أو
بركة أمام السيارة العنيدة... كأني في حلم لذيد، رغم الصعاب، فإنني استعذب
السفر إليك ماهلية، هناك عندما ألتقي بالصحاب سيزول العناء، عندما أراهم،
سأتحلل من كل همومي، سأسرد لهم خطواتي التي قادتني إليهم، خطوة خطوة..
ثم رأيتني بين السحاب، أسبح من رفاق أحببتهم، طاردت معهم العقب على سفح
(حورا)، واستمعت معهم إلى عواء ذئب بعيد، في ليلة هادئة، واستمعت معهم
لهزيم الرعد في ليلة تلبدت بالسحب.. هؤلاء القوم في هذه البلدة الطيب أهلها
جعلوني أحس أنني في بلدتي بين أخوتي ما أحلى الأيام معهم، شم الأنوف من
الطراز الأول.. و.. وصحوت من نومي على صوت السائق (يا أخي أنت نمت
وأنا نسييت.. نحن تركنا ماهلية خلفنا..).

هبيت مذعوراً.. كان الظلام قد بدأ يرحل.. أردف الرجل (هذه أنوار
السوادية)، وتلفت مذعوراً.. وتلفت وأدركت أنني بالقرب من البيضاء، وأني
بعدت عنك، ماهلية.. وحينما ترحلت، كنت حزينا...

أواه ماهلية، كم منيت نفسي أن أشم أنفاس هذه الصباح فيك. كم منيت
نفسي أن أعانق الصحاب.. حملت حقيقتي على ظهري، وتوجهت صوب الطريق
الرئيسي، لعلني أجد سيارة تقلني لصنعاء، ومنها أبدأ رحلتي إليها، إلى ماهلية، من
جديد...

عبد يحيى صالح

شاعر يمني شاب، ممن درسوا على يد المربي والشاعر السوداني المقيم بـعدن،
الأستاذ الدكتور مبارك حسن الخليفة. كتب هذه المقطوعة يعاتب فيها أستاذه:

قدمت إليك ورقة وجهي عليها ابتهاج
وعيناي تبندان دموعاً وتحويان كلاماً رقيق السؤال
قدمت قدمت إليك
وفي قريتي كان جرح يطالبني أن أعود
ونخلف كراتين بيتي ينوء صغيري ويبحث لي أن أعود
قدمت قدمت قدمت
لأن الطريق إلى قريتي مشحون بالرياح
إذا لم يكن طالعاً من ندى شفتيك
كتبت إليك بأني وأني وأني
وقدرت أنك في رحلتي سوف تغدو كتاباً حنوناً ولحناً معطر
فلم تعطيني شفتاي سوى الاعتذار
وقلت بأنك عند رحيلي إلى قريتي لن تسوق القطار
وأنتك لست الجدير بهذا القرار

عدن / أبريل ١٩٩١م

عثمان علي أبو بكر

شاعر من السودان، طالعت في صحيفة يمنية له هذه القصيدة، والتي تعد من
عيون الشعر السوداني المكتوب في اليمن:

من تهراقا ملك نبأ إلى بلقيس ملكة سبا

جئناك على صهوات الخيل النوية
عبر البحر وفوق الريح الغربية
جئنا بالريش وسفن الفيل
جئنا بالفصح وماء النيل
جئنا بالشعر وبالطمبور وبالرقصات الشعبية
جئنا بالحب النبتاوي
جئنا بالتمر البركاوي من أجمل نخلات النوبة
من أطول نخلات النوبة
جئنا بقلوب مشبوبة
نعطيك الحب التهراقي بغير حدود
فأعطينا حباً يا بلقيس
أعطينا الحكمة والإيمان فجدور الحكمة والإيمان يمانية
أعطينا فرحاً نحمله في زمن الحزن
فالفرح الممتد على الأرض العذراء السبابة
لو يشتل في الجرف النيلوي ويستقى بالقادوس كقوس الحب النيلية

يبقى فرحاً أسطوريا
ويعانق كل الأبدية
يمتد جذوراً في الآفاق.. يمتد فروعاً في الأعماق
ينثال عبيراً قدسياً ويرطب بالأنداء ليالي القفر الصيفية
من جبال البركل جثناك من مدن الحلم الوردية
من جزر الفرح الممدودات مع التاريخ ملاحم مجد ثورية
من أرض النخل ومهد الشمس الذهبية
من نبثا جثنا يا بلقيس لتنتح فوق جدار السد رسالة حب قدسية
ولترسم في وجه سماراً وشماً نوبيا
وحكايا عرس نوبية وعريساً يحمل سوطاً عنجيا
ويهرز على ضربات الدف المنغومات الجنينية
لم تأت كما جاءك أبرهة الحبشي ولا كجيش الغزو التركية
بل جثناك كما عبد المغني الرابض فوق المارد في وجه الظلم
يدك حصون الرجعية
جثناك رسوخاً مثل السهل.. جثناك شموخاً مثل النخل
جثناك رخاءً مثل النهل.. جثناك سخاءً مثل النهر
جثناك إنحاءً ممتداً من صدر الأهل لصدر الأهل
خيطان من النور الأزلي اللامحدود
نبعان من العشق الأعماق
النبع يتوق لصدر النبع لينزل من الصدر الأدران
وليمسح من وجه الثاني دمع الأحزان
يمتد الجذر من البركل عند الوادي
ليلاقي الجذر على أعتاب سماوا

شرياناً ينبض في شريان
أحضاناً ترقد في أحضان
من قبل الميلاد أتينا.. من قبل بدايات الأزمان
جئنا تنفيء ظل السد ونزق في حوض التاريخ
نشرب من مأرب لبن الحب نتنسم عطر حضارات الانسان
وعلى جدران معابد نبتا والأهرامات وجدار السد الواقف
يتحدى كل الأزمان
وعلى الأوراق البردية سطرنا يا تهراقا يا بلقيس
ملاحم عشق ورسالة حب قدسية
وستبقى في كل الصفحات المكتوبات وفي اللوحات المرسومات
وبين حكايات التاريخ المروية
صورة تهراقا يضع يديه على كتفي بلقيس
والبركل يلثم وجه سمارا وتعانق نبتاً في اجلال الحب سباً
وغيوم الحب المشور خلف الصورة تمتد ظلالاً
عبر البحر وفوق الموج وعبر مسافات التيه الصحراوي
ومسافات الزمن الفاصل بين النيل وبين سباً
وفوق الريح الغربية

عزيزه مصلح أحمد

كاتبة مبنية شابه، ولدت لأب يمني، في السودان، ولها أكثر من أخت،
شغفت بالقراءة والكتابة. ما أوضح معاناة الغربة الإنسانية في كتاباتها.. ويمكن
للمتابع أن يقول بأنها شخصية عصامية، استطاعت وأخواتها أن يستفدن من الجو
الدراسي والثقافي في حياتهن بالسودان...

خواطر في ليلة ممطرة

هجرات مجهولة وحقائب محمولة
آهات مكتومة ودموع مختبئة
أحزان مطوية
الصبح مضيء والليل أتى.. النجم أقل
أصوات الليل الوحشية تتعالى
وأصداء الحمل الصامت تتردد خلف الجدران
حيات المطر تزعجني تطرق نافذتي
وأنفاس تتلاحق بالداخل
تسأل من بالخارج
ودقات قلبي تنزايد
أحلامي الوردية تحترق تبدد تلاشي
ووحوش الليل تطاردني
تحدى تخترق النافذة تهاجمني
ويموت الصوت رويداً رويداً يصلني مطعون بالخنجر
ليل أبدي مظلم
وأمل يتيم يتخبط يسبح في المجهول

ونحواطر مرعوبة تتجمع تتناثر في الظلمات
ورغم هذا وذاك
حب دائم لا يقهر ولا يفتر

كسلا

أتيت أيها الليل
أتيت وقيل أن يتم حزم المتاع
بأثوابك السوداء وأردية الخداع
الحب والشوق والسكينة ينادونك من أقصى البقاع
تقسو علينا وتحملنا لفائف الذكريات
إلى مسالك لا تطاق
ماذا عليك

تجوب بالوديان وتقطف الأشواك لتحلب الأشجان والآلام
وتنزع الأزهار لتغرس الأشواك في قلب الأحلام
تسألك المقل: متى نهاية سهادها ومتى اللّمام
سودت دنيانا ودنيا كل من فقد الزمام
بعد أن أسدلت ستارك العاتم وحجبت عنا
اليوم أبحث بين أكوام سراب عن درب الرفيق
ويجول إحساسي وأحنق نحواطري
ومشاعري وحدي دون الأنام
وفي ذيل المطاف أعود ويمضي كل شيء
كل شيء
وتبقى الذكريات كالأنغام

كسلا / مارس ١٩٨٢م

علي زيد بن شائع

هذا شاعر يماني، يكتب بالعامية، وقفت له على أبيات يماني فيها شيخ اليمانية
بمدينة ود مدني المرحوم، يماني حسين الشرفي:

قال ابن شائع يا الله انك تسير بفضل من ناجى إليك المناجي
كلن في الغربية تيسير وسافر وأنا عليك يا رب تحسن خراجي
قم يا رسولي شل قولي وخبر بها الشيخ (يماني) احتجاجي
يماني أمير القوم هو نجم زاهر لكن آذان القوم فيها صناجي

١٩٥٢م

علي قاسم المؤيد

أحد الضباط الأحرار، الذين قاموا بثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م، في صنعاء. اشتغل في أجهزة الدولة، ومؤسساتها، حتى صار سفيراً لصنعاء لدى الخرطوم، في مطلع الثمانينات. أديب، وفيلسوف.

هزه وزميله الدبلوماسي اليمني بالخرطوم، يومئذ، الشاعر اليمني أحمد يحيى بلبل، خير وفاة الشاعر السوداني الكبير، محمد المهدي المجذوب، وكان جاراً لهما. لم أقف على قصيدة ابن بلبل، وهذه مرثية المؤيد في المجذوب، التي بثها تلفاز أم درمان، عبر برنامج (المدينة تغني)، الذي أخرجه المخرج السوداني القدير، صالح مطر. وحتى بعد أن غادر المؤيد الخرطوم، خلف وراءه هناك ابنته الدكتورة منى المؤيد، وهي فنانة رسامة، أقامت المعارض للوحاتها هناك، افتتح أحدها الزعيم السوداني، الصادق المهدي. وتخرجت من مدرسة طب الأسنان بجامعة الخرطوم:

لا لا فهذا ليس تنغيه المراثي والدموع
الصمت والحزن العميق أبر فعل نستطيع
أيموت مثل الآخرين ومثله طلب منيع
أيموت لا خلفاً له الله كم فينا يسوع
أحمد المجذوب مالك عند غربتنا تضيع
أنست ترحالاً إلى ما منه عود أو رجوع
أرضيت تتركنا لشعر كله هندي وضيع
أرغبت لا يبقى يظلل دارنا أدب رفيع
قالباثسون إذا ارتحلت فبؤسهم جداً فظيع

قد كنت تأنسهم بشعرك والمدي خوف وجوع
فإذا ابتسمت لنكبة فالكل مبتسم قنوع
وإذا غشتك مسرة غمرت صحائفك الدموع
ما كان أقسى أن تعيش وأنت حساس ولوع
الناس تمنحهم صفاءك كله أرج يضوع
ما كان أقسى أن تعيش وقد تفرقت الجموع
ورؤى العروبة أصبحت خدعاً يجللها الخنوع
لا الشعر يوقظها ولا يهدي مسيرتها يدع
أحمد المجدوب هل صدقاً تطافات الشموع
لم يبق من يهدي الحيارى لاني أو شفيع
أنا حزنا فابتهلنا أن يطيب لك الهجوع
وعزاً أن الحياة شئت فما فيها ربيع
الله يسكنك الخلود وباب رحمته وسيع

علي عمر الصافي

شاعر يمني مقل، تلقى دراسته الثانوية في مدرسة (حتتوب) بالسودان؛ ما بين عام ١٩٦٤م، و١٩٦٧م، وكتب هناك بعض قصائده:

أشواق مقهى

مهداة إلى الحبيبة، التي ستسأل بعينين صامتين حزينتين؛ عن فتاها الذي فارقها،
دون وداع.. إلى مقهى حنتوب.

أيّنه الآن وماذا عن أمانيه الكبار
العالم السكران ألحاناً وغطراً واخضرار
والنور والوادي وفاء فوق أرجلها نزار
كم ها هنا غنى فألهبني كعصفور وطار
ما كان غيري يسمع الألحان في ذاك الوجوم
إلا الرمال وليلنا الشعري مرتعش النجوم
سكرانة تعطي الكؤوس لشاعر جم الهموم
غده دروب لا يبين بها سوى شبح الرجوم
ماذا عن الأحلام والدنيا التي ضمت خياله
كم راقصته هنا وعب بثغرها حتى الشماله
كم ضمها ليردها في رعشة فوق استحالة
ويغور فيه دم الشباب فيلعلن الدنيا وحاله
أتراه ينساني وذكرانا الجميلة ألف كلا
يا ليتني لما مضى بالأمس كنت وراه ظلاً
أو ليته مثل الربيع يعود إن يوماً تولى
سأظل أرقبه وأرقبه وعمري لن أملا

وداع

إلى حبيبي حنتوب

حزين أحس بقلبي التهاب ويملاً عيني الدجى والضباب
أمامي الطريق كخط طويل تعرج نحو المدى ثم غاب
صراخ بقلبي إلى أين أمضي وفوق شفاتي الصدى منه ذاب
ومهما أحاول وصف الذي بنفسي فأكر منه العذاب

أمة في الزحف

من حنتوب، كنت أسمع مظاهرات الشوارع في عدن، وبقية أجزاء جنوبي الحبيب.

صدى الهتاف يرن في أذني أنغاماً شجيرة
تحيا العروبة والرصاص بلع البقية
يتراكمون على الطريق طلائع الشعب الأبية
لن يسكنوا شعبي فلتتبار إعصار عتية
صوت الرصاص وأمتي في الزحف الهب من شعوري
نغم دوى بالعلعات يزيد من حقدتي وبيوري
أنا للذين على الطريق الراقصين على الصخور
روح يذوب قصائد سترف يوماً في الثغور
غداً يلوح على المدى فرحاً وفي يده شموع
حريتي والوحدة الكبرى وآمال الجموع
غدا انتصار للحياة وما الفناء سوى الرجوع
أنالاً أريد الذكريات فأمننا ليل وجوع
ركب العروبة سائر في رأسه إكليل غار

هذا الطريق بمنحناه الصبح يرقب في انتظار
سيسير شعبي في خطاه ويلتقون مع النهار
ونرى طلوع الوحدة الكبرى شروقاً لا شعاعاً

١٩٦٥م

بدون عنوان

كاد الشباب يضع آه منك فالتمسي البقايا
يا نعمة قدسية عزفت على إيقاع نايا
ألمتها وجثوت أدعوها فما لبث دعايا

حكايتي

حكاية العصفور في دقائق الوداع
وهو على (حرازة) قديمة يحبها
وقد أتى لحقله الصياد والبنادق الدميمة
لا يملك الدفاع.. تخيلوا في لحظة الوداع
إحساسه بالهم والضياح
حكاية الشاعر في ذراعه الحبيبة يحتاجه خواطر الفراق
والدرب في عيونه خط من الظلام.. وتلتوي شفاته تبحث عن كلام
لا شيء عنده يقول للحبيبة
هذه حكايتي العجيبة

١٩٦٧م

د. علي الملك

أديب وقاص، سوداني، نشر قصته التالية، عام ١٩٥٨م، ضمن مجموعة قصصية (١)، توفي منذ سنوات قليلة، في السودان.

اليمن سعيدة

«كنا نهزأ بهم؛ الذين تسلموا مقاليد التجارة في كل أحيائنا، في كل حانوت ترى واحداً منهم أو أكثر، كل قرش تصرفه من جييك يقع عندهم؛ السحائر التي تدخنها، حلوى الصغار، كل ما يطوف بخاطرك.

«ما زلت أذكر عباس، كان صغيراً، لما جاء إلى حيّنا، يحمل صفيحتين، من الماء على كتفه، من الصباح إلى المساء؛ لا يكل ولا يمل، حتى مال كتفه الأيسر إلى جنب، كأنه يحمي من ثقل عليه؛ وكنا نلقاه في ذهابنا، إلى المدرسة، وفي عودتنا.. عين النظر: شاب نحيل يميل لونه إلى البياض.. أقدامه مشققة.. يملأ الماء من البئر القديمة العميقة الغور، قرب بيتنا.. قدماه كبيرتان، مشققتان، كأنهما الطين لدى الشاطيء، وقد انصرف عنه الماء.

«يا عباس.. هكذا هي حالك؛ لا تشتكي لأحد، ولا تتبرم، كأنما الحمل الذي على كتفك رسالة نبي هجره الناس؛ وضحكوا عليه، وهزئوا منه.

«ولم تمض خمسة أعوام، حتى كان عباس قد تغير، وتغيرنا نحن، وأصبحنا على حافة الشباب في المدرسة الثانوية، وأصبح عباس ركباً في اقتصاد حيّنا. له الدكان الصغير، الكائن عند مدخل الحي. وأصبحنا نتخذ مكانه قبله؛ فنلقى فيها بالنقود، فتستحيل إلى سحائر وحلوى، بما يبقى من الملاليم. وكان الناس يحقدون على عباس، لا لشيء، إلا أنه استطاع أن يبني نفسه، وكان ابن عمي أكثر أهل

حيناً سخطاً عليه. وكان دائماً يقول لي.. هذا اليماني «المقفّل» لقد استطاع أن يصبح شيئاً؛ ولكنه لو عرف عباس لما احتقره، ولو عرف الليالي التي كان يسعل فيها من البرد، ولو عرف الحر الذي طبع أقدامه، فجعلها تتضاعف وتتورم، ولو عرف الحرمان الذي لقيه والوجبات المضطربة المواعيد، لو علم ابن عمي جميع هذا لما احتقر عباس مطلقاً، ولأكبر فيه روح العزم، والثابرة، والإجتهاد؛ ولكن ابن عمي كان حقاً على علم بكل هذا، ورغم ذلك كان يشتري كل صباح علبة سجائر من عند عباس، ويأخذ منها واحدة، فما يكاد يشعلها حتى ينحني عليه بالشتم.. يئمني حرامي.

«على أن ابن عمي لم يكن يشذ عن أكثر الناس، كانوا يعتقدون أن اليمانية، جميعهم، أفاكون، وربما كانوا لصوصاً، وكانوا يأخذون في هذا التفكير.. يرونهم يثرون، ويصبحون من الوجهاء، على حساب أهلنا. وكان اليمانيون على علم بشعور الناس نحوهم؛ فكان لهم مجتمعهم الخاص.. لا يتصلون بالناس، بل ينامون في المتاجر، ويأكلون فيها، وعلاقتهم بالناس، رسميات جافة مجردة.. قروش مقابلها سلع.. ملح، أو سجائر، أو فحم الوقود.

«وأصبحت مثلهم.. أشتم جميع الوافدين من اليمن، وأعتبرهم دخلاء؛ لكنهم تغيروا لدي من حين قريب.. أصبحت أميل إليهم، وأحترمهم؛ كأنهم إخواني.. وفهمت، ومعى الكثيرون، أنهم عرب، وأن جيشهم يحمي شرف بلاده، ويدافع عن عنصرنا، وأن الجيش أصبح ركناً قوياً هناك، وأنه ليس من الحفاة، كما أُشيع.

«عباس، ومصلح، وعبد المجيد، وجبران، جميعهم يتحركون؛ وأخذت مشاعرنا تتغير نحوهم، حتى ابن عمي جاءني، ذات صباح، ثائراً، وفي يده صحيفة، في أبرز نواحيها أن اليمن أصبحت هدفاً لقنابل الإنجليز. وقال لي: إن اليمن ما عادت سعيدة. وقلت له: بالعكس، فهي ما زالت سعيدة.

«وفي الغد دلفنا ناحية عباس، فقال لنا رجل أبيض البشرة يمشي في الطريق، إن عباس عاد إلى بلاده وعلمت أنه ذهب ليحمل السلاح.. ليتني وضعت في جيبه كل ما أملك، حتى يقتل عشرين، بدلاً من واحد. وتلفت إلى ابن عمي، وكان سارحاً، كأنه ندم على خشونته في معاملة عباس، وقلت له: أخي.. لا عليك!»

«وتذكرت عباس؛ كتفه مائلة إلى الأرض، كأنه يحتمي بها من شر ما يحمل من ثقل، وهبَّ على وجهي هواء الصباح، فتذكرت عباس، المسافر ليحمي بلاده، البلاد البعيدة، وذهبت حتى لا تفوتني حصة الصباح، وفي يقيني أن اليمن ما زالت سعيدة.

سعيدة بأبنائها!»

(١) علي الملك؛ صلاح أحمد إبراهيم، البرجوازية الصغيرة.. قصص سودانية، تقديم

الدكتور احسان عباس، القاهرة، مكتبة دار العروبة، ١٩٥٨م.

علم النذير

شاعر سوداني، اشتغل بالتدريس في منطقة تعز.

طلع الفجر في السعيدة

* قيلت في وداع المنتهية إعارتهم من المدرسين السودانيين، في مايو ١٩٨٧م، بتعز.

طلع الفجر في السعيدة العربية بحياة على النفوس رضية
كنت في ظلمة فأخرجك الله إلى النور يا ابنة (الصليحية)
كنت نسياً فجاءك الفارس (علي) ذو الهمة العبقريّة
فتقلبت في النعيم مقيماً يتملك بكرة وعشيرة
صرت تاجاً على الرؤوس فنأدى باسمك الناس في الليالي السنية
يا بلاد الأمان والمجد والسودد والعز والعلل والحمية
إن للتقدم اليوم ذكراً وذكرى على اللسان شهية
أنت يا بهجة الدهور بلاد ذات صيت ومنعة أزلية
كيف واليوم قد تجليت نوراً شع بين السورى وأنت فتية
وارتقيت السهى وناديت أهلاً برجال الذكاء والألمعية
داركم هذه فحياكم الله إلى منزل وألف تحية
فانشروا العلم في البلاد وكونوا في وقار الهدى وحسن الطوية
وأسعدوا النشء في المدارس طراً وابعثوا الضاد في المعاهد العلمية

فراق وامق

* قيلت في حفل وداع المدرسين السودانيين، المغادرين تعز إلى السودان، في يونيو

١٩٩١م.

فارتقتك حيناً يا وطني وقضيت الخمسة باليمن
يمن الإيمان وحبته يمن الإسلام وذوي يزن
يكفيكم يا أهل اليمن ما قال محمد من زمن
أن الإيمان شعاركم والحكمة غيركم لمن
ألتذ لأكلات اليمن للحلبة للطهي الحسن
و(الحاصل) لفظ يعجبني ودوائي (بنت) في الصحن
الشكر الهني للمنن فالوحدة تمت لليمن
عضوا بالناجذ واحموها من شر الحاسد والفتن
لله جبال نعشقتها بالحسن تغطت والغصن
والمتعة ليلاً نطلبها وفراشي في قمة سكاني
النجم بعيد يا وطني وأراه قريباً في اليمن
فأمد الساعد أمسكه ويكاد يلامسه بدني
ها يوم الجمعة قد أقبل والجمعة سحر ياخذني
وخطيب الجمعة في المنبر شفتاه مكانهما أذني
قال الأصحاب لنا يوماً أنسيتم حلتكم عدن
هيا للجنة ننشد (شوقي) (١) قد قال وحدثني
يا دار العلم تحتنا للعلم إلى وادي تبين
ورسالة (سيف) (٢) مطلبنا ونعود وقد شغلت ذهني
رمضان شهير يأسرني والجو محاسن تغمرني
أفضالك كثر يا ربي في السر حمدتك والعلن

أذكر يا صاح تعاظدا والعيش سوياً في الفن
وأذكر للماضي والفتن والمهنة من خير المهن
رباه دعائي لليمن أن ترسل دوماً باليمن
لتنعم البهجة بقمعتها ويعود الناس إلى قرن
وأعود سلاماً يا وطني وأعود معي فضل اليمن
هذا القرآن بضاعتنا لنفيد حسيناً والحسن

(١) اشارة إلى أمير الشعراء، أحمد شوقي، وقد تغنى بسحر اليمن كثيراً.

(٢) اشارة إلى سيف حزام الجردوعي، صاحب مكتبة (الرسالة)، بمدينة تعز.

عمران العاقب

محمد عمران العاقب، كاتب وشاعر من السودان؛ ارتبط بصداقة روحية وأدبية مع الشاعر لطفي جعفر أمان؛ الذي درّس بالسودان وكتب فيه الشعر، مسمىً العاقب بصديق العدنيين.

قصيدته هذه تعود إلى الستينات، زمن الكفاح المصلح لليمنيين ضد المستعمر الإنكليزي، في جنوب البلاد، وأسمّاها (عيد وأحزان)(١) :-

العيد وافى ونار الحرب في وهن بشرى يشيد بها الحادي مدى الزمن
تدفق النيل سلسالاً فهش له وجه الرياض وسيف البحر من عدن
مجد العروبة أملي أن يواكبه قوم دعوا فأجابوا داعي الوطن
فهب كل أبي ظل يدفعه ما حاق بالشعب من ظلم ومن إحزن
تزاحموا يبدلون النفس غايتهم نصر يتوج فخرًا هامة اليمن
شعب الكثانة ضحى بالعزير لكم وأدنا عنكموا ما شب من فتن
ست مضت في جحيم القهر أعقبها تمرد شرد الأجفان عن وسن
وما تذكرت في ردفان من صمدوا الا طواني الأسى حزناً فأرقني

(١) الخرطوم (الخرطوم)، العدد ٣٥، ١٩٦٦/٢/٥ م.

عوض اسماعيل الشيخ

مدرس سوداني، اشتغل بالتعليم، في تهامة اليمن.

فجر أيلول

يا بلادا عشت فيها راقني منها الجديد
كل يوم عشت فيه قد تلقيت المزيد
ها هنا حقل وماء ها هنا صنع مشيد
ها هنا ايدٍ تلاقى في سنا المجد التليد
نهضة في كل وادٍ خضرة في كل بيد
يومها (أيلول) أقبل والتقى شعب السعيد
بات يرتاد المعالي لا تراجع للعهود
في خيال الشعب باق زينة في كل جيد
قد فرحنا لقدم والمنى غم الوجود
بالأماني والتهاني بالأغاني والنشد
يا لها ثورة شعب لا يبالي بالحسود
كل عام يا خليلي وثبة فيها الجديد
ثورة الحق تجلت حلفت فوق البنود
قد تراءت لي نجوم في سما الماضي البعيد
إنها أمجاد شعب عمقت معنى الخلود

فراج الطيب السراج

حجة في اللغة العربية، طلبها على نفسه، من غير توجيه أكاديمي، حتى ملكها، فتعشقها، وراح يدعو لها، دون سواها، وسخر وقته لتعليمها للناس، في المدارس، وعبر الرامح الإذاعية الشبقة. وهو نجل العالم اللغوي، والشاعر الفارس السوداني، الطيب السراج، الذي قتل في ظروف غامضة. وهو، بعد ذلك، شاعر تقليدي مجيد، وظف الشعر لخدمة اللغة، وظف اللغة لخدمة الشعر.

أخذ عليه النقاد تجاهله للمدارس الجديدة في الشعر العربي.. وأخذ عليه آخرون تكسبه بقصائد المديح، التي يكتبها للزعماء العرب. ومنهم اليمينين؛ فقد تعود، في كل زيارة له لصنعاء، أن يمدح الساسة فيها.. ويغني بأبجداد اليمن التاريخية، وكأنهم صانعوها، وله في ذلك قدوة في والده، الذي من قبله، كتب شعر المديح في الإمام يحيى بن حميد الدين (ت ١٩٤٨م)، كما سنرى في موضع آخر.

ومن نماذجه:

نفثات في غربة الروح

حشحت ركابك عل الله يبلغها داراً أماماً لديها يحمد الجار
من كل شهم رحيب القاع أخلصه أماجد من بني قحطان أبرار
أولاك قومي لا أبغي بهم بدلاً ما ساجعت واله الأوتار أوتار

صنعاء الحلم

صنعاء ها أنذا أعود.. عودي إلى مغناك عيد

صنعاء أنت الحلم رفقاً به الأمل السعيد
فاولاك قومي من بني يمن فما عنهم محيد
يا مهد غمدان العظيم يضيء باحته الخلود
جود الأماجد من بني قحطان ليس لهم نديد
حدث فبلقيس وذو جدن وذو يزن شهود

اليمن السماء

أحييكم قومي والأشعار قيثاري والتفكيك بدمع المقلة الجاري
أجيء لليمن السماء مرتقياً على جناح من الأشواق موار
أجيء في لفة صنعاء تلهمني صنعاء همي وأحلامي وأوطاري
ودار قحطان حزم العرب أجمعهم برغم جحد لأقوام وإنكار
أحييكم يا بني صنعاء من بلد أحبكم منذ ادهار وادهار
لأنه منكم امتدت أرومته ونحن أو أنتم أبناء أخيار
أحييكم يا بني صنعاء مدرعاً ثوب السحاب رفاقي جد أطهار
جئنا نهنتكم في ظل وحدتكم إن التوحد سيف جد بتار
توحد اليمن العرباء مرتكز لوحدة العرب رغم الساخر الزاري
أنا نؤمل فيكم يا بني يزن خيراً كثيراً فأنتم نجمنا الساري

صنعاء / فبراير ١٩٩٠م

أهزوجة لليمن

من أرض أهلك في سودانك الوطن حث المطي إلى أهليـك في اليمن
وأحمل تحايا الهوى العذري نافحة أردانها الطيب وأهبط أرض ذي يزن
مهد الحضارات من عاد إلى إرم إلى ثمود إلى طسم أولي القطن
إلى جديس وعمليق وبعدهم قحطان جد الأولي كانوا حلـى الزمن

أهل المصانع من غمدان تحسبه إذا دجا الليل سح العارض الهتن
ومن ذمرمر أو صرواح أو هكر أو أهجر الهجر أو ناهيك من فدن
أو ذاك بينون أو ذا موكل وهنا سلحين أو تلقم أو دورم العنن
من جدمهم كان عدنان وكان به محمد آية الآيات والسنن
فقول هادي الورى الإيمان ما بقيت هذي الحياة يمان قول مؤمن
يا حادي السفن سفن الجو حط هنا بلغت صنعا وهذي غاية السفن
يا ولد صنعا جئت اليوم زائركم زور المحب حمى أحبابه الزمن
وكيف لا وهو من قوم ذوي نسب في الفضل من قبل هلهاد وذو جدن
فالجود مذ عرف اسم الجود في يمن والفضل مذ عرف اسم الفضل في اليمن
حياكم الله يا فخر الشعوب ويا طالع المجد من صنعا إلى عدن
إن العروبة إن ضلت مواطنها فما لها غير هذي الأرض من وطن
جده / يوليو ١٩٨٣ م

أبيات في تحية اليمن

بني العرب في دار السلام تحية شذاها على بعد المدى يتجدد
يطوف على صنعا مورد مجدنا وهل لي سوى صنعا للمجد مورد
أليست بمهد العرب مذ كان يعرب وقحطان فهي الأمس واليوم والغد
وهل نصر الإسلام إلا أشاوس من العرب العرباء والقوم هجد
شواهدهم في الرافدين مناذر وفي بردى أملاق جفنه شهد
أليس بنو ماء السماء بنهم وغسان كيف الفرع للأصل يجحد
وهل كان عدنان سوى غصن دوحة لقحطان منها يستطيل ويصعد
لحياكم الله يا ولد غمدان صيدح أغاريدته في أيكم ليس تنفذ

الوحدة اليمنية

تجمع الشمل يا صنعا ويا عدن وزال عنا إلى أعدائنا الحزن

بحسب يعرب أن ينمى لدوحته طه الرسول وأن المحقد اليمن
وحسب ذي اليمن الشماء عذرتها وأنها لم يدنس أرضها درن
وحسب ذي اليمن الشماء أن بقيت حصن العروبة إن ما حلت المحن
وحسب ذي اليمن الشماء أن ولدت لنا رجالاً بهم كم يفخر الزمن
وحسب ذي اليمن الشماء أن ولدت لنا (علياً) سقاها العارض الهتن
فكان نعم الفتى عزت به اليمن وزال في عهده اللواء والشجن
حتى أتانا بها بيضاء ناصعة صنعاء تعانقها في لفة عدن

نحية الأشقاء للأشقاء

ارقني وهاجني البرق اليماني لمحت بضوئه ضوء المغاني
مغاني الأهل من قحطان أهلي بناء العز أهل الصولجان
بذروتها ترى قحطان يسمو فيخطو فوق هامات العنان
وها هوذا على المجد يعلو بناء جدوده في عنفوان
يوحد شمل أمته بعزم وكلمة مؤمن ثبت الجنان
وقالوا قد رمى الزلزال (إيا) فقلت إذن رمى أم درءان
فنحن أيا بني يمن وأنتم كلانا مهجة لا مهجتان
مركبة على جسدين هذا بلدي يمن وذاك بكردفان
أتيناكم من الخرطوم نهفو ولقياكم لنا احدى الأمانى
يخف بنا إلى صنعاء شوق بلا ريش يطير ولا عنان
ثرى السودان متسع فسيح لاختوتنا من الشعب اليماني
وإن ضاقت التاكا أديما ستحملنا مناكب كوكبان

صنعاء / يناير ١٩٩٢م

فيصل الأمين ابراهيم مكاوي

مدرس سوداني في منطقة دمار باليمن.

تحية سودانية للوحدة اليمنية

أهديك ودي في نسيج قصيدتي، ورضاك غاية مطلبي ورضائي
في عيدك الفضي تمت فرحتي أهديك إعجابي وصدق ولائي
لهم التحية أين كان مقامهم عطرية ممزوجة بوفاء
قدسية هذي الديار نزورها بتجرد وتبرك ودعاء
بلقيس تسأل كل ركب قادم يا لله هل صادفتموا أبنائي
يا أم جيل متقن بنيانه يا ظفر أفذاذ من العلماء
صوت مع الفجر الندي تعانقت همساته بمنية الأصداء
كنت المنارة يوم لات منارة الاك تنشر مشرق الأضواء

القذال سعيد القذال

أديب وشاعر وراوية سوداني، ارتبط اسمه ببدايات نهضة حركة التربية والتعليم في حضرموت. عمل ناظراً للمعارف في السلطنة القعيطية، منذ ١٩٣٩م، وتقلد منصب سكرتير الدولة، ووزير السلطنة، عام ١٩٥٠م، إلى أن غادر حضرموت، عام ١٩٥٨م. توفي عن عمر متقدم في الخرطوم. ومن أشعاره في حضرموت:

قال بمدح السلطان القعيطي وابنه، عام ١٩٥١م:

ابني العروبة اننا فرع لكم والعرب أصل
سوداننا أهل لكم وهننا لنا في القطر أهل
إن تكرمونا تكرموا فرعاً له فضل ونبل
يا حضرموت وليس في أنثائك البلاء فسل
فيك الجحاجة الأولى بالفضل قد نهلوا وعلوا
كم في ربوع النيل من بطل له في الناس فضل
حيناً نعين ولم نكن نسطو وإن السطو جهل
والجهل جئنا كي نحاربه وما في القول نحتل

وقال، يتشوق إلى ابنه حسن، في السودان:

إليك تحية مثلى تزف إليك من عدن
وشوقاً لا يمانله اشتياق الجذب للمزن
تغلغل في دمي وجرى مجاري الروح في البدن

أراني كنت مجترئاً غداة رحلت عن وطني
وقد خلفت أطفالي ولم أركن إلى الوهن
وأصغرهم صغير لم يزل يحيا على اللبن
ورغم تفاوت الأعمار أفهمه ويفهمني
ويعلق بي قبيل البين أحسبه يودعني
كان السنين أرقه فيأبى أن يفارقني
بني أرى العلا صعباً وحب الصعب تيمني
ركبت له متون الجو بين مساقط المزن
إلى الأحقاف في أقصى بلاد العرب من يمن

ومن قصيدة أخرى يقول:

إني أحن إلى بلادي كحنين ملتاع الفؤاد
وأذوب شوقاً بل هياماً للخواضر والنبوءاد
لا فرق عندي بين عاصمة الجزيرة أو رشاد
وطني فديتك دُم سليماً ناهضاً رغم الأعادي
ولييق مجدك عالياً ولييق صيتك في ازدياد
ولتبق مستنداً على إخلاص فتيان شداد
خلقوا رجالاً للفداء وللنضال وللجلاذ
يا حضرمي أنا وأنت على صفاء واتحاد
هذي يدي فامدد يداً فالخير في جمع الأيادي
متضامنين تضامن المجد الطريق مع التلاذ
ابني العمومية والخوولة والنجداد
إنا لكم فرع نمي في النيل من واد لواء

من آل ذبيان الكرام وجعفر وبني زياد
إن لاح فوق جسومنا أثر اسمرار واسوداد
رمز الوفاء لموطن عشنا به بيض الأيادي
فالعرب تعرف بالوفاء المحض من بين العباد
إن العلائق بيننا كفلت لنا كل اتحاد
الدين والدم واللسان وكلنا أبناء ضاد
أو شائع القربى صلي ما قد تفرق بالبعد
الغي الخواجز إن في إلغائها نيل المراد
واستهضي همماً ونت فحلا لها طول الرقاد
يا حفلة من خيرين تقام في خير النوادي
الشمل منظوم بها نظم الجواهر في القلاد
أو كالنثر يقوله قس ابن ساعده الأيادي
توجينها شعر الحياء به تبرنم كل شادي
من مصدر الإلهام لم يعلق به أي انتقاد

وقد وقفت على أشات من هجاء شعري، بين القدال ومصطفى رفعت،
ومحمد سعيد ناجي.

والكل يتمنى أن يقوم الدكتور محمد سعيد القدال، هذا الذي نشأ
بمضرموت وأصبح مدرساً للتاريخ في جامعة الخرطوم، أن يجمع لنا أعمال القدال
كاملة، في ديوان، سيما وقد استقر مدرساً للتاريخ، بجامعة المكلا.

القرشي عبد الرحيم سلام

شاعر يعني مرموق. عند سماعه بتنكيل الزعيم السوداني، جعفر محمد نميري،
بالشيوعيين، ممن دبروا انقلاباً عليه، في شهر يولييه سنة ١٩٧١م، كتب هذه
القصيدة يرثيهم:

كسلا

تخطر نشوى في سوقطرى
تنثر الفرحة أمواج عبير
ثملت منه روايي كردفان
فإذا الخرطوم وفات جناح
تتبدي في ضفاف النيل أنفاس الجراح
من جديد
أبدأ يا كردفان فحرك المشرق ما كان جباناً فيها جر
وجهه غض الأهاب من ضفاف النيل قطعاً
سيطل
واعداً كالنيل هادر
والشذى يا كسلا ما كان قطعاً ليسافر

يناير ١٩٧٢م

لطفی جعفر علی أمان

هو أهم شعراء الرومانسية في اليمن، وأخاله ما زال ينافس نفسه على هذا الدور، سيما وقد انحسرت هذه الموجة عن أرض اليمن، وتحول بعض كبار شعرائها الرومانسيين إلى مدارس أدبية أخرى، مثل الكلاسيكية الجديدة. ولد بعدن، عام ١٩٢٨م، ودفن فيها، عام ١٩٧١م، بعد أن أحضر جثمانه من مستشفى المعادي بمصر، حيث تلقى العلاج من داء عضال.

ذهب إلى السودان، في شهر ديسمبر من عام ١٩٤٠م، ليدرس بمدرستها الثانوية الشهيرة، في حنتوب، على النيل الأزرق، ومنها انتقل للدراسة بكلية غردون الجامعية، التي أسمى، فيما بعد، بجامعة الخرطوم، وصدر له ديوانه الأول (بقايا نغم)^(١)، بينما طان طالباً في هذه الكلية الجامعية.

كان لطفی قد بدأ بنشر أشعاره قبل صدور «بقايا نغم»، في بعض الصحف والمجلات العدنية، مثل صحيفة (فتاة الجزيرة)، التي نشرت له (زهرة):

زهرة رفعها الفجر ونداها جمالا

داعبتها أنمالات الفن فازدادت كمالا

قف تعبدها ونحدها من صميم القلب زهرة

ونشرت له مجلة (الأفكار)، التي كانت تصدر في عدن في الأربعينات، من

شعره:

ما غاييتي يا قلب في هذه الحياة وما المصير

بات الشباب مضيع الآمال مجهول المصير

ومثل:

غردي يا طيور في رونق الفجر وهاتي الطلا بكاس نشيد

كذلك نشر في (فتاة الجزيرة) قصيدتيه: (ميلاد افكار)، و(أنا حلمي الضمير)، وفي صحيفة (صوت اليمن)، الناطقة باسم الجمعية اليمنية الكبرى بعدن، نشر قصيدته (تحية السيف)، والمهداة لسيف الإسلام ابراهيم، لانشقاقه عن حكم آل حميد الدين بصنعاء، وتاريخها عام ١٩٤٧م. وأعاد في (صوت اليمن) نشر قصيدته (أنا حامي الضمير)، والتي قيلت بمناسبة قيام هذه الصحيفة، عام ١٩٤٦م. وفي نفس هذه الصحيفة، نجد مقالاً للطفي، بدون إمضاء، عن الأوضاع السياسية السائدة، يومئذ، في السودان، وذلك في العدد الثالث من (صوت اليمن). ويحمل (بقايا نغم)، إضافة إلى كونه شهادة نبوغ مبكر للطفي أمان، قوة تأثيره بعدد من رواد الرومانسية العرب: علي محمود طه/ الدكتور ابراهيم ناجي/ الياس أبي شبكة/ صالح جودت/ محمود حسن اسماعيل/ بدر شاكر السياب/ أبو المقاسم الشابي. ويرعا يهمننا أكثر في هذا المقام أن نذكر تأثيره بالشاعر السوداني الراحل، التجاني يوسف بشير، صاحب ديوان (إشراقة).

وقصيدة (غناء) في (بقايا نغم)، والمكتوبة في ميناء بورتسودان، متأثرة بجندول علي محمود طه.. ويقدم لطفي لهذه القصيدة بقوله: وكان النيل مصدر الهامي الفذ، فسكبت فيه أول نغمة:

أيها النيل لقد أنشدت جي فيك شعرا
 أي حسن عبقرى فيك لا ينفث سحرا
 موجة تغفو وأخرى لم تزل باللهو سكرى
 وهنا حسناء تجرى تحت ستر الزهر حيرى
 وأنا المسحور القي الشعر في مغناك درا
 قد سباني حسنك الريان من أول نظرة
 فحسبت الشط دنا وحسبت الماء حمرة
 وحسبت الزهر أحباباً أفاقوا بعد سكرة

فلإذا بالشعر ينساب على واديك ثره

في نشيد عبقرى قلته أول مره

وقد جمعت بين لطفي والتجاني العواطف الحادة والمتقلبة، من الشعور بالموت المحقق، إلى الشعور بالفرح الشديد. ويبدو أنه تأثر بالتجاني، في منهجه، وأسلوبه الفني، وفي الملامح الصوفية، التي اكتسبها من بيئة السودان، والتي يمثل التصوف فيها أقوى النزعات في الشعر، سيما في ذلك الوقت. ولهذا اختار لطفي عنوان قصيدته، التي رثى بها التجاني وإن كان هذا قد توفي بسنوات قبل وصول لطفي للسودان - من عنوان لقصيدة في (إشراقه)، وهي (الصوفي المعذب)، المنشورة في (بقايا نغم):

أنا هذا وأنت في القبر ثاو لا شقاء ولا لهيب شكاة
كنت مثلي تضيق بالعالم الرحب وتهفو مسعر النفثات
كنت مثلي تعيش في عالم الروح ولكن بالدمع والحسرات
أين مني أنت وأين أنا اليوم كالنا في عالم الأموات
أنا سر في عالم الغيب مستعص عن الفهم جوهرًا وصفات
أنا معنى مغلف في ضمير الدهر مستغلق لكل حصاة
أنا همس يدوب في ضجج الأيام لو تسمع النهى كلماتي
أنا ناي السماء أنكره الفن فأضحى معطل النيرات
أنا في مهجة الشقي جراحات أفاقت مع الضنى داميات
أنا زهر يرف في الصخر ظمآن وري الزهور من عبراتي
أنا من يجحد الجمال مغانيه وروح الجمال من نفثاتي
أنا طهر يشع في معبد الحب ويحبو القلوب بالرحمات
أنا فوق النهى فلم يدرك العقل مداي فحار في معجزاتي
قد تساميت في مدارج روعي في ضياء الآله أفرغت ذاتي

ومثلما نجد التجاني يهيم بينات عيسى في حي المسألة بأُم درمان، وبالجمل
الأجنبي، نجد لطفي يهدي ديوانه «بقايا نغم» إليهن، في مقطوعة من شعر التفعيلة،
هي الوحيدة في شكلها الشعري في الديوان:

إليك يا ابنة عيسى

أنتِ يا من يفيض في صدرك البض جلال الصليب نوراً عليا
لك مني هذا الذي بين كفيك خفوق بحبك المفقود
نغم ضاع في مجاهل دنياك هياما
وجف إلا بقايا فاذا كريني بها
فيا رب ذكراك تعيد المفقود من دنياي
من أمان اترعت منها شبابي

وفي قصيدة بعنوان (ذات الصليب) يهيم بإيفون:

إيه إيفون والملاحه تفتّر كهالة البدر منك
نعم هذا الصليب في صدرك البض وجل المسيح في عينيك
الهوى والشباب رنا ندين كحلمين عابثين عليك
وأنا لو علمت في الليل وحدي نفس ضيق وحرقة ضحك
أتلقاك في الخيال كأنني ألتقي المسيح بين يديك

وفي قصيدة بعنوان (البولندية الحسنة) يهيم بهيدا:

أبيت الليل مشتاقاً وأرعى نجمه سهدا
فجفن ما انثنى غمضاً وقلب ما خبا وجدا
هنا الحب لهيب من جوى الأنفاس لا يهدا
ألا أفديك يا هيدا وأفدي فيك بولندا

بل ويحمل لطفي هذه الذكريات الشعرية إلى وطنه، كما تعبر هذه الأبيات
من قصيدة كتبها الشاعر في زيارته لمدينة بخت الرضا التعليمية بالسودان، في
الستينات، عندما عاد إليها، وضمها إلى ديوانه الثاني (على الدرب الأخضر) (٢):

وعدت لوحدي بصمت إنطوائي إلى النيل اهريق فيه اسايا
ولي فيه عهد شجي الغناء سرى نغما ضاع إلا بقايا
تغني الضفاف لقلبي الحزين أهازيج من ذكريات صبايا
هنا وهنا أي ذكرى تنار تجول بأطرافها مقلتايا

وفي نفس هذا الديوان نقرأ قصيدته (رسائل عتاب منها)، التي يقدم لها
بقوله، إلى ذات الصليب، بعد خمسة أعوام من عام ١٩٤٩م:

اتركيني أمضي خيالاً شريداً في فجاج الذكرى ووادي الموت
مثقلات خطاه عبر الدياجي... قيودها من صمت
والفضاء المديد ينفسر منه وهو يشدو في تسيهه أين أنت؟
آه يا ليت يا حبيبة ما كنا ولا كنت للهوى أو كنت

وفي قصيدة أخرى بنفس الديوان، عنوانها (صوتها)، يقدم لها بقوله إلى ذات
الصليب، بعد عام من ١٩٤٩م:

من بعيد

من قم الأمس الشريد

صوتها المحموم في الليل الوئيد

يا له أروع من حبي وإيماني العتيد

أي عمق أي أصداء باحساسي تميد

وحينا أحال أني إنما قرأت هذه القصائد في ديوان لطفي الثالث (ليل إلى
متى) (٣)، مما يدل على عمق التجربة العاطفية مع ذوات الصليب، سواء إيفون، أو
هيدا، أو (نعمات)، الفتاة السودانية القبطية، التي تيمت بلطفي، فلم ييادها

الشعور، وإن كان قد كتب فيها الشعر، كما يرى الناقد الأدبي اليمني، هشام علي بن علي(٤):

لا تتأري من فؤادي كفى بدمعي ثارا
حسبي افتناناً تجنيك نفرة وازورارا
آمنت بالحسن برداً وبالصبابة نارا
وبالمسيح ومن طاف حوله واستجارا
إيمان من يعبد الحسن في عيون النصارى

لكن أليست هذه الأبيات للتجاني يوسف بشير.. حقيقة لم أعد أذكر! وعلى أي حال، فقد ضم (على الدرب الأخضر) قصائد أخرى من مجموعة لطفي من السودانيات، إذا جاز القول؛ مثل (حنين)، و(نجوى)، وهما رسالتنا شوق لزوجته فوزية في عدن، كتبنا في الخرطوم، وبخت الرضا، عام ١٩٦١م، وضم (ليل إلى متى)، قصيدته (فوزية)، المكتوبة بالسودان، على ما يبدو. ترى هل شهد ملتقى النيلين هذا الحب الجارف بين يمني وأوروبية في الأربعينات؟

وكثير في الواقع من شعر لطفي في السودان نشر خارج إطار دواوينه الثلاثة هذه، كما في المجلات والصحف، التي أشرنا لبعضها، وجزء كبير آخر لم ينشره قط، وإن كنا قد وقفنا عليه في زيارتنا لمدينة عدن، في شتاء عام ١٩٨٩م، وستعرض له في السطور المقبلة.

لكن ما يزال في (بقايا نغم) أشعار لا بد من الوقوف عندها، مثل قصيدة القيت في الحفل السياسي، الذي أقامه الطلبة بنادي اتحاد طلبة كلية غردون الجامعية بالخرطوم، بمناسبة سفر الوفد السوداني إلى مصر، كما ورد في تقديم قصيدة (بنت الوفد.. الحرية):

مصر بكت والظلم في أضلاعها أدمى وأورى

وتلفتت كالطير هام فضّل في مسراه وكرا
وشكت خلافاً نال من حكامها قلباً وفكرا
وهفت إلى السودان قلباً يستفيض هوى وطهرا
كانت هي السودان والسودان كان لمصر مصرا

كذلك تتوقف عند قصيدة (بلا أمل)، التي هي ذكرى أيام بؤس، قضاهها
الشاعر مع صديقه السوداني الحميم الشاعر الفنان الطبيب المرحوم، محمد عثمان
الجرتلي، والذي يردد لطفي، باستمرار، في أحاديثه الإذاعية والتلفزيونية، أنه كان
قدوته الشعرية بالسودان"

زورق أنت في الوجود ولكن ضل ملاحك السبيل وتاها
صرعته الحياة فواره الغي وألقته في الشقاء قواها
يقطع السير في فلاة العمر تعرى من الرخاء ثراها
خلفه الزورق المحطم والأمواج تلهو بنا تبقى ذراها
أنت ذاك الشريد في هذه الدنيا ولما عرفت فيها إتجاهها

لقد أحب عدد من جهابذة الأدب السوداني لطفي، كالمرحوم ادريس
جماع، والمرحوم محمد مهدي المجدوب، والعلامة عبد الله الطيب المجدوب، وظلوا
يتسقطون أخباره، بعد عودته إلى عدن، في يناير ١٩٤٩م، حاملاً دبلوم التربية.
ويجدر أن نذكر أن لطفي رسم وصمم غلاف «بقايا نغم»، بريشته الساحرة،
بشكل يؤكد مذهبه الرومانسي في الفن.

يقول عملاق الأدب اليمني، الدكتور عبد العزيز المقالح(٥): «ومن المهم
بعد ذلك، أن نلاحظ أن دراسة الشاعر بالسودان، وبالخرطوم خاصة، قد ساعدته
على تكوين الوعي المبكر بأهمية الخروج على البناء التقليدي للقصيدة. وقد
أتاحت له الدراسة بالخرطوم الإطلاع على نماذج من الأدب الإنجليزي. ومن
المؤكد أنها قد ساعدته على الوقوف على آخر الأساليب في الكتابة الشعرية.

وقد كانت الصلات الثقافية بين القاهرة والخرطوم، في الأربعينات، أفضل منها، في أي وقت، كما تشير إلى ذلك بعض الدراسات الأدبية. وكانت القصيدة التي لا تستطيع أن تتنفس. عملء حريتها في القاهرة، تجدد في الخرطوم متنفساً أكبر في صدور الشباب المثقفين، وفي وسائل الإعلام والنشر المتاحة، وكان شعراء الموجة الرومانسية يتراجعون على شواطئ المدينة المثلثة، ليأخذ مكانهم طلائع المد الواقعي».

ونستعرض، الآن، بعض شعر لطفي في السودان، غير المنشور في دواوينه، مثل قصيدة (المتحررة)، وهي قصة درامية واقعية، لفتاة سودانية نشرتها له (الأفكار) (٦):

والريح تدوي بأنات مروعة ويملاً الجو بالرمضاء سافها
وليلة كقتام البؤس حالكة تنفس الكون قسراً في دياحيها
جنت على غادة أودى بها سغب الفقر يدهمها واليأس يضيئها
وكم تمد إلى الأيام في مضض كفا ولكنها لم تلق معطيها
أتفحم الفسق تشقى في سعادته لتشبع النفس في دنيا ملاهيها
وقصيدة أخرى، بعنوان (أفكار مضطربة)، كتبها لطفي، وهو بمستشفى
الخرطوم:

وأنا كالقفار يظلمها الغيث ويحنو على الربي والجنان
ضامر يسلب التعلل أفكارى ويلهو السقام في جثمانى
قد ذوى عودي النضير فتعساً لشباب يجف قبل الأوان
وإذا بالصديق ينكر ودي ويجازي الوفاء بالنسيان
أنا وحدي شقيت بعد نعيم لم يلم في الحياة إلا ثوانى
في ربي النيل في بساط من الزهر بديع منضر الألوان
طال شوقي إلى الديار وكم في القلب من نزعة إلى الأوطان

حيث ألقى سماحة الأهل والجود وزود الأصحاب والخلان

وأبي (جعفرًا) سليل المعالي والعوالي وفنحر آل أمان

كذلك نشرت «الأفكار» بعض المراسلات الشعرية، بين لطفي والشاعر
اليمني السيد محمد عبده غانم، والذي كتب مقدمة (بقايا نغم). ومن ذلك قصيدة
(غنني يا صاح غني) (٧)، التي أهداها غانم لطفي، ولحنها، وغناها موسيقار تهامة
الفنان اليمني، جابر علي أحمد.

وفي قصيدة أخرى لغانم، كتبها عن السودان، بعنوان (في السبعين) (٨) يتذكر
غانم مثل تلك الأواصر الأدبية، بينه وبين لطفي أمان، والشاعر اليمني عبد الله
حمران، رحمة الله عليه، والذي عاش في السودان، أيضاً:

كم لصوت اليمن الشاعر في السودان شعر

بين حمران ولطفي كم لنا في النهر بحر

ويرى الناقد الأدبي اليمني، الأستاذ علوي عبد الله طاهر (٩)، أن لطفي قد
تأثر في قصيدته (على أرضنا بعد طول الكفاح)، المنشورة في ديوانه الخامس (إليكم
يا أخوتي) (١٠)، بالشاعر السوداني عبي الدين فارس، الذي يقول في قصيدة له:

الأول مرة

أحس أني حر وأن بلادي حرة

وقد أراد الأستاذ علوي عبد الله طاهر، قول لطفي:

لقد هب ردفان في ثورة يخلدها عيدنا الأكبر

ويشر فوق كل الجنوب ضياءً سخياً لأول مرة

بلادي حرة

لكن المدرس السوداني بلواء ذمار اليمني، الأستاذ عبد الله كرار محمد
خليل، قد قدم دراسة مشوقة، مقارناً فيها لطفي بالتجاني يوسف بشير، وأورد

على ذلك الشواهد من شعر لطفي، وشعر التحاني، الذي توفي عام ١٩٣٧م، عن سبعة وعشرين عاماً، فقط (١١).

ولطفي أمان هذا الشاعر الملهم، والمربي الأصيل، والفنان، رسماً، وعزفاً، وتلحيناً، والإنسان الإنسان، الذي ترك بصماته على الحركة الفكرية في اليمن، وعلى كل المرافق الثقافية، كالإذاعة والتلفزيون، وشعر الأغنية، السهل الممتنع، باللهجة المحلية العدنية، قد ملأ الدنيا، وشغل الناس في اليمن، فعلاً لا قولاً، ولكني حينما زرت مدينة عدن، عام ١٩٨٩م، عثرت في تلك الزيارة القصيرة على معلومات أخاها جديدة عن الرجل، رغم كل ما كتب عنه.

وجدت، أولاً، رسالة بخط لطفي، كتبت في بورتسودان، عام ١٩٤٦م، وجهها إلى أهله في عدن، يتحدث فيها عن مشاريعه الأدبية الطموحة، خلال بقاءه بالسودان. وقد بدا الشاب، الذي كان يومئذ في الثامنة عشر من عمره القصير، غاية في الطموح. فذكر ديوانه المعد للطبع (بقايا نغم)، وذكر ديواناً آخرأً أسماه (تغريده)، وهي مجموعة أشعاره. وقد عثرت، فيما بعد، على هذا الديوان النادر غير المنشور، بخط يده، فعلاً. وذكر كتاباً له بعنوان (همسة)، يعالج فيها المشاكل الأدبية والاجتماعية في عدن. وذكر قصة ضخمة له، بعنوان (حلم لم يعد)، يعالج فيها مشكلة الجنس والأخلاق. وذكر كتاباً ضخماً أسماه (مربي)، وضعه نثراً، فيما يبدو، عن التربية والتعليم. ومن بين كل هذه المؤلفات التي ذكر لطفي أن أكثرها جاهز للنشر لم أقف إلا على تغريدة، وها أنا أضع شعره عن السودان في (تغريدة) بين يدي المهتمين من القراء، وما أكثرهم في بلاد اليمن والسودان.

حسرة

إيه يا نيل أنى لي الألم الداوي بقلبي أمن حبيب نائي
أم تذكرت فيك صيره وحقات فزجيت في رباك بكائي
وغريب أنا بأرضك يا نيل ولي فيك منيتي ورجائي

الوتر الحنون

* مهادة إلى الشاعر السوداني الراحل الأستاذ، أحمد محمد صالح.

يا منهل الشعر التليد وسابك العقد الفريد
أدر الكؤوس فكلنا سكران من خمر النشيد
نهفو إليك كما هفا لمحبه قلب العميد

السودان

* ألفت في يوم السودان السياسي، في نادي اتحاد طلبة كلية غردون.

للمجد عرش أنت فيه لواء والشعب حولك فرحة وغناء
أفديك يا سودان أنى تفتدى ويهون فيك من الشباب فداء
أبصرت يا سودان فيك بطولة برزت فشد زمامها البسلاء
فهنا لك التاريخ حتى خلدت صفحاته ذكراك وهي عزاء

ومن سودانيات لطفي في (تغريدة)، قصيدة (عدن)، التي يهديها إلى من
أسماه بصديق العدنيين الشاعر السوداني عمران العقاب، وقصيدة (على الرمال)،
وهي من ذكريات الخرطوم، وقصيدة (لوعة)، وقصيدة (النية الشاردة)، وقصيدة
أخرى، بعنوان (على أرض الجزيرة)، سلمني إياها زميل دراستي أخي حليم وحلمي
أمان، وتعود إلى نفس تلك الفترة زمنياً:

أرض الجزيرة أنت روض باسم وأنا بروضك بلبل يترنم
والقطن ينعس في الحقول كأنه شيخ يذكر بالشباب ويحلم

والجزيرة هذه تقع في الإقليم الأوسط من السودان بين النيلين الأبيض
والأزرق، وتشتهر بزراعة القطن.

وفي عدن، واصل لطفي خفاوته بكل ربح تهب من جنوب وادي النيل،
فكان يدندن لأصدقائه بالأنغام السودانية. وقد كتب قصة عن السودان بعنوان
(لقاء في القطار)، بثها إذاعة عدن [الراوي محمد باب الله عبد الوهاب].

وختاماً، فإنه شبه آخر بين لطفي، والتجاني، والشابي، والمهندس، وكتس، وشيلي، وبيرون، هو النبوغ المبكر، والرحيل المبكر، أيضاً. وكأنني بلطفي ييكي نفسه «الملاماتية» في قصيدة (الصوفي المعذب):

أنا إن مت فالتمسي حياً في ثنايا السطور من أبياتي
أنا إن مت فالتمسي في كل فواد معذب الآهات
فاعذرني إذا قصرت يا لطفي، فيكفي أنك لطفي أمان.

-
- (١) لطفي جعفر أمان، بقايا نغم، مطبعة فتاة الجزيرة، عدن، سبتمبر ١٩٤٨م.
 - (٢) لطفي جعفر أمان، على الدرب الأخضر، دار المعارف، بمصر، ١٩٦٢م.
 - (٣) لطفي جعفر أمان، ليل إلى متى، المكتب التجاري، بيروت، أكتوبر ١٩٦٤م.
 - (٤) لطفي جعفر أمان، علي حفريات النسيان: قراءة في ديوان بقايا نغم، مجلة الحكمة (عدن)، العددان ٨ و ٩ لعام ١٩٩٢م، عدد رقم متسلسل ١٩٤.
 - (٥) الدكتور عبد العزيز المقالح، من البيت إلى القصيدة: دراسة في شعر اليمن الجديد، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٣م.
 - (٦) الأفكار (عدن) عدد يونيو ١٩٤٧م.
 - (٧) الدكتور محمد عبده غانم، الموجة السادسة، دار آزال بيروت، ١٩٨٥م.
 - (٨) المصدر نفسه
 - (٩) علوي عبد الله طاهر، لطفي أمان دراسة وتاريخ، مؤسسة ١٤ أكتوبر، عدن، ١٩٨١م.
 - (١٠) لطفي جعفر أمان، اليكم يا اخوتي، المكتب التجاري، بيروت، يوليو ١٩٦٩م.
 - (١١) عبد الله كرار محمد خليل، لطفي جعفر أمان بين عدن والخزطوم، الثورة (صنعاء) ١٥ ابريل ١٩٩٤م.

مبارك آدم الهادي

دبلوماسي سوداني، عمل سفيراً للخرطوم في صنعاء، وهو شقيق للشاعر السوداني المبدع، الهادي آدم، الذي لحن الموسيقى الراحل محمد عبد الوهاب (ت ١٩٩١م) قصيدته (أغداً ألقاك)، وكتبها المطربة الخالدة (أم كلثوم). ويعود تاريخ هذه القصيدة التالية إلى الستينات، عندما استعرت حرب التحرير في جنوب اليمن ضد المستعمر البريطاني. ففي الصحافة أعلنت لجنة تحرير الجنوب العربي أن القوات البريطانية ألقت من الطائرات أقلام حبر وصناديق حلوى في مناطق الثوار في ردفان والضالع، الخ، وأن هذه المواد تحمل متفجرات قتلت عدداً من الأطفال الأبرياء، الذين التقطوا أقلام الحبر والحلوى ببراءة:

أطفال ردفان

ردفان لا تلين للغزاة

ردفان قلعة يموت عند بابها الصلف

ماذا تريد أيها السفاح فوق أرض (باشماخ)

القوم يرفعون راية النضال والشرف

ردفان قلعة تنطحها الوعول

تمور بالحميم والبترول والذهب

تنوب في اتونها الأقلام والحلواء

وينشوي من غيظها الغزاة

ردفان مثل حضرموت والتمير للعرب

نعمان طفل ليس يدرك الخداع

لكنه شجاع

نعمان رغم الجوع نائر صغير

ومثل كل حر عنده ضمير

فالجوع عنده سلاح

يذوق طعم العيش في حلاوة النضال

يا أيها الدخيل سارق الحياة

يا قاتل الضمير بالقلم

العلم من أقلامكم ترف

ويل لكم من غلبة الثوار في ردفان

وهبة الرجال في بيحان

سلاحهم هناك شعلة الإيمان

والأمل

ويرفعون راية النضال يزأرون

وليس ما يثنىهم سوى المنون والشهادة

فالحرب يا دخيل مسرح العرب

والغدر شيمة الجبان

ماذا جنى نعمان كي يموت بالخداع

يا أيها الشجاع

ماذا جنى الأطفال يودون في قارعة الطريق؟

لو كان (جونى) يعبر الطريق في (كارديف)

ويمضغ الحلوى بلا اكتراث

فهل رضيت أن يموت ميتة الطيور؟

أن يحتضن المنون في قلم

ويسلم المصير للأئنين والألم؟
ماذا جنى نعمان كي يموت دونما وداع؟
يا أيها الشجاع
وما تروم بالخداع أيها المغوار
يا قاتل الأطفال في النهار
لو كان (جونى) رافلاً في حلة البهاء
ويمضغ الحلوى بغير ما اكتراث
قد صنعت من اللذماء من طعام الأبرياء
ويدرس العلوم في رواق (اكسفورد)
فانما نعمان يمضغ الشنظف
ويأكل الرصاص واللغم
ويدرس الجهاد والبطولة الصماء
من قبل أن يخط بالقلم
تباً لكم يا ناشري الحضارة المعبأة
وباعثي الختوف والألم
نعمان مرحباً نلقاك بين الثائرين
فالجحد في ردفان أو ربي شمسان
والنصر في يافا وفي عمان
النصر كل النصر يا نعمان للثوار.. للعرب

سبتمبر ١٩٦٤م

د. مبارك حسن الخليفة

شاعر سوداني محلق، يقيم بعدن، منذ سبتمبر ١٩٧٧م، مع أفراد أسرته، الذين عشقوا بلاد اليمن وأهلها، أسوة بأبيهم. عمل بالتدريس الجامعي للغة العربية، بكلية التربية بجامعة عدن، وما زال، وتقلد رئاسة قسم اللغة العربية فيها. كما صدر له ديوان (الرحيل النبيل)^(١)، عام ١٩٨١م، في عدن، والذي حوي عدداً من قصائده المكتوبة باليمن. والقضية، في الحقيقة، في مقام الحديث الصادق والأمين على الرجل ليس في مكانته في الأدب السوماني، وإنما، وكما سيلاحظ القارئ العزيز، الحديث في الأدب السوماني لا يكتمل بدون الوقوف طويلاً مع اسهامات مبارك حسن الخليفة، شاعراً، وأديباً، ومعلماً، من الطراز الأول من رجال التربية اليوم في اليمن. ولعل الرفض الجماهيري الواضح لمحاولة إنهاء عقد عمله مع جامعة عدن، بانتهاء عام الدراسة ٩٣ - ١٩٩٤م، يشير، بوضوح، إلى محبة الأجيال هناك لهذا المدرس المتميز. ويشير كذلك إلى أهمية موقعه من المعارضة السودانية اليسارية، المقيمة باليمن، مناوئة لنظام حكم الرئيس السوداني، الفريق عمر حسن البشير.. والتي قدمت لها السلطة في جنوب اليمن، فيما مضى الدعم والمؤازرة.

لقد اندمج الخليفة في مجتمع عدن، اندماجاً دعى أحد الصحفيين اليمنيين، واسمه أحمد عبد الرب، في صحيفة (الميثاق) الصناعية، إلى الكتابة الجارحة لشخص الخليفة، ولسوف ننشر هذه المقالة الفظة، في الصفحات المقبلة.

قدم الخليفة في عدن البرامج الإذاعية، وطبعت له هناك الكتيبات التربوية، ونشرت له صحف ومجلات اليمن القصائد والدراسات الأكاديمية، التي تمحور جزء

منها في المقارنة بين المبدعين في اليمن والسودان، ولحن له الفنانون اليمنيون الأغنيات العذبة، كما سرى في الفصل الخامس من هذا السفر. ومن أهم آرائه النقدية في الأدب اليمني أنه يرى بأن الشاعر السيوني الراحل، حسن بن عبيد الله السقاف، صاحب ديوان (ولائد الساحل)، كان أول من كتب شعر التفعيلة باللغة العربية، على المستوى العربي، وذلك في قصيدته (درب السيف)(٢).

ومن مقارناته الشيقة بين المبدعين اليمنيين والسودانيين، مقارنته بين الشاعر الحضرمي، صالح الحامد، والشاعر السوداني حمزة الملك طمبل، لكونهما رائدا التجديد في الأدبين اليمني والسوداني. ومقارنة أخرى بين الفنان اليمني الشاعر، أحمد فضل القمندار (ت ١٩٤٣م)، والفنان السوداني الشاعر، خليل فرح.

ولقد زار الخليفة أكثر بلاد جنوب اليمن، فكتب الشعر في الغيضة بالمهرة، كما كتبه في الجمل.. سفينة الصحراء في الشيخ عثمان. كما درس النظام التربوي اليمني في حضرموت، من زاوية تأثره بالمنهج السوداني، كما جاء في الفصل الثالث من السفر هذا. وقد استوقفه في حضرموت شعر الدان، فمضى يساجل به شعراء حضرموت، كالمدع الراحل، محمد عبد القادر بامطرف، والسياسي اليمني، الأديب الدكتور سالم عمر بكير(٣):

مبارك: وذكرني مرابي العشق قلبي عنها في السودان يا صاحبي أو في الساحل القبلي وايش أخبار سالم عندما عاش في السودان.

سالم بكير: بلية العشق يا مبارك ونا من سمح به مبلي

وكيم ليله في أم درمان خلتي فقد عقلي

مبارك: ولأجل العشق بانغني على ذكر الهوى المضني

ومن أجل الهوى بنزرع وعاذكراه بانجني

ومن سيئون بانسرح وبانضوي إلى أم درمان

سمعت (الدان) والحانه أسر قلبي ملك عقلي

ولا في النيل و(الوادي) متيم في الهوى مثلي

نعم، هكذا صار الخليفة شاعراً عاماً يميناً، يساجل شعراء حضرموت، على
أوزان الدان الحضرمي!

كذلك كتب الخليفة الكثير عن شعر لطفي جعفر أمان، الشاعر اليمني
الراحل، والذي درس في السودان. وأصبحت كتابات الخليفة مادة دسمة للنقاد في
اليمن، ومن ذلك ما كتبه الأستاذ محمد خليل معتوق، في مجلة (الحكمة) اليمنية،
عن ديوان (الرحيل النبيل).

وسوف نحاول استعراض ما كتبه الخليفة من نثر عن اليمن، ومن شعر
متناثر، بين ديوانه المطبوع (الرحيل النبيل)، والمعد للطبع: (ولكني أسير هواك).

الحلم والذاكرة

* مهداة إلى روح الصديق، عباس الأمين بابكر، مدرس الفلسفة في عدن.

أين تبيت الليلة يا عباس

في رعشة أهذاب (نضال)

أم في حلقات (أمين)

أم في ذاكرة بيضاء (لأيمن)

أم تحضن ضحكات تضفرها (نيراس) إكليلاً من نور

أعلى ما في الكون الإنسان

هذا (مجلس قات) يدعوك تنفياً فيه ظلال الراحة

و(الدار) الحضن الدافئ لون الوطن نسيم النيل حكايات الغربية

حب ودموع وأمل

ارحميني يا (عمر الجاوي*) من هذا الحب الغامر

عيناك تمهدرتا دمعاً آسر
فأنساب من عيني دموع الوجد القاتل
ارحمني يكفيني أن أبني معكم وطناً
قلدني من فيض الشعب مآثر
* عمر الجاوي: ناقد أدبي بحني مرموق، وزعيم حزب التجمع الوحدوي اليمني. وقد
شغل، لمدة طويلة، منصب رئيس اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين.

الابحار والمرسى

أتيت يا عدن
يحملني على جناح الشوق طائر الزمن
يلس في شعوري الحزين كلمتين عن وطن
تركته وفي الفؤاد جمرة الحزن
وكلمتين عن زمن
ألبسني في ميعة الصبا كفن
وكلمتين عنك يا مدينة تعمدت بالنار والدخان والشحن
أتيت يا عدن
فتحت لي بوابة الزمن
قد آن يا عدن أن أستجم ساعة
وأنفض الغبار والاعياء عن كاهلي
وأبدأ الحياة من جديد

عدن / ديسمبر ١٩٧٧م

ما اخترت الغربية يا وطني

ما اخترت الغربية يا وطني
ما اخترت المنفى
وشهيدى أحياء بين أزقتها الربداء
عرفت الحب الناس البرد الصيفا.
كانت قد حضنتني ألفاً وعشقت هواها ألفاً
لكن حين همست ابجر ماذا ما جدوى أن تسألني
وحقيقتك ارتفعت سكنت كتفا
والنيل شهيدى حين دلفت مساء أعتم قلت أسافر
قال: وما جدوى أن تسألني إنني ألمح في عينيك المرفا

في البدء كان النيل

في البدء كان النيل وكنت نطفة تخلق على يديه
وصرت مضغة تدحرجت على شطيه ثم استويت ها أنا بشر
تجمعت سحائب الخريف دمدمي دار عدن وأشعلني البروق
ذوبي القنم في الدجى روافداً روافدا
وحركي رياحك الهوجاء تدفع الأمواج
تغمر الصحارى تدرك الظماء والجياح
وليحتم ما بيننا الصراع

عدن - أديس أبابا / ديسمبر ١٩٨٧م - يناير ١٩٨٨م

عدن الجميلة

صافحتها ودعتها وتركتها فوجدتها تمشي معي
عدن الجميلة يا لسعدي

عدن الجميلة لم تصبها دهشة لما رأت
دمعاً تسلسل من شفاة القادمين إلى المطار

عدن الجميلة صافحتهم

عدن الجميلة قبلتهم

هذي ديارك يا عدن مدي يديك

فلقد مددت يد المحبة والبخارة

النيل باركنا وعودنا والهمنا التوحد والجسارة

الخرطوم / أغسطس ١٩٨٥م

لماذا ارتحلت قبيل الصباح

* مراثية للشاعر والفنان اليمني الراحل، عبد الله الدويلة.

أكان رحيلك عنا اختياراً

أكان رحيلك عنا اقتداراً

أكان رحيلك عنا.. جسارة

لماذا نويت الرحيل

وكنت أمامي تجلس

ربوة عشق يفوح شذاها

يعطر نفسي بالأمانيات

وكانت تراقص فوق جبينك - زهوا -

ظلال التألق والذكريات

لماذا نويت الرحيل

وكنت أمامي تجلس

جيل الولادة جيل العطاء

وتحكي وتذكر توق المرافىء للعائدين
وبوح السواحل للعابرين
أكان عليّ انتظارك حتى تقول الوداع
أكان عليك التشبث بي لتهمس في أذني الوداع
وتصرخ أن الأمانى قناع
وأن التأسى خداع
لماذا ارتحلت قبيل انبلاج الصباح
لأن الصباح ارتياب
وفيه الأمانى سراب
لأن الظلام يخفي سود الجراح
لماذا ارتحلت
لماذا ارتحلت

شوق وعناق

أبعد الشيب يلبسني التصابي وأنسى عند عينيك اكتآبي
وأنسى لحظة أني شريد وأنسى لحظة حزن اغترابي
وأنسى الفجر حين بدا كذوباً وأنسى الليل مكتب الإهاب
وأنسى كل مومة فلاة أرقى على مفازتها شبابي
أهذا كله لك يا مكلا فما أبقيت للغيد الكعاب
وما أبقيت للخرطوم أمي مغزيتي ويحزنها اغترابي
وما أبقيت لأم درمان تشكو لموج النيل تحلم بالإياب
وجاء الفجر وضاحاً صدوقاً ووشى بالسنا خضر الروابي
وذردر في عيوني خيط نور فما عادت تكحل بالضباب

وحر شياتك اغتسلت ومدت أياديها لتغسل كل ما بي
فهذي الغربية الشوهاء ظلت تدنس كل يوم من ثيابي
وحصنك صار لي حصناً منيعاً وحرزاً من معاودة العذاب

وفي سيئون عانقني نخيل وذكرني عناقاً في بلادتي
وهلهلني بسعفات رقاق فمس محاجري خدر السهاد
غفت عيني وكم شهدت زماناً فتمت على الأثير من المهاد
مهاده صيغ من نور مذاب تسرب في سويداء الفؤاد
تسرب في مسام الريح لسا أقلتني إلى رؤيا بلادتي
وها قد عدت يا سيئون فجراً وكان الضوء يحسك بالقياد
وصافحتي ابتسام من شبام فما جدوى التصافح بالأأيادي
وضممتني تريم وكم أعاني من الحرمان من فقد الوداد
فيا نفس امتحي من كل نبع وإن لم ترتو فلتستزيري
أنسك اليوم أني بين أهلي نفوس الناس مشرقة شهودي
وتجمعنا وإياكم أمان نسجناها على مر العهود
ويجمعنا وإياكم مسار تمثل في شبا القلتم الرشيد
ألا يا حضرموت وكنت نجماً تألق في سما اليمن السعيد
لأنت اليوم شمس من سناها تشع معالم اليمن الجديد
مضى يا حضرموت زمان قهر تكسرت القيود على القيود
فغردت الشاعر في الحنايا وهللت الأباطح بالسعود
فيا يمن التوحد عشت حراً ويا فتن التمزق لن تغودي

عدن / مايو ١٩٨٢م

وتتوقف، الآن، عند هجوم الصحفي اليمني، أحمد عبد الرب، من صحيفة (الميثاق)، على الخليفة، بعد أن أجرت معه صحيفة (المستقبل) حواراً صحفياً: (الحوار الفطن الذي أجراه زميلنا ابراهيم سعيد سالم مع الشاعر مبارك حسن خليفة يؤكد حسن طوية المحاور، لأن الشاعر مبارك حسن خليفة تجنس بالجنسية اليمنية، منذ سنوات طويلة، والمعلومات معروفة في الصحيفة، لأن محمد أحمد الشيباني، صاحب الإمتياز إسمياً، أفصح عن ذلك أمام الجميع، ومن غير موارد، والشاعر المذكور صاحب ديوان «الرحيل النبيل» لم يكن رحيله من السودان نبيلاً، لأنه منح عقد بحق الانتفاع بالبيت الجميل الذي يسكنه في خورمكسر، وهنا تجيء «مروا» الإشتراكية لا غبار عليها، لأنها منحت باسم ملايين الشغيلة، وباسم قائد الحزب الطليعي. ولأن حياة الشعراء ليست ملكاً لهم، لذلك يخوض الناس في تفاصيلها الدقيقة، فالشاعر الدكتور مبارك حسن خليفة فصله الدكتور العمودي من الجامعة، العام قبل الفائت، وحسب اللوائح، لأن الشاعر الكبير لم يكن يحمل دكتوراه، حتى السنة قبل الماضية، وبلغ الشاعر بقرار فصله، وهو بمصر، فما كان منه إلا أن رفع السماعه، واتصل بالأستاذ، مباشرة، الذي بدوره رفع السماعه، وقال: مروا الدكتور العمودي بارجاع المناضل السوداني استاذاً بالجامعة، ولا داعي للتمسك بالشكليات. وجاءت «مروا» الإشتراكية، هذه المرة، محطمة للوائح، وقواعد التعامل في دولة النظام والقانون، أكثر من «مروا» بصرف المال للقبائل، من أجل حقن الدماء، وانتقامات الثارات الفظة. تلك بعض جوانب حياة الشاعر الخفية، فحياة الشعراء الواقعيين تكون أشبه بكتاباتهم (والشبل من ذاك الأسد)، فلا غرو أن تأتي كتابات الشاعر، في هذا الزمن الرديء، بمثل تلك الضحالة، مثل قصيدته الأخيرة المنشورة على صفحات المستقبل كذلك.. هل أنا مصاب بالإيدز، رغم أنني لم أمارس الجنس الحرام. كل أشعار الدكتور مبارك حسن الخليفة، في الفترة الأخيرة، لا تحمل جديداً، ولا تستشرف آمالاً، لأن

إمعانها الشديد في الواقعية يصور الحال الذي آله إليه الشاعر، مؤخرًا، حال الإسترخاء، والقعود، والتكسب بماضي الشعوب وأحزابها التقدمية، الغارقة حتى أذنيها في الأحزان المألحة، والملاحقة المريرة، بينما ينعم هو هنا بحالة فريدة لم تتوقف عند حد اللجوء، بل تعدت ذلك إلى التجنس الخفي، حتى يصبح الشاعر شاعرين، والموقف موقفين، فهل استرسل فيما لا يعرف الناس والعزيزة المستقبل؟!

خواطر عن الأمطار في عدن (٤)

بقلم: د. مبارك حسن الخليفة

وفي عدن، منذ أن حضنتني قبل أكثر من خمسة عشر عاماً، أحبت المطر، الذي ينزل رذاذاً لذيذاً، أو يزيد قليلاً، ولكن المطر، في الأسابيع الماضية، فعل بنا، سكان عدن، ما فعل أبو الخيرات - النيل - بالسودانيين، قبل سنوات. دخلت بيتي في حي الرشيد بخور مكسر، كميات كبيرة من مياه الأمطار، من خلال السقف، ومن تحت أساس إحدى الغرف، ففرق المنزل من الداخل، ثم أحاط الماء بالمنزل من الخارج، فأصبح جزيرة غير معزولة عن جزر حي الرشيد المجاورة، وانقطع التيار الكهربائي، فاضطرت إلى ترحيل أسرتي، ونزل أفرادها ضيوفاً عند أسرة سودانية كريمة مضيافة. في أول ليلة، بعد أن أطفأت الشمعة، شعرت بكثافة الظلام، كما لم أشعر بها من قبل، وتذكرت قصة حدثت للشاعر السوداني، التجاني يوسف بشير، المتوفي عام ١٩٣٦م، وأخرى للشاعر كمال الدين بن المبارك، وثالثة للشاعر الإنجليزي، كولردج، وتذكرت أسطراً من قصيدة كتبها في إحدى دول الخليج [يريد دولة الامارات العربية المتحدة]:

الماء الماء

ملء خليج العرب الماء

لكن الناس ظماء

قال لي أحد الأصدقاء: ما قصتك. في أحداث يناير، دخلت بيتك دبابه. في شهر فبراير دخل الماء بيتك، فامتلاً الشارع بين مكتب اليمدا ومحطة عبود. قلت له: اسأل السلامة من شهر مارس.

وكان أن دخلت زمن عدن الجميلة، ومهما حاولت الأحداث نحو هذا الزمن الجميل، فلن تستطيع، فقد اختلط بدمي وأنفاسي وسكن حشاي. عدن الجميلة، هكذا سميتها، وأنا في الخرطوم، بعد رجوعي إلى الوطن، بعد غيبة طويلة، في إثر انتفاضة الشعب السوداني، في أبريل ١٩٨٥م، ورأيت عدن، بعين خيالي، تقف في المطار، تستقبلني، وتستقبل أهلي. وستبقى عدن جميلة، وسيعود بهاؤها، ما دام الإنسان فيها هو الإنسان الذي عرفناه، خلقاً سمحاً، ومعاملة طيبة، وتواضعاً جمّاً، وغيره على اليمن، وعلى الشعب، ومكتسباته.

-
- (١) مبارك حسن الخليفة، الرحيل النليل، مؤسسة ١٤ أكتوبر، عدن ١٩٨١م.
 - (٢) حسن عبيد الله السقاف، ولائد الساحل، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٤٣م.
 - (٣) انظر كتيب (ليالي الدان في الوداي وفي شمسان).
 - (٤) مقتطفة بتصرف عن صحيفة (نور اليمن)، عدن، بتاريخ ٢٧ فبراير ١٩٩٣م.

مبارك المغربي

شاعر وفنان سوداني مبدع، حوت أشعاره عدة دواوين، وغنت بكلماته حناجر المطربين. توفي في الخرطوم، منذ سنوات، بعد حياة حافلة بالنشاط الفكري.

وفي أثناء زيارة الشاعر والمناضل اليمني الكبير، محمد محمود الزبيري، إلى مدينة ود مدني، بوسط السودان، وفي الإحتفال الذي أقيم هناك بهذه الزيارة، في حضور شيخ اليمانية بود مدني، المرحوم يحيى حسين الشرفي، ألقى المغربي قصيدته (أمل العروبة)، مرحباً بالزبيري، الذي كان رئيساً للإتحاد اليمني بمصر، في ذلك الوقت، من منتصف الخمسينات. وقد ألقى الزبيري قصيدة له، شاكرًا السودانيين على كرم ضيافتهم، لكن قصيدته هذه لم أقف عليها، حتى اليوم. وقد نشرت قصيدة (أمل العروبة) في ديوان (عصارة قلب)، للمغربي^(١). يقول المغربي، في هذا الإحتفال، الذي تم بمحذائق المديرية بمدني:

داعي العروبة والإسلام نادانا في محفل جاء بالإخلاص مزدانا
وهل يرد نداء كله أمل في مجد قوم تواروا عنه أزمانا
يا شاعر القوم غرد هاهنا طرباً ونسق الشعر أنغاماً وألحانا
هذي الوجوه بما تحويه من أدب جم قد ابتهجت بالفضل مذ باننا
فذلك الرجل الموهوب جانبه قد طبق الجو آداباً وعرفانا
سعى لرفعة أهل الضاد محتملاً في نصرة الحق تشريداً وطغيانا
وراح يفتحهم الأقطار تكلوه رعاية الله رحب الصدر جللانا

حتى أقام بمصر كي يقيم لنا من قوة الدين والإسلام بنياناً
يا أيها الشاعر الفياض خاطره أذاك بالشعر حادي القوم نشواناً
لقد دعيت لكي يحظى بكم أدبي ولن يطبق فتى الآداب عصياناً
إن لم تكن بيننا من قبل معرفة ولم تنل مهجتي من ودكم شأناً
فقد يفيض شعور النفس إن تليت مآثر الحمد فيمن فاض احساناً
لقد سمعت بكم من نخبة جمعت أسمى الفضائل أشياخاً وفتياناً
لقد سمعت عن العدل الذي شهدت به بلادكم إذ كنت ميزاناً
ولقد رأيت فزادت (...) وهل أريد لذلك الفضل برهاناً
تكفيه نفس رعاها الله صادقة ترى المذلة والإذعان كفراناً
يا أيها الزائر الراجي أخوتنا لقد لقيت مع الإخوان اخواناً
ما أنت ضيف وإن شطت مرابعنا عقد العروبة حياناً وأداناً
إن العروبة جسم لا انفصام له لا يعرف الجسم أجناساً وأوطاناً
إن جئت دجلة قد شاهدت لبيبة أو زرت نجداً فقد حيث لبناناً
وإن دعاك الهوى يوماً إلى يمن فقد نزلت بها مصرأً وسوداناً
لقد قدمت ودياناً قد ابتسمت بعد الشقاء وديناكم كدياناً
لقد قدمت ووادي النيل منلغع والروض مزدهر روحاً وريحاناً
لقد قدمت وهذا الشعب يدفعه إلى العلاء نداء صار إيماناً
فالمح قديتك نوراً ظل مرتقباً دهرأً وفجرأً بدا في الأفق فتاناً
وخبر القوم أنا ها هنا نفر لا نبتغي غير مجد العرب اعلاناً
إن قام للبذل في الأرواح داعية جئنا إليه زرافات ووحدانا
هيهات أن يفسد الباغون وحدتنا إذا وقفنا تجاه الحق اخواناً

(١) مبارك المغربي، عصارة قلب، طبعة ثانية، مطابع وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٧٨م.

مجاهد محمد العشماوي

هو الشاعر والصحفي المصري، مجاهد محمد مجاهد العشماوي، و«ابن النيل» لقبه. دفعته الغربية، سنين وسنين، عن مصر، فكتب فيها بالعامية المصرية، أحلى الشعر. شايع الزعيم جمال عبد الناصر، وما زال من أخلص تلاميذه. ثم استقر باليمن، منذ سنوات، واكتسب جنسيتها، وكتب فيها شعراً فصيحاً، دعى النقاد إلى التنبيه إليه كشاعر فصيح، أيضاً. وقد صدر له ديوان، مؤخراً، من إحدى المطابع العنصرية.

كتب القصيدة التالية بين السودان واليمن، بعنوان (في رثاء حبيبة لم تمت):

وتسمرت قدمي عند الشاطئ الموعود بالفيضان والبشرى

كأنني سوف ألقاها أراقب سعيها نحوي كعادتها أناديها

يذكرني صدى صوتي بمشيئها بماضٍ مر كالعلم

ورحت أسائل الأشياء من حولي لعل النيل يسمعي

ويشفع لي

رياح الحب هل ضاقت بموعدا وهل نسيت

وفي طياتها محبوبتي اختبأت

فلم تأت الرياح بها ولن يأتي

وهذا النيل هل يدري

فراح النيل من وجع يعاتبني

الأم الحزن يا ولدي

ألم تك أنت قاتلها وخائن عهدا الأبدى؟

صحيح كنت قاتلها وخائن عهدا الأبدى
وقد باتت معذيتي لأمر لم يكن بيدي
ورحت ودمعتي الحرى على خدي
من السودان لليمن
وقاتلة هي الأحلام لو غربت
فلا كنا ولا كانت ولا عشنا على أمل ولا عاشت
مسافات بلون الليل مظلمة تراقبنا
صباحات تعذبنا وتوجعنا وترجعنا إلى ويل المسافات
فيا دفة المسافات التي رحلت
هل المحبوبة انتحرت؟
جنون الحب هل في البعد عاودها ومن أشواكه اقتربت
ومن في البعد راودها ليضنيها وقد أضنيها قبلا
وساقتني عواطف خلقتها قدرا
وهل قدر.. بلا حب.. بلا وطن.. بلا أمل
يسمى هكذا قدرا

أبريل ١٩٩١ م

مجتبى عبد الله

شاعر سوداني اشتغل، مؤخراً، بالتدريس، في اليمن. توفي عامنا هذا

(١٩٩٤م).

المرأة التي ضاعت في الظلام قبل أن أعشقها

أيتها المرأة المعشوقة العاشقة

أيتها المرأة المستحيرة من رهن عشاقها

بالهروب تجاه مدائن الباسقة

أيا امرأة من نبيل القوافي سكرت

ومن غنج الصافنات انفلقت

ومن سهر العاشقين القدامى

واتحدت بفعل التماسك ضد شروط السقوط بريخ الخزامى

واغتسلت على واجهات المنازل بين الأزقة

فوق خطوط عبور المشاة بدمع اليتامى

أدافع عنك أمام المحاكم

ضد جميع صنوف التجاوز والإغتصاب

وأدراً عنك فضول الوعامة

وحمى الإبتزاز الرخيص

وكل احتواء مراهق

وأعلن فيك انطفاء دماي وعمق جذور العلائق

إليك يحن دمي ويقتلني في هواك لهيب الحرائق

محاسن عبد الله الحواتي

صحفية يمنية شابة، ولدت بالسودان، لأب يمني وأم سودانية. وهي شقيقة الشاعر يوسف عبد الله الحواتي. كتبت لأكثر الصحف والمجلات اليمنية، واهتمت بقضايا المهاجرين اليمنيين في الخارج، على وجه العموم. تخرجت من كلية الآداب بجامعة صنعاء، وكتبت القصة، والقصيدة، والمقالة الثرية. وقفت على قصة هامن وحي فترة حياتها بالسودان، ثم فقدتها. يلاحظ في شعرها، المنشور أدناه، التطور المطرد في فن الكتابة.

العودة والترحال

مسافات ستجمعنا وآهات ستجمعنا وصباح طيب الإشراق يجمعنا
فراق منك أدمى القلب وشوق فيك يدفعني إلى الترحال والعودة
فيا وطني ويا حباله في القلب أنشودة
رجعت أنا وعدت أنا سلام الله يا وطني

إلى المدينة التي عشقتها

هجرتك بعد حبي
وخفت من عينيك تظلمني
وكان قدرني أن أهاجر أن أغادر
وأطوي قدماي في وسط الطريق
تترمل الآمال في قلبي ويدفنها الأسى

هجرتك كي أحبك وحبك لا يزال

مقاطع

صبر

تعب تبدو وفي عينيك حزن
ما لقلبك في الهوى هرم
بخیل لا یجود ولا یمن
قلما طاوعت دربك أو صمت .. ما دهاك
وأنت تعلم ما رميت
هل أظلم على يقيني
أم تراك هدمت صبري

یقتاتك زمن آت
یرحل فیک وعبرك زمن ولی
وحاضرك المقتول أنا
یتداعی عبر المد وفوق الجسر
جرح

کبرياء من نبع دفاق
یعتصر الشوق ولع فی غیرك هدی
ألق فی منسیات عهودك القادما

كانت المدن ملونة
وكان لونها تمازجاً جميلاً

وكان عطرها أخاذاً كنفحة الجنان
وكانت الحياة مشرقة
والعيون لامعة
والقلوب عامرة
وقتها كنا نمتلك الحلم
وقدرة على الوفاء

أغنية اليوم الأول

لا تسلمي إذا حان السؤال
فأنا الطلاسم والانتقال
أنا بقايا الزمان تركني الزمان إلى زمانني وشد الرحال
قيد على الساعدين وقلب يندب حظ سقيم
رماد الأكفة فتات الزهور حروف الأحاجي
تحكي إلي تحكي تقول
ولدت غريباً بذرة فول
تنادي خلف المطر وتلهث خلف الزذاذ
ظمأى جذور أين أنا
وأين الحقول
لا فصل يزيل الشقاء ولا ماء سيبسقي الحقول
لا ريح الجنوب ولا الشمال
صغيرة واد فقير فكل عذاب عليك حرام
وكل كلام يعني انتقام
أردت الحياة حياتك لون الحياة

حشوة عيني من نعاس
وذاكرتي دفتر يوم عريق
عرفت البراءة في الهوى وسر الحقيقة في الخيال
لذا لا عشت غريب الدار
فلا كهف يمنى ولا كهف يسار
ستروي حروفي إليك الكثير
أنا عالم يوم جديد يسابق عمر الزمن
يكابد كل رثاء بعيد
أتيت وكلني شموخ
أتيت من حيث لا أدري أتيت
لكنني أتيت
إذا حان السؤال فلا غرابة
يجيء في هدوء يجيء في رتبة
أو حتى كزجاجة السحابة
لا تسألوني سيوفي الزمان يوم ويومي بالإجابة

قولها

قولها قولها يا حلوة العينين قولها
مصنوعة مصقولة كالعقد دليها
ارميها على قلبي على سمعي
في الآفاق والأجواء بل للورى ممزوجة بدمائك الحمراء
كلماتها تحنو عليك وتنشني حتى تقولها
يا سبابة العينين يا حميرة يا عريية أنت

فلماذا لا تقول لها
في جبينك آلاف الروايات القديمة
وفيهما ملايين الأساطير الحزينة
أنا لست منهم قد تعرفيني
سأنتظر حتى تقول لها
يا عسجدية التاريخ والتاريخ حاكمي
دنوت قليلا منك فاسترخي وقولها
قولها يا أمي مصوغة مصقولة يا بنتي

محمد أحمد الحداد

أديب يمني، كتب الايات التالية ترحيماً بوفد أدبي سوداني زار صنعاء في
يونيو ١٩٧٦ م.

أدباء زارونا من السودان أنعم بهم من فتية اخوان
حملوا رسالة شعبهم في شعرهم وبطيه من روعة الألحان
إن الشعوب تسير في درب الإبا والشعر منبرها بكل زمان
ولنا باخوتنا روابط حمة بالدين بالتاريخ بالإيمان
لكم من اليمن الحبيب تحية تشدو بها الآفاق في الأوطان

ونياة عن الوفد السوداني، رد الشاعر مصطفى طيب الاسماء محياً اليمن
بقوله:

لكم الشكر صفوة الاخوان من رفاق الآداب في السودان
نحن أنتم وأنتم الأصل فينا من قديم العصور والأزمان
من (بتعن) كصنوه من بني النيل وصنعاء كاختها (كردفان)

محمد باب الله عبد الوهاب

مدرس سوداني، استقر بجنوب اليمن، منذ الخمسينات، وتزوج من يمنية. من محافظة أبين. أشار إليه الزعيم اليمني، علي ناصر محمد، كواحد من أنشط الذين اشتغلوا بالنضال السياسي ضد الوجود الإنجليزي في جنوب اليمن^(١)، إلى جانب «الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل». وتكررت الإشارة إليه في كتاب للأستاذ عبد المجيد القاضي^(٢)، في أمر مشابه. ومنذ حضر باب الله إلى أبين، في عام ١٩٥٧م، لعب دوراً في تنشيط الحركة الرياضية، إلى جانب الرياضي، علي السوداني.

جلست إليه لأجمع مزيداً من المعلومات في العلاقات اليمنية، السودانية، لكن الرجل كان قد أدركته السن، فجاءت معلوماته مضللة في الحقيقة، ولا ننسى ما تعرض له من إصابة جسدية ونفسية، حينما حوسب، حساباً عسيراً، على ولائه للزعيم علي ناصر محمد، خلال معركة ١٣ يناير ١٩٨٦م، في عدن، واضطر لمغادرة جنوب اليمن إلى شماله، جريحاً مع أسرته.

على الصعيد الثقافي، كتب باب الله بعض الأغنيات التي غنيت في اليمن، وكتب شعراً قليلاً بالفصحى، كقوله يهاجم القات:

هلا عرفت القات والسماوا

وملأت جوفك من سعيره نارا

وكانت له على صفحات صحيفة (الأيام)، في عدن، مناقشات، مع الشاعر اليمني أحمد شريف الرفاعي، حول الشاعر السوداني محمد مفتاح الفيتوري. وفي

مجال القصة، قدم عدداً من القصص القصيرة على شكل شعر محلي لفرقة أبو أنيس للصيادين، في جزيرة صيره بعدن. كذلك قصة (بنقلة الشيطان)، بصحيفة (صوت العمال)، التي هاجم بها الحركة الماسونية بعدن، وقصة (قتلتها وهي حبلى)، في صحيفة (الأيام).

(١) مجلة (النهج) - ملحق (الثوري) عدد ٥٨٣٢ بتاريخ مايو ١٩٨٤م، عدن.
(٢) عبد المجيد عبد الله القاضي، المنطقة الوسطى رفض وثورة، عدن، دار الهمداني،

١٩٨٥م.

محمد مجذوب علي

شاعر سوداني، ذو شهرة في بلاد اليمن. درس بالسودان ومصر، وعمل في عدن في التدريس، منذ نوفمبر ١٩٦٠م، ولما يزل، حتى الآن، أستاذاً، لجيل بعد آخر... فلا يكاد ينافسهُ سوداني من الذين اشتغلوا بالتدريس في اليمن، من حيث مدة العمل، وجديته، وواسع أواصره بالأجيال المتداخلة.

صدر شعره عن اليمن في ديوانه (قمري والمد والجزر)^(١) ووقفت له على مراسلات أدبية شيقة مع الشاعر اليمني الراحل، لطفي جعفر أمان.. منها مقالة منشورة بعنوان (قلوبنا مع الدرب الأخضر). وتجلت آصرته بالمشتغلين في التدريس في اليمن في قصيدة (سمنار الجديد)، المهداة للمدرس اليمني، سمير محسن شيباني، والمدرس السوداني المتوفي بـعدن (عباس الأمين).

أسهم أيضاً إسهام في أدب الأطفال اليمنيين، ونال الميدالية الذهبية والشهادة التقديرية، ولُقِّب المعلم النموذجي، في عيد العلم، عام ١٩٨٤م. كرمته وزارة الثقافة واتحاد الفنانين اليمنيين الديمقراطيين، عام ١٩٨٥م، بنيله الميدالية والشهادة التقديرية، لمساهمته الأدبية في الحملة الشاملة لتصفية الأمية، بجنوب اليمن.

من وحي نوفمبر

من ماء نهر النيل جئت مهاجراً وعلى ذرى شمسان مرسى ترحالي
عاشرت شعباً فيه طيبة موطني الوالدان هنا وعطف الخال
قاسمته حلو الحياة ومرها حالي كحاله حاله من حالي
شاهدت جيش الإنجليز أجل وذاك الشيخ والسلطان زهو الوالي

وأطل ردفان العظيم مزججراً فإذا الأسود تصير مثل بغال
وأتننا تخطر في اختيال جميلة حرية بالنار لا بنوال
نزعت ولكن بعد نهر من دم وجماجم الشهداء والأبطال
وتسلم الثوار في نوفمبر أمر البلاد بهمة ونضال
سلكوا الطريق الوعر رواداً وما خافوا من الأشواك والأوحال

المكلا

دهشة.. مرحباً يا زول حبابك في المكلا

صاحب الدار رفيق حضرمي عاش في السودان أغلى عمره

درس الطب وبالعوادات يدري

إن هذا حمج السودان ولكن في المكلا

عندما حل المساء ضمنا أحلى لقاء

«عزه في هواك عزه نحن الجبال

ولليخوض صفاك عزه نحن النبال»

رتل اللحن رفيق آخر من حضرموت

له في حتوب أرقى الذكريات

هزنا الوجد فصرنا مملين بارتشاف الشعير

والدان وألحان الحفوية

المكلا / فبراير ١٩٨٧م

دودحية

دودحية آخر العنقود

صيفت من مياه النيل من بن اليمن

ولهذا كل ما فيها حسن

عدن / ١٩٨٦م

سنتياجو

وسلاماً أيها النيل ومهلاً لا تحمل وجهك عني

لا تعاتبني لأنني

لك كل المجد والسودد وال...

لك ما يبقى من العمر وإن يوماً فمهل

لست أرجو منك شيئاً

غير كأس من رضا بك ثم لحد وكفن

عدن / ١٩٨٨ م

للكعبة سد يحميها

جدران الكعبة داهمها أبرهة الأشرم والسييل

لتعود اللجنة ثانية أكلاً خمطاً أثلاً سدرأ لتعود الهجرة والتفريق

عبثاً فالملوم لا يلدغ من جحر كذا مرة

والهجرة قد بلغت حداً «لا هجرة من بعد السد»

فالسد هنا شعب نجمه.. والكعبة ذي وطن نحمية

وجراح السيل نضمد لها.. للأشرم طير ترميه

عدن / ١٩٨٢ م

وداعاً وسلاماً

فوداعاً يا يمن بعدما قد عشت فيك ربع قرن يا يمن

ربع قرن في اليمن ربع قرن لليمن

يافعاً قد جئت مختاراً محباً فانخت العيس ألقيت العصا

طاب لي العيش فعشت وغزاني الشيب صادتني المحن

بيد أني يا يمن نلت منك الحب والتقدير لي صرت الوطن
فوداعاً يا يمن.. لست أهوى البعد لكن..
يفسد الماء بطول المكث حقاً حل في مائي الأسن
وسلاماً أيها النيل ومهلاً لا تحمل وجهك عني
لا تعاتبني فاني كان بالإمكان أن..
كان أما الآن لن
ليظل البحث عن كيف ولا بد ومن
وسلاماً أيها النيل ومهلاً
لك باقي العمر ما أغلاه لو...
لست أرجو منك شيئاً غير لحد وكفن

عدن / مارس ١٩٨٥م

طلقت ظني

عقلت مطيقي طلقت ظني وكنت مغادرا والكعب حافي
ظننت وإن بعض الظن إثم وكفر إن بدا والخل وافي
ظننت البن يجهل طيب زرعي وطول المكث ضايقه طوافي
وأروى لم تعد قلباً حنوناً لها حي ولي منها التحافي
فبحت إليك يا يمن لأنني إذا أخفيت هل أنا عنك خاسي
فشق على بناء السد قولي أبعد الصمت كيف علا هتافي
فشرف بعضهم داري وبعض يهاتفني فهذا الحب كافي
وجاء الفيض تكرماً عظيماً خلقت الآن لي عمر إضافي
فيا ظني وكم خابت ظنون أخيرك لي أنا تلك الفيافي
وداعاً ليس يعقبه لقاء وبيناً لن يقربه تصافي

ويا بلقيس عفوك اعذريني فتشري عاجز وكذا القوافي

كم لك يا غريب

وتسألني نخلت غزاك شيب فكم لك بيننا كم يا غريب
من السلطان والوالي إمام وما زالت خيامي يا حبيب
بهذا قد أجبت فهناك لومي تقولين الغريب أنا الغريب
نساء غاص في قلبي حساماً عذابي طال ان جرح الطبيب
غريب بعد طول المكث ماذا غريب فيك يا يمني غريب
أتيتك والشباب الفض تاج وهانذا رهينك يا مشيب
أتيت وسادتي نبيلي وشعبي وأرض الين لي مهد رحيب
أتيت مخيراً فأقمت عشقاً أمن فرح دموعي والنحيب
تمازجت العناصر صرت ثدياً هناك عروقه وهنا الحليب
وطالت حيرتي في أمر ذاتي أردد: من أنا هل من يجيب؟
بذلت وما بخلت عطاء حب يشد سواعدي واد خصيب
ولا أدري فجهل الغيب علم نعم لو عشت هل سهمي يصيب
وهل بلقيس إن كنت ذراعي سترعاني وإن خطوي ديب
ونهر النيل لم يرفض نبيلي فكيف الحال والقاع الجديب
ولست أطيق غيرهما مكاناً وإن أوديت ضربهما زبيب
أراك وقد هدرت فدتك روعي أسمعني فلي هدف عجيب
بجاملة نطق القاف غيناً كنطق النيل نطقك يا لبيب
مداعة تسرك خباب ظني دروب الخير في شرعي تخيب
وذا سمي ورأس أبي وأمي ويفدو بي فدى قصدي قريب
أأنت تكون مغترباً وهذي بلادك أنت لي فيها نصيب؟

عدن / نوفمبر ١٩٨٢م

أبو صلاح ومحسن وكمال

أبو صلاح محسن كمال أنباؤكم تساقطت على عقولنا على اليمن

كألف ألف طعنة غادرة وألف ألف وابل من الدماء

لم تبق في عيونهم نقطة من الدموع

بعد سكبها على المناضلين سالماً ومحسناً - العائدين -

بعد سكبها على البريء أيننا كمال

أبو صلاح محسن كمال ألومكم ألوم حفظنا وحظكم

ألوم أمنا اليمن

ماذا نقول ساعدوني إننا في يدنا حمامة وغصن زيتون

ووردة ووحدة اليمن

ماذا نقول لكننا لن نقبل الحوار بالسلاح لا ولن

أو يقتل البريء من أنبائنا وسيلة ليحب الشجاع

لأن ذا سلاح غادر جبان

سلاح من يؤله تؤذيه وحدة اليمن

كاذب من قال

مدخل...

«وقد يجمع الله الشيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا»

شاعر عربي قديم

كاذب من قال إن الحب بالهجران بالصبر الطويل يتلاشى

كاذب من قال إن القلب يسلو رغم ما يلقاه

والأعين لا يعرف مجراها الدموع
كاذب من قال ما قد كان لن يسعدنا أفضل منه أو يكون
فلماذا يا دعاة الافك ما هدأت ثورة الحب
وما زالت الأشواق في الأعماق في القلب تمور
عجز الحجر أن يحمد لها وليالي البعد زادت بها اشتعالاً
إنه الحب الذي وحد قلبين سيقى يتحدى كل صخر
واثقاً يجمع شمل البن في ثوب قشيب

(١) محمد مجنوب علي، قمرى والد والجور، دار الممداني، عدن، ١٩٨٦م.

محمد حسين هيثم

من أهم الشعراء الشباب، في عین اليوم. وهو أحد تلاميذ الشاعر السوداني الراحل، الدكتور جيلي عبد الرحمن، في جامعة عدن. كتب قصيدته (هموم الشيخ الجليل) في سبتمبر ١٩٨١م، عن أستاذه، جيلي عبد الرحمن، ثم نشرها في ديوانه (الحصان)(١):

وتروم وقتاً ضافياً فينا
ويوماً سنة الشعراء بدءاً وتروم قافية ومعنى
هكذا يمضي بك الوجد
هكذا يمضي بك الوجد
هكذا يمضي بك العمر إلى حجر وحيد
هكذا تمضي بك الطعنات موتاً ثم موتاً ثم موتاً ثم بدءاً من جديد
في سنين الإناخة في زهرة للقرى ادخرتك للغزوات
تدرعت بالشجر المختبي حول جمرتك الآدمية يوم عدت
من النزهة المأتمية مبرداً
شاكستك الأضاحي يوم طالعت في البئر وجهك
كان ذئب القفار البري يعاين قمصانك المستغيثة
رحلت توجع يوماً قديماً وعمراً تنزر في حرقة البيت بالمرأة الملحمية
هم الاخوة انتخبوك لمقصلة الهم
هم الاخوة انتدبوك لموت وجيز وولموا وما ودّعوك
فألفيتهم ينحرون الصباحات حزناً عليك
لهفي عليك مررت تضوهم كوكباً كوكباً
يا رسول العقيق فما أدركتك سوى حجر في الصميم

لُففي عليك تواترت في النيل عمراً بهياً
فأترعته ذات غمر بشمس المدائح والصبوة الفاتنة
وراحت تقيم طقوس الدهول وتضرم في العتم قداسه المرتجى
فينهض صلصاله المرفيك ويبرأ من حمأة الملكوت البهيم
إيه شيخى الجليل ماثل أنت في المستحيل
ممتنع أنت في جلوة البنت مندغم في العذوبة
في غبش القرية المستديم..
إيه شيخى الجليل رأيناك في الشجن القروي
طلبناك في السر بالعشق والنذر جتناك
يوماً بهذا (الهبوب) الوخيم
بهذا الغناء الرحيم
بهذا الضرام البدائي كيما نعيد اللقائى
في هداة البحر كيما نهىء للثور سطوته
في الشعاب الأليمة
يدلف في الزهرة القروية منفلتاً عارماً طلقاً
ينطح الأرجوان الحميم
ستال حصتك الأثيرة من هبوب النيل وتقول: زدني
وتهبه يوماً واضحاً فيقول: زدني
وتسير في العثرات تطلبه وتنشد حنطة الخرطوم والبيت القديم
وحارة الأطفال والمقهى ووقتاً جارفاً في الشعر

(١) محمد حسين هيثم، الحصان، دارالهمداني، عدن، ١٩٨٥م.

محمد سعيد المشرقي

صحافي يمني شاب، مات عام ١٩٩٤م، في ظروف غامضة. كان العام المنصرم قد رثى بقصيدة زميله الصحفي السوداني باليمن الكاتب الناصري الشاب، سري عبد الكريم.

بأنامل مرتعشة أسطر أمزوجة وفاء
أجمع حروفها المتناثرة من ردهة الذاكرة
والملم الآمي وأكتم صرختي رغم وزر النبأ الفاجعة
عزائي خلود صوتك ولحنك الممزوج بالعشق لمعزوفه
سو الدان.. سويغات الونسه
ظلت حنجرتك تصدحها دون اكترات تنتظر انبلاج الفجر
رافضاً الانصياح أو الركوع
بقيت تصارع الضوضاء ونعيق الغربان
تغني أغرودة الوفاء
لا تهاب أعوان الردافه
مضيت تحمل وؤاك على كتفيك
وحولك رؤوس تطاطات
غير آبه بما سيكون
لكن قلبك لم يدخر وسعاً لانهاءات متقولي الشرف
فكان الرد الصمت الشموخ
سري يا طائر السنونو العائد إلى عشه

جسم يقبل الثرى
وروح تحلق في السماء تعانق الثريا
لماذا غادرتنا عنوة
قلت وقتئذ لا أسرار بيننا
واليوم غدت سرا
قبل الوداع أيها الخالد فينا
سأظل أذكر ما حييت
هذه تهمة لا أدفعها وشرف لا أدعيه
والأشجار تموت واقفة

يناير ١٩٩٣م

محمد عبد الله سعيد

شاعر يمني شاب، نشأ بالسودان. استقر باليمن، وقصيدته (الأمل الأكبر)
تعالج قضية الهجرة اليمنية إلى السودان..

الأمل الأكبر

فكر ثم قدر
إمام متكبر
يملك الدولة والعسكر
يدفعه، أمثاله للغربة دوما
للهرب إلى الشط الغربي من البحر الأحمر
أبي وقبله سيدي سافر
مغلوباً على أمره للمهجر
ترك الأحباب وترك الأهل ذات مساء وخطاه تنعثر
والدمع على عينيه تحجر
هرباً من ثالوث الجهل المرض الفقر
إلى أرض النيلين البكر
إلى السودان الأسمر
امتزجت بجبينه حبات العرق اللامع
من وهج الشمس مع الأمل الأكبر
في العودة
وتأخذه الأيام وتأخذه الزمن عام يمضي سنة تتأخر

ترك آثارها فيه في الوجه وفي لون الشعر
ولكن تبقى أشياء لا تتغير
ذكره أشجانه وحنين ممزوج بالأمل الأكبر
ويعلم أولاده شطراً من شعر
أوله (لابد)
وآخره (من صنعاء وإن طال السفر)

صنعاء / ١٩٨٩ م

محمد عبد الرحيم جازم

باحث يمني شاب، واحد الأعضاء النشطين في المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية بصنعاء. صدر له عن مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء تحقيق لكتاب (طبق الحلوى) في التاريخ الإسلامي اليمني، كذلك نشر مجموعة طيبة من البحوث في مجال الصناعات الحرفية التقليدية في اليمن في مجلة (المأثورات الشعبية) الصادرة بالدوحة عن مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي؛ ويقوم حالياً بتحقيق مخطوطة (الديوانية) في تاريخ الدولة الرسولية باليمن، باعانة مادية وأكاديمية من المستشرق الأمريكي الدكتور دانيال فاريסקو المسؤول بالمعهد الأمريكي للدراسات اليمنية في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية.

ظلال خائفة (١)

الجو منعش والسيارة تلتهم الطريق الطويل، وتبزغ الشمس ملقياً بظلال الجبال على بعضها.. الهدف الذي يقصدونه مازال بعيداً.. كل شيء قاحل والجبال والأرض البركانية تبدو لا نهاية لها، تتدرج السيارة نحو الأسفل ونحو الأعلى.. ترتج في المنحنيات؛ وتصفر اطاراتها على الإسفلت، ويرتفع مؤشر السرعة إلى رقم تجاوز المائة والعشرين..

- خفف السرعة يا عوض.. أرجوك

- لا تخف يا زول.. قريب لن تكون هناك سرعة.. جبال حجة أمامك..

اسمها ايه يا سعيد؟

- جبال كحلان.

- لا تزيد سرعة سيرى فيها على الستين.. أشعر كأنى فى طائرة..
وكسودانى عشت فى أرض سهيلة يعترىنى الخوف.. ايه يازول من جبال دى..
- لكن عندكم يا عوض جبال على ساحل البحر الأحمر
- هذا صحيح لكن ما بالصفة دى.. كيف يعيش الناس فيها. فى قيعان ممكن
يعيشوا فيها..

يبدو الجد والانتباه على وجهه الأفريقى الطيب، ويقلل من سرعة السيارة،
ويتعالى الضحك فيشترك فيه شاعراً بأنه المقصود.. الهاوية السحيقة على الجانب
الأسير تبدو لا نهاية لها، وضباب خفيف كان يخيم على الأودية أخذ يتعالى تحت
وقع أشعة الشمس الصباحية الصيفية، وتتهدج الجبال أمام البصر بقمم متباينة
الارتفاع؛ والوديان الثعبانية الشكل تتلوى بينها ذاهبة نحو الشمال.. تنحدر السيارة
وتحيط بها الجبال، ويرتفع من مسجل السيارة صوت أغنية يفضلها عوض لفتاة
حبشية تناجى الحبيب الذى هاجر إلى الشمال.. أترأه يذكر قربتها الصغيرة دولو
حيث ينطلق نحو الشمال نهر دوريا الصغير.
أتذكر؟

الليلة مقمرة.. اختلسنا قبلتنا الأولى

جوار كوخ القش

قرب الضفة

.....

عد إلى دولو.. عد إلى دوريا

نختلس قبلة أخرى.. وأخرى

فى ضوء القمر.. على الضفاف الساكنة

تختلط الموسيقى بلون الأرض وزرقة السماء وتتغير الطبيعة وتسير السيارة
على الحافة اليسرى لأحد الوديان، وتلتهم العين الخضرة المفاجئة للحقول المزروعة
وأشجار البن المضللة بأشجار الطلح العملاقة..

عد إلى دولو

عد إلى دوريا

لا يهم أن تحبني

دعني أراك

وأشعر من بعيد

بجمال القبة الأولى

تتلوى الطريق مع انحناءات واد آخر مضلل بالأشجار الكثيفة، والمياه تنزل
شلالات صغيرة.. موسيقى صوتها المطرطش ينقلك بالفعل إلى ضفاف نهر دوريا
الحزين.. لونت الشمس الصباحية رؤوس الأشجار بلون ذهبي مخضر، وفجأة تدور
السيارة لاهثة وتبدأ تسلق الجبل الجميل المغطى بالمزارع والأشجار، وفي القمة
صافحت وجوههم المدينة الوادعة، وغيرت الوديان مجاريها بعيداً في الشمال باتجاه
الغرب يبدو ذلك واضحاً من هذا الارتفاع.. الطريق الاسفلتي ينتهي في المدينة..
تنحدر السيارة نحو الأسفل مخلفة المدينة ورائها وتتجه نحو الغرب.. القمم المتنافرة
والهاويات السحيقة من جديد.. ترتج السيارة. تنخفض وترتفع.. تصادم
الأكتاف، وترسم السيارات الزاهية والآية ذيلاً من الغبار ورائها...

تتلون الجبال والأرض بالخضرة والغبرة، وتنفث الوديان، وتقلل الهاويات من
أفواها الفاغرة.. تلفح الوجوه حرارة مرتفعة تزداد كلما تدرجت السيارة نحو
الأسفل، وتبدو قبعات بحواف مدورة على رؤوس الرعيان والفلاحين، ويتغير
شكل المتزر ويسيطر الطابع التهامي على كل شيء في حياة الناس وتختفي الجنينة؛
ويبرز المنحل بدلاً منها..

توقفت السيارة وسط الوادي؛ والمياه القادمة من أعلاه تضرب على اطاراتها
برفق.. نزل رفاق الرحلة الأربعة.. مسح عوض وجهه وعنقه الغليظ بالماء البارد..
تمطى حسن بوجهه الحزين الوسيم ولحيته الكثيفة غير المنظمة.
- آه يا لها من رحلة.. ما أجمل هذا الوادي الحزين
- الحزين.. ليه يا زول هذا جميل فقط.. انت حزين ليس إلا
- ما اسم هذا الوادي يا عوض..
- والله ما يعرف.. اسمه آيه يا سعيد.. تعرف يا منصر
- مكتوب في الخارطة.. سنسأل الناس عنه
- ما رأيكم نسميه الوادي الحزين - حسن مقترحا -
- هذا الاسم مرفوض.. لقد مات الجمال في أعماقك يا زول
اعترض عوض بلكنة سودانية محبيه وشرع يصفق الماء على اطارات السيارة.
- لا تزعل مني يا حسن لكن الحقيقة تفرض نفسها.. الماء.. الأشجار..
أصوات الطيور..

- ووجه عوض الجميل .. - اضاف منصر ..
يضحك الجميع ويقذف بعضهم البعض بالماء.. وثبوا على السيارة فاجتازت
المرتفع الصغير المجاور للوادي وسارت مستوية إلى قرية صغيرة تربض على الكتف
الأيسر للوادي، وفي الطرف الغربي منها انزلوا الخيمة وشرعوا يدقون الأوتاد
والعرق يتصبب من جباههم والحرارة لا تطاق، وأقرب أحد السكان منهم بوجهه
الأسمر

- اسم القرية [الامان] أليس كذلك - تساءل حسن -

- نعم..

- وما اسم الوادي؟

- وادي خائفه..

ضحك عوض، وسرى الضحك إلى الجميع وأكد الرجل بارتباك وهو يمضي
- والله اسمه وادي خائفه..

- كان الاسم المقترح أفضل يا عوض..

- يضحك عوض مفلطحا انقبه الأفطس.

- والله الأسماء في بلادكم عجيبة يا أخي..

تنتصب الخيمة مشدودة على الأوتاد.. نقلوا إليها الأسرة المطوية والفرش
وأدوات الطبخ وشرع سعيد في تعبئة موقد القاز لاعداد طعام الغداء.. كان جسمه
القصير ووجهه العملي يشع منه الجوع والتعب

- ما رأيكم تتغذى في المطعم الواقع بجانب الطريق - اقترح منصر -

- هذا أفضل.. فنحن متعبون

ورد عوض معترضا

- قد يكون الطعام مرتفع الثمن هنا.

ترك سعيد الموقد

- ولو أفضل من تناول الغداء وقت العصر

أغلق سعيد باب الخيمة بالجبل وتبع الجماعة.. الحرارة لا تطاق والقبعات
المدورة المصنوعة من أوراق النخيل تنقلك إلى المكسيك. البضائع الزراعية منتشرة
على جانبي الطريق..

دلفوا إلى المطعم وسط أناس يلتهمون الطعام؛ والعرق يبلل ملابسهم وبعد
قليل أصبحوا مثلهم.. ثمن الطعام، وبالذات الخبز، مرتفع، جعل عوض يندم على
موافقته الذهاب معهم وطول الطريق كان يتذمر من الورطة التي وقع فيها.. ألقوا
بأجسادهم على الفرش الاسفنجية الموضوعة على الأسرة بعد أن فتحوا بابي الخيمة
من الناحية الشمالية والجنوبية فتسللت النسيمات إلى داخلها، وأخرج منصر كتاباً

تصفحه والنعاس يغالبه، ونام عوض وبقي حسن يتطلع إلى شيء بعيد مجهول ايقظه
منه قدوم سعيد حاملاً حزمة قات متواضعة وأسايره تهلل.

- ناوي تخزن يا حسن. القات رخيص هنا..

- بكم شريته..

- بعشرين.. يكفي نفرين

- أعطني النصف.. هذه عشرة ريال

يدير عينيه المرحتين في الخيمة

- الجماعة ناموا..

يفتح قميصه، ويعد الشاي، ويغمز لحسن باسمًا مشيرًا بطرف عينه إلى
النائمين الذين انقلبوا على جانبيهما عندما انطلق صوت شخير الموقد.

أصلحها المتأكي وبدأ يهصران بين أصابعهم أوراق القات اللينة ويلقيان بها
إلى فميهما. الحرارة مرتفعة. فتح حسن قميصه.. يتحدثان بصوت هامس وتتساقط
أعقاب السجائر المنتهية إلى الأرض.. تأخذ النشوة سعيد كل مأخذ وتداعب
الفرحة أعطافه.

- قات فاخر يا صاحبي

- ورخيص..

يحشو فمه بمزيد من الأوراق الغضة.. النشوة تزداد حدة واقتربت كلبة
ظامرة متدلّية الأتداء تشتم الأرض اقتربت من سريرهما.. ثم فرت بذعر
- هذه أم.. مسكينة انها جائعة.

وثب من السرير وفتح علبة سمك وجرى نحوها ففرت مذعورة.. ضحك
حسن.. تقدم ببطء مرغباً إياها في السمك.. سكب على حجر وعاد يجري وهو
يزم شفائفه بآلم.. وثب إلى السرير صافعاً بيده على قدميه.

- الأرض حارة..

- أنت طيب يا سعيد.. لك مشاعر أب

يتصبب العرق من الجباه.. يلل الأبدان.. والكلبة تعلق الحجر وتنظر إلى
الخيمة، وينطلق خيال سعيد إلى مدينة عدن حيث يغسل البحر شواطئه ذكرياته..
ويعود حسن يخلق في الفراغ المجهول ويحرق السجائر.. تنهد سعيد..
- ألا زلت تذكرها..

- كأنك تستقرئ أفكاري.. أمرها مفروغ منه.. كنت أتذكر شاطيء
صيرة وحقات وصوت الموج في مثل هذا الوقت وهو يضرب الصخور وطيور
البحر تحلق وقد قعدنا أنا وصديقي الصياد الهرم حول ماسة صغيرة وزجاجة
خضراء وتناوبنا أغنية من أغاني عبد الوهاب..
- ذكريات جميلة..

يعود حسن إلى شروده.. يحشو سعيد فمه المتنفخ بمزيد من الأوراق الطرية..
وتعتنق في ذهنه القمم والسواحل والبحر وبيوت المدينة، وتختلط الزرقه بالسواد
بلوحات المقاهي والمعارض، ويعني الصياد الهرم «عندما يأتي المساء».. فتزقن
الزجاجة الخضراء على سطح الطاولة.. تتداخل المادة في الألوان وتبرق عيون
سعيد..

خف وهج الشمس وتراجعت نحو الغرب.. وهدرت طاحونة قريبة منهم
مبقطة عوض ومنصر فسارعا إلى صب الشاي.. تتقاطر النساء إلى الطاحونة..
ملا بسهن السوداء مشقوقة في الجانب الأعلى ومزور مشدود على الجزء الأسفل..
توقفت احداهن ونظرت بدهشة إلى وجه حسن الشارد الذهن. لاحظ الآخرون
ذلك فشارعت نحو الطاحونة الواقعة على الطرف الآخر من المساحة الواسعة
الممتدة من أمام باب الخيمة الجنوبي، ألقت بكيسها في الداخل وقعدت مع النساء
بحوار الباب.. الوقت يتحرك ببطء.. يضحك عوض وعيونه مسمرة على باب
الطاحونة..

- يا سلام يا زول.. عيونها باتلتهم الولد..

يضحك منصر.. وينزل سعيد من على السرير ليسكب في فنجانه قليلاً من الشاي وهو يضحك..

- لا يا عوض.. باتأكل عيونها الولد..

يضحك الثلاثة وينظرون إلى وجه حسن الذي تنبه إلى نظراتهم إليه فزال شروده وابتسم دون أن يدري لماذا.. الطاحونة تهدر دون توقف.. وفلاح عجوز أقبل بثوره القوي وشرع يحرق جوار الزرع قرب المكان.. ومن طرف الحقل كانت عيون الكلبة الظامرة ترقب باب الخيمة..

«٢»

مصبح القاز المعلق في وسط الخيمة يشع ضوءاً قوياً ينطلق من طرفي الخيمة إلى البعيد، والأربعة يتدارسون خطة بدأ العمل في صباح الغد.. وجذب ضوء المصباح حشرات الصيف فأقبلت بكثافة ومنها حشرات الزنابير الخطرة.. نقلوا الأسرة إلى دوار الخيمة وقعدوا يتسامرون تاركين الحشرات تلعب وتحترق بضوء المصباح راسمة بظلالها صورة حشرات خرافية ضخمة.. جو المساء جميل وهادئ تعكره أصوات الشاحنات الضخمة القادمة من «حرض» عبر «الخشم» ذاهبة نحو حجة.. قدم إليهم أحد أهل القرية وقعد يشرب الشاي ويدخن السجائر.. سأله عوض

- ألا يوجد من يبيع الخبز هنا؟

- لا.. القبائل لا يبيعون الخبز.. الأخدام في طرف القرية يبيعونه..

- ليه القبائل هنا لا يبيعون الخبز في كل اليمن القبائل تبيع الخبز في الريف

صحيح سعيد..

- لا يا عوض.. ليس كل القبائل.. الفقراء منهم فقط..

- إسمع.. ممكن تعمل لنا خبز ونعطيك فلوس..

وثب الرجل من على السرير، وأمسك طرف ذقنه بأصابعه.

- عيب عليك يا رجل.. أنت من أين.. يعني؟

- لا.. سوداني..

- من الغد سأبعث لكم بخبز دون فلوس.. هذا عيب عندنا يا أخي أن نأخذ

فلوس على الطعام..

يعود إلى جلسته على السرير ويضحك الجميع؛ وبعد برهة ودعهم ومضى

نحو منزله.. يمزح حسن مع عوض..

- فضحتنا يا عوض.. القبائل لا تعمل هكذا..

- أنتم فرحتم الخبز بدون فلوس.. الله أعلم كيف حال الرجل.. ونحن سنقيم

أسبوع هنا.

يفكر الجميع ويشعرون بصحة رأيه ويتنبه عوض.

- نسينا.. ما رأيكم نعمل «لفه» دخان..

- خذ ورق الشام من شنطتي.. وأحضّر مصباح اليد إنه مجانيها..

يقعد عوض على حجر أمام باب الخيمة، يخلط التبغ بالحشيش.. يلفه

باحكام ويدخن. تمتع نافثاً الدخان من منخريه.. يحرق الدخان عينيه فيعدل من

جلسته وتشع الطيبة من وجهه السوداني البريء.. يضحك فجأة..

- يا سلام يا زول.. عيونها باتلتهم الولد.

يضحك منصر وسعيد ويشعر حسن بأنه المقصود.

- أنت تقصدنا يا عوض.. ما الحكاية..

ينهض من مكانه ويقدم اللقائف التي سريعا ما اشتعلت

- أنت يا زول.. باتجعل القبائل تقتلنا في يوم من الأيام..

- لماذا؟؟

يحكي له سعيد وسط ضحكته المقررة ما حدث.. يقلب حسن شفتيه
بتعجب.

- إذا كانت الحكاية هكذا.. لا تخف يا عوض فدائرة اهتمامي بعيدة..
يدير الدخان رؤوسهم.. يضحكون من بعض وتكتسب ملامحهم الجد..
يتحدث سعيد وحسن عن التنمية والقضايا الاجتماعية.. الرؤوس تدور وتثقل..
تمدد كل على سريره.
وأدار سعيد شوكة مذياعه الصغير ليستمع إلى هيئة الاذاعة البريطانية.. تدق
ساعة بج بن..

- ليه تحبوا أنتم اليمنيين سماع إذاعة البيغاء ذي..
رد سعيد ساخراً
- أنها استعمرت بلادنا..
- والله المستعمرين غرسوا فينا أشياء غير محبة خالص.. إسمع يا حسن
اشتريت كتاب لمحجوب اسمه «الديمقراطية في الميزان» موجود هنا..
تساءل منصر

- من هو محجوب؟؟
- حرام عليك يا راجل ما سمعت عنه.. ذا رئيس وزراء سوداني محبك طلع
الانجليز من السودان بعد حفلة كوكيتيل.

يضحك سعيد ويفلق المذياع ويعلق بسخرية.
- نحن طلعناهم بالمدافع.. كيف طلّعوا من بلادكم بحفلة كوكيتيل.. والله
طيين..

- أنت تسخر.. الدخان يلعب بعقلك.. غداً عندما تقرأ الكتاب ستعرف..
يلتف بملاحظة خفيفة ويهمد.. وتتركز أنظار سعيد وحسن ومنصر نحو السماء
الصافية وعلى سقفها الداخلي تتلألأ النجوم.. وبين الحين والحين تنبح الكلاب

وتنهق الحمير ويتحرك الضوء هنا وهناك في منازل القرية المقابلة القابعة على تل مرتفع..

«٣»

- سأنتقل أنا والمهندس سعيد إلى الخشم نقيس مسافة الطريق بالسيارة وأنت وحسن اخصوا الشاحنات والسيارات المارة ومن ذلك التل إلى الوادي اعملوا دراسة أولية لنوع التربة.. نلتقي في الحادية عشرة..

تنطلق السيارة نحو هدفها ويتحرك منصر وحسن لأداء مهمتهما.. الحرارة لافحة والفلاحين ينقون الحشائش من جوانب جذور الزرع ويحتمون بين الوقت والآخر بظل الأشجار.. تغني راعية على التل القريب من الطريق.. وتثير السيارات والشاحنات الغبار على وجهيهما وهما منهما مكان في التعرف على نوع التربة والتركيب الصخري للأرض وعلى صفحات الورق يرسمان أربعة خطوط وخامس يشطبهم بعد مرور خمس سيارات.. يسيران بخطى وثيدة من التل نحو الوادي.. تشتد وطأة الشمس فيدخلان أحد الدكاكين في طرف القرية.. السوق يكتض بالناس وتنتشر البضائع الزراعية على جانبيه وتتطاير حزم القات في أيدي الناس..

- آيه.. أين سعيد

- ماها إلا سعيد.. هذا الرجل لا يهتم في الدنيا إلا القات

يواصلان سيرهما نحو الوادي.. الحرارة لا تطاق.. الماء ينساب بهدوء على الأحجار الصوانية الملساء.. نسيمات الوادي تداعب وجهيهما.. والطيور والعصافير تهوي إلى ضفافه وتعود إلى الأشجار الضخمة على الحافتين.. جلسا تحت ظل إحدى الأشجار..

- ما رأيك يا حسن بالاغتسال.. الماء بارد

- لكن الصابون والمناشف في الخيمة..

- المهم نتخلص من مضايقة الحرارة.

يوافق حسن على الفكرة.. يخلع حذائه ويسير بقدميه الخافيتين بين الماء..
الحصى الأملس يتدحرج من بين أصابعه ونحو الاتجاه الذي يذهب إليه الماء سار
مسافة حتى اختفى في منحني الوادي.. الأشجار كثيفة ومتقاربة وشجرة نخيل
يتيمة تقوم على حافة بركة ماء طبيعية مائها بصفا الزجاج ينصب إليها الماء مخريز
موسيقى متناسق.. يخلع ملابسه ويمد جسمه على طوله داخل الماء.. يشعر
بالانتعاش يغترف الماء على رأسه.. يمتد دون حراك ينصت إلى أصوات البلابل
الصادحة ويشرد بذهنه نحو البعيد وينظر إلى الشمس من خلال فروع النخلة
اليتيمة.. كل شيء هادئ وكأنه مازال في بطن أمه.. خيل إليه أنه يسمع أصوات
نسائه.. اختفت الأصوات وحرير الماء الصوت العذب الوحيد هنا.. يسقط شيء
في داخله وهو يتحقق من صدى الصوت النسائي.. يثب من وسط الماء محدثاً
صوتاً ويختفي وراء شجيرة بجانب النخلة.. تصدمه التسمات فيهتز من برودة
قطرات الماء العالقة بجسمه.. تمر ثلاث فتيات فينكمش ويلتصق بجذع النخلة..
ترمقه احداهن وتنتظر بعدم رؤياه.. يتجاوزنه لا مجال للخروج أو الذهاب إلى
مكان آخر.. التفتت ورمقته بنظرة مرفقة بابتسامة ساحرة ادارت رأسه.. اختفين
في حشر الأشجار وأصواتهن تبتعد أكثر.. فأكثر.. التقط ملابسه وسارع
بارتدائها.. شعر بالراحة وسار على الحصى الأملس المتدحرج.. بسمتها مرسومة
على صفحة الماء والأشجار والصخور الصوانية.. يا للجمال الوحشي.. والجرأة
النادرة..

- أشعر بالراحة يا حسن.. مع هذه الحرارة المرتفعة لا يحب الانسان الخروج
من الماء..

يرتدي ملابسه ويترك الجزء الأعلى من جسده عارياً..

- ألم تفاجئك الفتيات اللاتي مررنا من هناك - أشار بيده - لقد ضحكك
وأنا أتخيلك تقفز مذعوراً بلحيتك الوقورة..

- بلى ولكن لم يشعروا بوجودي.. لقد اختفيت وراء الأشجار

- احدهن كانت أمس طوال وجودها بجانب الطاحونة ترقبك..

سقط شيء في أعماقه.. وارتسمت الابتسامة على كل مكان في الوادي..

ترى لماذا سمي وادي خائفة.. لا يوجد شيء مخيف فيه.. من هي الخائفة؟.. ولما

«الأمان».. هناك على الكف الأيسر منه.. لا بد من وجود قصة أسطورية وراء

هذه التسمية.. اسم خفيف له ظلال تدعو إلى الشفقة خاصة إذا كانت الخائفة

كالفتاة التي مرت وتركت ابتسامتها أثرا في الأعماق.. يفكر في كل هذا وأشعة

الشمس الفضية تسحبها مياه الوادي إلى الأسفل دون أن تنضب من على سطحه..

يدوي محرك السيارة وتدخل مياه الوادي معكرة صفائها..

- الجماعة اغتسلوا يا عوض

ينضي ثيابه ويجري كالطفل ويلقي بنفسه في المياه. ويرفع عوض قميصه

السوداني الواسع ويتخلص منه بطريقة مضحكة ويلقي بحمسه الضخم عليه..

يصرخ سعيد ويضحك ينقلبان وبحركة خفيفة يمسك رجل عوض ويسحبه على

الأحجار الملساء.. يصفق منصر وحسن مشجعين.. شكل عوض يبدو مضحكا

وهو يحاول التخلص من قبضة سعيد..

تتحرك السيارة نحو السوق ويلتقط سعيد حزمة من القات.. باب الخيمة

مفتوح والخبز موضوع على أحد الأسرة..

- لقد أوفى الرجل بوعده..

يسارع سعيد بتقطيع البصل والبطاطا ويشعل موقد القاز بعجلة زائدة.

- أسرع يا حسن فك علبه تونه وعلبه صلصة سيفوت وقت الخزان يا

صاحبي.

كل يقوم بواجبه.. تغدوا وقعد حسن وسعيد يقتسمان حزمة القات

وتصفح منصر مجلة سينمائية أخرجها من حقيبة حسن وذهب عوض إلى السيارة

واستخرج كتاب محجوب «الديمقراطية في الميزان».. تمددا يقرآن.. نشوة القات
الرخيص تتسلل إلى رأسي حسن وسعيد.. يحكي حسن يحزن وألم عن زوجته التي
توفيت عند الوضع ويحاكم نفسه على بعض تصرفاته معها..

- كلنا يا صاحبي نعاملهن هذه المعاملة.. موتهن فقط هو الذي يوقظ
ضمائرنا.. لكنها تكون يقظة متأخرة مؤلمة..

يشرد حسن ويحشو فمه بالقات ويهرش ذقنه ومسحت ذكرياته البسمة التي
عشتت في أعماقه.

- كل شيء مؤقت يا سعيد.. أليس كذلك؟

- عش ليومك فقط.. كل شيء مؤقت..

التفت نحو عوض.

- ما هذا يا عوض؟.. الرجل الذي على الغلاف عمامته سودانية

- هذا يا زول محجوب

- ما اسم الكتاب

- الديمقراطية في الميزان

يضحك سعيد ويداعب عوض مازحاً

- كم قال محجوب وزن الديمقراطية كيلو في بلادكم

- والله يا زول أنت ما باتفهم في السياسة

يعود إلى القراءة.. يضحك منصر ونظيره مستقر على صفحات المجلة

السينمائية

- أيه ألي يضحك يا منصر.. والله هذا سعيد ما يفهم في السياسة

- لا.. ليس هذا الذي يضحكني.. يوجد خير مضحك هنا..

تهذر الطاحونة فتقاطر النساء حاملات أكياس الطعام.. تميل الشمس نحو

الغرب، ويتحرك عوض ومنصر إلى طرق القرية حيث تقوم مساكن الأخدام.

يعودان مسرورين وقد اتفقا مع من يعمل لهم الخبز مقابل مبلغ غير كبير.. يحمل
المساء ويجوار الخيمة قعدوا يتسامرون و«لفة» عوض تندير رؤوسهم.. وأقبل
صديق الأمس يسامرهم وانزلق لسان عوض فذكر أمر الخبز،
- لكن يا اخوان لا يجوز أكل الطعام من أيدي الأخدام
- ليه يا راجل هم مو بشر مثلنا..

يصمت الآخرون، ويتجادل عوض والرجل فيتركهم غاضباً ومظاهر
الاشتمزاز بادية على وجهه.

يشعلون اللفائف، ويروق ذهن عوض فيحكي عن السودان وعن غرامياته،
ويخلط فمه الأنهار والأكوخ الريفية والحيوانات وأجسام النساء السمراء بلون
القهوة ولحظات الخوف الشديد اللذيذ. يضحك بمرح وتفرق ضحكة سعيدة المميزة
عندما تنهال عصا رجل سوداني على جسد زوجته التي كانت تري عوض ورفاقه
شيء ما تحت ملابسها..

«٤»

مر يومان اخرا.. وفي عصر اليوم الرابع قدم إليهم شاب من الأخدام لا
يتميز عن أهل المنطقة بشيء من حيث لونه ولهجته إلا تصنيفه من هذه الفئة فقط..
وبعد قليل قدمت أمه العجوز الطيبة التي تعد لهم الخبز كل يوم ثلاث مرات وقد
زينت وجهها بنقط حمراء ورائحة عطرية قوية تفوح من ملابسها واستدعوهم
 للمشاركة في حفل زفاف ابنهم قبلوا ذلك بسرور فالحياة في القرية رتيبة يخفف من
وقعها حزمة القات و«لفة» عند المساء كان أكثرهم تحمساً عوض لأنه لم يشاهد
عرساً في ريف اليمن.. يقترب المساء وتهب على الخيمة نسيمات طريقة فتتهز
قماشها السميك.. على ضوء مصباح اليد تحركوا بجوار منازل القبائل الذين
يعيشون بعزلة عن الأخدام.. تستقبلهم العجوز فرحة وتقبل أيديهم ويقف العريس
وأخوه مرجحين..

- أهلاً بالأسیاد.. یا مرحباً

یقعدون بجانب العریس یشربون القهوة ویدخنون.. تتعالى الزغارید وصوت الدفوف وهناك من یغنین بصوت شجی ویقترب الموكب من المنزل المتواضع المفروش جیداً والنظیف.. یدلف الجميع إلى الغرفة المضاءة بمصباح القاز نساء وفتیات ووالد العروسة الی كانت ملفوفة بثیاب زاهیه.. أجلست ملاصقة للعریس.. تسكت الزغارید ویقرع الطبل والدف وتغنی اثنتان من النساء ویرقص أخو العریس مع احداهن ویقذف برزمة نقود لأخیه.. الأعین الواسعة تحدجهم بنظرات اعجاب واندھاش وعوض ینقل عیونه بین الراقصین الرشیقین.. یلیل العرق الوجوه ویلکز منصر حسن هامساً..

- لا بد أن نشارك.. ارقص مع احداهن.. سأدیر النقود على رأسك

یتردد حسن.. یغریه صوت الطبل واللحن الشجی المنغم الطالع من الخلق.. یشجعه سعید مشيراً إلى جیهه ویقفز إلى قارع الطبل ویهمس فی أذنه بنوع الرقصة الی سیضبط ایقاعه علیها.. یقف حسن وتنهض شابة متناسقة الجسم تتماسك أیدیها وعلى الايقاع أخذاً یتلویان برشاقة.. تختلط رائحة العطر بعرق الأجساد.. یقرع الطبل موقظاً المشاعر وتحاصر العیون الراقصین.. قرع الطبل ینتقل إلى ایقاع أسرع.. یتركان ید بعض ویضع حسن یده وراء ظهره یحوم على الفتاة السمراء من كل جهة.. یصفق البعض على الإیقاع.. وترتج أئدائها أمام وجهه وتطل بحیاء من جانبي الثوب المشقوق.. تحملق عینا عوض بدهشة وقد أخذ بجمال الرقص والأغانی وایقاع الطبل فصرخ.

- آه.. ابشر.. ابشر

یشارك بالتصفیق.. یدیر منصر ورقی بنکوت من فئة الخمسین على رأس حسن ویرمیها للعریس، ویفعل ذلك سعید.. یتغير ایقاع الطبل، یدور الراقصان

متماسكان يصطدمان برفق.. يسيل العرق.. ترقص الأثداء مع كل حركة.. يدير
فتى من الأخدام رزمة نقود على رأس حسن ويقذفها للعريس قائلاً..

- فدى سيدي

وتمتد يد امرأة عجوز إلى ركبة حسن وتقبل طرف أصابعها.. اندمج في ا
لرقص بعنف ويصبح عوض بنشوة.

- آه.. ابشر.. ابشر..

انتهت دورة الرقص.. جلس والعرق يبلل جسمه ويتقاطر من أطراف
لحيته.. يقرع الطبل من جديد يرقص اخرون.. الليل يمضي والرقص مستمر..
استأذنوا وفي الطريق إلى الخيمة كانت منازل القبائل مطفئة الأنوار.. السرور
يكتنفهم جميعاً وقرع الطبل مازال يسمع من هناك.. امتدوا على الأسرة وتساءل
عوض...

- من أين كل النقود التي يملكها هؤلاء.. أليسوا فئة مسحوقة كما تقولون؟

- لقد تحسنت أوضاعهم. يذهبون للعمل في دول النفط.

- قد دهشت يوم ذهبنا أنا وعوض نبحث عن من يعمل لنا الخبز.. وجدتهم
يملكون سيارات وعندهم أثاث جيد.. وضعهم هنا أفضل من اخوانهم الذين
يعيشون في الجبال..

يصمت الجميع.. ويعود عوض للحديث..

- ليه ما يندمجوا في المجتمع.. هم مو راغبين في ذلك أم المجتمع غير راغب

فيهم يرد حسن

- الكل يرغب في ذلك لكن توجد دوائر مغلقة في أعماق كلا الجانبين..

شاب من قريتي أراد الزواج من إحدى فتياتهم أحبها وأحبته.. رفض أهلها لأنه من
وجهة نظرهم قبيلي سيعاملها وأهله بطريقة غير لائقة.. أما أبوه فقرر عدم

الاعتراف به وحرمانه من ميراثه.. فاضطر إلى الفرار بجبهما إلى جنوب البلاد..
وسمعت أنهما خلفا ولدين..

يعلق سعيد..

- تعتبر قضيتهم في الوقت الحالي موضوعه على الرف.. سيعيد النظر فيها
ربما الجيل القادم.. أو الذي بعده.. لكن يا حسن هذه الليلة رقصت ببراعة قل
نظيرها في السابق.

- كل شيء مؤقت.. كل شيء رهين بظروفه.. الرقص له مذاق آخر عندما
تراقص امرأة

- هذا صحيح يا زول.. كم عندكم رقصات في اليمن لقد شاهدت هذا
المساء خمس رقصات مختلفة وفي صنعاء شاهدت رقصتين غيرها
- عندنا عدد كبير من الرقصات.. لكل منطقة رقصتها الخاصة.. وكل
رقصة لها تعابير الرمزية منها.. حربي.. تقديسي.. صيد.. حب.. زراعة.. يالا
كثير..

يقدم ضوء مصباح يدوي.. الطبل مازال يقرع.. يهمس أخ العريس بتردد

- تشربوا يا أسياد

قاموا من على الأسرة مرحبين

- نعم

- أهلا

- تفضل اقعد

- لا.. سأعود.. هذه هديتي لكم لقد شرفتنا هذه الليلة.. تصدقوا يا اخوان
انه منذ طفولتي لم يدخل بيتنا قبيلي.. تصرفات القبائل نحونا غير طيبة لا تضني
الخالق ورسوله.. لا يجلسون معنا.. لا يأكلون الطعام من أيدينا.. حتى عندما نعمل
مع أحدهم يعزلونا كالكلاب لوحدها أثناء الطعام..

يتدفق الأسى من نبرات صوته في أعماق الأربعة الذين لفهم الصمت.. يضع زجاجة مدورة كشكل الجرة يغطيها حتى المنتصف زمبيل صناعي ويمضي.. يتحسسها سعيد ويشعل مصباح اليد يقرأ نوعها ومحل الصنع.. تفرقر ضحكته.

- اسكتلندي الصنع...

- الوقت غير مناسب.. اخفيها في الشنطة.. ها نحن نجني ثمارك يا جرض..

- سنعمل غداً حفلة.. سنستمع..

- والله يا زول هاذا ولا ناس كرام.. فقط مجتمعكم يقسو عليهم..، ويعلق حسن جاداً:

- يستحقون بجدارة جائزة نوبل للسلام..

امتدوا على الأسرة.. الطبل ما زال يقرع.. ويقرع.. النجوم تتلأأ.. ونسمات لطيفة تداعب الملايات.. وعلامة سؤال كبيرة ترتسم في الأذهان تكاد تحصل على اجابة.. إلى متى سيظل القريب بعيد والممكن مستحيل..؟ والطبل يقرع.. ويقرع.. ويقرع..

«٥»

يصب حسن الماء على لحيته، ويدلكها بالصابون.. ينظر في المرأة الجانيية للسيارة ويخلق ذقنه.. الوقت مبكر والفلاحين ينقلون أسرتههم وفرشهم إلى داخل المنزل فالحرارة تجبرهم على النوم خارجها.. الوجه نظراً لقد زال شيء غير مرغوب فيه.. يستيقظ الآخرون يصفرون اعجاباً..

- لقد حدث شيء جديد يا حسن..

- لقد ودعت الحزن مساء أمس..

يرد حسن

- سأقضي عليه نهائياً اليوم..

- هذا الصبح يا زول.. لقد قال ميكيل انجلو من قرون «إن ساعة من حزن لا تساويها ألف ساعة من فرح».. أرني وجهك.. هذا الصبح.. تفتح على الحياة أكثر..

تناولوا الافطار، ورفعوا سريرين على السيارة ومتاكي وموقد القاز.. تحركوا نحو الوادي؛ والتقطوا من سوق القرية فخذ خروف وأشياء أخرى.. وتحت شجرة كبيرة بجوار الوادي، انزلوا السريرين وذهبوا إلى العمل تاركين حسن هناك ليعد وجبة الغداء.

الماء الرقاق يجري.. والنسمات الطرية تلعق كل شيء بلطافة.. يغسل اللحم ويقطعه شرائح ملقياً به في القدر.. يؤدي فنون الطباخة بخفة ويهدر موقد القاز.. يضع الوسادة في رأس السرير ويمد رجله عليه.. الطيور الصغيرة تنط من غصن إلى غصن والبلابل تغني وصوت خرير الماء يمتزج بصوت الموقد.. وتقبل النساء إلى الماء حاملات جرار الفخار التي تبقى قبل أن تمتلئ ويعدن إلى القرية مائلات الرؤوس.. ما أندر هذه اللحظات في حياة الإنسان.. الوقت يمضي بملل والقدر يفور ويكرر.. مال بجسمه نحو الشنطة الوحيدة التي تنتظر تحت السرير كالحكوم عليه بالإعدام.. فتحها وربت بيده على الزجاجة الفاخرة..

- لم يحن وقتك بعد يا صغيرتي

يسحب المجلة السينمائية.. اخبار فنية.. ملكات هوليوود شبه العاريات.. عقود بالآف الدولارات.. وراعي البقر القاسي شاهراً مسدسه في حقل القمح المترامي.. تتكسر أعواد النبات الهش القائم بحرف الرادي أبعد المجلة عن وجهه فاصطدمت عيناه بالوجه الباسم.. والجمال الوحشي..

- أنت لوحدك هنا..

- وأنت إلى أين ذاهبة..؟

- أتيت أشاهدك

- يا للجرأة.. أصلح من وضعه وأحمر وجهه
- ولما أنا بالذات.. لم أعرفك من قبل
- لكني أعرفك.. لقد شاهدتك في الخيمة.. و.. ووراء النخلة
ارتفع الدم إلى وجنتيها
- متزوجه؟؟
- لا.. مطلقة
- لماذا؟
- هناك حكاية طويلة
البسمة الطاغية.. وشيء خفي معذب يطل من العيون
- وأنت متزوج..
- لا.. أرمل
- كلانا سوى..
يدير الملعقة في القدر مخففاً من فوران المرق.. يتلفت في كل مكان
- لا يوجد أحد.. أيمكن أن تساعدني؟
- ان كان في امكاني
انكسرت ابتسامتها وأسبلت رموشها الطويلة على عينيها وتسلفت دمة
- تأخذني معك إلى الجبال
- وأهلك.
- أهلي والناس يعذبونني.. يعذبونني كثيراً..
- لا أستطيع أخذك معي حالياً..
تتوسل عيناها.. وتسوط ظميرة دموعها.. ياللّعذاب عندما يتوسل الجمال.
- أوعدني مجرد وعد ان استطعت..
يتردد.. يفكر قليلاً..

- أعدك.. سأعود لأخذك

مسحت دمعها.. شهقت بفرح.. تكسرت العيدان وهرولت مسرعة..
ألقي بالجلّة من يده.. أي أمل هذا الذي أعطاه للمرأة الشابة.. وأي عذاب
يعيش تحت ستار هذا الجمال النادر.. يخيم الحزن على الأعماق يتعكر سطح الماء
وتنوح البلابل.. يدير الملعقة في القدر.. تتعالى الشمس ويقبل رفاقه الثلاثة

- سنرحل غداً يا حسن.. اكملنا العمل..

يهز رأسه ويحتج عوض

- ألم تنفق على قتل الحزن..

- يبدو أنه لن يموت ولو استخدمنا سموم العالم

- لم ذا يا زول؟

- لأن هناك اضافة إليه باستمرار

يلقي سعيد بحزمي القات على السرير

- تعال يا حسن نغتسل.. لا بد أن نشعر بأكبر قدر من النشوة والراحة هذا

اليوم.. أحمل الطباخة يا منصر

يندسان داخل الماء.. في أعماق حشن ترسم البسمة والدموع.. الأمل
والوعد ويتردد صوت متساءلاً.. لما الدموع؟ يتضخم فتردد صخور الوادي
الصدى.. لما الدموع.. الدموع.. ينسحب الماء على جسمه كالدمع النازل على
الوجنات السمراء.. الوعد يدوي في أذنيه.. وشهقة الفرح تحفر عميقاً.. أهكذا
أنت أيها الوادي تلتقي فيك توسلات الخائفات.. أهي بنت الخائفة الأم.. أنت
صامت.. حزين.. تعبر عن ذلك بخبرك الهادئ.. انه لغتك الوحيدة ورموزك
الأزلية التي نادراً ما يفهمها أحد..

الكؤوس تدير رؤوسهم والطعام لذيق وحزمي القات دفعتا بالنشوة إلى
القمة، وشمس الأصيل المرتعشة تعكس الوان الصخور الذهبية على الماء.. عوض

يصلح من وضعه أكثر من مرة فجلسة القات تضايقه.. انه يحلم بنهر عطيرة
وبأغنية سودانية على ضفافه عند الأصيل ويبدو له شكل «الديمقراطية في الميزان»
مضحكاً.. يتحدث منصرف عن الهموم العامة والقضايا الدولية ويعلق سعيد ساخراً
من كل شيء.. تتشعب الأمور في جمجمة حسن.. الأنداء الشابة الراقصة في الحفل
بسرور والعذاب الذي يخفيه الستار القبلي مفارقات محزنة.. ضمير البائس المغلوظ
أكثر نقاء من الشرعي المعترف به.. ينبجس الجرح في الأعماق ترى يمكن لأمه
بتنفيذ الوعد..

- نعم لن يكون إلا ذلك.

أين أنت يا صاحبي

- عند الوعد..

يبتسم سعيد وفي أعماقه قناعة أن الرجل لم يصح بعد.. يدير عوض عينيه في
اللاشيء انه ليس هنا.. وتمضي مياه وادي خائفة دون توقف كأن لا شيء يجري
على ضفافها.. انها لا تعرف من يحلمون ويفكرون بأمل فكل أصدقائها يائسون
يجلهم الخوف ويذرفون الدمع.. انها تحافظ باستماته على طابعها ساخرة من كل
ظرف مؤقت شاذ.. يلف الظلام الوادي والقرى ويجوار الخيمة يدخنون اللفة
بصمت لكل أفكاره المنعزلة.. بينهم مسافات الزمن الرديء الخائف.. يتقلبون على
الأسرة معذيين.. أيتها الحياة القاسية أما لك من نهاية..

تطل شمس الصباح مرتجفة.. يطوون الخيمة والأسرة يلقون بكل شيء داخل
السيارة.. يستقرون عليها ومسافات الزمن الخائف تلقي بعوازلها بين أفكارهم
كالجبال.. تتحرك السيارة تنحدر نحو الوادي وقبل أن تلهث متسلقة الجبل
شاهدها حسن تقف على الرابية تنظر إلى السيارة المغادرة بحزن وبسمة أمل على
وجهها فصرخ نحوها بكل وجدانه..

- سأعود يا خائفة.. سأعود

التهم الوادي الصرخة.. الوعد.. ومضت مياهه صامته نحو الأسفل ومن
منتصف الجبل كانت تُشاهد مسمرة في مكانها ترقب نظراتها السيارة اللاهثة،
وظلها يمتد ورائها مسافة طويلة نحو الأمان.. ومن مسجل السيارة انداح صوت
الأغنية المفضلة..

عد إلى دولو
عد إلى دوريا
لا يهم أن تحبني
دعني أراك
وأشعر من بعيد
بجمال القبلية الأولى..

١١/١/١٩٨٤م..

(١) محمد عبد الرحيم خازم، اليمن الجديد، صنعاء، العدد الأول، السنة الرابعة عشر،
يناير وفبراير ١٩٨٥م، ص ١١٤.

د. محمد عبد القادر بافقيه

مؤرخ يعني معروف، درس تاريخ اليمن القديم، وبرع فيه. وأضاف إلى علمه بالعربية، الإنجليزية، والفرنسية. وقد تقلد الدكتور بافقيه عدة مناصب سياسية ودبلوماسية في حكومة جنوب اليمن.. ولكنه أشهر انضمامه لحزب المنبر الإسلامي، بعد قيام الوحدة اليمنية، في ٢٢ مايو ١٩٩٠م، وأصبح العضو المؤسس الثالث إلى جانب الراحل عمر طرموم، والشاعر فيصل بن شملان، الذي درس، أيضاً، بالسودان.

وقد درس بافقيه، أولاً، في مدرسة غيل باوزير، وكان ممن درّسه هناك الشيخ القدال نفسه. وقد نشط بافقيه من خلال جمعية التلاميذ الأدبية في هذه المدرسة، وبدأت مواهبه في التفتق، في عمر مبكر، سيما في القصة والقصيدة. وقد نشر البافقيه كثيراً من ذكرياته في السودان، في الفترة القليلة الماضية، عبر صحيفة (الأيام) اليمنية.

وفي السودان التحق البافقيه بمدرسة أم درمان الثانوية، عام ١٩٤٥م، ودرس، أيضاً، في مدرسة وادي سيدنا، بعد أن التحق قبل ذلك بمدرسة حنتوب. فدرس على يد كوكبة من المدرسين السودانيين، أمثال الزعيم السوداني الراحل، اسماعيل الأزهري، والشاعر أحمد محمد صالح، والأديب الصحفي عبد الرحمن الأمين، من حزب الأمة السوداني. وعمل، في وقت مبكر، مراسلاً لمجلات (المستقبل)، و(العروبة)، و(النهضة) اليمنيات. وعلى مستوى الحياة الثقافية في السودان، فقد قام بتمثيل مسرحيتين للكاتب الأيرلندي الساخر، برنارد شو، هما: (سان جون)، و(آرمس آند ذي مان). كما رثى هذا الكاتب برثاء، عنوانه (شو

الإنسان والفنان)، ونشرته له مجلة (الشباب) السودانية، بواسطة صديقه منصور خالد، الذي أصبح، فيما بعد، وزيراً لخارجية السودان. كذلك كتب مسرحية بالإنجليزية، اسمها (عقل آخر). وفي مجال القصة، كتب البافقيه قصة جميلة الحبكة، بعنوان (الدقة بالدقة)، عن فاحشة الزنى، ونشرتها له مجلة (السودان الجديد)(١). كذلك نشر قصائده في (المستقبل)، و(الرأي العام) السودانيّين، وفي (المستقبل) العدنية. وتوثقت علاقته هناك بالكثير من السودانيين، مثل البشير النقر.

ومن أشعاره المكتوبة بالسودان:

(١) قصيدة حلمتيشية اسمها (أمة أخلاقها ورق).

(٢) قصيدة حلمتيشية اسمها (غريب كرهك العدسا)، يشكو فيها من

تكرار طبق العدس في سكنه في الداخلية بالسودان.

(٣) قصيدة حلمتيشية اسمها (عشاً أبحث فيك عن إنسان)، خص بها

أصدقائه، حداد عمر كروم، طيب النساء والولادة، آلان، في السودان...

وصديقه عايض باسنيد، والراحل عبد الله عبد الرزاق باذيب، وصديقه الزراعي

يوسف حسن سعيد.

وقبل أن تنتقل إلى نصوصه الشعرية المختارة، نذكر أن البافقيه كان من

مؤسسي اتحاد بعثات جنوب الجزيرة العربية في السودان، عام ١٩٤٦م.. ونذكر

مناقشته للأديب التربوي الدكتور سعيد عبد الخير النوبان، عندما كان طالباً

بالسودان، عبر مجلة (الرسالة التربوية)، حول شبوة والعقلة، وكانت المجلة تصدر في

حضر موت.

وللبافقيه مقطوعة شعرية بعنوان (عجب لقلبي ماله) بالسودان لم أقف

عليها.

سوف أحيا

سوف أحيا لخيالي ولفني
بين أوتاري وأشعاري ولحني
لا أبالي ما يقول الناس عني
فطر الناس على حب التحني
إذا ما أخلف الحب وعودي
لست أبكي إنما يبكيه عودي
أنا لا أغضب إن هو جفاني
فهو في القلب شعور وأمانني
كل شيء رهن وقت ومكان
غير حي فهو حر كالمعاني
وإذا ما أنكر الحب وجودي
فكلانا رغم هذا في الوجود
لا تسليني كيف لا أرجو وصلاً
كيف لا أشكوه إن عز منالاً
ذاك سر لا تطل فيه السؤال
أنا أهواه وإن كان خيالاً
وإذا ما نسي الحب عهدني
كان في الأحلام تجديد العهود

في لقاء الوداع (٢)

* هذه القصيدة نسبت للأديب اليمني الراحل، عبد الله عبد الرزاق باذيب،
بعد وفاته، وقد علقت عليها صحيفة (البعث) السورية.

في ضياء القمر ويقرب النخيل
في سكون السحر والنسيم العليل
جمعتني هنا بالحبيب الجميل
ساعة في الدنا خلقتها لا تزول
ليت هذا الفلك يعتريه الدهول
كي أظل معك في عناق طويل
يا لقاء الوداع كم أرقّت الدموع
إذ عصرت الفؤاد يا لقاء الوداع
حلم كان لي هل تراه يعود
أم تراه انطوى في الزمان وضاع
عشاً إنما نتمنى المحال
ليس بالمتشعر ما طواه القدر
نحن في زورق ليس فيه شراع
سائر بالندفاع في اتجاه النهر
يا سفين الحياة عرّجني لحظة
نستريح بها من عناء السفر

فجيرة (٣)

لو كنت أحيا للحياة لعشت مرتاح الضمير
لكنتي أحيا لغيري خاضعاً مثل الأجير
فأرى الحياة مذلة والعيش كالعبء الكبير
وأنا برغمي سائر لكن إلى أين المسير

إن الطريق لشائك والله أعلم ما المصير
والناس بين منعم أن يدر ما عرف السرور
وكسير قلب لو درى لم تبكه تلك الكسور
فالدهر ليس بثابت لكن مع الدنيا يدور
والمرء حقل تجارب تجري على أيدي الدهور
وتناجها في قلبه ما بين حزن أو جور
عجباً لقلبي ما له قد كاد من جزع يطير
وأنا الذي أيامه أسقينه الكأس المرير
إن الفجعة وقعها في النفس منقطع النظير
الحزن ليس بنافع فيها ولا الدمع الغزير
صيراً فؤادي إنه ما عاش في الدنيا قرير

(١) مجلة (السودان الجديد)، الخرطوم، يونيو ١٩٤٥م.

(٢) مجلة (المستقبل)، عدن، يناير ١٩٤٩م.

(٣) مجلة (المستقبل)، عدن، أغسطس ١٩٥٠م، العدد ٢٠.

د. محمد عبده غانم

هو والد كاتب هذه السطور. شاعر، وبخاتة، وتربوي، يمني عريق، وضع الدواوين والمسرحية الشعرية، واشتغل بالتدريس، جُلَّ عمره، وألف الأطروحات الجامعية، وكتب في اللغة والنقد الأدبي، والجغرافيا، وله إسهام ملحوظ في الأغنية اليمنية، ودور معروف في الحركة الفكرية، والثقافية، والإجتماعية في مدينته، عدن، وسواها من أقطار اليمن، التي عاش فيها.

أول صلته بالسودانيين كانت في كلية الآداب بجامعة بيروت الأمريكية، حيث التقى، كأول طالب يمني بتلك الجامعة، بمجموعة من رجالات السودان، الذين كانوا يدرسون بذات الجامعة، في الثلاثينات، من هذا القرن، أمثال اسماعيل الأزهرى، ويوسف بدري، ونصر الحاج علي، وأحمد المرضي، ومكي شبيكة، وعبد الحليم علي طه، وقاسم أمين، والشاعر السعودي الحضرمي الأصل الأستاذ عبد الله بلخير.

يقول محمد عبده غانم، في قصيدة له بعنوان (فوق السحاب)، نشرها في ديوانه الثاني (موج وصخر)^(١)، متذكراً تلك الأيام الخوالي، حينما سافر مرة إلى السودان، وصادفت الزيارة ذكرى استقلال السودان:

وأمسينا بوادي النيل نصغي إلى أنغام خمرته العذاب
ونلقى عنده قوماً كراماً وإخواناً من العرب العرب
بني السودان جارهم منيع وضيْفهم المحكَّم في الرقباب
وكم فيهم لنا خل وفي نبيل النفس سمح كالرباب
يذكّرنا بعهد قد تولى بآثواب الشباب بالشباب

بيروت الجميلة حيث كنا رفاق العلم ندأب في الطلاب
لكم سر الفؤاد بأن تكونوا وفي أيديكم فصل الخطاب
فسيروا في طريق المجد قدماً وإن حفت بمحتشد الصعاب

وتكررت زيارات غانم الأب للسودان، بسبب العلاقة الوثيقة بين نظام
التربية والتعليم في البلدين، وهو ما تطرقنا له في الفصل الثالث من السفر.

وفي عام ١٩٧٤م، كان الدكتور غانم الأب قد غادر وكره الحبيب إلى
نفسه، في عدن، وبدأ يطلب الشفاء من داء عضال ألم به، في مطلع السبعينات،
وكان يتنقل بين بيروت وجبوتي ولندن، فوصله عرض من العلامة السوداني
البروفسور، عبد الله الطيب، الذي كان مديراً لجامعة الخرطوم، في تلك الفترة،
للعمل كاستاذ دكتور بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الخرطوم، فقبل
الدعوة، ومضى إلى الخرطوم، ومعه شريكة حياته، السيدة منيرة محمد علي لقمان،
وابنه الأصغر نزار. فقضى ثلاثة أعوام بهذه الوظيفة، ما بين ١٩٧٤م و١٩٧٧م،
وتوسعت علاقته بالسودان كثيراً، وكتب الكثير من الشعر في الخرطوم أولاً، ثم
حينئذٍ إليها، فيما بعد. وفي قصيدته (على ملتقى النيلين)، التي نشرها في ديوانه
الخامس (في المركبة) (٢)، وكتبها عام ١٩٧٤م، عند ملتقى النيلين الأزرق العنيف
والأبيض الهادي، وهما يتحدان لينهضا برحلة الخلود صوب الشمال يقول:

على ملتقى النيلين هذا قد ازرقا وهذا قد ابيضت صحيفته عتقا
تدفق وادي النيل نهراً مرجباً به وحد السودان ما كان منشقا
فعاد الذي كان في الشرق مغرباً وما كان في غرب البلاد غدا شرقا
وأهوى على جيد الجنوب يضمه حناناً شمال القطر في وحدة وثقى
فيا ملتقى النيلين بوركت ملتقى وطاب لمن يلقي لديك الذي يلقي
وحبيت من واد ذكرنا به الصبا فطرننا له شوقاً وهمنا به عشقا
يقال لنا أهلاً وسهلاً ومرحباً فنعرف في القول الصراحة والصدقا

وفي قصيدته (الأعياد الثلاثة)، يحبي صديقه، البروفسور عبد الله الطيب:

وإذا الطيب المبجل عبد الله يزداد في المعالي صعوداً
وينادي به على الملأ الأستاذ علماً ما أن يطيق حدوداً

وفي قصيدته (يا ليتني)، يقدم لها فيقول إلى عدن الحبيبة الماثلة في القلب،

أبدأ:

يا ليتني أنسى بأنني هنا في لوعتي عاشقك الأكبر
لكن لي في كل حين روى يخفق فيها وجهك الأسمر

أما في قصيدته (وداع الملتقى)، فيودع الخرطوم، متذكراً زملاءه في هيئة

التدريس الجامعية:

ملتقى النيلين من بعدك قد ضاع سبيلي
أتراني راحلاً عنك إلى خير يديل
لست أدري لكن الأوطان أولى بالنزول
وبصنعاء من الأغراء ما يروي غليلي
ملتقى النيلين هل بعد التلاقي من مثيل
فلقد عشت وحوالي فيك في البذل المنيل
من كريم الصحب ما طوّق عنقي بالجميل
من كفتحي والفتى الريح في الخير الجزيل
أو صلاح الدين والوائق والخير الجليل
أو كعز الدين أو يوسف ذي الفضل الفضيل
ولو أنصفت ما أغفلت ذكراً لرميلي

حاضراً أو غائباً عن ظاهري لا عن دخلي
سيما الطيب عبد الله ذي الباع الطويل
ملتقى النين قد كنت إلى الخير دليلاً
ملتقى النيلين ما زلت على العهد الأصيل
ولقد خلفت للعهد على الشط سيلي
يرد الحوض ليسقى من نهر سلسيل
واثقاً أن سوف يحظى كأيّيه بالجزيل

ومن ذلك اليوم، أصبح الهيام بالسودان لدى كاتب هذه السطور يدخل في
طاعة الوالدين!!!

وتضمن ديوان (في المركبة) معظم قصائد الشاعر المكتوبة في السودان، مثل
(في سوق عكاظ)، التي كانت شعاراً لأسبوع عكاظ الأدبي بالجامعة، إضافة إلى
قصائد أخرى لم تنشر في الديوان، منها (عيد على النيل)، و(سوبا)، المهداة
للتطاسي السوداني الراحل، البروفسور عمر بليل، الذي أجرى عملية جراحية
للشاعر. كذلك قصيدة (وداع)، المهداة للدبلوماسي اليمني بالخرطوم، عبد الله
المساجدي:

وشاءت لنا السودان يوماً لقاءنا فكانت بجمع الشمل خيراً من الوطن
وكم لبني السودان سبق إلى العلا وفضل على أبناء تبع ذي يزن
فيا ملتقى النيلين بورك خضرة وبورك فيك الماء والمطلع الحسن
وما مثل عبد الله في القوم ماجد تواضع حتى استغرب المجيد وافتتن
ولو علم المجد الأصيل مكانه لأدرك أن المجد في السر لا العلن

ثم يعود غانم الأب إلى صنعاء، ويظل على حرارة عاطفته للسودان، ففي قصيدته (الثرى النابض):

وأتى المهاجر من ضفاف النيل حيث الود محضا
ورحابة السودان في الأخلاق والأذواق أيضا
لولا الولاء لكان شط النيل أولى منك ريبضا
لكنها صنعاء نادت فاستجاب لها وأمضى
وغدا يشم كرومها ويذيتها لثماً وعضا
ويطوف فيها بالمفاتن بعضها قد فاق بعضا

ثم يجيء ديوانه السادس (الموجة السادسة) (٣)، ليواصل رحلة الحنين إلى ملتقى النيلين، كما في قصيدته (في السبعين):

وأخيراً وافت السبعون من أيام عمري
بين بيروت وشط التمز شهراً تلو شهر
مدنف يطلب برءاً من أذى داء وضر
واستقر الشوط في السودان في خفض ويسر
في ضفاف النيل والأزرق في الأبيض يجري
حيث أم درمان والخرطوم بحري وبري
حيث للمقرن نهر لاب مشدوها بنهر
ملتقى النيلين أكرم باللقا طيباً وأحر
أي عيب في الفتى أن يخلط البيض بسمر
أن يجد في (الثوب) (كالشرف) ما يسي ويغري
يتهادى وهو والصندل في طي ونشر
حيث للعلم شعاع فاض في بر وبحر

حيث مازال (نزار) وهو في بحث وذكر
دائماً يسعى إلى الغاية في كد وصبر
يطلب الطب الذي يقضي على الداء ويسيري
وإذا أنهكه البحث وأضناه التـجـري
كان في العود له خير ملاذ ومفر
يجمع اللحن كما يهوى إلى اللحن الأغـر
ويفني بأغاني الحب في أجمل نـبر
بالملاء الأبيض الناصع قد جـال بخـصر

وقد استثمر الشاعر وجوده في الخرطوم؛ فوثق صلاته بأدباء كمحمد مهدي الجذوب، ومحمد عثمان ياسين، ومحمد أحمد المحجوب، وتاج السر الحسن. وكان للدكتور الأديب محمد يحيى الشرفي دور كبير في توثيق علاقاته هذه بأدباء السودان، فكان أن شهد منزل غانم الأب في الخرطوم أمسيات أدبية فنية، وفي الوقت نفسه كان للدكتور الشرفي دور عظيم في تعريف السودانيـين بمنزلة غانم الأب الأدبية، حتى أنه كان يحفظ شعره، ويلقيه، عن ظهر قلب، وموهبة الحفظ للشعر عند الشرفي أحد أجمل صفاته الأدبية. وهكذا تعرف غانم الأب على الندوات الأدبية بأمر درمان، مثل ندوة عبد الله حامد الأمين، وندوة مبارك المغربي. كذلك طبعت دار النشر بجامعة الخرطوم مسرحيتين شعريتين للدكتور غانم الأب، هما: (الملكة أروى)؛ و(عامر بن عبد الوهاب)، أهداهما إلى صديق عمره، البروفسور عبد الله الطيب، وأخرج القاص السوداني، الطيب صالح أحدهما. وقد كتب غانم، خلال بقائه بالخرطوم، مقدمة لمسرحية (ريش النعام)، للدكتور خالد المبارك، جاء فيها: (وأخيراً فليطمئن الدكتور خالد بأن الذي نتج عن اختلاط النهرين، الأبيض الحادي بالأخضر العنيف، كان الفضائل المشتركة، والجمال

المزدوج؟ فقد كنا نظن أن بشاراً، وابن الرومي، والشريف الرضوي لم يتركوا مزيداً
لقائل في الجمال الأسود، حتى جاء الدكتور خالد، ليقول لنا، على لسان ياسر
«من يتزوج من نساء السودان لا يذكر غيرهن»!

وختاماً، فهذه أبيات من قصيدة قالها غانم الأب في كارثة السيول
والفيضانات، التي اجتاحت السودان، عام ١٩٨٨م:

كم ذهلتنا خرطوم للنبا المشموم لما أطار منا الصوابا
ابن سود العيون كم سحرتنا وعرفنا منها الهوى والشبابا؟
أين سمر السيقان يعزفن على القاع باينوسها اللحن العجابا؟
ما دها النيل يستبد بخرطومه وبالمقرن النبيل رحابا؟
لو بكيناك بالدموع إلى أن جفت الموق لم تحرنا جوابا
لو نوفي المصاب خرطوم ما في النفس من حرقة لزد التهاوبا
لو نواسيك بالمتين وبآلاف لم نقض حقك المستجابا

وجدير بالذكر أن الجماهير اليمنية قد تدافعت للترع بالمال لضحايا
الفيضانات بالسودان، في ذلك الوقت.

(١) محمد عبد غانم، موج وصخر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.

(٢) محمد عبد غانم، في المركبة، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م.

(٣) محمد عبده غانم، الموجة السادسة، دار آزال، بيروت، ١٩٨٥م.

د. محمد عثمان حسن الجرتلي

طبيب، وشاعر، وموسيقي سوداني. تتحدث عنه كتابات وأشعار الشاعر اليمني الراحل، لطفي جعفر أمان (ت ١٩٧١م) بأنه كان من أقرب الناس إلى قلب هذا الشاعر اليمني الكبير، خلال سني دراسته بالسودان. ولعل من الدلائل على قوة هذه الصداقة الروحية والأدبية أن لطفي كان دائم التردد على الجرتلي، بعد مغادرته للسودان، وكذلك كان الجرتلي دائماً ما يزور عدن، للقاء بلطفي. وفي إحدى زيارات الجرتلي لعدن، وبمناسبة ليلة الميلاد لعام ١٩٥٤م، كتب الجرتلي قصيدته (غريب)، متوفي منذ سنوات:

الكون يرح في هناء والناس آمالاً وضاء
والحانة الحمراء تزخر بالرجال وبالنساء
في ليلة الميلاد سحر وانطلاق وانتشاء
لكن هذا الحسن يا قلبي لمن وهب البقاء
ما للغريب سوى الحسرات تزخر بالشقاء
في ليلة الميلاد في هذا المكان الزاخر
وهنا النهود على الصدور تدير رأس الشاعر
وهنا الشفاة على الشفاة لساحر ممن ساحر
وحدي الغريب بحانة الأفراح أبكي حاضري
كبقية الأثم المعذب في الضمير الطاهر
يا قلب لا تأسى فلذا شأن الغريب
والحانة الحمراء ملأى بالرفيق وبالحنين

هم في ديارهم ونحن هنا بقايا من ذنوب
هذي المدينة بالحياة تضج في صخب مهيب
دنياك قد خلقتها في مهدك اللدن الرطيب
يا قلب لا تأسى غداً تلقى أمانيك الملاح
بالطائر الميمون عبر اليم في متن الرياح
وغداً تعود إلى مغاني الأنس في تلك البطاح
لا تبغى الحسن الحرام هنالك الحسن المباح
يا قلب لا تبك الجراح غداً ستندمل الجراح

عدن / ٢٤ ديسمبر ١٩٥٤م

محمد علي الخوربي

شاعر وقاص شاب من اليمن. درس بالسودان ومصر، ونهل علوم الهندسة هناك. يحمل ديوانه، الذي يوشك على الصدور، وكذلك مجموعته القصصية الأولى، عدداً من التجارب التي عاشها في غربته عن اليمن، وهذه بعض النماذج:

بلقيس تراءت كثناناً لم ترحل

كانت بعض طيور النورس والعقبان

تتجمع في الأفق دوائر مضطربة

السقف سماء

والأرض تراقص فيها المد عباب

كانت صيحات الطير تؤكد أن هناك إياب

كانت أجنحة الطير ترفرف صوتاً يرفل

في أروقة الكشح يصفق

يوحي أن هنالك فرحة

فالقادم ليس خيال

ما كان القادم يا اخوان سراب

بلقيس عادت

بلقيس تراءت كثناناً لن ترحل

النيل

يا بنت ذاك العبقري مسافر من دونما صحب ولا ندماء

يطوي الفيافي ساحباً في طيه أشلاءه مزقاً كما أشلائي
هذه الربوع يمر ليس مبلغاً فيها التحايا مجزلاً بعطاء
يروى بنشوته الشموس وتستقي منه النفوس وفي ظمأ أحشائي
متعفر متخفر بالنور في صلف به من دونما استحياء
متمنطق حزم الضياء يزينه لألاً ما يديه من خيلاء
جدلان أقبل كالوليد بشاشة لكن فيه تغطرس الحسناء
سكران أقبل موعلاً في غيه ومضمخ بسلافة الأهواء
متأرجح ما بين هرولة له مدوية أو زاحف بطاء
يسقي ويروي باندفاع ما به كلل لفيض تليفق ورواء
هتك الدجى فاستل منه كآبة سكنت بغمد سريرة سراء
جرار أذيال الرخاء وياله قلق تكنفه جلال رخاء
يا ابن الكنانة أي وهج قد حوت أردانك الحسرى وأي ضياء
يا صاحب الأعطاف جنتك شاكياً هذي المناحة فيك بعض شكائي
يانيل هل أبكيك دمعي ساخناً ما الدمع لو نطق الغراب دوائي
في ضفتيك محارق لمشاعلي ومناحر لقرعري ونغائي

كنت إلا اندثار

وأشعر أني غريب الأمانى غريب الموانى أسير الغير
وأشعر أني لغير الزمان لغير المكان بلا مستقر

أغنية

باللهجة السودانية

أنا ما بيدل بيهواك عمر الزمن عمر الأزل

أنا ما بعيش يوماً بلاك أنت الحياة وأنت الأمل
أنا يا حبيبي لو نسيت والله ما بنسأك دقيقة
أو حتى لو يوماً جفيت أنا ما بصدق دي الحقيقة

نوتى ومخلدة المال (١)

لمن اغترب أهلاً بك عوداً....

استلقى على ظهره، وداعبته شاعرية المكان، واستطابت له أريجته، فأوثق
شابكاً ما بين مشطي كفيه خلف رأسه، ونظراته المستطلعة مدروزة على ما
يتهادى وينبجس. تأسره متناوبة عليه انتباهة النعسان، والتفاته غير الآبه بين كل
حين.. ثم وان سحر الذكرى، وترجيعات الصبا، ورقرات أصداء اليفاعة كلها
كانت تستجيب لتلك الطبيعة الساحرة، في أغلب الأحيان.

قام بانتباهته يخاطب أحد المغنين الذي ما فتيء يتنقل هنا وهناك بين أغصان
الخميلة، بفوضوية لا يدرك كنه وقعها إلا الناظر إلى جمال الأشياء، دوغماً إدراج لها
تحت طائلة أسرها لنظام أو احتوائها في ترتيب مستسقاً صوتاً كأنما هو نجوى
لصديق، راحت تتفرق اثر نفحة لانسام أو لفحة من شمال. بدافع حنينه إلى مراتع
(أزال)، ومتنجات التاريخ في قباب مساجدها، وحماماتها.. قال للمغني يخاطب
فيه تحليقه.. ليتني كنت مثلك.

لم يجبه المغني، لكنه تقافز، كالملتاع، من على ذؤابة أحد الأماليد، وظل
الغصن يتمايل في طرب ونشوة، كفت عنها أعطافه الرخوة، وارتباك وريقاته، في
سلاسة ورقة، واعتلى المغني بجناحيه الرفرايين يطوي طبقات الجحوظ، ويخترق
مختاراً موطناً له بين أغصان تميزت كل عن الأخرى تدعوه آمناً، ومقيماً، ومنشداً.
وظلت الخميلة تنفت بظلمها فوق القابع، واستقر المغني الصغير في أحشائها وأقام له
موطناً، يبوح منه ألحانه، وخبائاه... عندها أحابه، أرسلها المغني زقزقة، أروت في

القابع تحت الحميلة ظمأ المتفرد وجوع الشارد بنفسه، وهمومه، يبحث عن أنيس
تواري، وغيبته الوهاد والشواسع، وأوردت له تلك الرزقة شهيقاً مفعماً بشذى
الوارفات. كان قبلها يزفرها زفرة، أطارت بلفحها ذلك العصفور عن غصنه، وعن
هدأته. كان النهر ينساب كالسافر في عدالته، وكان قد تعفر ماؤه بغليان الطمي..
وظل يترقبه، وعاجلته فكرة أن يخاطب فيه سعيه الدؤوب، ورجفة المرايا فوق
سطحه، ولعلعة الضياء الذي أقبل من أقاص، ليعكس على صفحات الماء رسالة
السماء.

خاطب فيه طية الأرض، في عجالة. يعني نفسه بلحظة الرحيل، يقتنصها على
صهوته. قال له: ليتني كنت مثلك. كان صوت النهر كالوعيد وسواقيه، التي
انتشرت في جوانبه كبصمات المعتدي أو لمسات الجاني. والقابض بتجنیه على
مملكة اليابسة المنحسرة تحت هول سطوته يقبض بعنف ورقة، يتبادلها، فيتفقا في
ذلك مداً وجزراً، ويتدثران تحت معنى العطاء والقبض عنه. أجابت السواقي
للقابع: ما أشبهنا بك كل تفرقع، فافرنقع. سمعها، وتصدى لها، يسأل الأب
والأصل. أجابه النهر: مثل بناتي أنت، ها أنذا قابع في مداري.. وها هن أفلتن
مني.

حينها رأى السواقي، وقد تفرق بهن المآل المشتت، وقد نضبت فيهن
انسيابة الماء ررقاً ورائقاً، واصطفت طفيليات النبات الضامر، تلقي عن حناياهن
نعوتاً كانت تثري المنظر الجميل، في سحناتهن، والطلاقة الحسنة في حواشيهن قبل
الجفاف، الذي تبدى من عصيانهن، وتلفعهن بالتفرد والإنعزالية. أطبق الوهن على
جريان مائهن، وقد انفصلن عن الأخدود المائل فيه انحراف عبابه، وأحس بها
وحيدة، تقمصت عنه وحدته، ولم تحمل عنه همومها وتبكياتها له، فأجفل عن أن
يناجيها، عله يجد في غيرها العزاء، والتأسي، وأحس أن في غربتها تلك ما يتمثل له
من أن أصبح تمخض عن سبابة تشير إليه معرشة على رأسه وطأة اتهام وثقل وزر

للمذب يتصل عن ذنبه، الذي ما يلاحق فيه هروبه فأشاح بوجهه عنها. كانت لغة النهر هديراً وصوت الموج الذي لا يستقر على ترجيعة واحدة يتردد كبوح قيثار، فيرتج له ويثار، وظلت عيناه تسابقان لوناً من ألوان الطيف، الذي امتطى ظهر موجة، وهروول بها، وهروولت به، حتى غدا غابا عند منحى الأفق، تبدى لوناً آخر على ظهر موجة أخرى، وهكذا دواليك حتى انتهى له في ترائيه قوس قزح، مكتملاً إلى سطور صفحة الماء لدى اكتمال حيرته، والوصول بها إلى قفلة استشعر بعدها ملل التكرار والتوالي. فاستدار بناظره نحو الضفة الأخرى.

انكفاً يقيس المسافة بعينييه وحلمه.. رأى أسراب الطيور، على تلك الضفة، تتقاذف هرباً منه، أو من وحشة تفرده، الذي ينعكس فيها ييارق، أن تبقى على اجتماع وفي ألفة يحتضنها موطن، ومرتع، وانفضت تلك التجمعات البيضاء من الطيور المتألفة، تنفرط مثل حبات عقد على أرض ملساء، وأبرقت تهادى فرادى، وارتدت تترجم له التضاد، والتنافر، واللا اتفاق، بين تكتلها زمراً، وانشقاقه فرداً وواحداً، ولكي يعي منها تلك العظة، فلقد حلفت قليلاً، ثم عادت تتجمع، على بعد غير بعيد، مرة أخرى وراحت تداعب استباق الماء، ودغدغة الأسماك والحجار والحجارة، في توليفة جماعية. باشر يرى نفسه بعيني حلمه، وهو يطوف بين القوم الذين انشغلوا عنه في تلك الجزيرة الصغيرة، بترقيع شبك الصيد، وترميم القوارب.. ألقى بالتحية، فأجابه زميل راح ينخر في لوحة الخشب، لينصب عضواً منسجماً في جسد القارب الكبير. عاد مرة أخرى، وألقى بالتحية، فلم يجبه البشر؛ كانوا منكبين، وقفزت تحيته الشكلي، لتغوص نادبة، ويلتهمها النهر الجاري في أحشاء خريرة، ثم ما لبث أن أجابه بزخات إفاخته من رحلته الوهمية إلى الضفة الأخرى. وإذا بالزخات تتكور، لتلفحه في صلابة الثمار التي ألقته الخميطة، إثر نزق لطائر، قام يعبث في أنحائها، ويتمرد، فاستفاق من صفعة الواقع.

(توتى) الجزيرة التي تركها، قبل قليل، بعيني حلمه، يعلمونك القوم معنى التعاضد، والإتفاق، والإرتباط، لم يفرطوا يوماً في شبر منها، ظلوا على الدوام في انتظار قدوم النيل في مواسم إقباله المثمر واضطرابه المدمر، ولهفته، وتوحشة، مشتاقاً إليهم. دأبوا يروضونه ويودعونه دائماً بهامات السنابل وزهرات أشجار الفاكهة، والخضروات، ونيرة الفولاذ في ثناياها، وأسمائه التي تنضج بالفوسفور، ويحيونه بفورة الجينات في أعماق التربة الطميية الخصبة، تعلن لهم عن فرحة المواسم المقبلة، وتنبئ عن وعد المحصول يتفتق بالوفرة.

وفي مرة، وعندما غضب النيلان عند التلاقي (الأبيض والأزرق)، وزجرا، ثم دمرا بخيراتهما الكيزان والمزاهر لم يقف لنجدتهم ذلك المحتل بل تقدم للنجدة شباب البلاد مشمرين، وأعانوهم على الكارثة، فأنشدوا فيهم:

عجبوني الليلة جـوا

تـرسوا البحر صلوه

عجبوني ولاد الرحمن

ملصوا البدل والقمصان

تـرسوا البحر خرسان

قال لهم، ذات يوم، أحد المحتلين الإنجليز: نرغب في بناء معقل هنا، وتأسيس مقام لكبار الدولة في أفيائكم.

لم يرتضوها من محتل فهاجوا، واستشاطوا، تكتلوا مسيرة، ومشوا على سلطان البيض، يقيمون عليه الشاهد. تراجع الغاصب، ففرقوا، وعدلوا، واستكانوا، بعد أن مات لهم واحد. دفنوا الشهيد، ومعه دفنوا آمال المستعمر، ثم بعدها غادرهم منكسراً، فكان الفاتح من يناير ١٩٥٦ م.

تحت أقدام الخميصة، قام ينطلق في حلم آخر مرة أخرى. ارتنخى بالجوارح، أكثر من ذي قبل، وتوسد ساعده، ومال على جانبه الأيسر في إغفاءة طويلة، يدغدغه ابن جنيبه، وكأنه يشكوه ثقل وزنه عليه... ثم ان كان الحلم فكان الرحيل. عاد إلى مراتع اليفاعة، وقوض ذلك الفقر المحيط بغنى ذوي القربى، والأهل، وأمعن في ضم الخواصر، وتقييل الوجنات، والهلمات، وأفرغ فيها السلام، واللهفة، ودمعات المكثب بغصته، لنأيه، واغترابه، وأحس بصخب الاستقبال، وجلجلة المرحبين، باطلاته، بعد غياب، وعائق (نقم)، ومشى في سهل تهامة. في رقدته تحت الظل، يستكين لحلمه المسافر، وكان أن ترعرش، واختلجت به أعماقه، إثر قبلة من عزيز، بثه فيها الشكوى والملام... كانت أم الأطفال، ولحظة اللقاء، بعد غيبة، ثم اندثر في إغفائه، واستظل، وسافر في ظهر الحلم، من جديد. قال له أحد أطفاله: لم تكن ندرك أنك سوف تعود إلينا، يوماً... يا له دهر. جذبه إليه، وانكب عليه، مقبلاً، ومعزراً بدمعه الذي نرف... خد الصبي الدافئ، وامتشقته زفرة حرى.

قال للصبي: إنها نهاية المطاف يا بني.

صاح الطفل فرحاً ومهلاً، وتفرقوا من حوله جميعاً، وطافوا بالخبر، وطارت بهم فرحة، قالوا لمن صادفهم: إنه جناح الرحمة، عاد إلينا، وهو الطفل الذي ليس من بعده صهد، أو لفح... ليين. قالت له أم الأطفال: لم يكن ترتيبيهم منسجماً، وستبقى تلك الفجوة بين أعمارهم، وعمر من سيليهم وصمة غيابك عنهم. ولتعلم أنهم، وعلى الدوام، يشبكون مع أندادهم، ويتمردون، وإن كانوا كذلك فإنه الشعور بغياب أحد الطرفين، وانكسار أحد الجناحين، واختلال إحدى كفتي الميزان، وإن تحصيلهم العلمي يتعثر، وإنهم، وإنني، وإنك و... و... و... صاحب بها، ليسدل نهاية على شكات لسانها، وطعنات تقريعها. لكنها أردفت: كان البركان عاصفاً هنا، وفي غيابك، وأنهار دماء الشهداء لم تزل تنضج

بها الميادين، والباحات، والقمم، وما كان صوت (الزيري) وثورة رفاقه إلا شعاع
انبلاج يومنا هذا... لكن لم يزل على عاتقك عبء المهمة، وعليك بالمعول
والقلم، ولتعلم أننا نظل في قتامة الصراع جرحى، حتى نسكب من جراحنا دم
الإيثار، والتفاني، فيضحك بنا الوطن ملء شذقيه. ترغمت بيت من الشعر للزيري:

نمر على شفرات السيوف ونأتي المنية من بابها

قال لها: الآن لن أجد المنية، فداء لهذا التراب، وهي لم تمنحني ذلك الشرف.
ارتج به جسمه الجاثم، وهاج بالأغصان سباق الحفيف، وعاد بصوته للحميلة، ولد
(توتي). وحين عاد إلى أرض (بلقيس)، حمل معه الشوق، وودع (المقرن)،
وقفزات (الهدندوة)، في شرق البلاد. ولم ينس، وهو يجمع ما تبقى له من إهاب،
أن يحمل معه، في رحلة العودة، ذلك الجلباب المتميز بشخصيته وانفرادته بجيبه
الكبيرين من الخلف والأمام، وودع (محمد أحمد)، وجدل من عمامته الطويلة طوق
الوصال والتواصل، نشر من أبيضاضها ضوء الياسمين، أبيضاً، يقفاً، كرمز التلاقي
الصافي ومن على البعد، واستنشق من أرض الجنتين عبق الدفء والتلفع، وارتمى
بين ذراعي (آزال)... وقال في نفسه: إنها مخدة المآل.

صنعاء / ٣٠ مايو ١٩٨٩م

(١) توتي: جزيرة سودانية، عند التقاء النيلين. نشرت القصة بصحيفة (الثورة) بصنعاء،

بتاريخ ١٩/٧/١٩٨٩م.

محمد علي عثمان

شاعر سوداني، اشتغل بالتدريس، في شمال اليمن، وما زال. وكان له اسهام مشهود في كتابة النصوص للأطفال، في برامج التلفزيون والإذاعة في صنعاء. من نماذجه:

رحلتي إلى صنعاء

أين وادي النيل مني ها أنا وحدي أغشي
فالضفاف الخضرة طيف لم يعد يشتاق ظني
أيها النسر اثناء أنت معهود التشني
هل تأنيت قليلاً إنما الخير التآني
فبنات الغيم تهمني كلما يمتاح قلبي
بين صنعاء وبين غيمها جاءت بمن
هذه صنعاء لاحت لوحة من كل فن
أودعت بلقيس فيها رونقاً من كل حسن
كل ما في الكون يهنا إنما صنعاء تهني
أيها النسر إتماماً حظ بي يا نسر دعني
حظ بي يا نسر واصغ إنني إياك أعني
ما لهذا القلب يهفو مثلما من يمن
والسماء بنا امتداد تزدري فكري وعيني
أين وادي النيل مني ها أنا أغمض جفني
ثم أصحو في بلاد خصها الله بصون
فالسحاب السمع يعطي والجبال تقول زدني

والعيون لها انسياب بين أعتاب وبن
أين وادي النيل مني أين أيامي وخذني
كلنا في كل واد والهوى من غير كون

سألني عن الشيء المباح

سألني عن الشيء المباح
لا تسأل الأنجم ضوءاً في الصباح
عيناى من ماء وطن
وسألني عرق تفرع من معين
اسمي انظر إذا ما شئت اسمي
في خيوط النور أبان الشفق
وادلق مدادك في الورق
سيطل برق
ويحق حق
الخاتم المنسي من بلقيس ثغري
وورثت من نيران حاتم موقدي وصنعت حمري
آتاك أمري يا بنت من سادوا زماناً وأنقضوا
النصر في عينيك مات تيقظي
الدرب دربك فاقدمي
والخيل خيلك فاهجمي
سأكون جنحك للورى
روحاً وفجراً أخضرا
يا بنت (معجمنا المحيط) تكلمي
فالجب يركض في دمي

الشمس تشرق فيك يا صنعاء من دون اتجاه
فا لله صاغك للجمال وفيك يبلغ متهاه

شكراً لكم

غن هزار الشعر وأرسل دمتين
صنعاء للخرطوم جسر من حنين
أرض الرجال السمر ذاقت نكبتين
أودى الجفاف زروعها واليوم أين
الأزرق اللفأق أرسل مده
والأبيض الميمون جاوز حده
والضد من عجب بين ضده
والأمر من ربي أملك رده
كم بيننا عشتم وعشنا بينكم
لم نقض ديناً قد قضيتم دينكم
ما بيننا دين ونأبى هوئكم
يوم الكريهة قد لقينا عونكم
أبشر علينا نحن حفاظ الجميل
فلئن شددت بأزرنا ضد السيول
ما نحن من ينسى الصداقة أو يميل
سنظل نرعى العهد جيلاً بعد جيل

مأرب

* من قصيدة مشتركة، للشاعر مع الشاعر السوداني المقيم باليمن، أبو تلة

الحسن:

أرأيت مأرب أم ذكرت النيل فغدوت مكلوم الفواد عليلا
أم شاقك الموج المصفق فرحة فكأنما الخرطوم تبعد ميلا

رسالة إلى أبي تلة الحسن

إن لم يكن للشعرييت يا صديق فما يكون؟
إن لم يكن للحب صوت يا صديق فما يكون؟
إنشيء قصيدك حيث شئت وثق بعادية السنين
لكنما بلقيس تصباً في الهوى
وأخاف أن.. وأخاف أن يأتيك من سبأ الهوى
(خبر يقين)
عدني بأنك إن عشقت تظل تجري في عروق الأمهات
والقلب فيك يظل يخفق بالحياة
بلقيس ذاكرة الغناء
فالنبيل يروي لحنه الأبدي يجزل بالعطاء
والنيل أصلاً ليس ماء
«بلقيس كانت يا صديق فأنت كن»
اعشق وحن
اعشق فإنك إن عشقت فسوف تسأل أنت من؟
رمل التلال يقول لا
نخل الشمال يقول لن

أدري بأن الحب فن.. اي فن
إن لم يجد في الأرض مسعى
سوف يعرج بالنفوس يظل يرقى
كلنا في الحب غرقى
غير أن وغير أن
إن هذا الحب نيل وهو أرض وسما ووطن
بلقيس سيدة النساء
سمها تاجوج وأنظر في المدى
هل يستقر
من يبدل العشاق يوماً في الهوى سرّاً بسر
سمها أم درمان وأنظر في الأفق
من يبدل العشاق يوماً في الهوى عشقاً بعشق
قلبي معك لكنما من يوم أن أحبيت هذا الحب
قلبي ودحك
النيل مشتاق وبلقيس العنيدة لا تحيب
عهدي بصوت النيل مسموع لنا
ويزين سمع الكون صمتا
كلما ألقى نشيداً أو رنا
«أنت سوداني وسوداني أنا»
غنها إن شئت ليلا
غنها إن شئت صبحاً للدنا
والمرء قد.. لكنما هيهات ينسى الموطنا
بلقيس واجدة وهذا الحب واحد

فالنيل نبع للحن العائدات وكل عائد
من دون ماء الأرض ربي مصطفىه
كم غابت الأعمار فيه
ثم عادت تجمع الشطين حبا
فيصير العذب مرا
ويصير النيل عذبا
نقل فؤادك حيث شئت
أرضاً فأرضاً
فالحب مذ خلق الورى قد كان فرضاً
بلقيس ترحل يا صديق
ونيلنا اللفاق باق
يغمر الأكوان فيضا
اعشق فإنك إن عشقت تضيع أشياء كثيرة
لون الغروب ورنه (الطمبور) و(التويا)
ورائحة الضفيرة

صنعاء / يونيو ١٩٩٣م

محمد الفتيح

شاعر يمني، من تعز، يكتب بالفصحى، وله بالعامية أغان معروفة عند أهل الطرب. كتب للسودان عدة قصائد، نشرت واحدة منها بعنوان (موال لأم درمان)^(١)، بمناسبة زيارة وفد أدبي سوداني لمدينة تعز، سنة ١٩٧٦م، بدعوة من الشاعر اليمني الراحل، عبد الله حمران. لم أتمكن من الوقوف على قصائده الأخرى في السودان، لتعذر المراسلة المستمرة بيننا:

موال لأم درمان

يا أم درمان على صنعاء شعرك تدفق
يعيد لآهاتنا زمن جرير والفـرزـدق
والنيل بأسماعنا جرس مقفى مموسق
وأسقانا أحلى الكؤوس من النبيذ المعتق
أدارها الماهرون من الأبيض والأزرق
وشاهدوا شعبنا بالنفط كيف يحرق
ومن رماد الحريق كيف من جديد يخلق
على القيم قدرياً ما غيرها يعيشق
ولا قبل مرتزق ولا تدنى لأحمق
يا أم درمان لكن فين زهور (جيلي)^(٢)
و(عاشق إفريقيا) حامل هموم جيلي^(٣)
لا تعني من سؤالاتي أنا مش فضولي

أنا بحبك وتشهد لي مواويلي
وأردد عدد خيوط مناديلسي^(٤)

(١) الجمهورية (نغز) عدد ٢٩-٦-١٩٧٦م.

(٢) اشارة إلى الشاعر السوداني الراحل، الدكتور جيلي عبد الرحمن.

(٣) اشارة إلى الشاعر السوداني، محمد مفتاح الفيتوري.

(٤) اشارة إلى أغنية سودانية معروفة، أظنها للفنان محمد وردي.

د. محمد يحيى حسين الشرفي

سياسي محنك، وأديب عالم، وطبيب نهل من علوم الأمراض النفسية، ونال فيها درجات الاختصاص. وهو، اليوم، عضو منتخب في مجلس النواب اليمني.

هو ابن شيخ اليمانية، في ودمدني، بوسط السودان، المرحوم يحيى حسين الشرفي. نبغ في عمر مبكر، في مراحل الدراسة قبل الجامعية.. ثم حضر للخرطوم، للدراسة بكلية الطب بجامعة، وكان له فيها نشاط ثقافي وأكاديمي مشهود؛ فأسس أول جمعية للصحة النفسية في جامعة الخرطوم، واتصل بأفذاذ الفكر والمعرفة في السودان، وحظي بصداقة عدد من الساسة اليمنيين، الذين كانت لهم بوالده صلات الود. وجمع، إلى ذلك كله، صلات الرحم بالسودان فهو من أم سودانية.

بدأ حياته الشعرية متيماً بشعر صديقه وصديق والده الشاعر اليمني الراحل، عبد الله حمود حمران. وأتاحت زيارة الزعيم اليمني الراحل ابراهيم محمد الحمدي للسودان، في منتصف السبعينات، له فرصة اللقاء بالحمدي.. الزعيم الشاب والمتحمس لكسب ود الجالية اليمنية الكبيرة، يومئذ، في السودان، خاصة وقد كان صديقاً لحمران، الذي كان يشغل منصباً سياسياً عالياً في حكومة الحمدي. فكان أن وجه الشرفي الابن نشاطه السياسي صوب اليمن، وصار من المقربين للحمدي، إلى أن أعتيل الأخير هذا، وخلفه الزعيم اليمني الراحل، الغشمي، عام ١٩٧٧م، فاستمر الشرفي في مكانته. وبعد أن أعتيل الزعيم الغشمي، بعد شهور من توليه الزعامة، وحل محله الرئيس علي عبد الله صالح، ساءت العلاقات بين الرجلين، فيما يبدو، فقدم الشرفي إلى الخرطوم، واستقر بها، في فترة كان حمران يشغل فيها منصب السفير من صنعاء لدى الخرطوم، لكن الخلاف المريع لم يلبث أن شب بين

الصديقين حمران والشرقي، لأسباب سياسية، واجتماعية، على ما يبدو، وتحول الخلاف إلى صراع مرير، انتهى بمغادرة حمران لمنصبه في الخرطوم، واستقرار الشرقي في كنف الحكومة السودانية. واستقر الشرقي في كنف الحكومة السودانية، لا سيما وقد نال صداقة الزعيم السوداني، جعفر محمد نميري، ونائبه السيد عمر محمد الطيب.

وقد أدى هذا الوضع المتوتر إلى «دريكة» في مسيرة العلاقة اليمنية — السودانية، في ذلك الوقت، خاصة عندما اتخذ الشرقي الخرطوم مقراً لمناوئة الرئيس اليمني، علي عبد الله صالح، ساعده في ذلك صلة قوية قامت بينه وبين المفكر الإسلامي اليمني المعارض، الأستاذ إبراهيم بن علي الوزير، وإن كانت هذه العلاقة لم تلبث أن انقطعت. وكان الشرقي قد تمكن من استمالة بعض الشخصيات الاجتماعية اليمنية، إليه، خلال تلك الفترة، مما جعل سفارة شمال اليمن تراقب نشاطه السياسي المحموم، بحذر.

ورغم أن الشرقي صار مقرباً إلى السلطة الحاكمة في الخرطوم، وأصبح يحمل الرسائل الدبلوماسية بين الخرطوم وأتوا ولندن، إلا أن هذا قد جر عليه غضب الساسة السودانيّين المعارضين، وهذا هو ما نلمسه في كتابات وزير الخارجية السوداني الأسبق، د. منصور خالد(١).

وشاءت الظروف السياسية هذه أن تجعل، مثلاً، من خير انفصالة عن زوجته - وهو أمر يحدث باستمرار - موضوعاً اختلطت فيه الأوراق القانونية بالسياسية. ويتضح هذا، مثلاً، في كتابات الحامي مصطفى عبد القادر، التي صدرت عقب الاطاحة بنظام حكم الزعيم نميري(٢).

وقفل الشرقي، فترة سقوط نظام النميري، راجعاً إلى الاستزادة من المعرفة الطبية في الجامعات البريطانية، لكنه ما لبث أن عاوده الحنين إلى العمل السياسي في موطن الآباء والأجداد.. اليمن. وقد كان الزعيم اليمني، الشيخ عبد الله بن حسين

الأحمر في مقدمة من احتضنه، في صنعاء، حيث باشر الشرفي، أيضاً، عمله الطبي، بعد طول انقطاع، وعاش عن كتب أهالي منطقته.. مسقط رأس أبيه، وفاز بحب وتقدير أكثرهم، مما أهل له الوصول إلى عضوية مجلس النواب الحالي، وإن كان تحت راية سياسية مختلفة هذه المرة، هي راية المؤتمر الشعبي العام، وأمينه العام، الزعيم علي عبد الله صالح، كما أشارت إلى ذلك صحافة اليمن!

وقد أسلفنا القول بأن محمد بن يحيى حسين الشرقي، العالم الموسوعي، والشخصية الفذة، ذو جوانب متعددة في الحياة.. والشعر أحد الجوانب المضيئة في حياة الشرفي الابن.. وهذه أبيات من قصيدة له بعنوان (تحية حضرموت):

ألا يا حضرموت المجد حياك غيثاً حميماً عميم الخير —————
نزلت أرضك والأشواق تعصرني إلى رفاق صبا وأهل عز أخيار
أفنت كل صباي الغض وسطهمو كانوا حياتي وأشياي وأنصار
في سوح (ود مدني) و(حتوب) وهددها كم ذا بنينا تصاميماً لأفكار
بل كم أشدنا قصور خيال إذ نغذيها آمال شعب لنا في مهجر جـار
ألا حضرموت لأنت القلب في يمن الحضارة والتاريخ للـقـار
وفي مناهل خرطوم ومعهد السامي رتعا وسط أحباب وسمـار

/ حضرموت / ١٩٩٠م

وهذا الشاعر والأديب السوداني، فراج الطيب السراج، يكتب الشعر،

بمتدح الشرفي:

خلت من رواها حين غبت المقاليل وما لمقيل في غيايك طائـــــــــل
وإذ عدت عادت للمقاليل روحها وعادت إلى الدوح الكتيب العنادل

وأنت فتى الفتيان في كل حلبة وفارسها الماضي الغرار المصـاول
إذا حاد عن نهج السبيل مجادل عرضت فام النهج ذاك المجادل

وهي أبيات من قصيدة كتبها الشاعر، في يناير عام ١٩٩٢م.
وقد ناصبت صحيفتان يمينتان، هما (البورزان)، لصاحبها صالح الدحان،
(صوت اليمن)، لصاحبها عبد الرحمن أحمد محمد نعمان، الشاعر فراج العداء،
نتيجة لعلاقته بالدكتور الشرفي، وتوجههما المناصر لنظام الحكم الحالي بالسودان..
ونقتطف من (صوت اليمن):

(كم هالنا أن يكون داعية الأفعوان الجديد للسودان في اليمن، هو ابن
المغفور له خالد الذكر المناضل، الشيخ يحيى حسين الشرفي. كان أبوه يدعو لحرية
اليمن في سودانا الحبيب، وساعد أبناء اليمن الشقيق الأحرار، ذلك الرجل الحر
الدستوري، ووقفوا إلى جانبه ضد حكومتهم آنذاك ضد حكومتهم آنذاك. فهل
يكون جزاء السودان أن يقف ابن نوح اليمني إلى جانب الظلم والطغيان
والاستبداد. إننا نكفر عن هذه السيئة بتخصيص هذا الركن من صوت اليمن لأبناء
السودان الأحرار....).

(١) الدكتور منصور خالد، السودان والنفق المظلم: قصة الفساد والاستبداد، مالطا،

١٩٨٥م.

أنظر: فصل (النطاسي البارع والقبة اليمنية).

(٢) مصطفى عبد القادر - صحيفة (الأسبوع) السودانية، بتاريخ ديسمبر ١٩٨٨م.

محمود آدم حسب الله

شاعر سوداني، اشتغل بالتدريس في اليمن الشمالي، وكب فيه الشعر..
وغادر اليمن، قبل وحدته، في عام ١٩٩٠م.

تحية الوطن

وأهدي كل قافية شرود تبث الود لليمن الشمالي
ضممت فكنت متجعاً وداراً وأهلك خير أصحاب وآل
فلو أني ملكت كنوز كسرى لما أوفيت حقك من لآلي
ويوم العيد يسبقني قصيدي يوثق من عرى تلك الحبال
ويبعث من عبير النيل نفحاً إلى أرض المآثر والنضال
أحملة تحياتي ليزجي جزيل الشكر للشعب المثالي

خواطر مغترب

قد جئت أعبى هذه الطرقات يا يمن الشمال بلا رفيق
وإليك بعد زوابع الأنواء يأسرني المضيق
فأنا المقيّد والطلّيق
وأنا الذي قد شلت حبك يا بلاد النيل ينسبح في العروق
وحملت أعباء المغيب إلى الشروق

محي الدين فارس

شاعر سوداني مرموق خرج بشعره من التقليد إلى التجديد. درس بالسودان، ومصر، وقضى جل عمره في مجال التدريس. أُصيب، مؤخراً، بداء عصيب، جعله يعتزل الناس، والحياة الثقافية.

كان في صباه يدرس في القاهرة، وهناك تحمس للحركة الوطنية اليمنية، التي كانت القاهرة لها بمناخ القلعة. يقول في قصيدة له عن اليمن:

أخي قد آن أن نرجع للأبجد صنعاء
وأن نكسر هذا القيد أن نصبح أحياء
وأن نمضي للعلياء ثواراً أشـدَّاء
صحت من حولنا الدنيا وما زلنا أذلاء
فكيف تظل صنعاء بليل التيه بكماء
تبعتها الرياح الهوج في الصحراء أشلاء
أخي قم نفتح الأبواب للفجر الذي جاء
ألم تسمع بـقلب الشرق للثوار ضوضاء
أخي صنعاء نادتنا فهل تسمع صنعاء

أخي مالك لا تصغي إلى صوت الجماهير
ألم تسمع صهيل الخيل في جنح الدياجير
وقد خرجت كما الطوفان أو عصف الأعاصير
تهدق قلاع قارون وتهدم أسطح الدور

فكم ذا راح يشويننا على سقود تنور
ويرصدنا إذا ثرنا ويلغينا بمنشور
ولكننا تمردنا هدمنا أضلع السور

أخي قم نزعهم الدنيا بأبواق ورايات
ونعلن أننا عدنا إلى ركب الحضارات
وقد كنا وراء التيه في سجن الدجنات
نلوك مرارة الحرمان بين موائد القات
أخي قم حطم الطغيان طغيان الخرافات
أخي كن واثق الخطوة جبار الإرادات
فما عدنا كما شئت إرادة ذلك العاتي
وزحزح بآية الصخرى نفتح كوة الآتي
فهذا العصر عصر الناس لا عصر الكهانات

من الجبهة والجبهة أشواك وأسوار
مضى الشوار والشوار بركان واعصار
مضى الزحف ولن يوقف ركب الزحف تيار
ولا حاملة الموت يغطي وجهها العار
مشينا نحو ما نبغي يكلل رأسنا الغبار

فهيا يا أخي تنصب للغاصب أكفاننا
ونحفر قبره المشنوم في أرجاء دنياننا
ونصليه لهيب النار أننى حل أو كاننا

ونهدم فوقه الظلماء نيراناً وبسركاننا
ونزراع في دروب الغد للأجيال بستاننا
نعود غداً إلى الوطن.. نعود لنا ربى اليمن
فقد لبست غلاتها ودارت دورة الزمن

مختار محمد مختار

شاعر سوداني تقليدي.. نال جائزة، عن قصيدة عصماء، قالها في زلزال وقع بالمغرب العربي. وفي زلزال اليمن - ذمار - الذي وقع عام ١٩٨٢م، كتب شاعر الزلازل هذه القصيدة الملحمية، تحت عنوان (عزاء أم ذي يزن):

يا أم تبع السامي وذي يزن نفسي فدى لك في الأرزاء والمحن
رماك بالصيلم الدهواء غافلة دهر يصيد عتاق الطير في الفن
أخنى على عمرو المشهور صارمه وذي نواس وبلقيس وذي جـدن
فلا سلامة في الدنيا ولا دعة ولا نجاة من الأحداث والفن
إذا أمننا صروف الدهر خاتلة فقد أمنا عدواً غير مؤتمن
خطب له عرت الخرطوم زلزلة مثل التي عرت الأطواد في عدن
قد هاضني ومرى دمعي وأرقني أني وإن كنت في السودان ذو يمن
إلى غطارفه الغر الكرام نمت عرقي ومن أصله الزاكي زكا غصني
الخالدين أباة الضيم أنفسهم ما سلن إلا بأطراف القنا اللدن
ذمار أي دمار شن غارته على قسراك الزواهي حادث الزمن
أم أن رجم الأولي في تطيرهم بشوم بعض من الأسماء لم يخن
هل كنت تدرين ما يخفي الزمان لها وما يداري من الأضغان والاحن
حتى إذا أخذت في الأرض زحرفها يدكها فدن يهوي على فدن
كأنها وهي في الغبراء خاشعة لم تسغن أمس وكانت أنضر المدن
وينسف الدور مجنوناً فيجعلها كالموحشات من الأطلال والدمن
يفرق الشمل والأحياء يتركهم بلا ملاذ ولا أهل ولا سكن

كلا فلم يدرك ما بالغيب من أحد بل إنما أمره إن قال كن يكن
 لله واسع علم ليس يدركه بالظن كل جهول ضيق العطن
 كذلك تنفذنا الدنيا إلى غرض كلت دوين مداه فطنة الفطن
 تأتي الحياة فنبنينا ونعمرها كل بها مستهام جد مفتتن
 نظوي غيابها شدت نواظرنا إلى مطالع فجر بعد لم يبين
 نجوزها بعضنا يتلو على عجل بعضاً كما شية الأنعام في قرن
 نغدو ونسري حيارى في مفاوزها حتى يفرق بين الروح والبدن
 أعيا أوائنا سر تكتمه أحشاؤها وشفاء النفس في العلن
 بالرغم منا مع الإيمان يفزعنا ما خلف أسحافها المسدولة الدكن
 مهلاً فما كل أمر قد بدا حسن كلا ولا كل غيب ليس بالحسن
 يا رب شك عرى قبل اليقين هدى إلى يقين بشك غير مقتن
 يا أرض حمير في اللواء تعزية فأى حي يحين غير مرتهن
 شجاك هاج شجا لبنان فانتكأت له جراح أسى في القلب مختزن
 صرعى شتيلا وصيرا ما فتت لهم مسهداً واجف الأحشاء ذا شجن
 وما تزال طيوف من مصارعهم شتى تحلي أجفاني عن الوسن
 أنباؤها هزت الدنيا مضاضتها ولم تحرك قلوب العرب في الوطن
 كأنهم من صليب الصخر قد فطروا بلا فؤاد ولا عين ولا اذن
 شاموا لسوف وباخت في صدورهم نار الحمية من هذر ومن ددن
 تقلبوا في رديم من بلهنية فاستمرؤا العيش بين الهون والدرن
 ان أغدقوا المال سح الغيث ما غسلوا أدران عرض لهم في الناس ممتن
 فما يدي المال أعراضاً ممزقة ما أن سوى العلق المهرق من ثمن
 تلکم فلسطين ثكلى أهلها شعث طير يهوم في الدنيا بلا وكن
 لو أجمعوا أمرهم بالليل واعتزموا لقوا دويلة اسرائيل في كفن

كثرو لکنهم من فرط فرقتهم مثل الغشاء غشاء السيل من ومن
اليك من مقرر النيلين محتزناً شعراً ترققه أشجان محتزن
وجاء كل شهيد من بنيك قضى بين الجنادل صوب العارض الهتن

مكي محمد نور محمد سلامه

شاعر سوداني شاب، تخرج من جامعة القاهرة، فرع الخرطوم. حضر
لليمن، للعمل بالتدريس. وقصيدته هذه: (الأزمة والزعيم)، يرثي بها الزعيم اليمني
الراحل، عبد الله السلال:

ونحن اليوم نتلاشى ونغرق في أتون القات
فهل تتجدد الفرحة أم تتراكم الأحران
أم ماذا يكون الحال؟
ظلام الفرقة يتبدد
ويظهر في سماء اليمن بدر الفال
ألا رحم الإله فقيدنا السلال
وأسكنه جنات الخلد في جنباته يختال
ويعشي رافع الرأس مزهواً سعيد البال
لو الأعمار بأيدي الناس
لوهبوا العمر للسلال
كي يحيا زعيماً في مدى الأجيال
زعيم حاز حب الشعب
وتلك نهاية الأبطال

صنعاء / مارس ١٩٩٤م

لا بد من صنعاء

لا بد من صنعاء وإن طال السفر
كلمات كنا نسمعها من ذاك الجار
صنعاء بلاد لا ندري في أي ديار
تبدو لعيوننا كالصورة من غير إطار
فجارنا كان بمنياً طوال الوقت يتكلم
عن صنعاء تلك الدار
وبين الحين والحين سيذكر جارنا صنعاء والاستعمار في عدن
ويذكر في الحكايا إمام كل الناس تهربه
ظلم ظلمه عجب شرد معظم الثوار عن الوطن
وجاءت ثورة اليمن وجارنا ملؤه الشجن
حديثه صار ذو شجن عن الأحرار والثوار في صنعاء وفي عدن
وعمت داره الفرحة
وأصبح وجهه مرحاً
أذكر جارنا الإنسان
يغرس في دواخلنا حب الناس للأوطان
دوماً قد يقول لنا السودان هو اليمن
واليمن هو السودان
وسافر بعد أعوام إلى صنعاء
يحمل بين جنبيه لواضع شوق
وحب جارف التيار
وعند العودة للسودان عمت داره الفرحة
وعمت معظم الأحياء فجارنا روحه سمحة

يحب كل من عرفه بلا استثناء
وها قد جاء
لكي يكمل حكاياه عن عدن وعن صنعاء
أحبينا به اليمن وأهلنا في ربا اليمن
بحبنا ذلك الانسان

الخرطوم / ١٩ - ٨ - ١٩٨٩ م

وفي مقدمة ديوانه المعد للطبع (نفحات عبر القلب)، نسئله يغني لليمن:

إلى كل قلب بادل جبا لشخصي وأهلي بأرض اليمن
إليهم ساهدي عصارة قلبي إلى كل أهلي بذاك الوطن

مهدي محمد سعيد

شاعر سوداني، أوقف عمره على التدريس. زار شمال اليمن، في شهر يونيو من عام ١٩٧٦م، ضمن وفد أدبي سوداني، وكتب الشعر من وحي تلك الزيارة، ثم نشر قصائده هذه في ديوانه (الطين والجوهر) (١).

تحية السودان لليمن السعيد

حنيني في الحياة وحر وجدي إلى الصيد الكرام بناه مجدي
ربا كهلان ذي القدح المعلى ومثوى حمير الرأي الأسد
اقاموا سد مأرب من زمن فكان عجية الذهن الأحـد
بني قحطان والدنيا كفاح مسخرة لذي أيـد وجلد
فمنكم شاعر الفصحى ابن حجر (٢) ومنكم فارس الجلى ابن معدي (٣)
وما لانوا ولا خارت قواهم أصالة يعرب ووفاء أزد
أيت بلقيس أن يسبي حماها فلم تعباً يجيش أو تعدي
ولم يجرؤ عليها غير جن ذوي علم وانجاز ووعد
سلاماً يا أبنه الهدهاد حيا ديارك من بني السودان (مهدي)
أيـا صنعاء جئت إليك شوقاً يغالبني مع التحنان وجدي
من السودان قد خفت ركابي ووافيت بي إلى لقياك تخدي
ألا لا بد من صنعاء أنـا نجد وإن تخنى كل عود
أرى اليمن السعيدة من قديم ديار محبة وربوع سعد
ونعرف أهلها في كل صقع من السودان هم أخوان جد
أحبوا شعبنا فسعوا إلينا وصافيناهم ودأ بسود

وهم نزلوا الربوع بكل خير نـزول الغيث سح بـغير رعد

ويعضي الشاعر مهدي محمد سعيد، بعد ذلك، إلى مدح الزعيم اليمني الراحل، ابراهيم محمد الحمدي، والذي كان رئيساً لليمن، خلال زيارة الشاعر.

صنعاء

هذه صنعاء أم العرب هذه صنعاء مهد النجـب
قبلة الشرق التي تلقى بها عزة النفس وحسن الأدب
وبدت (حدة) في رونقها وتعرت من قيود الحجب
وصحا الشاعر من غفوته ذاهلاً في فكرة المتذهب
صدق الطرف فهذه حدة هبة الرحمن للشعب الأبي
يا جبال الفخر غني أوبي هذه صنعاء مجد العرب

تعز

ولاحت تعز وأضواؤها دهور الجبال بها تحلم
(تعز) تعز على أهلها وكلّ بها نابه معلـم
أحب تعز وروحي لها وما لامي في الهوى اللوم

(١) مهدي محمد سعيد، الطين والجوهر، المجلس القومي للأدب والفنون، الخرطوم،

١٩٧٩م.

(٢) يريد الشاعر امرؤ القيس بن حجر الكندي اليمني.

(٣) يريد عمرو بن معدي يكرب الزبيدي، الشاعر والفارس اليمني.

مصطفى سند

أحد أهم رموز الحداثة في الشعر السوداني المعاصر.. اشتق لنفسه أسلوباً شعرياً، ترك بدوره بصمات في بعض الشعراء الشباب في السودان. جمعته ندوة عبد الله حامد الأمين في أم درمان بالشاعر اليمني، عبد الله حمران، الذي عاش في السودان، وكان أحد الأعضاء النشيطين في تلك الندوة، وقد أرّخ حمران في ديوانه (أنا وقلبي) (١) لهذه الصداقة.

وفي يناير من عام ١٩٩٤م، زار الشاعر مدينة صنعاء، فكتب هذه القصيدة:

للقادمين عيون الريح فاستتري فان عرفك يغني عن النظر
قد جئت أحمل أوراق الهوى كتباً وأحمل النيل ذا الجنات والتمر
يسعى إليك ويزهو في تدفقه يختال فوق بساط الرمل والشجر
لو لم يكن مستهماً نيل عزتنا ما كان يحتاج عنفاً ساعة الخطر
ذو رقة صاغت الأملاك جواهرها كست مرآته ألواناً من الصور
فللصبابة عند النيل سطوتها في أنة الناي أو في رنة الوتر
وللبراءة فوق الشط لذتها في الصمت والبوح والإغفاء والشهر
صنعاء تفتح باباً خلفه سفر في العود منه إلى صنعاء بالسفر
بحر ولكنه تحلو سباحته في زورق من روى التاريخ منحدر
كأن أعينها والغيم يلائمها عشقاً نجوم زهت في موكب القمر
لها على النيل دين أنها وهبت من البنين القويم الخالد الأثر
أهدت لنا ابنها حراً يشاركنا صنع الحياة وعيش الصفو والكدر
حلو الإخاء عفيف النفس ذا أدب يفجر العزم بين البذل والظفر

وهو الصديق لما يديه من شرف صلحاً يشار له في البدو والحضر
صنعاء إن خيولي التي ركضت فيها إليك خيول السبق والمطر
والاستواء الذي كنا نحاوره في مقتلتي غداة السعي والسفر
يحتل قلبي وأنفاسي وحنجرتي كأنه قطعة من صخرة القدر
فللنضال حروف ليس يكتبها الا النضال والا أنبل البشر
وللنضال دروب ليس تبصرها الا عيون صفت من شدة السهر
صنعاء نحن صنعنا مجد أمتنا في ساحة الموت لا في ساحة البطر
نسقي العروبة أحلاماً يمزقها تمرغ البعض فوق الطين والحفر
هذا يخون وهذا في عمايته سبان والبعض - ضد النفع والضرر
إن العروبة يا صنعاء ثاوية في الروح منك وفي الخرطوم فانتصري
ولترفعي الوحدة الكبرى إلى شهب أبعادها المستحيل فصونيه من الخطر
ان الصباح الذي نرجو مطالعه يختال في بغداد بين النار والشرر
لكنه آت وهذا الشعر أوله فظلمة الليل تجلو صفحة القمر
صنعاء جئت وطعم النيل في شفتي شعر تأصل مثل النقش في الحجر
إنني رأيتك بالعين التي سمعت فما أجلك بين السمع والبصر

(١) عبد الله حمود حمران، أنا وقلبي، دار الكلمة، صنعاء.

مصطفى طيب الأسماء

من فحول الشعر التقليدي في السودان، وهو من المربين المعروفين هناك. زار شمال اليمن، بدعوة من صديقه الشاعر اليمني الراحل، عبد الله حمود حمران، ورافقه في تلك الزيارة أدباء سودانيون آخرون، منهم: الشاعر الراحل محمد المهدي المجذوب، والشاعر الراحل عبد الله حامد الأمين، وشقيقه، والشاعر الراحل الدكتور حسن عباس صبحي، والقاص الراحل أبو بكر خالد، والشاعر صديق مدثر، والشاعر مهدي محمد سعيد، والشاعر النور عثمان أبكر، والصحفي الوليد ابراهيم. ومن شعره المكتوب باليمن خلال تلك الزيارة:

لحن اللقاء

من النيل مسراه وللعرب نبعه وفي اليمن الميمون طابت عناصره
ولاحت له صنعاء يعلو فخارها بفتيتها الأحرار فانداح داجره
تحريك أم المجد يا بنت يعرب ويا دوحة العز الصميم مفاخره
بني يعرب هذي تحيات شاعر من النيل قد مدت إليكم أواصره
نما في رياض النيل والنيل يعرب وصنعاء صنو النيل فيها معاشره
إذا امتد من صنعاء صوت أجابه من النيل فتیان ووافقت قساوره
وإن رن في الخرطوم صوت أجابه بصنعاء ميمون أغر ييادره

تعز

تعز وأنت الحسن قد زان خلدته جلال المحيا من نواظرك النجل
حببت من الفردوس أجمل منظر وأروع ابتداء خبي ومستجلي
تعز سلام الحب مني وخافقي ولوع بأهلك الكرام أولي الفضل

وفي يمني أهلي وميراث أمي ومرتع الأحباب والصاحب الخل

نحية اليمن الشقيق

قف باجلال وحيي اليمن واسكب الشعر رويًا هتتا
وطن الشم البهاليل الألي خلدوا العز نقيًا صينًا
سبق التاريخ في أمجاده فجره المشرق في وجه الدنيا
وبدا (أيلول) في طلعه فجره المشرق حبًا ومنسى
يكشف الليل ويطوي غيمه ويحيي بسناه الوطنى
يا شعاعاً من لظى الشعب الذي حطم القيد ودك الوثنا
أنتم الثورة في مضمونها ومداه فاجعلوها الدينا
واجعلوا الوحدة نبراسكم واجعلوا الحب شعار الأينا

وللشاعر قصيدة مديح، كتبها في الزيارة، في الزعيم اليمني الراحل، ابراهيم
محمد الحمدي، والزعيم السوداني، جعفر محمد نميري. وقد اهتمت صحيفة
(الجمهورية) اليمنية، الصادرة بتعز، بشعر طيب الأسماء، وناقش الأديب اليمني،
علي عبد الله بن غازي، على صفحاتها أشعاره، وتصفوه.

وحتى بعد عودته إلى أم درمان، يناجي طيب الأسماء، صنعاء، في قصيدة (حنين

ووفاء):

صنعاء لا تحسي أنني سلوتكم أو أنني قد سلوت الصحب والوطنا
إن طال صمتي فمن حب أكتمه وعن وداد يثير الوجد والشجنا
أهلوك أهلي أناجيهم فيغمرني هواهم وأراهم شعلة وسنا
وإنما أنت والخرطوم غرس أب وري أم نداها يسبق المزننا
سقت بنيتها هوى الأوطان فابتدروا شما أباة أذابوا الهول والمخنا

نجيب جعفر علي أمان

هو شقيق أكبر للشاعر اليمني المعروف، لطفي أمان. وقد حُبب إليه الذهاب للدراسة بالسودان. ولد نجيب أمان، بعدن، عام ١٩١٩م، وتوفي بها عام ١٩٨٠م.

في عام ١٩٣٥م كان نجيب أمان أول مبعوث عدني للدراسة بالسودان، في معهد بخت الرضا. وعندما عاد، نهائياً، لعدن، عام ١٩٣٨م، يخبرني المؤرخ اليمني الراحل، سلطان ناجي، أن «نادي الإصلاح العربي الإسلامي» بعدن احتفى به، احتفاءً عظيماً، كأول عدني يكمل دراسته بالسودان.. ويحصل على دبلوم المعلمين.

وقفت للشاعر الراحل نجيب أمان على ديوانه المخطوط بيده، ومذكراته في السودان، وعنوان ديوانه هذا (أنغام قلب).. لكن المحير أن قصيدتين في (تغريدة) لطفي أمان تتطابقان مع قصيدتين في (أنغام قلب) شقيقه نجيب، وهما قصيدة (رضيعة القبل) وقصيدة أخرى، بعنوان (قلي وعيونه)، التي يذكر لطفي في إحدى مقابلاته الإذاعية مع المذيع اليمني عبد الرحمن ثابت، أنه كتبها على شط النيل، عند مقرن النيلين، وكان بجواره الشاعر السوداني، الدكتور محمد عثمان الجرتلي:

ساحر الألفاظ ألهتني عن الدنيا فتونه

كلما قلبت طرفي غازلت طرفي جفونه

ولست أدري حتى الساعة السر في هذا الالتباس!

يوسف عبد الله الخواتي

شاعر يمني شاب، ولد بالسودان، لأُم سودانية، واستقر باليمن. وهو شقيق الصحفية اليمنية، محاسن الخواتي. من نماذجه التي تلامس عمق الوجدان اليمني السوداني:

إلى أُمي بلقيس

اليوم جئت يا بلقيس أتعرفين من أنا؟
أنا واحد من الرعايا مهاجر لا يُعرف التاريخ والحكاية
اليوم عدت يا بلقيس تقودني خطاي
أتكرين ابنك الشرعي وقد جبلت في البداية
وقد غدت أماً ترضع الأجيال بالحليب والوصايا
أتعلمين يا بلقيس أنني قادم كمشهد حزين في رواية
وأنت تنكرين انتمائي والحقيقة
وتبذرين آلاف الضحايا
اليوم جئت يا بلقيس أدق أجراس المعابد
أنادي الفجر من فوق المآذن ومن قلب المساجد
أنا ابنك الشرعي وانتمائي خير شاهد
لا تغضبي فقصتي طويلة حزينة
ورحلي شقاوة تفجع المدينة
وابنك المهاجر شجونه دفينه

أتذكركين يا بلقيس صغارك الذين أبحروا مع السيول
وتركوا المعاول والبذور والحقول
وحينها قد جفت العيون والخيول
فهاجر المعلم وسافر البتول
وأنت تحلين فتفرح السنين وتضحك الفصول
وقريتي الصغيرة تعانق الوجود
تفرد الذراع تحتضن البتول
فإنه مهاجر سنينه تطول
فغنوا يا صغار واقرعوا الطبول
أماء يا بلقيس جئت عائداً أتيت بالبذور
ثم غربتني أطفالك الصغار
فلذات كبدي من أطيب الثمار
يشدهم إليك حنين الإثماء
وعزم أكيد يحفه الولاء
بلادي عزيزة وإن طال الجفاء
فإننا بنوك وقد كان اللقاء
زمان طويل كفاية غرباء

أنا قد متُّ مرتين

تلاقينا على جسر من الغربة
وحاولنا بأن نسكب مياه النيل يا عريان على أقدام تربتنا
يجيء الوصل في مشوار رحلتنا
محصلة من التاريخ انزرعت شجورنا بين قلبينا

تمازج في مهب الريح ووجدان تمزق عبر ماضينا
بحد السيف يا صنغاء وخارطة تحدد الشوق
عنها كم تغاضينا
هجين ميت الأرحام
حبس النفس والسجبان تيار من عروبتنا
تكبلنا شعارات بلا مأوى
جدار الحزن ممتد من الخرطوم يا صنغاء مرسوماً....
تلاقينا على جسر من الأشواق بلا ميعاد
ملايح وجهينا موشحة بلون الحزن
تعانقنا بلا شوق يهز الصدر
بلا حلم يحد الوصل
تمادينا لقاء لا يشد الأزر
مساحات من سنين الخوف احتشدت ودرنا في أزقتها
يفصل بيننا شريان من طفولتنا
فضليتنا وسرنا في حواشي الدرب على أعتاب ماضينا
بريق من حنايا القلب.. سراديب من الأشجان انطفأت بعينينا
توارى حينا وهجاً وماتت ضحكة العينين في لحظة
وكان الظن أنا قد تلاقينا
شموع الحب في طفولتنا غداً أسطورة رعاء
شعوذة بلا وجدان
تجافينا
أمد يدي أشد أنامل الغربية وشريان جف فيه الدم
زمان الوصل مسكين جريح بين وجهينا

أنا الزمن المطلق عليك يا صنعاء
أنا النازح من بحور التيه
تعزفني أغاني الوصل في الخرطوم
عشيق من ربي النيلين وحلم مرهف الإحساس
في أرق أيا صنعاء
أرمني على وجهي سلاماً من جبال اللوم
هزّي أحاسيس على قبوري
أنا قد متُّ مرتين

هذا المكان مقبرة

نمزق عنفوان الشباب قسراً فوق وجه الحياة
مسافات السنين ارتمت فوق خطوط الزمن
وخارطة العمر اترعت الميتين بشدو الرحيل
وحلم الحياة دفين في الصدور كالسراب
يزفنا بنعي أليم حتى النجاء
في موكب حزين نحو الفصول القادمة
فما عاد شعري وليداً يناغي الحياة
ولا كنت أنا مجدداً بثوب الخلود
وكنت وحيداً أزف على نعش صغير
وحولي الرجال بلا أنوف
يمسكون الحياة بطوق الأصابع
وآلف شاهد ينثر حولي البخور
على جذوة قنديل أحرق كل شيء حتى الرماد

أواصر الزمان تمزقت في محطتي الأخيرة
بحفنة من التراب يلاحق الجميع جثتي
يلسمون ويقرأون (بس والفاتحة)
يودعونني صمتاً وهممة
ويكتبون فوق جسدي.. هذا المكان مقبرة

المصادر والمراجع

١ - العربية

أولاً: المؤلفات العربية

- ١ - أباطة، فاروق عثمان، سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى، ضمن سلسلة كتب مجلة "دراسات الجزيرة والخليج العربي"، الكويت، د.ت.
- ٢ - ابراهيم، آمال، الصراع الدولي حول البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٩٣م.
- ٣ - ابراهيم، عبد الله عبد الرزاق، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، د.ت.
- ٤ - ابن خلدون، العبر، القسم الأول، المجلد الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٦م.
- ٥ - ابن الحسين، يحيى بن القاسم بن محمد بن علي، غاية الأمان في أخبار القطر اليمني، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ٦ - ابن ضيف الله، محمد النور، الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق يوسف فضل حسن، دار النشر، جامعة الخرطوم، ١٩٧٤م.
- ٧ - أبو بكر، خوجلي عبد الرحمن، العبور إلى الشاطيء الآخر، مطابع القبس التجارية، يناير ١٩٨٨م.
- ٨ - أبو طالب، تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مطابع المفضل، الجزء الأول، صنعاء، ١٩٩٠م.
- ٩ - أبو علي، أحمد بن الحاج، مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية، تحقيق: الشاطر بصيلي عبد الجليل، القاهرة، د.ت.

- ١٠ - الأهدل، عبد الرحمن سليمان، النفس اليماني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م.
- ١١ - أوهاج، محمد أدروب، من تاريخ البجة، الكتاب الأول، دار النشر، جامعة الخرطوم، ١٩٨٦م.
- ١٢ - بافقيه، محمد عبد القادر، تحت اسم مستعار، سندباد على الورق صاروخ إلى القرن العشرين، مؤسسة الصبان، عدن، ١٩٦٥م.
- ١٣ - بامطرف، محمد عبد القادر، الشهداء السبعة، دار الهمداني، الطبعة الثانية، عدن، ١٩٨٣م.
- ١٤ - بامطرف، محمد عبد القادر، الجامع لشميل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم، أربعة أجزاء، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٤م.
- ١٥ - باوزير، أحمد عوض، شهداء القصر، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣م.
- ١٦ - باوزير، سعيد عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، القاهرة، ١٩٦١م.
- ١٧ - بدوي، عبده، الشعر في السودان، د.ت.
- ١٨ - البردوني، عبد الله صالح، الثقافة والثورة في اليمن، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ١٩٩١م.
- ١٩ - البكري، صلاح، تاريخ حضرموت السياسي، القاهرة ١٩٣٦م.
- ٢٠ - البكري، صلاح، في جنوب الجزيرة العربية، القاهرة، ١٩٤٩م.
- ٢١ - الثور، عبد الله أحمد، الجنوب اليمني، القاهرة، ١٩٨٦م.
- ٢٢ - جابر، جمعة، تراثنا ومفهوم السلم الخماسي، مطابع وزارة الثقافة والإعلام، الخرطوم، د.ت.
- ٢٣ - جابر، جمعة، الموسيقى السودانية، شركة الفارابي، الخرطوم، د.ت.
- ٢٤ - جرجرة، عبد الرحمن، أرضنا الطيبة هذا الجنوب، د.ت.
- ٢٥ - حلال الدين، محمد عوض، هجرة السودانيين إلى الخارج، مطبعة جامعة الخرطوم، ١٩٧٩م.
- ٢٦ - الحبشي، عبد الله محمد، الأدب اليمني عصر خروج الأتراك الأول من اليمن، الدار اليمنية، جدة، ١٩٨٦م.

- ٢٧ - الحبشي، عبد الله محمد، الرحالة اليمنيون: رحلاتهم شرقاً وغرباً، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٨٩م.
- ٢٨ - حسن، يوسف فضل، دراسات في تاريخ السودان، الجزء الأول، دار النشر، جامعة الخرطوم، ١٩٧٥م.
- ٢٩ - حسن، يوسف فضل، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي (١٤٥٠ - ١٨٢١م) دار النشر بجامعة الخرطوم، ١٩٨٩م.
- ٣٠ - الحكمي اليمني، نجم الدين عمارة، تاريخ اليمن، تحقيق: حسن سليمان محمود، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٥٧م.
- ٣١ - الحميري، نشوان بن سعيد، ملوك حمير وأقبال اليمن، تحقيق: اسماعيل أحمد الجرافي، علي اسماعيل المويد، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨م.
- ٣٢ - الحيمي، حسن بن أحمد، سيرة الحبشة، تحقيق: مراد كامل، دار العالم العربي، القاهرة، ١٩٧٢م.
- ٣٣ - خالد، منصور، السودان والنفق المظلم: قصة الفساد والاستبداد، مالطا، ١٩٨٥م.
- ٣٤ - الخزرجي، علي بن الحسن، العقود اللؤلؤية، جزء١، مطبعة الهلال، مصر، ١٩١١م.
- ٣٥ - خضر، عبد القادر، حوار في الحب والفن، الكويت، ١٩٨٢م.
- ٣٦ - الخوري، أحمد صالح، عبد الله حمران: حياته وشعره، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م.
- ٣٧ - دويب، رفعت محمد خليفة، أغاني الأعراس في دولة الامارات العربية المتحدة، مطبعة كاظم، دبي، مايو، ١٩٨٢م.
- ٣٨ - الرفاعي، حصة السيد زيد، أغاني البحر: دراسة فلكلورية، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٥م.
- ٣٩ - الريحاني، أمين، ملوك العرب: رحلة في البلاد العربية، درا الريحاني، بيروت، ١٩٦٠م.

- ٤٠ - زبارة، محمد بن محمد بن يحيى، نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م.
- ٤١ - الزبيري، محمد محمود، مأساة الواق الواق، دار العودة، بيروت، مايو ١٩٧٨م.
- ٤٢ - سالم، عبد العزيز، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٣م.
- ٤٣ - سبي، عثمان صالح، تاريخ أرتريا، ١٩٧٧م.
- ٤٤ - السعدي، عباس فاضل، البن في اليمن، دراسة جغرافية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٩٢م.
- ٤٥ - الشاطري، محمد أحمد عمر، أدوار التاريخ الحضرمي، مكتبة الإرشاد، جدة، ١٩٧٢م.
- ٤٦ - شقير، نعم، تاريخ وجغرافية السودان، الطبعة اللبنانية، د.ت.
- ٤٧ - شيحة، مصطفى عبد الله، (دراسة زخرفية لسيف الوزير ناصر بالسودان وأربعة سيوف مصرية معاصرة) مكتبة الجامعة، القاهرة، ١٩٨٤م.
- ٤٨ - ضرار، محمد صالح، تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الدار السودانية للكتاب، ١٩٨١م.
- ٤٩ - الضريير، عبد الله عبد الرحمن الأمين، العربية في السودان، الجزء الأول، د.ت.
- ٥٠ - الضو، علي، وعبد الله محمد، الآلات الموسيقية التقليدية في السودان، الخرطوم، ١٩٨٥م.
- ٥١ - طرخان، إبراهيم علي، الدول الإسلامية القديمة في السودان الأوسط، د.ت.
- ٥٢ - الطيب بن أبي مخزومة، أبو محمد عبد الله، تاريخ نجر عدن، لندن، هولندا، ١٩٣٦م.
- ٥٣ - الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعاتها، الجزء الأول، مصر، ١٩٥٥م.
- ٥٤ - الطيب، عبد الله، ذكرى صديقين، مطابع الطليعة، الكويت، ١٩٨٧م.
- ٥٥ - طاهر، علوي عبد الله، لطفي أمان: دراسة وتاريخ، مؤسسة ١٤ أكتوبر، عدن، ١٩٨١م.

- ٥٦ - عابدين، محمد عبد المجيد، من أصول اللهجات العربية في السودان، مكتبة غريب، مصر، ١٩٦٦م.
- ٥٧ - عابدين، محمد عبد المجيد، تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلى العصر الحديث: الدين / الاجتماع / الادب، المطبعة التجارية، بيروت، ١٩٦٧م.
- ٥٨ - عابدين، محمد عبد المجيد، الاسلام وأثره في نشاط الكانم في افريقية (١١٠٠ - ١٤٠٠م)، د.ت.
- ٥٩ - العشماوي، ابراهيم، أيام مع ثورة الانقاذ في السودان، صنعاء، ١٩٩٣م.
- ٦٠ - العقيلي، نجيب، المستشرقون، ٣ أجزاء، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠م.
- ٦١ - علي، أحمد، الموسيقى والغناء في الكويت، شركة الريعان، الكويت، ١٩٨٣م.
- ٦٢ - علي، جنود، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الملايين، بيروت، ١٩٧٨م.
- ٦٣ - العمراني، عبد الرحمن محمد، الزبيري: أديب اليمن الثائر، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م.
- ٦٤ - عولقي، سعيد، سبعون عاماً على المسرح في اليمن، دار الجاحظ، دمشق، ١٩٨٣م.
- ٦٥ - د. غانم، محمد عبده، شعر الغناء الصنعاني، دار العودة، طبعة خامسة، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٦٦ - فوزي، محمود، ثميري والعودة لحكم السودان: حوار في المنفى، سفنكس للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩١م.
- ٦٧ - قاسم، عون الشريف، الاسلام والعربية في السودان: دراسات في الحضارة واللغة، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٩م.
- ٦٨ - القاضي، عبد المجيد عبد الله، المنطقة الوسطى: رفض وثورة، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٥م.
- ٦٩ - القمندان، أحمد فضل بن علي محسن العبدلي، هدية الزمن في أخبار ملوك الحج وعدن، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠م.
- ٧٠ - القوصي، عطية، تجار مصر في البحر الأحمر، النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م.

- ٧١ - القوصي، عطية، تاريخ دولة بني الكنز الإسلامية، دار المعارف، مصر، ١٩٨١م.
- ٧٢ - كريم، محمد، عدن: دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية، جامعة البصرة، ١٩٩٣م.
- ٧٣ - الماحي، التجاني، الأعمال المختارة، دار النشر بجامعة الخرطوم، ١٩٨١م.
- ٧٤ - مجموعة مؤلفين، العلاقات الثقافية العربية الافريقية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس، ١٩٨٥م.
- ٧٥ - مجموعة مؤلفين الراحل محمود عبد الله عشيح، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٧م.
- ٧٦ - مجموعة مؤلفين، قضايا الموسيقى السودانية، الهيئة القومية للثقافة والفنون، مهرجان الخرطوم الدولي الرابع للموسيقى، أكتوبر - نوفمبر، ١٩٩٢م.
- ٧٧ - مجموعة مؤلفين، ليالي الدان في الوادي وفي شمسان، حضرموت، د.ت.
- ٧٨ - مجموعة مؤلفين، الفقييد علي عبد الرزاق باذيب: الفكر والمثال والقُدوة، مؤسسة ١٤ أكتوبر، عدن، د.ت.
- ٧٩ - محجوب، محمد أحمد، الديمقراطية في الميزان، دار النهار، بيروت، د.ت.
- ٨٠ - محمد، محمد عوض، السودان، ووادي النيل، القاهرة، ١٩٥١م.
- ٨١ - مسعد، مصطفى محمد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ٨٢ - المري، عبد العزيز أحمد، أمثال يمانية "كاريكاتير"، صنعاء، د.ت.
- ٨٣ - المقالح، عبد العزيز، اصوات من الزمن الجديد، دراسات في الأدب العربي المعاصر، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠م.
- ٨٤ - المقالح، عبد العزيز، من البيت إلى القصيدة، دراسة في شعر اليمس الجديد، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٣م.
- ٨٥ - القبلي، حسين محمد، مذكرات القبلي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م.
- ٨٦ - المقحفي، ابراهيم، حوار مع أربعة شعراء من اليمس، دار الهنا، القاهرة، ١٩٧٥م.
- ٨٧ - الملك الأشرف، عمر بن يوسف الغساني، المغني في البيطرة، تحقيق: د. رمزية الأطرقجي، جامعة بغداد، ١٩٨٩م.
- ٨٨ - منصور، حمود، السيارات الخاصة جداً، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م.

- ٨٩ - منصور، حمود، وبكيت في الخرطوم، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨ م.
- ٩٠ - منقوس، ثريا، سيف بن ذي يزن: الحقيقة والأسطورة والأمل، د.ت.
- ٩١ - مؤلف مجهول، عاش في القرن التاسع، تاريخ الدولة الرسولية في اليمن، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ١٩٨٤ م.
- ٩٢ - المؤيد بالله، محمد بن اسماعيل، مذكرات السياسي المؤيد بالله محمد بن اسماعيل، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٩١ م.
- ٩٣ - ناجي، سلطان، التاريخ العسكري لليمن، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥ م.
- ٩٤ - ناجي، محمد مرشد، الغناء اليمني القديم ومشاهيره، دار الطليعة، الكويت، ١٩٨٣ م.
- ٩٥ - النقيرة، محمد عبد، انتشار الإسلام في شرق افريقية ومناهضة الغرب له، د.ت.
- ٩٦ - النهزوالي المكي، قطب الدين محمد بن أحمد، اليرق اليمني في الفتح العثماني، دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٨ م.
- ٩٧ - الهمداني، ابو محمد الحسن، كتاب الجوهريتين المعتنيتين المائعتين من الصفراء والبيضاء الذهب والفضة. تحقيق: محمد الشعيبي، منشورات دار الكتاب، دمشق، ١٩٨٢ م.
- ٩٨ - الوزير، ابراهيم بن علي، بين يدي المأساة: حديث إلى النازحين اليمنيين، منشورات العصر الحديث، ١٩٩١ م.
- ٩٩ - الوزير، عبد الله بن علي، تاريخ اليمن خلال القرن السابع عشر الميلادي المسمى طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق: محمد عبد الرحيم حازم، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٥ م.
- ١٠٠ - الوصائي، وجيه الدين الحبشي، تاريخ وصاب الاعتبار في التواريخ والاثار، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩ م.

ثانياً: المجموعات الشعرية

- ١ - أمان، لطفي جعفر، بقايا نغم، مطبعة فتاة الجزيرة، عدن، سبتمبر ١٩٤٨م.
- ٢ - أمان، لطفي جعفر، على الدرب الأخضر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢..
- ٣ - أمان، لطفي جعفر، ليل إلى متى، المكتب التجاري، بيروت، أكتوبر، ١٩٦٤م.
- ٤ - أمان، لطفي جعفر، اليكم يا اخوتي، المكتب التجاري، بيروت، يوليو ١٩٦٩م.
- ٥ - باعمر، عبد الرحمن، أنت الحياة، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٥م.
- ٦ - بشير، التيجاني يوسف، اشراقة، ط٢، د.ت.
- ٧ - الجحوشي، محمد حسين، مالم ثقله الغيوم، عدن، دار الهمداني، ١٩٨٣م.
- ٨ - حامد، حامد عوض، تداعيات لعيني بغداد، مطابع صنعاء الحديثة للأوفست، ١٩٩١م.
- ٩ - الخردلو، سيد أحمد، أغنية إلى يافا، دار العودة، بيروت، ١٩٦٦م.
- ١٠ - الخردلو، سيد أحمد، مقدمات، القاهرة، ١٩٨٦م.
- ١١ - الخردلو، سيد أحمد، بكائية على بحر القلزم، دار النشر بجامعة الخرطوم، د.ت.
- ١٢ - الحسن، تاج السر، القلب الأخضر، القاهرة، د.ت.
- ١٣ - الحسن، تاج السر، النخلة تسأله أين الناس، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.
- ١٤ - حمران، عبد الله حمود، أنا وقلبي، دار الكلمة، صنعاء، د.ت.
- ١٥ - الخليفة، مبارك حسن، الرحيل النبيل، مؤسسة ١٤ أكتوبر، عدن، ١٩٨١م.
- ١٦ - رزق، جابر، أحمد، زهر البستان في مخترع الغريب من الأخوان، تحقيق، عبد الله محمد الرديني، شركة التنوير، بيروت، ١٩٨٩م.
- ١٧ - سعيد، مهدي محمد، الطين والجوهر، المجلس القومي للآداب والفنون، الخرطوم، ١٩٧٩م.
- ١٨ - السقاف، حسن عبد الله، ولائد الساحل، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٩م.
- ١٩ - الطيب، عبد الله، بنات راما، الدار السودانية، الخرطوم، ١٩٧٠م.

٢٠ - عبد العزيز، سالم، والعشق أيضاً يمانني، إدارة النشر، مركز البحوث التربوية، عدن، ١٩٧٧م.

٢١ - علي، محمد مجذوب، قمري والمد والجزر، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٦م.

٢٢ - غانم، محمد عبده، موج وصخر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.

٢٣ - غانم، محمد عبده، في المركبة، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م.

٢٤ - غانم، محمد عبده، الموجة السادسة، دار آزال، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٥ - الفيتوري، محمد مفتاح، عاشق من افريقية، د.ت.

٢٦ - المتنبي، ابو الطيب أحمد حسين، ديوان المتنبي، تحقيق: ابو البقاء العكبري، دار

المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م.

٢٧ - المجذوب، محمد المهدي، مناير، دار الجليل، بيروت، د.ت.

٢٨ - العلمي، أحمد عبد الرحمن، وآخرون، صدى الحنين، جزء أن د.ت.

٢٩ - المغربي، مبارك، عصارة قلب، وزارة الثقافة والإعلام، الخرطوم، ١٩٧٨م.

٣٠ - المقالح، عبد العزيز، رسالة إلى سيف بن ذي يزن، د.ت.

٣١ - هيثم، محمد حسين، الحصان، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٥م.

ثالثاً: القصص

١ - أحمد، سراج، الأرض البعيدة عن ضوء النهار، مؤسسة صوت العمال، عدن،

د.ت.

٢ - بانقا، صالح، عواتك ابن البان، اعداد معتصم صالح بانقا، مطابع المروة، الخرطوم،

د.ت.

٣ - الجيلي، محمد مصطفى، وحدة الأرض المعطاءة، مطابع وزارة التربية والتعليم،

صنعاء، يناير، ١٩٩٢م.

٤ - الملك، علي، صلاح أحمد ابراهيم، البرجوازية الصغيرة، قصص سودانية، مكتبة

دار العروبة، القاهرة، ١٩٥٨م.

رابعاً: الروايات والمسرحيات

- ١ - حنير، محمد، قرية البتول، كتاب الغد السادس، رواية، القاهرة، ١٩٧٩م.
- ٢ - عباس، عمرو محمد، الجنخانة، دار الهمداني، رواية، عدن، ١٩٨٥م.
- ٣ - المبارك، خالد، ريش النعام، دار النشر، جامعة الخرطوم، د.ت.
- ٤ - غانم، محمد عبده، الملكة أروى، دار النشر، جامعة الخرطوم، د.ت.
- ٥ - غانم، محمد عبده، عامر بن عبد الوهاب، دار النشر، جامعة الخرطوم، د.ت.

خامساً: المؤلفات المعربة

- ١ - بوركنهارت، جون لويس، رحلات في النوبة، لندن، ١٨١٩م.
- ٢ - بولدرى، جون، العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن ابان الحكم التركي (١٩١٤-١٩١٩)، تقديم وترجمة: د. سيد مصطفى سالم، المطبعة الفنية بالقاهرة، د.ت.
- ٣ - كبلانين، براود، اليمن في أوائل القرن السابع عشر، انجليزي، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، ١٩٨٨م.
- ٤ - مجموعة مؤلفين، تاريخ اليمن القديم جنوب الجزيرة العربية في اقدم العصور، ترجمة: أسامة عبد الرحمن النور، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٤م.
- ٥ - هانسن، توركيل، من كوبنهاجن إلى صنعاء، ترجمة: محمد أحمد الرعدي، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م.

سادساً: الصحف

- ١ - البورزان، صنعاء، أعداد متفرقة
- ٢ - الخرطوم، القاهرة، أعداد متفرقة
- ٣ - الأسبوع، الخرطوم، ديسمبر، ١٩٨٨م.
- ٤ - صوت العمال، عدن.

- ٥ - اليمن السعيد، صنعاء، أعداد متفرقة
- ٦ - البرلمان، صنعاء، عدد يناير ١٩٩٤م.
- ٧ - صوت اليمن، أعداد ١٩٤٦م، ١٩٤٧م
- ٨ - الميثاق، صنعاء، أعداد سنة ١٩٩٤م
- ٩ - ٢٦ سبتمبر، صنعاء، العدد رقم ٢٥٦، ١٠ سبتمبر، ١٩٨٧م والعدد ٤٨٦، ١٧ أكتوبر ١٩٩١
- ١٠ - الأضواء، الخرطوم، أعداد متفرقة
- ١١ - نجر اليمن، عدن، عدد ٢٧/٢/١٩٩٣م
- ١٢ - الأيام، الخرطوم، ٣١ ديسمبر، ١٩٧٥م، أعداد سنة ١٩٨٣م ٢٧ نوفمبر، ١٩٨٤م.
- ١٣ - الأيام، عدن، ٩ ديسمبر، ١٩٩٢م
- ١٤ - الوحدوي، صنعاء، أعداد متفرقة
- ١٥ - الثورة، صنعاء، أعداد ١٩/٧/١٩٨٩م، ١٨ سبتمبر ١٩٩١م، ١٤/٤/١٩٩٤م، ١٥/٤/١٩٩٤م.
- ١٦ - الجمهورية، تعز، أعداد ٢٩/٦/١٩٧٦م، ٢/٧/١٩٧٦م.
- ١٧ - اليقظة، عدن، عدد ١٥ أكتوبر ١٩٦٣م
- ١٨ - فضاء الجزيرة، عدن، مايو ١٩٤٢م، العدد ٣٢٤ و ٣٢٥، بتاريخ ٩ يونيو، ١٩٤٦م
- ١٩ - الشباب، عدن، العدد ٦٧، ١٠/٣/١٩٥١م.
- ٢٠ - الشرارة، المكلا، ٨ و ١٥ ديسمبر، ١٩٩٣م.
- ٢١ - الصراحة، الخرطوم، ١٩٥٢م، ٢٨ أبريل ١٩٥٩م.
- ٢٢ - صوت السودان، الخرطوم، ٢٦ يناير، ١٩٥٧م.
- ٢٣ - الوحدة، صنعاء، العدد ١١٩، بتاريخ ١٤ أكتوبر، ١٩٩٢م.
- ٢٤ - الثوري، أعداد ديسمبر ٧٨، ١٨/٧/١٩٨٧م، ٢٦/٣/٨٨، ٢٣/٤/٨٨، ٨٩/٤/٥
- ٢٥ - الرأي العام، الخرطوم، عدد ٢٢ أبريل ١٩٥٩م.

- ٢٦ - الزمان، الخرطوم، ٢٨ ابريل، ١٩٥٩ م.
 ٢٧ - الزمان، عدن، عدد ٢١ مايو، ١٩٩٢ م.
 ٢٨ - ١٤ اكتوبر، عدن، ١٩٨٩ م.
 ٢٩ - النهضة عدن، عدد ٢١ ديسمبر، ١٩٥٠ م.

سابعاً: المجلات

- ١ - السودان الجديد، الخرطوم، يونيو، ١٩٤٥ م
 ٢ - المستقبل، عدن، يناير ١٩٤٩، ابريل ١٩٥٠ م، العدد ٢٠ بتاريخ اغسطس ١٩٥٠ م
 ٣ - الأفكار، عدن، اعداد يناير ١٩٤٦ م، يونيو ١٩٤٧ م
 ٤ - الحكمة، عدن، العدد ١٧٧، ٢٣ يوليو ١٩٧٣ م، العدد ٨ و٩ لعام ١٩٩٢، الرقم المتسلسل للعدد ١٩٤
 ٥ - الكلمة، صنعاء
 ٦ - اليمن الجديد، العدد (٤) ١٩٧٥ م، العدد (١) السنة الرابعة عشر — يناير وفبراير ١٩٨٥، العدد ١١، للسنة السادسة عشر، نوفمبر، ١٩٨٧ م.
 ٧ - النهج، مايو، عدن، ١٩٨٤ م.
 ٨ - المؤرخ العربي، العدد ٣٤، ١٩٨٧ م.
 ٩ - التراث، العدد ٦، ١٩٨٢ م.
 ١٠ - الاذاعة والتلفزيون، القاهرة، اعداد، ١٩٦٠ م
 ١١ - أنا السودان، صنعاء، عدد ٢، فبراير ١٩٩١، ٣ يناير ١٩٩٤ م.
 ١٢ - الخرطوم، الخرطوم، العدد ٣٥، ١٩٦٦/٢/٥ م.
 ١٣ - دراسات بحنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء العدد الأول، ١٥ سبتمبر ١٩٧٨ م، العدد رقم ١٨، ١٩٨٤، اكتوبر، ديسمبر، ١٩٩٠، العدد ٤٤، يوليو - ديسمبر، ١٩٩٢ م.
 ١٤ - التعليم والتدريب في الشرق الأوسط، العدد ٤، السنة السابعة، ١٩٨٥ م.

- ١٥ - دراسات الجزيرة والخليج العربي، الكويت، العدد ٢٥، العدد (٣٦)، أكتوبر، ١٩٨٣م، (٣٨)، إبريل ١٩٨٤م
- ١٦ - التاريخ والآثار، الصادرة عن الجمعية اليمنية للتاريخ والآثار، صنعاء، العددان ٢ و٣ بتاريخ، أكتوبر ١٩٩٣ - مارس ١٩٩٤م
- ١٧ - المنتدى، دبي، العدد ١٥.
- ١٨ - الفجر، الخرطوم، العدد ٢٤، مجلد ١، أغسطس ١٩٣٥م
- ١٩ - السودان، السودان، العدد ٢٠، سبتمبر - نوفمبر، ١٩٦١م.
- ٢٠ - الوطن، صنعاء.
- ٢١ - الاكليل، العدد ٢١، السنة الثانية، ١٩٨٢، العدد ١، سنة خامسة، ١٩٨٧م
- ٢٢ - العالم، بيروت، أعداد متفرقة
- ٢٣ - الدارة، السعودية، العدد ٣، السنة الثامنة، ١٩٨٣م
- ٢٤ - الثقافة، السودان، الصادرة عن مصلحة الثقافة في وزارة الثقافة والاعلام، العدد رقم (٢) و(٤)، السنة الأولى، أغسطس، ١٩٧٧م.
- ٢٥ - اليمن السعيد أعداد متفرقة

ثامناً - الوثائق والمخطوطات

- ١ - مذكرات بروكات، عبد الله حسين، مخطوط غير منشور
- ٢ - الجيري، عبد الرحمن حسين، تاريخ المهدي، مكتبة السودان، جامعة الخرطوم، رقم الإيداع ١٩٩٤/١٠.
- ٣ - حميدة، محمد محمود، دراسة عن الجالية اليمنية بالسودان، أطروحة ماجستير، جامعة الخرطوم، مودعة بمكتبة السودان بجامعة الخرطوم، ١٩٧٩م.
- ٤ - سالم، عبد القادر، ورقة مقدمة إلى الندوة الدولية حول ثقافة السلم الخماسي المنعقدة بالخرطوم، ١٩٨٤م.
- ٥ - الشرفي، يحيى حسين، وثائق الشيخ يحيى حسين الشرفي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، د.ت.

- ٦ - الشيخ أبو علي، سيف الدين، رسالة ف.ل. جرفس، وثيقة محفوظة بمكتب الثقافة بحضرموت، مايو، ١٩٥٠م.
- ٧ - عبد الكريم، بابكر، مداخلة حول العلاقات اليمنية السودانية في سمنار سياسة السودان الخارجية بين الحاضر والمستقبل، معهد الدراسات الافرو آسيوية بجامعة الخرطوم، ١٩٩٠م.
- ٨ - معمر، عبد الله مقبل، الزار في الحديدة، مكتبة معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية، جامعة الخرطوم، ١٩٨٨م.
- ٩ - مؤلف مجهول، الروض السام في سيرة ابن الامام، رقم ١٤٨ مجاميع، المكتبة الغربية بالجامع الكبير، صنعاء، د.ت.

٢ - الأجنبية

أولاً: المؤلفات الأجنبية:

- ١ - أوفاهي، آر، القديس ابن ادريس (الجليزي)، لندن، ١٩٩٠م.
- ٢ - انجرامس، دورين، وقت في حضرموت، د.ت. (الجليزي).
- ٣ - انجرامس، هارولد، العربية والجزائر، د.ت. (الجليزي).
- ٤ - باوستد، هيو، نسيم الصباح د.ت (الجليزي).
- ٥ - بثمان، أريك، اليمن على الحافة، (الجليزي)، واشنطن، ١٩٦٠م.
- ٦ - توماس، اينار، وبرندراتك، رسائل ابن ادريس، (الجليزي) لندن، ١٩٩٣م.
- ٧ - جافين، آر.جي، عدن تحت الحكم البريطاني، د.ت. (الجليزي).
- ٨ - حسن، يوسف فضل، العرب والسودان من القرن السابع، حتى مطلع القرن السادس عشر الميلادي، (الجليزي)، دار النشر بجامعة الخرطوم، ١٩٧٣م.
- ٩ - سارحنت، روبرت، نثر وشعر من حضرموت، (الجليزي)، جامعة لندن، ١٩٥١م.
- ١٠ - سمون، آرثر، موسيقى النوبيين في شمال السودان، (الجليزي)، برلين، ١٩٨٠م.
- ١١ - ماكمايكل، هارولد، تاريخ العرب في السودان، د.ت.

١٢ - مجموعة مؤلفين، دراسات عن تهامة (الإنجليزية)، إخراج، فرانسيس، ستون،
لونجمان، لندن، ١٩٨٥م.

ثانياً - المخطوطات الأجنبية:

- ١ - باسمح، علي وأحمد مصلح السنباني، بحث بالإنجليزية، جامعة (الخرطوم) ١٩٧٨م.
دراسة عن الحثان بين اليمنيات بالسودان.
- ٢ - براونا، جابريلا، دراسة حول الموسيقى اليمنية في اجتماع الجمعية العالمية لعلوم
الموسيقى، مدريد، ١٩٩٢م.

ثالثاً: الدوريات الأجنبية

- ١ - مجلة أهل البحر الأبيض المتوسط ، (فرنسية) ، العدد ٥٦ و ٥٧ يوليو - ديسمبر
، ١٩٩١ م ، (الزار في مصر) بقلم : تزيانا باتان.
- ٢ - مجلة المعهد الملكي للأنثروبولوجيا، الرقصات والطقوس العربية والسواحلية،
(الإنجليزية)، لندن، ١٩١٧. بقلم: آرسكين.

فهرس المحتويات

٧	الاهداء
١١	كلمة لا بد منها
١٣	الباب الأول
١٥	<u>الفصل الأول: مدخل تاريخي</u>
١٥	علاقات ما قبل الإسلام
٢٨	علاقات ما بعد الإسلام
٣٣	انتقال الفقهاء والمتصوفة بين المنطقتين
٣٧	الصلات التجارية
٤٦	مسار العلاقات حتى العصر الحديث
٥١	الإدريسية في عسير وعودة إلى انتقال الطرق الصوفية
٦١	<u>الفصل الثاني: الهجرات المعاصرة</u>
٦١	الهجرة اليمنية للسودان
٧٢	هجرة السودانيين إلى شمال اليمن
٨١	<u>الفصل الثالث: أواخر الزرية والتعليم بين جنوب اليمن والسودان</u>
٨١	المدرسون السودانيون في جنوب اليمن
٨٨	طلبة جنوب اليمن في السودان

٩٧	<u>ملحق الفصل الثالث:</u>
٩٧	آصرة التعليم بين المنطقتين في أندونيسيا
٩٨	من ذكريات مدرس سوداني بجنوب اليمن
١٠٥	<u>الفصل الرابع: مدني قاعدة النضال اليمني</u>
١٢٣	<u>الفصل الخامس: أواخر الفنون</u>
١٢٣	فنانون سوماتيون
١٢٥	أغنيات سوماتية
١٣٩	أغاني كردفان واحة سباعية في محيط حماسي
١٤٣	القصص الشعبية المشتركة
١٤٤	المسرح والسينما
١٤٩	النشاط الموسيقي السوداني في صنعاء
١٥٠	سر اسم عديلة في أغنيات صلاح أحمد محمد صالح
١٥١	التشابه في فن صناعة السيف
١٥٢	السماكة في شرق السودان فرقة سوماتية
١٥٤	صحف السودانيون في اليمن
١٥٥	من الفن التشكيلي
١٦٢	أكسبرس الأربعينات في عدن
١٦٥	المشارك في فن الطنيرة في السودان واليمن
١٧١	<u>ملحق الفصل الخامس</u>
١٨٧	<u>ملحق مصور</u>

- الباب الثاني: نماذج من الأدب السوماني

١٩٥	
١٩٧	ابراهيم الكامل محمد أحمد
١٩٩	أبو تلة الحسن أحمد
٢٠٣	أبو القاسم العرامي
٢٠٥	أحمد أحمد الفقيه
٢١٩	أحمد الخزان
٢٢٢	أحمد محمد الشجني
٢٢٥	د. أحمد علي الخضر
٢٢٦	أحمد مصطفى المثلث
٢٢٧	آدم الغزالي باكور
٢٢٩	امال ابراهيم
٢٣١	بدر الدين هاشم
٢٣٣	بدوي ابراهيم
٢٤٣	د. تاج السر الحسن
٢٤٩	جعفر حامد البشير
٢٥٠	جمال أحمد الفقيه
٢٥٢	د. جيلي عبد الرحمن
٢٥٥	حامد ابراهيم حامد
٢٥٨	حامد عوض حامد
٢٦٣	حسن محجوب
٢٦٤	حسن محمد سعيد

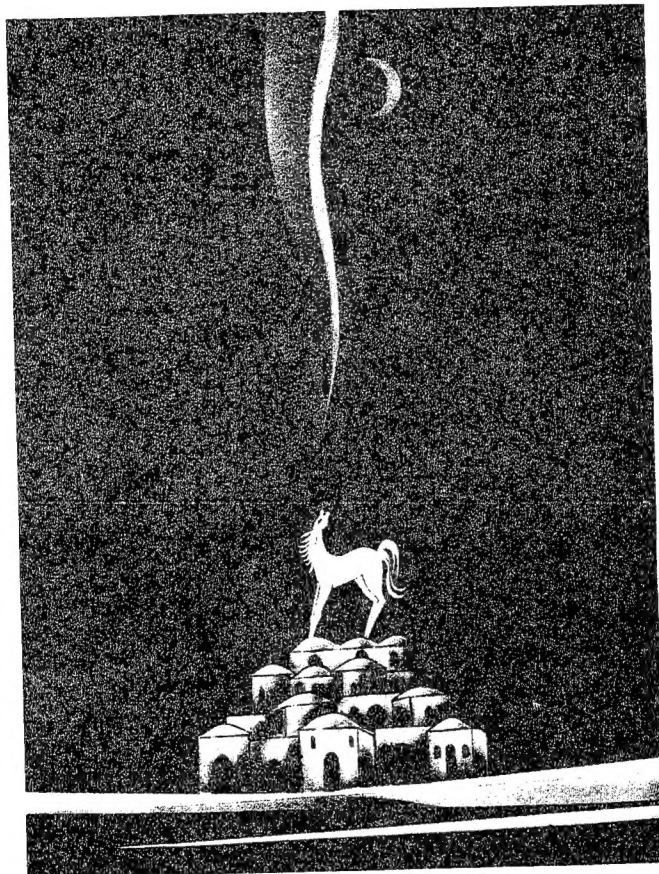
٢٦٨	حسن محمد عثمان
٢٦٩	حسين مجذوب علي
٢٧٠	خضر عطا المتان
٢٧٣	سالم عبد العزيز
٢٧٥	د. سالم عمر بكير
٢٧٧	سامية رزق
٢٧٨	د. سعيد الشيباني
٢٨٠	سعيد محمد باوزير
٢٨٢	سعيد محمد مخاوش
٢٨٣	سعيد محمد دحي
٢٨٨	سيد أحمد الحر دلو
٢٩٨	شاعر مجهول
٢٩٩	شيخ الدين عبيد عثمان
٣٠٤	صالح بانقا
٣١٠	صديق الصادق
٣١١	صديق مدثر
٣١٦	صفاء مصلح أحمد
٣١٨	صلاح مدني محمد
٣٢١	الطيب السراج
٣٢٢	عبد الله حامد الأمين
٣٢٥	عبد الله حمود حمران
٣٣١	د. عبد الله الطيب
٣٣٤	العقيد عبد الله محمد الزيايدي

٣٣٦	عبد الرحمن اسماعيل عثمان سكاب
٣٣٨	عبد الرحمن بن حسين الجيري
٣٤٠	عبد الرحمن عمر باعمر
٣٤١	عبد السلام الحداد
٣٤٢	د. عبد السلام نور الدين
٣٤٤	د. عبد الشافي صديق
٣٤٦	د. عبد العزيز صالح المقالح
٣٥١	عبد الغفار أحمد جميل
٣٦١	عبد الفتاح عبد الولي
٣٦٣	عبد القادر أحمد باحشوان
٣٦٤	عبد القادر شرقي محمد
٣٦٥	عبد الوهاب أحمد علي الخير
٣٦٩	عبد يحيى صالح
٣٧٠	عثمان علي أبو بكر
٣٧٣	عزيزة مصلح أحمد
٣٧٥	علي زيد بن شائع
٣٧٦	علي قاسم المؤيد
٣٧٨	علي عمر الصافي
٣٨١	د. علي الملك
٣٨٤	علم النذير
٣٨٧	عمران العاقب
٣٨٨	عوض اسماعيل الشيخ
٣٨٩	فراج الطيب السراج

٣٩٣	فيصل الأمين ابراهيم مكاي
٣٩٤	القُدال سعيد القدال
٣٩٧	القرشي عبد الرحيم سلام
٣٩٨	لطفني جعفر أمان
٤١٠	مبارك ادم الهادي
٤١٣	د. مبارك حسن الخليفة
٤٢٤	مبارك المغربي
٤٢٦	مجاهد محمد العشماوي
٤٢٨	مجتبي عبد الله
٤٢٩	عاسن عبد الله الحواتي
٤٣٤	محمد أحمد الحداد
٤٣٥	محمد باب الله عبد الوهاب
٤٣٧	محمد مجذوب علي
٤٤٤	محمد حسين هيثم
٤٤٦	محمد سعيد المشرقي
٤٤٨	محمد عبد الله سعيد
٤٥٠	محمد عبد الرحيم حازم
٤٧٠	د. محمد عبد القادر بافقيه
٤٧٩	د. محمد عبد غانم
٤٨٦	د. محمد عثمان حسن الجرتلي
٤٨٨	محمد علي الخوري
٤٩٦	محمد علي عثمان
٥٠٢	محمد الفتيح

٥٠٤	د. محمد يحيى حسين الشرفي
٥٠٨	محمود ادم حسب الله
٥٠٩	محي الدين فارس
٥١٢	مختار محمد مختار
٥١٥	مكي محمد نور محمد سلامة
٥١٨	مهدي محمد سعيد
٥٢٠	مصطفى سند
٥٢٢	مصطفى طيب الأسماء
٥٢٤	نجيب جعفر أمان
٥٢٥	يوسف عبد الله الخواتي
٥٣١	المصادر والمراجع
٥٤٩	فهرس المحتويات

تداعيات الضربة



د. نزار غانم

نبذة عن المؤلف

- من مواليد عدن ٧/١٠/١٩٥٨م
- حصل على بكالوريوس الطب والجراحة من جامعة الخرطوم عام ١٩٨٤م.
- عمل طبيباً بمستشفيات دبي عام ١٩٨٤ و ١٩٨٥م.
- عمل طبيباً في المستشفى العسكري العام بصنعاء ومنح رتبة ملازم أول من ١٩٨٥م وحتى ١٩٨٩م.
- حصل على الماجستير في الطب المهني من جامعة لندن عام ١٩٨٩م.
- يعمل محاضراً للصحة المهنية بقسم طب المجتمع بكلية الطب والعلوم الصحية بجامعة صنعاء منذ ١٩٩٠م وحتى الآن.
- حصل على شهادة في تنظيم الأسرة عام ١٩٩٠م من جامعة عين شمس وشهادة أخرى في نفس الاختصاص من أندونيسيا في نفس العام.
- حصل على شهادة طب الطيران من السلاح الجوي الملكي البريطاني عام ١٩٩٢م.
- حصل على شهادة الاختصاص في طب المجتمع من المجلس العربي للاختصاصات الطبية في دمشق عام ١٩٩٢م.
- حصل على دورة في الخدمات الصحية والإجتماعية الخيرية من الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٣، بعد تأسيسه للعيادات المجانية للمبدعين في اليمن.
- حصل على شهادة التعليم الطبي من جامعة قناة السويس عام ١٩٩٤م.

- للمؤلف عدد من الأبحاث الطبية المنشورة باللغتين العربية والإنجليزية.

- من مؤلفاته :

جذور الأغنية اليمنية في أعماق الخليج (مشترك)

حمينيات صدى صيرة

تداعيات الغربة (شعر)

- في الطريق الى النشر:

«دراسات يمانية في الطب والفن».